عبد الجواد محمد الطيب

لغة هذيل

الرسالة المقدمة إلى كلية الآداب

بجامعة القاهرة

لنيل درجة الدكتوراه في الآداب

بإشراف الأستاذ الدكتور خليل يحيى نامي

مَدْخَل

(بسم الله الرحمن الرحيم)

— مدخـــــــــــل —

بين اللغة واللهجة :

إذا كان القدامى من علماء العربية وكتابها كابن فارس، وابن جني ، والجاحظ ، وغيرهم قد استعملوا أحيانا لفظ " لغة " للتعبير عن اللغة العربية في عمومها وشمولها وانتظامها للهجات القبائل العربية المنتشرة في أنحاء الجزيرة[1] ، فإنا قد ألفيناهم — مع هذا — يؤثرون التعبير بلفظ اللغة عن اللهجة التي يتميز بها كل قبيل عن قبيل غيره ، وقد ذاع بينهم هذا الاصطلاح ذيوعا كبيرا ، فنجده دائما عند علماء اللغة في رواياتهم وكتبهم وتراجمهم ، ومن ذلك ما روى عن أبي حاتم أن أبا زيد الأنصاري كان يتسع في اللغات ، وأنه — أعني أبا حاتم — يعيب على يونس اتساعه في اللغات[2] " أي اللهجات " ، كما نلمس هذا واضحا في كتب اللغة ومعاجمها ، ومن أمثلة ذلك : " الوتر ضد الشفع بكسر الواو لغة الحجاز ، وفتحها نجدية "[3] ، " حزنه لغة قريش ، وأحزنه لغة تميم "[4] ، " سجرت النهر ملأته ، وأسجرته لغة "[5] ، وفي خزانة الأدب للبغدادي ، والاقتراح للسيوطي : " قد كانت العرب ينشد بعضهم بعضا ، وكل يتكلم على مقتضى لغته التي فطر عليها "[6] أي لهجته ، والأمثلة على هذا كثيرة في كتب اللغة ، وقد عقد صاحب الخصائص في كتابه أبوابا وفصولا للهجات العربية مستعملا كلمة لغة في معنى لهجة كـ " باب اختلاف اللغات وكلها حجة " " أسباب اختلاف لغات العرب " ، " باب في تركيب اللغات " ، " باب في الفصيح يجتمع في كلامه لغتان فصاعدا " ، وقد نجد مثل هذا أو ما يقاربه عند ابن سيده .

هذا ، وقد ألفت كتب كاملة في اللهجات العربية القديمة ، يحمل اسمها وعنوانها ذلك الاصطلاح القديم ، ومن هذه الكتب والمؤلفات ما لا يوجد منه الآن إلا اسمه مثل كتاب " لغات هذيل " لعبد العزيز بن الفضل الهذلي ، ومنها ما قد وصلنا مخطوطا أو مطبوعا ، وهاك أمثلة منها : كتاب اللغات لأبي زيد ، ومثله للأصمعي ، وأبي عبيدة والفراء وابن خالويه ، كتاب اللغات في القرآن لإسماعيل بن عمرو المقرئ ، ومثله لآخرين من العلماء ، تهذيب الأسماء واللغات لأبي صالح المروزي ، رسالة ما ورد في القرآن من لغات القبائل لأبي القاسم ابن سلام ، كتاب لغات القرآن لأبي بكر بن دريد .

---

(1) ابن جني : الخصائص ١ / ٣٤ ، البيان والتبيين ١ / ٨٧ ، السيوطي : المزهر ١ / ٤٢ .
(2) الزبيدي : الطبقات ص ١٨٢ . (3) ابن دريد : الجمهرة (وتر) .
(4) الصحاح ، تاج العروس (حزن) (5) ابن القوطية : الأفعال ص ٦٩ .
(6) الخزانة ١ / ٢٢ ، الاقتراح ص ٣٠ (7) ياقوت : معجم الأدباء ١٢ / ١٦٨ .

... وأخيرا كتاب " ميزات لغات العرب " لحفنى ناصف . ولم يكن هذا الاستعمال مقصورا بالطبع على كتب اللغة وحدها ، بل تعداها إلى كتب النحو والصرف واللغة والنحو صنوان — فكثيرا ما نراهم يعرضون لهذه اللهجات أو اللغات — على حد تعبيرهم — عند الاختلاف فى مسألة من مسائل النحو أو التصريف ، كقولهم فى إعراب المثنى مثلا : " ولزوم الألف لغة حارثية "[1] ، وقولهم فى الفك والإدغام : " الفك لغة الحجاز ، والإدغام لغة تميم "[2] والأمثلة على هذا لا تقع تحت الحصر .

وكذلك كان الشأن عند علماء القراءات[3] ، والتفسير[4] ، ومن كتبوا فى علوم القرآن بوجه عام[5] ، وفى غريب الحديث[6] ، وكتب الطبقات[7] ، والتراجم[8] ، والأدب[9] ، والتاريخ والاجتماع[10] . فجميعهم كانوا يستخدمون هذا الاصطلاح عندما يعرض لهم فى تضاعيف الكلام .

وإذا كان العلماء القدامى قد أكثروا من استعمال لفظ " لغة " بمعنى " لهجة " فإنهم قد استعملوا كذلك لفظ " لسان " يريدون به المعنى الذى يريده المحدثون من معنى اللغة . ويبدو أن هذا الاستعمال قديم عند العرب ، وأنه قد بدأ أول ما بدأ على سبيل المجاز (لأن اللسان أداة اللغة وأداة الكلام) ، ولكنه قد تطور مع الزمن حتى صار أشبه ما يكون بالحقيقة العرفية ، وقد استخدمه العلماء فى هذا المعنى — كما أشرت — فأبو نصر الفارابى عندما يتحدث عمن نقلت عنهم العربية من قبائل العرب نراه يقول : " والذين نقلت عنهم العربية ، وبهم اقتدى ، وعنهم أخذ اللسان العربى من بين قبائل العرب هم ... "[11] ، وابن خلدون يسمى لغة مضر باللسان المضرى ، ولغة حمير باللسان الحميرى[12] ، وقد ورد هذا الاستعمال كثيرا فى القرآن الكريم[13] ، ونرى ابن منظور يسمى معجمه اللغوى " لسان العرب " ، فكأنى به — وقد سماه هذا الاسم — يتفاءل بأن يكون معجمه ذاك جامعا للغة العربية أو للكثير من ألفاظها ولهجاتها ، وعلى هذا الأساس سماه هذه التسمية التى تشير إلى ما ذكرنا من استعمال لفظ " اللسان " بمعنى اللغة .

---

(١) ابن مالك : التسهيل ص٥ (٢) الصبان على الأشمونى ٤/ ٢٣٠ .
(٣) أبو شامة : إبراز المعانى ص٢٤٦ ومابعدها (٤) الكشاف ١/ ٢٠٠ ، البيضاوى ٢/ ٣٢
(٥) السيوطى : الإتقان ١/ ١٣٥ (٦) ابن الأثير : النهاية ١/ ٢٥٠
(٧) القفطى : إنباه الرواة ٢/ ٣٦٠ (٨) معجم الأدباء ١٠/ ٢٥٨ .
(٩) البيان والتبيين ١/ ٣٨ ، ٤٠ ، ٥٤ . القالى : الأمالى ٢/ ٢٦٣ ، ٢٩٥ .
(١٠) ابن خلدون : المقدمة ص٢٥٢ (١١) السيوطى : المزهر ١/ ١٢٨ .
(١٢) ابن خلدون : المقدمة ص٢٥٢ (١٣) السور ١٤ ، ١٦ ، ٢٨ ، ٤٦ آيات ٤ ، ١٩٥ ، ٣٤ ، ١٢ .

فإذا وضعنا فى اعتبارنا ما درج عليه علماء العربية فى التدريج بالقبيلة من الكثرة إلى القلة ، أو من الأصول إلى فروعها ، حين قالوا إن الشعب أكبر من القبيلة ، ثم تليه القبيلة ، ثم العمارة ، ثم البطن ، ثم الفخذ والفصيلة [(١)] ، لقلنا إن " اللسان " كثيرا ما كان يراد به لغة العرب جميعهم ، أو لغة شعب كبير منهم كالمضرية والحصيرية ، وأما اللغة فأغلب ما كانت تطلق فعلى لهجة قبيلة بعينها ، أو بعض بطون هذه القبيلة ، أو أفخاذها وفصائلها .

أما كلمة " لهجة " فإنها لم تشتهر ولم تأخذ مكانها فى صورة اصطلاح علمى إلا فى العصر الحديث حين درج عليه العلماء أخيرا من مستشرقين وشرقيين وإن كان بعضهم لا يزال يراوح بين هذين الاستعمالين [(٢)] . فاللهجة عند المحدثين هى مجموعة من الصفات اللغوية تتسم بها بيئة معينة بحيث يشترك فيها جميع أفرادها . وهناك بيئة أعم من هذه إذ تشمل عدة لهجات ، وهى التى يسمونها باللغة [(٣)] ، وقد استعمل هذا اللفظ الأخير فى هذا المعنى من قديم وإن كان القدماء يؤثرون فى معناه كلمة " اللسان " كما أشرنا .

ويرى بعض المحدثين من اللغويين ضرورة التفريق بين اللغة واللهجة ، وفى رأيهم أن اللغة هى لغة الكتابة وأن اللهجة هى لغة التخاطب ، لغة الكلام ، لغة الحديث فى حياة الناس اليومية .

والمسألة مع هذا مسألة اصطلاحية خالصة ، ولا مشاحة فى الاصطلاح كما يقال ، خصوصا إذا كان الأمر على درجة من الوضوح لا يغشيها شك أو التباس وأنا شخصيا لم أوثر أن ألتزم أحد هذين الاصطلاحين دون الآخر ، بل جعلت عنوان بحثى " لغة هذيل " على التعبير القديم ، والتزمته كلما جاء على لسان القدامى فى نص من نصوصهم ، ثم استعملت فى تضاعيف البحث كلمة " لهجة " كما يستعملها المحدثون ، إشارة إلى أن هذا الأمر ليس ذا خطر ، أو ذا بال بحيث يتغير له وجه الحق ، أو تتأثر به حقائق الأشياء .

ولعل التعبير بكلمة " لغة " فى عنوان هذا البحث قد يشير إلى أهمية هذه اللهجة الهذلية وأنها وإن لم تبلغ مبلغ اللغة بحق ، فهى مع هذا ليست لهجة قبيلة صغيرة بين قبائل العرب ، وإنما هى لهجة قبيلة كبيرة لها بطونها الكثيرة وفصائلها المتعددة ، التى شغلت موطنا واسعا فى شبه الجزيرة العربية . وتلك إشارة عابرة إلى أهمية اللهجة الهذلية ، فليس هذا موضع الحديث عنها فى إسهاب ، بل سيكون ذلك على شىء من التفصيل فى موضعه من البحث .

---

(١) الثعالبى : فقه اللغة ٣٢٧ . السويدى : سبائك الذهب ص ٧ . القلقشندى : نهاية الأرب ص ١٣ .

(٢) أحمد أمين : فجر الإسلام ص ٥٢ . محمد كرد على : "عجائب اللهجات" مجلة اللغة العربية ١٢٨/٧ .

(٣) دكتور أنيس : فى اللهجات العربية ص ١٣ .

أهمية دراسة اللهجات :ـ

البحث في اللهجات العربية القديمة لا يقل أهمية وخطرا عن البحث في اللهجات الحديثة ، فكلاهما بحث حيوى هام له أثره الخطير في الوصل بين القديم والحديث ، وفي تطوير اللغة الفصحى وتيسيرها ، والملاءمة بينها وبين ظروف الحياة الراهنة في الوطن العربي ، حتى تكتسب مرونة وجدة وانطلاقا ، ووفاء بحاجات هذا العصر دون إجحاف بها ، أو تحيف عليها ، أو انتقاص لما لها من منزلة سامية في نفوس أبنائها ، فلقد أصبح البعد شاسعا ، والهوة سحيقة بين هذه الفصحى ، وبين اللهجات العربية الحديثة التي قد تطورت مع الزمن في بيئاتها ، وأثرت فيها مؤثرات كثيرة لا تحصى عدا ، باعدت بينها وبين أصلها العربي ، فصارت الفصحى في جانب واللهجات العامية في جانب آخر ، صار للعامة لغة ، وللخاصة لغة أخرى تغايرها تمام المغايرة ، فلغة الحديث ولغة الحياة التي فيها يحيا الناس ويضطربون صارت شيئا آخر يختلف اختلافا بينا عن لغة العلوم والفنون والآداب ، فإذا بنا نجد أن لغتنا ـ رغم غناها وثرائها ـ وقفت جامدة لا تستطيع أن تساير ركب الحياة ، وإذا بنا أيضا نجد عناء ومشقة وعنتا في تعلم لغتنا ، فكأنما هي لغة أجنبية عنا ، ينشأ الطفل في بيئة بعيدة عن هذه البيئة اللغوية الخاصة كل البعد ، ثم يبدأ في طفولته يتعلم اللغة فيفجأ منها بكل جديد ، وكل غريب ، ثم يصبر ويصبر ، ويظل يتعلم ويتعلم ، وقد يخرج في النهاية بعد طول الدرس والتحصيل غير قادر على السيطرة على قلمه ولسانه كما ينبغي أن يسيطر الناس على لغتهم .

فتصحيح هذا الوضع يتطلب منا ـ قبل كل شيء ـ أن نتوفر على دراسة اللهجات العربية دراسة فاحصة قبل أن نطمع في شيء من الإصلاح المنشود .

وإنه لمن سوء الطالع أن قدماءنا لم يهتموا بهذا البحث في قليل أو كثير فعلماء اللغة ورواتها كان من اليسير عليهم ـ وهم أقرب عهدا ، وأمس اتصالا باللهجات العربية في مواطنها ـ أن يستقرئوا هذه اللهجات العربية المختلفة ، ويتتبعوها بحثا واستقصاء في مظان وجودها راجعين بالشيء إلى أصله ، جامعين للإلف إلى إلفه ، ولكنهم لم يفعلوا ، لأنه لم تتوافر لديهم مناهج البحث الحديث ، ولأنهم لم يقدروا في أذهانهم ما نعانيه الآن من جراء هذا التقصير ، فكان أن اتجهوا إلى جمع نصوص اللغة ومروياتها دون تمييز بينها ، لا لتكون ميدانا لأبحاث مستقلة ، ومجالا

واسعا لدراسات مستفيضة تخدم الإنسانية والعلم والفن جميعا . بل جمعوا ما جمعوا من نصوص اللغة ومادتها من القبائل التي ارتضوا الأخذ عنها ، ليكون في ذلك رعاية للكتاب الكريم ، وحفظ للغة من الضياع ، وللسان العربي من اللحن والتحريف ، وتلك - دون شك - غاية نبيلة ، ولو قد صحبها سعة في الأفق ، ودقة في البحث ، وسلامة في المنهج على قدر طاقتهم وظروفهم ، لكان في ذلك للأجيال العربية من بعدهم غنم عظيم . ولكنهم جمعوا أكثر ما جمعوا دون أن يردوه إلى الأصل الذي استمدوا منه والقبيلة التي أخذوا عنها ، وهم إذا مافعلوا - وقليلا ما يفعلون - قد نجد فيما أسندوه إلى أصله ما يدعو إلى إعادة البحث ، وطول النظر ، ولهذا جاءتنا نصوص اللغة ، وهي أشبه ما تكون بركام هائل ، ما أكبره من ناحية الكم ولكنا نجد فيه مشقة وعناء إذا حاولنا الإفادة منه في ضوء البحث الحديث .

هذا شأن قدمائنا ، وما كانوا خليقين أن يقدموه لنا من فائدة جليلة في مثل هذه الأبحاث لو قد تغيرت وجهة نظرهم - كما قلنا - واتسعت آفاقهم في جمعهم لمادة اللغة ونصوصها .

أما نحن المحدثين ، فإننا إذا استثنينا حفني ناصف لم نهتم كذلك بدراسة اللهجات العربية ولم يتجه بعضنا إلى إدراك أهميتها إلا بعد أن لمسنا ذلك عند المستشرقين الذين عنوا بهذا النوع من البحث ، ولكني متفائل بأننا - وقد اتجهنا إليه - سنفوقهم في هذا المضمار ، فاللغة لغتنا ونحن أجدر أن نتوفر على بحثها من غيرنا ، وبهذا نستطيع أن نسد نقصا كبيرا في جانب هام من جوانب الدراسات العربية ، والبحث اللغوي . وفي ضوء هذا نستطيع الإصلاح والتطوير والتيسير ووصل اللغة بالحياة على أساس وطيد سليم .

ولقد حاول بعض المجددين من المفكرين والعلماء والكتاب تيسير اللغة العربية على الناشئين من أبنائنا ، فسلك كل منهم في ذلك مسلكا رأى فيه خير طريق يوصل إلى التيسير المنشود ، فمنهم من رأى في إصلاح النحو أقرب طريق إلى هذا التيسير فراح يبذل الجهود في هذا الفرع من الدراسات اللغوية (١) ، ومنهم من رأى أن تيسير الكتابة العربية ، والهجاء العربي هو أقصر الطرق إلى ما يريد (٢)

---

(١) إبراهيم مصطفى ، إحياء النحو . بعض المقالات والاقتراحات في مجال هذا التيسير بمجمع اللغة العربية ، البحوث والمحاضرات ، مؤتمر الدورة التاسعة والعشرين ص ١٥٨ وفي الجزء ١٥ من مجلة المجمع .

(٢) مقالات الدكتور طه حسين في تيسير الكتابة العربية ، بحث الشيخ أحمد السكندري في تيسير الهجاء العربي في الجزء الأول من مجلة المجمع . الاقتراح بتيسير الإملاء (الألف اللينة) بمجلة المجمع جـ ١٦ ص ٨٧ .

ومنهم من طالب بكتابة اللغة العربية بحروف لاتينية ، وتقدم بهذا الاقتراح إلى مجمع اللغة العربية (١) وضمن اقتراحه رغبته في إحلال اللهجات العامية محل الفصحى تأسيا بما فعل الفرنسيون والإيطاليون والأسبان وغيرهم ممن صنعوا مثل صنيعهم (٢) ، وكان أولى به أن يقترح ما يقرب شقة الخلاف بين الفصحى والعامية أو أن يقترح غير هذا الاقتراح الذي يمكّن لاختلاف اللغات في أجزاء الوطن العربي الواحد .

ومع هذا فأنا لا أحب أن أغض من قيمة الجهود المبذولة في سبيل تعبيد الطريق أمام لغتنا القومية العريقة ، ولكني أريد أن أقول إن إصلاح النحو العربي وإن كان لازما ، ليس هو كل شئ في الإصلاح اللغوى ، ثم إن هذه المحاولات النحوية قد كتب لبعضها حظ يسير من التوفيق ، وبعضها الآخر قد أخطأه التوفيق إلى حد كبير ، ويبدو أن الدافع إليه هو الاغترار بالجديد لأنه جديد لا الاقتناع به بعد دراسة وبحث وتمحيص (٣) .

أما عن الكتابة العربية والهجاء العربى فلا بأس أن نرى في ذلك بعض المحاولات ، وإن كانت اللغة العربية في هذا الجانب - إذا استثنينا ضبط الحروف وشكلها - ليست بدعا فيما يجده الناشئ فيها من صعوبات فإنك لتجد في اللغات الغربية كلمات كثيرة فيها صعوبة وشذوذ ، إذ لا يساير نطقها كتابتها ويذهب بعض اللغويين الفرنسيين إلى القول بأن شذوذ الكتابة وصعوباتها تعد كارثة وطنية ، فالكلمات Port بمعنى ميناء و Pores بمعنى المسام و Porc بمعنى خنزير تنطق كلها بطريقة واحدة ولكنها مختلفة في كتابتها وكلمة sain (صحى) و saint (قديس) و seing (توقيع) تنطق كذلك بطريقة واحدة وتختلف في الكتابة . وكذلك الحال من الصعوبة في اللغة الانجليزية في مثل night ، write , right , knight , through enough وغيرها . ومع هذا فنحن أيها الغرباء عن هذه اللغات - فضلا عن الناطقين بها - نتعلمها عن طواعية واختيارا ، ولا نتبرم كثيرا بما فيها من صعوبة وشذوذ في أمثال هذه الكلمات . وليس معنى ذلك أني لا أرتضي بذل المحاولات الجادة في هذه الناحية ولكني أريد أن أقول إنه ليس الخطب كل الخطب في الجانب النحوى أو الجانب الهجائي وحدهما ، وإنما هنالك ما هو أجل من ذلك وأخطر ، فمادة اللغة وألفاظها ومعانيها ، وما قد حدث فيها من تفاوت كبير بينها وبين العامية كما سبقت الإشارة - هو أجدر شئ بالبحث والنظر ، ومع ذلك لم يلتفت إليه هؤلاء الباحثون كثيرا فيما طرقوا من بحوث .

---

(١) عبد العزيز فهمى / اقتراح مقدم إلى مؤتمر مجمع اللغة العربية في جلستى ٢٤ ، ٣١ يناير ١٩٤٤

(٢) المرجع السابق ص ٢ .

(٣) فكرة تغيير بعض المصطلحات النحوية في وزارة التربية ، ثم العدول عنها بعد فشلها سنة ١٩٦١ .

وأخيراً اتجه البحث إلى اللهجات العربية قديمها وحديثها ، فكان ذلك بداية طيبة لها جدواها على اللغة والدراسات اللغوية إن شاء الله . فالواقع أن اللهجات العربية الحديثة ، وإن كانت قد تأثرت في مواطنها بما توارد عليها من مؤثرات تتابعت على مر الأيام ، فإنها — ولا سيما في الجهات التي هي أكثر حفاظاً على القديم والتي كان نزول العرب بها واستقرارهم فيها أكثر منه في غيرها — لا تزال تحتفظ في كثير من كلماتها بالطابع العربي مع شيء من التغيير في ضبطها ، أو في بعض حروفها ، ومن أمثلة ذلك التحريف اليسير " أريت " بمعنى قرأت ، " وأخطيت " في معنى أخطأت ، " وتوضيت " بمعنى توضأت ، فإن لها أصلا عربيا قريبا هو قريت وأخطيت وتوضيت [1] . وقد يحتفظ اللفظ بصورته العربية ، ويحصل التغيير في مدلوله ، مع بقاء الصلة بين المعنى الأصلي والمعنى الجديد ، وذلك مثل كلمة " طخ " فقد تستعمل العامة " طخه " تريد بذلك ضربه برصاصة مثلا ، وقد تستعمل ذلك لعموم معنى الضرب ، وفي العربية : طخ الشيء يطخه طخا ألقاه من يده ، فأبعده ، [2] ، فالصلة بين المعنيين قوية كما ترى ، واللفظ لا يزال كما هو لم يمسسه تغيير أو تحريف . وأمثلة هذا التغيير في الألفاظ أو المعاني أكثر من أن يشملها الحصر .

وهناك أيضا كلمات كثيرة تتفق فيها الفصحى والعامية في اللفظ والمدلول دون أدنى خلاف ، أي أنها بقيت على حالها لم يمسها تغيير ، ومن أمثلة ذلك : الوكس بمعنى البخس في الثمن فهي هكذا في العامية والفصحى [3] على السواء ، ونشل اللحم ينشله عامية وعربية [4] ، والعباية التي هي ضرب من الأكسية عامية وعربية كذلك [5] ، والسكات بمعنى السكوت عامية وعربية أيضا [6] .. وهكذا دواليك .

وكذلك يجد الباحث كلمات كثيرة في اللهجات الحديثة لها أصلها وسندها من اللهجات العربية القديمة ، فلفظ " كِلْمة " المستعمل في العامية بمعنى كَلِمة عربي فصيح هو لهجة لبني تميم وجمعها كِلَم [7] ، وضمير الغائب " هَوَ " الذي ننطقه في لهجتنا الحديثة بالواو المشددة (هوّ) نجده كذلك عند قبيل من العرب [8] والسّكينة كما هي في العامية لغة في السّكين عربية [9] ، والمَسكين بفتح الميم هو المِسكين بكسرها [10] ، والعامّة يقولون المَشْوَرة بفتح الميم وسكون الشين يريدون

(١) الخصائص ٣/ ٥٢ (٢) المخصص ١٣/ ١٥٢ (٣) اللسان (بخس) .
(٤) القاموس (نشل) (٥) اللسان (عبا) . (٦) القاموس (السكت) . (٧) الخصائص ١/ ٢٦، ٢٧
(٨) ابن فارس : مقاييس اللغة ٦/ ٣ (٩) اللسان (سكن) . (١٠) المرجع السابق (نفس المادة) .

بها المَشُورة ، وكلتاهما لهجة عربية صحيحة [1] . وكذلك جبره بمعنى أجبره وأكرهه ، كما ينطقون الحِصاد بكسر الحاء ، والوَتر ضد الشفع بفتح الواو ، والحِج بكسر الحاء ، والضُّعف بضم الضاد والشِّكل بكسر الشين فى معنى الشَّكل بفتحها وكذلك كِتْف بدلا من كَتِف ، وكِبْد بدلا من كَبِد ، وكِرْش بدلا من كَرِش ، وشِعير ورِغيف وبِعير بكسر أوائلها ، ونِكتب ونِشرب بكسر حرف المضارعة ، ورَطل بالفتح بدلا من رِطل ، وكَفة بدلا من كِفة ، وصلّطه أى سلّطه ، والصنط بمعنى السنط (الشجر المعروف) ، ....

كل هذه وكثير غيرها لهجات عربية صحيحة . فدراسة اللهجات العربية القديمة أمر مرغوب فيه . لا باعتبارها من الأصول التاريخية التى أسهمت فى تكوين الفصحى فحسب ، بل باعتبارها كذلك خير معين للغة العربية على أن تجد مجالا فسيحا تستطيع فيه أن تضيق الهوة التى تفصلها عن اللهجات العربية الحديثة ، التى هى لغة الحياة الآن فى البلاد العربية ، وبهذا تستطيع الفصحى أن تحافظ على حيويتها ونشاطها .

هذا ودراسة اللهجات القديمة فى منهج علمى سليم ، ومعرفة مواطن القبائل العربية فى مختلف أنحاء الجزيرة ، وتتبع حركاتها وانتقالها ، وظعنها وإقامتها ، وتأثيرها بغيرها ، وتأثيرها فى سواها ... كل هذا يساعد على دراسة العربية على أصول ثابتة ، ويوضح علاقتها بغيرها من اللغات السامية الأخرى ، فيتضح لنا كثير من الأحكام العامة التى كان يطلقها قدماؤنا ، والآراء الخاطئة التى تورط فيها هؤلاء القدماء وتتسع أمامنا آفاق من البحث لها جدواها على الدراسات اللغوية والتاريخية على السواء .

فليس بدعا إذن أن نرى دراسة اللهجات من أهم الاتجاهات فى البحوث اللغوية الحديثة ، حتى لقد اهتمت بها الجامعات الأوروبية فى القرنين الأخيرين اهتماما كبيرا ، وخصص لها فى بعض هذه الجامعات فروع وأقسام للتوافر على دراستها والتخصص فيها وأصبح هناك علم يسمى علم اللهجات يدخل فى الدراسات اللغوية، كما كتب فيها بعض الباحثين من المستشرقين بحوثا لا ينبغى إغفال قيمتها ، ثم انتقل الاهتمام بها إلينا على يد هؤلاء المستشرقين من أبناء الغرب ، فحذونا حذوهم ، وبدأنا نلقى بالا إلى سد بعض هذا النقص فينا ، فاتجهنا إلى دراسة اللهجات فى جامعاتنا ، والأمل معقود على توافر الجهود وتضافرها على هذا النوع من البحث الذى يتطلب فى الواقع جهودا جماعية جبارة ينبغى أن يقوم بها عدد غير قليل من المشتغلين بالدراسات اللغوية .

---

(١) اللسان (شور) .

المنهج الذى سلكته فى هذا البحث :

لقد كان مسلكى إزاء هذا البحث يتمثل أولا فى اختيار موضوعه ، وثانيا فى المنهج الذى أسلكه فى معالجة هذا الموضوع .

فأما من اختيار الموضوع فقد رأيت أن من الخير أن أعالج لهجة من اللهجات العربية التى استقرت فى وسط الجزيرة ، والتى كانت فى منأى عن التأثر بلغات الأمم المجاورة فى الشمال والجنوب ، خلافا لما كان عليه الشأن عند جذام ولخم وقضاعة ، وعند المناذرة والغساسنة فى جوارهم للفرس والروم ، وعند سكان الجنوب العربى فى جوارهم للأحباش .

وقد توخيت إلى جانب هذا أن تكون اللهجة موضوع الاختيار لهجة بدوية ، بعيدة عن التأثر بالحضر ، وما اعتوره منذ صدر الإسلام ، وحدوث الاختلاط بين المسلمين فى أقطار الأرض من لحن وتحريف . وقد انتهيت إلى أن تكون هذه اللهجة البدوية هى لهجة هذيل التى كانت دون شك عنصرا هاما فى تكوين اللهجة القرشية ، وهى من أقرب اللهجات إليها جوارا ونسبا ، وقد أجمع الرواة واللغويون على فصاحتها ، وأنها أجدر أن تكون أحد المصادر التى عنها يأخذون ، وموردا من الموارد التى منها ينهلون[1] ، ولقد كان للهجة هذيل هذه ولشعرها وشعرائها أثر كبير فى الأدب واللغة ليس هذا موطن الإفاضة فيه ، ولكن حسبى أن أقول إن هذا كله كان من دوافع اختيارى لهذه اللهجة التى تركت فى الأدب وفى اللغة الفصحى أثرا ربما كان أعمق مما تركه سواها من اللهجات .

هذا ما يتعلق باختيار الموضوع ، أما المنهج الذى سلكته فيه ، فإننى رأيت بادئ ذى بدء أن أجمع ما وسعنى الجهد كل ما نسب إلى هذيل من لهجات ، متتبعا إياها فى بطون الكتب وأمهات المراجع ، فلم آل جهدا فى قراءة موسوعات اللغة ومعاجمها ككتاب العين المنسوب إلى الخليل ، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ، وفقه اللغة له ، والصاحبى كذلك ، والخصائص لابن جنى والمخصص لابن سيده ، وإصلاح المنطق لابن السكيت ، والأفعال لابن القوطية ،

---

(١) المزهر ١٢٨/٢ ، الاقتراح ١٩ ، البلغة ٣٩ .

والمعرّب للجواليقي ، وفقه اللغة للثعالبي ، والجمهرة لابن دريد ، ولسان العرب لابن منظور ، والقاموس للفيروزبادي ، وتاج العروس للزَّبيدي ، والأساس للزمخشري ، وخزانة الأدب للبغدادي ... وغير ذلك من كتب اللغة ومعاجمها .

وكتب النحو وفلسفته ، ككتاب سيبويه ، وسر صناعة الإعراب لابن جني ، والتسهيل لابن مالك ، وشرح الكافية للرضي ، والإنصاف لابن الأنباري ، والصبان على الأشموني ، والتصريح على التوضيح والخضري على ابن عقيل ، وشرح المفصل لابن يعيش والمغني لابن هشام ... ومن كتب الصرف شرح شافية ابن الحاجب لرضي الدين الاستراباذي ، والمنصف شرح ابن جني لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني .

ومن كتب الأدب دواوين شعر هذيل ، وهي من المصادر الأولى التي ينبغي أن تكون عماد هذا البحث ، وقد أطلت النظر فيها علها تهديني إلى بعض سمات هذه اللهجة الهذلية ، وتهيئ الوصول إلى بعض مفردات هذه اللهجة وألفاظها ، ثم إلى ميزاتها وخصائصها ، مما قد أغفلته كتب اللغة والأدب وغيرها من المراجع الأخرى ، ولم أقتصر على دواوين شعر الهذليين ، وإنما نظرت في غيرها من كتب الشعر والأدب كحماسة أبي تمام وحماسة البحتري ، والمفضليات للضبي ، والكامل للمبرد ، والأمالي للقالي ، والبيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب الحيوان له ، ومجالس ثعلب ، وزهر الآداب للحصري ، وسمط اللآلي شرح الأمالي ، ~~والأمالي للقالي~~ ، والتنبيه للبكري ، والتبيان في شرح الديوان للعكبري .

ولما كانت قراءات القرآن الكريم تعد مرجعا هاما في دراسة اللهجات العربية ، فقد أعطيتها من العناية ما يناسب أهميتها في الموضوع ، فقرأت كثيرا من كتب القراءات كشروح الشاطبية والدرة ، وعنيت عناية خاصة بالقراءات الشاذة لما لها من أهمية في الموضوع مثل كتاب القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب ، وكتاب البديع في القراءات الشاذة لابن خالويه ، ومختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع المذكور نشره المستشرق برجشتراسر ، والمحتسب في شواذ القراءات لابن جني . ولما كان عبد الله بن مسعود الصحابي المعروف من أصل هذلي وله مصحفه ، وله قراءته ، فقد تتبعت قراءة ابن مسعود وتلاميذه لما لها من أهمية خاصة . ثم نظرت في بعض علوم القرآن مثل كتاب الإتقان للسيوطي وغيره .

ولما كانت مدرسة الكوفة النحوية تهتم بالقراءات ، وتتخذ منها مصدرا هاما من مصادر النحو الكوفي ، فإن هذا قد حفزني إلى دراسة المذهب الكوفي

من هذه الناحية ، خصوصا وأن قراءة ابن مسعود قد ذاعت فى الكوفة مدة إقامته بها فى عهد عمر حين ولاه بيت المال فيها ، فانتشرت هذه القراءة فى البيئة الكوفية ، وكان له فيها اتباع وتلاميذ نشروا هذه القراءة وأذاعوها فتعصب لها الكوفيون وتمسكوا بها وكان لها فى نفوسهم أعمق الأثر ، وأغلب الظن أن قراءة ابن مسعود هذه ربما كانت مفتاحا هاما تفتح به أغلاق هذه اللهجة الهذلية ، ويقفنا على كثير مما لم تطلعنا عليه المراجع بصورة مباشرة قريبة المأخذ .

ولقد تقفوت آثار ما كتب قديما فى اللهجات العربية من كتب ورسائل ، فوجدت أن ما كتب فى لهجة هذيل مثل كتاب " لغات هذيل " الذى سبقت الإشارة اليه قد فقد فيما فقد من تراثنا العربى ، ولكنى وجدت بعض رسائل فى اللهجات عامة ، فكانت من المراجع الخصبة فى هذا البحث ، ومن أمثلتها كتاب " اللغات فى القرآن " لإسماعيل بن عمرو المقرئ ، ورسالة ما ورد فى القرآن من لغات القبائل لأبى القاسم بن سلام ، وما جمعه السيوطى فى الإتقان خاصا بلهجات القبائل ممثلة فى القرآن ، وكتاب مميزات لغات العرب لحفنى ناصف ، وإلى هذا لم أغفل قراءة بعض ما كتب حديثا فى اللغة واللهجات مثل كتاب اللغة " القندريس " والعربية " ليوهان فك " وفقه اللغة للدكتور على عبد الواحد ، ونشأة اللغة عند الإنسان والطفل له أيضا ، واللهجات العربية للدكتور ابراهيم انيس ، وفى اللهجات العربية ، والاصوات اللغوية للمؤلف نفسه ، كما اطلعت على ما كتبه بعض المستشرقين حول هذا الموضوع . ولم اكتف بعد هذا بجمع ما جمعت ، ولم آخذه قضية مسلما بها ، واتما وضعته قيد البحث والدراسة ليميز الخبيث من الطيب ، ويتضح فيه الصحيح من الزيف على أسس علمية بذلت فيها شيئا من الجهد .

ثم تتبعت الروايات العامة التى تنسب لهجة من اللهجات إلى بيئة أعم وأشمل من بيئة هذيل كتلك الروايات القائلة بأن هذه لغة الحجاز ، وتلك لغة تهامة ، أو لغة العالية ، أو لغة السراة ، فخصصت أمثال هذه الإشارات بشئ من الدراسة والبحث لأستيقن مما إذا كانت هذه – كلها أو بعضها – تعد لهجة لهذيل ايضا باعتبارها قبيلة حجازية ، أو لان بعض بطون هذه القبيلة كان يسكن تهامة ، وبعضها من سكان السراة . فهذا الوجه من البحث والدرس من ألزم الأشياء لتمحيص هذه النصوص ، ثم تحديد ما بها من عموم هو أقرب ما يكون إلى الغموض والإبهام .

ثم إنى لم أقصر الجهد على ما نص عليه اللغويون والنحاة وغيرهم من أنه لغة لهذيل ، وإنما أجلت النظر فى دائرة أوسع كثيرا من تلك الدائرة الضيقة ،

فنظرت فى الشواهد الهذلية التى أورد ها هؤلاء العلماء فى كتب النحو والصرف ، وفى كتب اللغة ومعاجمها لشعراء هذليين ، كى يعضدوا بها دعواهم فى أن هذه الكلمة أو تلك إنما هى لهجة عربية ، ولم ينصوا هم أنفسهم على أنها لهجة لهذيل أو غيرها من القبائل العربية ، ولكنهم أوردوا من هذه الشواهد الهذلية قدرا كبيرا ، ولا يمكن أن تمر هذه الشواهد كلها دون أن ندرسها ونمحصها ، وقد نصل من وراء ذلك إلى أن هذه الألفاظ أو بعضها لهجة لهذيل ، مع غيرها من لهجات الحجاز ، أو من لهجات جيرانها من القبائل العربية ، أو هى لهجة مقصورة على هذيل وحدها ، وإن لم ينسبها العلماء إليها مكتفين بإيراد الشواهد من الشعر الهذلى وحده فى كثير من الأحيان ، أو مع غيره من الشواهد فى أحيان أخرى .

ونظرا لأن مادة هذا البحث مبعثرة فى أغلب المراجع العربية ، ويتطلب جمع شتاتها مزيدا من البحث والاطلاع ، فإنى لهذا لم أكتف بمراجع اللغة واللهجات والنحو والصرف والأدب ، والقراءات ، وعلوم القرآن بعامة ، بل نظرت مليا فى كتب التفسير التى ينتظر أن يكون بها نقول خاصة باللهجات العربية كالبيضاوى وبعض حواشيه ، والكشاف للزمخشرى ، والبحر المحيط لأبى حيان ، وبعض كتب الحديث كالبخارى ومسلم وموطأ مالك ... ، وكتب غريب الحديث كالنهاية لابن الأثير والفائق للزمخشرى .

والبحث فى اللهجات ينبغى لمن يتصدى له أن يعرف مواطن القبائل العربية وانتقالها ، وجيرانها أو شركاءها فى هذه المواقع التى تحتلها ، لمعرفة مدى تأثر اللهجات بعضها ببعض ، فدراسة القبيلة تاريخيا وجغرافيا ليست غاية تقصد لذاتها فى بحث لغوى كهذا البحث ، ولكنها وسيلة هامة فى إلقاء الضوء على جوانب الموضوع وتحقيقه تحقيقا علميا ، يؤدى بالدارس إلى النتيجة التى يهدف إليها من وراء هذا البحث ، ولهذا حاولت أن أتعرف أصل هذيل ومواطنها وبطونها وفصائلها ، ومواقع جيرانها من القبائل الأخرى مثل فهم وعدوان وكنانه ، وغيرها من القبائل التى لها بالهذليين اتصال فى السلم أو فى الحرب ، ولهذا ضممت إلى مجموعة المراجع التى عنيت بها كتب الجغرافيا والبلدان مثل معجم البلدان لياقوت ، ومعجم ما استعجم للبكرى ، وكتاب الجبال والأمكنة والمياه للزمخشرى ، وصفة جزيرة العرب للهمدانى ، والرحلة الحجازية للبتنونى ، وقلب الجزيرة العربية لفؤاد حمزة .

وقد وجد كثيرا من الجهد والعناء فى تحقيق هذه الأماكن نظراً لما يوجد بين المراجع من خلاف وخلط واضطراب ووهم كثير، وإبهام لا يفيد تحديدا دقيقا لمن رام دقة فى البحث . ثم إن المحدثين الذين كتبوا فى هذا أغلبهم يتابع القدامى فى هذا الإبهام والتعميم ويكتفى بمجرد سرد الأماكن المختلفة ، كأن يقول : من جبالهم كذا وكذا ، ومن أوديتهم كيت وكيت ، ولهذا فقد بذلت كثيرا من الجهد فى مقابلة المراجع قديمها وحديثها ، والنظر فيما ترك الرحالة العرب ، والأوربيون الذين أتيح لهم زيارة هذه الأماكن ومشاهدتها ، ووجدوا مساعدة من دولهم ومن الحاكمين فى هذه البلاد مكنتهم من ذلك ، ولو قد أتيح لى ما أتيح لهم من زيارة هذه الأماكن بنفسى لفعلت ، ولكنى كملت هذا النقص بالبحث الدائب الذى ارجو أن يسد بعض هذه الثغرة .

ثم نظرت فى كتب الأنساب وما يتصل بها مثل : نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب للقلقشندى ، ونسب عدنان وقحطان للمبرد ، ومعجم قبائل العرب لعمر رضا كحالة ، وبلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب للألوسى ، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم .

وقد عنيت بالبحث فى كتب التاريخ مثل : اليعقوبى ، ومروج الذهب للمسعودى ، وتاريخ الأمم والملوك للطبرى ، والكامل لابن الأثير . وفى كتب السيرة : كسيرة ابن هشام ، والروض الأنف للسهيلى . وفى كتب الطبقات والتراجم مثل طبقات ابن سعد ، وطبقات الشعراء لابن سلام ، والشعر والشعراء لابن قتيبه ، وإنباه الرواة للقفطى ، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدى ، وبغية الوعاة للسيوطى ، وطبقات القراء لابن الجزرى ، وتجريد أسماء الصحابة للذهبى وأسد الغابة لابن الأثير ، والإصابة لابن حجر ، والفهرست لابن النديم ، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلى ، ومعجم الأدباء لياقوت . وفى هذا المرجع الأخير وجدت فى ترجمة الشافعى أنه مكث فى بادية هذيل بضعة عشر عاما ، كما اطلعت على روايات أخرى تفيد أنه حفظ أشعارها وتعلم لهجتها [1] ، فأمسكت بهذا الخيط ، وعملت على تحقيق هذه الروايات التى لفتتنى إلى النظر فى بعض تراث الشافعى ، فاطلعت على بعض مؤلفاته كالرسالة لأرى مدى أثر هذه اللهجة الهذلية فى لغة هذا الإمام ، ومدى ما يمكن أن تنقله الينا آثاره من سمات هذه اللهجة ، وقد كان العزم معقودا على قراءة كتاب الأم ، ولكن هناك من يقول بأنه

(١) معجم الادباء ١٧ / ٢٨١ وما بعدها .

ليس للشافعى ، وإنما هو من تأليف تلميذه البويطى ، ثم زاد فيه تلميذه الآخر الربيع بن سليمان . ولعل ما قرأته للشافعى يكون كافيا فى الموضوع .

هذا وقد تتبعت الهذليين فى المواطن الجديدة التى رحل إليها بعضهم فى ظل الإسلام ، ولا سيما مصر ، لأقف على المحال التى نزلوا فيها وما عساه أن يكون لهم من نسل وأحفاد بها ، وقد اتجهت ـ لتحقيق هذا ـ إلى المراجع التى تحدثت عن الفتح الإسلامى لمصر ، وعن القبائل العربية ومواطن إقامتها فيها ، مثل فتوح مصر لابن عبد الحكم ، وحسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة للسيوطى ، والخطط للمقريزى ، والخطط التوفيقية ، والبيان والإعراب عمن حل بأرض مصر من الأعراب للمقريزى ، كما استعنت بمعارف من آنس فيهم خبرة بالقبائل العربية فى مصر بعامة ، وفى الصعيد بخاصة ، رجاء الاتصال بهذه الجهات ومشافهتها خدمة للبحث ، وعقدا للصلة بين القديم والحديث من اللهجات ، ومعرفة ما عساه أن يكون قد انحدر إلينا أو بقى فينا من آثار ذلك القديم .

الباب الأول

أصل هذيل ونسبها وبطونها
منازلها ومواطنها في الجاهلية والاسلام
أدبها : شعرها ونثرها

الفصل الأول

أصل هذيل ونسبها وبطونها

((الفصـــل الاول))

أصل هذيل ونسبها وبطونها

أصلها ونسـبها :

البحث فى أصل هذه القبيلة ونسبها ، هو أول ما ينتبه اليه الدارس فى مثـل هذا البحث ، والباحث فى أصل هذيل ينبغى له أن يتجه أول ما يتجه إلى معرفـــة ما تنتمى اليه هذه القبيلة من قحطانية أو عدنانية ، فلكل من هذين الأصلين الكبيرين طابعه الخاص به ، من حيث اللهجة التى كان يلهج بها من ينتمون إليه ، لاسـيما فى العصر الجاهلى ، قبل أن تتغلب العربية الشمالية أو العدنانية على لهجات حمير فى جنوب الجزيرة العربية بعد الإسـلام .

وانه وإن كان قد اختلف بعض النسابين فى نسب القبائل اليمنية التى نزحت إلى الشمال بعد انهيار سد مأرب ، فعدها بعضهم شمالية لاعتبارات رأوهـا ، كما إختلفوا من جهة أخرى فى نسب تلك القبائل التى كانت تعيش فى خصب ودعـة مثل حمير وكهلان ولخم وجذام وغسان وطيء وقضاعة وإياد [1] ، فإنه مع هـذا لم يحدث خلاف ذو بال فى نسب القبائل العدنانية التى استقرت فى وسط الجزيرة خصوصا ما كان منها موغلا فى البداوة كالهذليين وغيرهم من القبائل البدوية الـتى ضربت بجرانها فى الصحراء ، والتى كانت هذه الصحراء من حولها ـ فى عزلتهـا وشظفها ـ سياجا يحفظها من اختلاط الأنساب وتداخلها ، فأنساب هؤلاء فـى رأى بعض علماء الاجتماع من العرب " صريحة محفوظة لم يدخلها اختلاط ، ولا عرف فيهم شـوب " [2] .

فهذا الناموس الاجتماعى الذى نبهنا إليه هذا العالم العربى ، فألفينـاه مقنعا مسايرا لعقل والمنطق نستطيع فى ضوئه أن نطمئن إلى ما ذكره النسابون والعلماء العرب من أن هذيلا قبيلة عربية يرجع أصلها إلى هذيل بن مدركـة [3] بن إليـاس [4] ابن مضر [5] ، ومضر هذا ينتهى نسبه سريعا إلى عدنان [6] ، فهى إذن قبيلة عدنانيـة مضريـــة .

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ١٢٤ (٢) المرجع السابق ص ١٢٣ .

(٣) تاريخ ابن خلدون ٢/ ٣٠٩ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ١٨٧ . تاريخ الطبرى ٢/ ١٨٨ ، ١٨٩ . اليعقوبى ص ٢١٣ .

(٤) المبرد : نسب عدنان وقحطان ص ٦ (٥) سبائك الذهب ص ٢٢ .

(٦) ابن حزم : الجمهرة ص ٦ .

وهذا الإيضاح الأولى لأصل القبيلة له خطره في تحديد لهجة هذيل ، ومكانتها بين اللهجات الشمالية ، وأعنى بها لهجات وسط الجزيرة العربية بعامة ، وبين لهجات مضر بخاصة .

فإلى مضر تنتسب أشهر القبائل العربية من قيس عيلان وتميم وهذيل وكنانة . وهذيل هذه إن كانت تعد من المضريين بعامة ، فإنما تعد على وجه خاص من المجموعة المضرية التي تسمى قبائل " خندف " والتي ينتسب إليها ولد إلياس من العرب[1] وإذا أردنا أن نحدد مكانها بين العرب على وجه أدق وجدنا أن بطون مدركة ابن إلياس أعظمها هذيل هذه ، والقارة وأسد ، وكنانة ، وقريش[2] ، ونسب هذيل بهذه الصورة الواضحة ، أشار إليه حسان بن ثابت في مطلع قصيدته التي هجا فيها هذيلا بعامة ، وبني لحيان منهم خاصة بسبب غدرهم في يوم الرجيع .

لعمري لقد ساءت هذيل بن مدرك   أحاديث كانت في خبيب وعاصم[3]

وألم بهذا النسب شعر أبي ذرة الهذلي :

نحن بنو مدركة بن خندف   من يطعنوا في عينه لا يطرف[4]

ولا نعدم أن نجده في أشعار بعض الهذليين الآخرين ، وعند شراح شعر هذيل[5] ، وتكاد تجمع عليه المراجع العربية القديمة[6] . والمحدثون — فيما كتبوا من تاريخ العرب وأنسابهم — يوافقون القدامى على ما ذهبوا إليه من نسب هذيل ، ومن شأن المحدثين عادة تحقيق ما يعرض لهم من آراء القدامى ، والنظر فيما ينقلونه إلينا من حقائق ، فقد أشار جورجي زيدان إلى نسب هذيل إشارة تطابق ما ذكره القدامى بشأن هذا النسب[7] ، وكذلك البتانى في " محادثة أهل الأدب "[8] وعمر رضا كحالة في " معجم قبائل العرب "[9] ، كما يشير الخبونى في كتابه " أنساب قبائل العرب " إلى هذا النسب المضرى لقبيلة هذيل[10] ، وحتى الدكتور جواد على حينما شك في نسب لحيان[11] لم يشك في نسب هذيل نفسها ،

---

(١) تاريخ ابن خلدون ٢/ ٣٠٩   (٢) المرجع السابق والصفحة السابقة .
(٣) ابن حجر : الإصابة ٤/ ٣   (٤) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ٢٧٣ .
(٥) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ٢٧٣ . البقية ص ١٠٤ . ديوان الهذليين ١/ ١٦٧ .
(٦) ابن قتيبة : المعارف ص ٢١ . أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ١/ ١٠٦ .
المقريزي : الخطط ١/ ٢٩٨ ، ياقوت : المقتضب من جمهرة أنساب العرب (مخطوط)
٤٣٥ . السيوطي : لب اللباب ٢٧٨ ، البغية ٣٤٦ . الآمدي : المؤتلف والمختلف
٩٤ ، ٩٥ . مروج الذهب ١/ ٣٠٩ ، ٣٠٠ (٧) العرب قبل الإسلام ص ٢٠٢ .
(٨) محادثة أهل الأدب ٨٤ ، ٩٧ ، ٩٨ . (٩) معجم قبائل العرب ١/ ١٣٣ ، ١٦٢ —
٢/ ٢٥٠ ، ٤٤٧ = ٣/ ٩٤٤ ، ١٠١٠ (١٠) أنساب قبائل العرب ص ١٤ .
(١١) تاريخ العرب قبل الإسلام ٢/ ٤٢٩ .

فشأنه فى هذا شأن غيره من المؤرخين ، وأصحاب الأنساب فى القديم والحديث ، وهم يكادون يتفقون جميعا _ فيما أعلم _ على هذا النسب الذى عرفت به هذيل بين العرب . وقد قصدت بهذا الجمع بين آراء القدامى والمحدثين تقرير نسب هذه القبيلة العدنانية ، وبيان مكانها من مضر التى استقرت قبائلها _ كما سنعرف بعد قليل _ فى تهامه والحجاز ونجد ، وسيكون لهذا أثره فى معرفة صلة هذه اللهجة الهذلية بلهجات جيرانها فى المكان ، وشقيقاتها فى ذلك النسب المضرى الذى اشتهرت به بين أبناء عدنان من العرب .

بطونها :

إذا كان الحديث فى نسب هذيل كما رأيناه حديثا واضحا ، لا يكاد يختلف عليه اثنان من بين المراجع العربية فى القديم والحديث ، فإن عشائر هذه القبيلة وفصائلها ، وبطونها ، تختلف فيها _ نظرا لكثرتها _ وجهات النظر بين أصحاب الأخبار والنسب اختلافا هينا لا يؤثر فى جوهر الموضوع ، ولا يطمس وجه الحق فيه ، فقد تقتصر بعض المراجع على ذكر العشائر الكبرى للقبيلة ، ولا تعرض لما تحت هذه العشائر من فصائل وبطون وأفخاذ ، وبعضها يعرض لهذه الأفخاذ ، وتلك البطون والفصائل عرضا سريعا مجملا ، ضاربا صفحا عن التفصيل فيها ، والإمعان فى تعدادها ، وبعضهم يمعن فى ذلك إمعانا قد يوهم القارئ أنه يخالف غيره خلافا ذا بال ، والمسألة _ على هذا النحو _ لا تعدو أن تكون مسألة تعميم أو تخصيص فى ذكر النسب ، يظهر من ورائه خلاف شكلى بين أصحاب الأنساب .

ولكن هناك خلافا آخر مرده الخطأ فى نسبة بعض البطون إلى هذيل ، أو عدم نسبتها إليها ، أو جعل الصلة بينها وبين هذه القبيلة صلة الحلف والجوار ، لا صلة القرابة والنسب ، أو التصحيف والتحريف فى أسماء بعض هذه البطون تصحيفا أو تحريفا يؤدى إلى التكرار فى الاسم الواحد بصور وأشكال متقاربة فى الحروف ، تكرارا يحدث شيئا من الاضطراب والخلاف ، ولكن ليس من العسير أن نصل إلى وجه الحق فيه . وسنقصد إلى ذلك كله فى شئ من التفصيل بعرض وجهات النظر ، وسرد آراء اصحاب النسب والأخبار وغيرهم ممن أدلوا بدلوهم فى الموضوع .

بطون هذيل كما يصورها الشعر :

الحق أن هذيلا ذات طوائف كثيرة وعشائر وبطون متعددة تعددا يلفت النظر ، ويثير الانتباه ، ولقد أشار إلى هذه الكثرة الكاثرة شعر الشعراء الذين تعرضوا لهذيل مادحين أو قادحين ، بل أشار إليها شعر الهذليين أنفسهم ، ومن ذلك

قول مالك بن خالد الخُناعى :

فأى هذيل وهى ذات طوائف يوازن من اعدائها ما توازن[1]

وكثير من هذه العشائر والبطون يأتى ذكره فى الشعر الهذلى كلما جدت مناسبة تدعو إلى ذكرها اعتزازا بها من الشعراء الذين ينتمون إليها ، أو انتقاصا من شأنها على لسان الشعراء المناهضين لهذيل ، أو على لسان بعض الشعراء الهذليين أنفسهم ممن ينتمون إلى بطون وأفخاذ أخرى قد يكون بينها وبين أبناء عمومتها ما يدعو إلى التعريض بها أو النيل منها .

فذكر هذه البطون فى الشعر الهذلى إنما دفع إليه الفخر والهجاء ، أو ما شابه ذلك من مناسبات ، وكثيرا ما نجدها وقد سرد منها ما جاء فى شعرهم سردا قلما نستطيع معه تحقيق مكان كل من هذه الفصائل والبطون فى شجرة القبيلة الأم ، ولكنا نفيد منه شيئا هو نسبتها — على أى حال — إلى هذيل ، وشيئا آخر ، هو تعدد هذه البطون الهذلية وكثرتها . ومن أهم هذه البطون التى جاء ذكرها على لسان شعراء هذيل : لحيان ، وعمرو ، وقرد ، ومازن[2] ، وكذلك بنو خُناعة[3] ، ورواية السكرى فيها (بنو خزاعة) ، ولعل هذا تصحيف وقع فيه . وبنو معاوية وبنو تميم[4] ، وكاهل[5] ، وكبير بن هند[6] ، وكذلك بنو برد ، وبنو سهم ، وخثيم وعشرق وجريب[7] ، ومطرود وردبشة[8] ، وعجرة وجحشمه[9] ، وبنو قريم[10] ، وبنو زليفه ، وبنو صبح[11] .

وهكذا يجد الباحث هذا العدد الجم من عشائر هذيل وبطونها ممثلا فى الشعر الهذلى .

بطون هذيل فى المراجع الأخرى :

وإذا جاوزنا شعر الهذليين إلى المراجع الأخرى ، وجدنا أن هذه العشائر والفصائل والبطون التى جاءت على لسان شعراء هذيل ، جاء ذكرها أيضا فى هذه المراجع مضافا إليها بطون أُخرى ، من الجائز انها لم ترد فى شعر الهذليين

---

(١) شرح اشعار الهذليين (مخطوط) ١٥٤ . البكرى : التنبيه ص ١٣٠ . الجمهرة (وزن) .
(٢) مالك بن خالد الخناعى (ديوان الهذليين ٣/ ٨) ، صخر الغى (المرجع السابق ٢/ ٢٢٠) ، ابو ذؤيب (اللسان " صدق ") . (٣) صخر الغى (ديوان الهذليين ٢/ ٢٣٦) .
(٤) صخر (ديوان الهذليين ٢/ ٢٣٦ . شرح اشعار الهذليين (مخطوط) ٢٤ ، ٣١) .
(٥) ابو ذؤيب (ديوان الهذليين ١/ ٨٢ ، ١١٤) .
(٦) المتنخل (ديوان الهذليين ٢/ ٣٢ . التنبيه ص ٨٠) .
(٧) حذيفة بن انس (شرح اشعار الهذليين ٢٥ . (٨) امية بن ابى عائذ (المرجع السابق ١٤ ٢)
(٩) ابو ذؤيب (ديوان الهذليين ١/ ٤٤ ، ٨٤ . (١٠) ابو بثينة الهذلى (ديوان الهذليين ٣/ ٩٥ . الآمدى المؤتلف والمختلف ص ٣٠) (١١) ابو جندب (ديوان الهذليين ٣/ ٨٦) .

أنفسهم ، وقد ورد الكثير منها فى كتب الأنساب ، كما جاء ذكر بعضها فى كتب الأدب والتاريخ والطبقات والتراجم ، وفى معاجم اللغة التى عنيت بذكر أسماء القبائل التى تصادفها فى ثنايا الحديث عن مادة لغوية يكون لها صلة بهذا الاسم أو ذاك من أسماء القبائل العربية ، وفى بعض كتب النحو العربى اذا ما عرضت لشرح شاهد من شواهد النحو والصرف ، وكان قائله من هذه القبيلة أو تلك ، أو ينتسب إلى هذا الفرع أو ذاك من فروع قبيلة بعينها كهذيل ، وهذه أهم القبائل الهذلية وبطونها وأهم رجالاتها المشهورين فى الجاهلية والإسلام .

لحيان :

احدى القبائل الهذلية الهامة مر ذكرها فى الشعر الهذلى كثيرا ، كما جاء فى كتب الأنساب[1] وغيرها من المراجع الأخرى ، وقد اشتهرت بالشجاعة والبأس والنجدة ، والبغى ايضا ، حتى قال فيهم الجمحى راوية شعر هذيل : " كان من شأن بنى لحيان من هذيل أنها كانت شوكة من هذيل ، ومنعة وبغيا "[2] ومنهم أبو غبا الهذلى[3] الذى قيل " إنه لم يقتل من هذيل قتيل إلا قتل قاتله "[4] . وهم الذين يقتلوا نفرا من المسلمين[5] ، فبعث النبى إليهم بعثا[6] ثم غزاهم فاعتصموا برؤوس الجبال[7] ، وقد روى أن النبى كان يلعنهم لبغيهم وعدوانهم ، وعداوتهم لدعوة الإسلام إبان ظهوره[8] ، وقد هجاهم بعض شعراء النبى مثل كعب ابن مالك الذى ندد بفرارهم من جيش المسلمين[9] ، وحسان بن ثابت الذى وسمهم بالغدر والخيانة والإثم[10] ، ويبدو أنهم كانوا متعصبين لوثنيتهم أكثر من سائر هذيل ، وقد كان منهم سدنة سواع معبود هذيل فى الجاهلية[11] . ومنهم خالد بن سفيان بن نبيح الهذلى اللحيانى ، الذى كان يجمع الجموع ــ بعد غزوة أحد ــ من لحيان وغيرهم بعرنة وما والاها لحرب المسلمين ، فبعث النبى عبد الله ابن انيس ، فاحتال حتى قتله ، وأراح المسلمين من شره وخطره[12] .

---

(١) نسب عدنان وقحطان ص٦ ، جمهرة انساب العرب ١٨٥ ، ٤٣٥ .
(٢) البقية ص١٣ . (٣) ابتهاج النفوس (مخطوط ٣٥٢ تيمور) . (٤) البقية ص١١ .
(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ١٢٠ . الأغانى ٤/ ٢٢٨ ، ابن الأثير : الكامل ٢/ ٧٩ ، ٨٠ .
(٦) صحيح مسلم ٦/ ٤٢ . (٧) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٦ ، ٥٧ .
(٨) أسد الغابة ٣/ ٧٣ . (٩) سيرة ابن هشام ٢/ ١٨٠ . (١٠) المرجع السابق ٢/ ١٢٤ ، ١٧٩ . (١١) ابن الكلبى : الاصنام ص٩ . (١٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٥ .

بطون لحيان :

يذكر النسابون من بطون لحيان : " طابخة ، ودابغة " (١) . ومن رجالات طابخة فى الجاهلية : المتنخل الهذلى (٢) أحد مشاهير شعراء هذيل ، وعمه أبو قلابة الهذلى سيد بنى هذيل ، وأول من قال الشعر فيهم ـ فيما يقال ـ وقد روى أن ابنته أميمة هى إحدى جدات النبى البعيدات من قبل أمه (٣) ، ولهذا فإن بعض رواة الأخبار كالجمحى يعتبر بنى لحيان هؤلاء أخوالا للنبى (٤) مع أن النسب بينه وبينهم ـ كما نرى ـ جد بعيد .

ومن رجالات طابخة فى الإسلام أسامة بن عمير ، وينتمى إلى كبير بن هند أهم بطون طابخة (٥) ، وهو ـ فيما يقول البخارى ـ من أصحاب النبى ، وقد روى حديثه أصحاب السنن وغيرهم (٦) ، وكان فقيها شريفا فى قومه (٧) ، وابنه أبو المليح الهذلى الصحابى المحدث (٨) . ومن كبير ابن هند أيضا " حمل بن مالك " وهو من أهل الصحبة والرواية عن النبى (٩) ، وقيل إن ابن عباس قد روى عنه (١٠) ، وقد استعمله النبى على صدقات هذيل (١١) . ومن طابخة أيضا أبو عزة الهذلى الصحابى المحدث (١٢) ، وسلمة بن صخر الذى شهد " حنينا " مع النبى صلى الله عليه وسلم وشهد أيضا فتح المدائن مع سعد بن أبى وقاص (١٣) .

أما البطن الآخر " دابغة " فمنه " نبيشة الخير " الصحابى ، وابن عمه سلمة بن المحبق الهذلى (١٤) ، ومنهم أيضا المحبق المذكور وابناه سلمة وسنان ، وقد روى عنهم الحديث (١٥) ، وسنان هذا كان من الولاة والقواد الفاتحين أيام معاوية (١٦) .

---

(١) ابن حزم : الجمهرة ١٨٥ . (٢) الشعر والشعراء ص ٥٦١ ، ديوان الهذليين ٢/ ١
(٣) أسد الغابة ٤/ ٣٦١ . المؤتلف والمختلف ٢٤٥ (٤) البقية ص ٢٨ .
(٥) الاصابة ١/ ٣٠ . (٦) الاصابة ١/ ٩ . (٧) سبائك الذهب ص ٢٣ .
(٨) أسد الغابة ١/ ٦٧ . (٩) المرجع السابق ٢/ ٥٢ . (١٠) تاج العروس ٧/ ٢٩١ .
(١١) الإصابة ٢/ ٣٨ . (١٢) أسد الغابة ٩/ ٢٥٣ . (١٣) المرجع السابق ٢/ ٢٣٨ .
(١٤) المرجع السابق ٩/ ٢٥٣ . (١٥) جمهرة انساب العرب ص ١٨٥ ، ١٨٦ .
(١٦) البلاذرى : فتوح البلدان ٤٢٨ .

ويذكر الزبيدى أنه "ولد يوم الفتح فسماه النبى صلى الله عليه وسلم "سنانا" وكان شجاعا ، وقد ولى غزو الهند فى سنة خمسين هجرية" [1].

سعد بن هذيل :

من العشائر الهذلية العامة ، ويبدو أن "سعدا" هذا قد سمى تيمنا باسم صنم كانت تعبده هذيل فى الجاهلية [2]، وتلك ظاهرة نجدها واضحة فى أسماء العرب فى العصر الجاهلى . وكان سعد هذا كثير الأبناء والأحفاد ، متعدد البطون والافخاذ .

بطون سعد :

من أهم بطونه – فيما يذكر اليعقوبى وابن قتيبة – تميم بن سعد ، ومعاوية بن تميم هو الحارث بن تميم [3]. ومن بطون سعد عند ابن قتيبة ومن وافقه "حريث" [4] وعند ابن حزم "خريب" ، وقد ذكر أن من ولده أبا كبير الهذلى الشاعر [5]، وفى المصادر الاخرى – وهو الصحيح – "جريب" ، وينتسب إليه عبد مناف بن ربع الهذلى الجُرَبى الشاعر المعروف [6]، وأبو كبير الهذلى السابق الذكر .

ومن بطون سعد أيضا خناعة [7]، وينسب إليها مالك بن خالد الخناعى [8]، والبريق الهذلى [9] الشاعران . ومنهم كذلك عامر بن سدوس الذى كان يعزى هو ورهطه إلى خزاعة [10]، وقتادة بن عامر بن سدوس الذى كان عالما ثقة بأنساب العرب ، والذى قال فيه السيوطى : "لم يأتنا عن أحد من علم العرب أصح من شئ أتانا عن قتادة" [11]. ومن بطون خناعة هذه "بنو أرمداء" [12].

ومن بطون سعد كذلك "رُقْم" ومنهم المعطل الهذلى الشاعر [13]. ومن بطونها أيضا "تميم" [14] (وتميم هذه بالطبع غير تميم القبيلة الكبيرة المعروفة) ومنها ساعدة بن العجلان الشاعر [15]، ومن بطون تميم "معاوية" [16]، ومن معاوية "بنو حنيف بن معاوية" [17]، وبنو قِرْد [18] (بكسر القاف وسكون الراء ، وفى اللسان

(١) تاج العروس (سنن) . (٢) المخصص ١٢/ ٨٧ . اللسان (سعد) .
(٣) اليعقوبى ص ٢١٣ . (٤) المعارف ص ٢٢ . ديوان الهذليين ٢/ ١٦٤ . شرح أشعار الهذليين ص ٩ . الرضى : شرح الشافية ٢/ ٢٩ . (٥) الجمهرة ص ١٨٦ .
(٦) ديوان الهذليين ٢/ ٣٨ . البقية ٥٦ . الخزانة ٣/ ١٧٤ .
(٧) اللسان (خنع) . معجم قبائل العرب ١/ ٣٦٢ . (٨) شرح أشعار الهذليين ١٤٨ . الخزانة ٤/ ٢٣٣ . (٩) ديوان الهذليين ٣/ ٥٤ . (١٠) المرجع السابق ٣/ ٥١ .
(١١) المزهر ٢/ ٢١٠ (١٢) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ١٢ .
(١٣) ديوان الهذليين ٣/ ٤٠ . (١٤) القلقشندى : نهاية الأرب ١٨٨ . المعارف ٢٢ .
(١٥) سمط اللآلى ١/ ٢٢٣ . (١٦) ابن حزم : الجمهرة ص ١٨٦ (١٧) البقية ص ٥٤
(١٨) تاج العروس (قرد) .

بفتحهما)[١]، وقرد هذا هو عمرو بن معاوية[٢]، وينسب إليه أبو ذؤيب الهذلي في بعض المراجع[٣] وإن كان الراجح غير ذلك كما سيأتي . ومن قرد أبو خراش الهذلي (خويلد بن مرة) وهو مخضرم مات في عهد عمر[٤]، وأبو جنديب[٥]، وهما أخوان من بني مرة القردي الذين قيل إنهم كانوا دهاة شعراء، يعدون عدوا شديدا[٦]. ومن معاوية أيضا بنو مازن[٧] بن معاوية، ومن هؤلاء أبو شهاب المازني[٨]، ومن معاوية كذلك بنو سهم بن معاوية كما تقول عامة المصادر[٩]، إلا صاحب السمط الذي انفرد بأنه ابن مرة بن معاوية[١٠].

وقد كان بنو سهم أبطالا مغاوير، فقد دوخوا بعض القبائل المجاورة لهم من خزاعة وغيرها[١١]، وكانت فيهم شهامة ونجدة، وقد أسروا كثيرا من كندة وحمير والحبش الذين كانوا في جيش أصحاب الفيل، ثم فروا ـ كما قيل ـ في جبال هذيل، فقتل منهم من قتل، وأسر من أسر، ثم خرج بأسراهم معقل بن خويلد السهمي، سيد هذيل آنذاك وكان ـ كما ورد في شرح أشعار الهذليين ـ أحد اثنين كلاهما من هذيل، وفدا بهؤلاء الأسرى على النجاشي لافتداء أسرى قومهم العرب[١٢]، وقد نجد في ديوان الهذليين ما يقارب هذا من أن معقلا " هو الوافد على النجاشي، وفد عليه في أسرى كانوا من قومه فكلمه فيهم فوهبهم له "[١٣].

ويبدو أن كثيرين منهم كانوا سادة في هذيل يتوارثون السيادة كابرا عن كابر، فقد كان خويلد بن واثلة بن مِطْحَل السهمي سيد هذيل في زمانه[١٤]، وقد كان هو وسيد كنانة رفيقين لعبد المطلب بن هاشم في لقاء أبرهة عام الفيل لمفاوضته[١٥]، وقد ورث السيادة عنه ابنه معقل بن خويلد[١٦] وقد كان حاميا للذمار، وله في ذلك مواقف محمودة، فحين هاجمت سليم بني لحيان من هذيل، هب في قومه مدافعا عن بني عمومته، رغم ما كان بينه وبين سليم من موادعة، فاضطر سليما إلى أن ينصرفوا عنهم وفي ذلك يقول معقل :

تقول سليم سالمونا وحاربوا ... هذيلا ولم تطمع بذلك مطمعا

---

(١) اللسان (قرد) (٢) تاج العروس، اللسان (قرد) (٣) حواشي سمط اللآلي ١/ ٢١٦
(٤) ديوان الهذليين ٢/ ١١٦ = الخزانة ١/ ٤٠٠ ـ تاج العروس (خرش) ـ الزركلي : الأعلام ١/ ٣٠١ (٥) الأصنام ١٩ ـ ديوان الهذليين ٣/ ٨٥ .
(٦) تاج العروس (خرش) . (٧) تاج العروس (صهل) . (٨) الجمهرة ٢/ ١٣٦ .
(٩) البقية ٥٤، ٥٦، ٥٧ ـ ديوان الهذليين ٣/ ٣٠ . (١٠) سمط اللآلي ١/ ٣٩٩ .
(١١) البقية ٥٦ . (١٢) شرح أشعار الهذليين ١١٢ . (١٣) ديوان الهذليين ٣/ ٦٨ .
(١٤) الشعر والشعراء ١٥٧ . (١٥) تاريخ ابن خلدون ٢/ ٦٢ ـ بلوغ الأرب ١/ ٢٧٢ .
(١٦) الشعر والشعراء ١٥٧ .

فأما بنو لحيان فاعلم بأنهم … بنو عمنا من يرمهم يرمنا معا [١]

وكثيرا ما كان يخرج معقل هذا في نفر من أشراف قبيلته للصلح بين المتحاربين من قومه [٢].

ومن بني سهم هؤلاء بنو مُرَيْض، ويرجع إليهم في النسب أبو صخر الهذلي [٣] وعبد الله بن عُتَيبة ذو المجنين الذي قيل إنه سمي بذلك لأنه كان يحمل ترسين في الحرب [٤].

* * *

والآن وقد انتهينا من بطون معاوية بن تميم — نعود إلى تميم هذا لنجد من أبنائه أيضا الحارث بن تميم [٥]، والحارث هذا هو أول من ابتدع — فيما يقال — عبادة سواع في هذيل ومن جاورها من العرب، آخذا ذلك عن عمرو بن لُحَيّ الخزاعي الذي زعموا أنه أول من نصب الأصنام للعرب [٦].

ومن أبناء الحارث بنو مالك بن الحارث بن تميم، ومنهم ملك بن الحارث الشاعر الهذلي [٧]، ومن الحارث أيضا كاهل بن الحارث (بكسر الهاء وقد يكون بفتحها) [٨] ومن كاهل هؤلاء قيس بن السِبَزاة الهذلي [٩]، وتنسب إليهم بعض المصادر مالك بن الحارث السابق الذكر [١٠].

ومن بطون كاهل بنو صاهلة بن كاهل [١١]، وينسب إليهم بعض المصادر أبا ذؤيب الهذلي [١٢]، ومن بطون صاهلة بنو قريم بن صاهلة [١٣]، ومنهم غافل بن صخر، وهو سيد من أشرافهم، كان ثاني اثنين من هذيل وفدا على النجاشي — كما سبقت الإشارة — ومعهما أسرى كندة وحمير والحبش لفداء أسرى كنانة [١٤]، ومنهم أم عبد والدة عبد الله بن مسعود الصحابي الهذلي المشهور [١٥].

---

(١) شرح أشعار الهذليين ١٠٢ • (٢) ديوان الهذليين ٣/ ٧٠ •
(٣) البقية ٧٥ • (٤) ديوان الهذليين ٣/ ٦٥ • (٥) اليعقوبي ٣١٣ •
(٦) السويدي : سبائك الذهب ١٠٤ • (٧) شرح أشعار الهذليين ٢ •
(٨) شرح المفصل ٢/ ١٠٣ • (٩) المؤتلف والمختلف ٣٢٦ •
(١٠) المرجع السابق في نفس الموضع • (١١) تاج العروس (كهل) •
(١٢) ابن دريد : الملاحن ٩٣ • (١٣) البقية ٢٧، ٤٩ •
(١٤) تاج العروس (غفل) • (١٥) طبقات ابن سعد ١٣/ ٣٦٦ •

ومن أهم بطون صاهلة المسعوديون ، ومنهم كثير من الصحابة والتابعين وعلماء الاسلام واعلامه ، فينتمى الى صاهلة - عن طريق مسعود جد هذا البطن - عبد الله ابن مسعود الصحابى القارئ الفقيه المحدث [١] ، وأخواه عتبة بن مسعود ، وعُميس ابن مسعود [٢] .

ومن ولد عبد الله بن مسعود عبد الرحمن المكى المحدث [٣] ، والقاسم ابن معن بن عبد الرحمن ، الذى قال عنه السيوطى إنه: "كان من علماء الكوفة باللغة والفقه والحديث والشعر والأخبار ، ومن الزهاد والثقات" [٤] ، وابنه عبد الرحمن بن القاسم المحدث [٥] وابو عبيدة معن بن عبد الرحمن وهو قارئ من الثقات [٦] ، وكان قاضيا للكوفة ويقال إنه لم يأخذ للقضاء رزقا مدة ولايته [٧] .
ومن عقب عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود أيضا المسعودى المؤرخ صاحب مروج الذهب [٨] .

ومن ولد عتبة بن مسعود عبد الله بن عتبة التابعى الثقة المحدث الرفيع القدر روى عن عمر وابن مسعود [٩] ، وقد ولاه عمر على السوق [١٠] ، ثم كان قاضيا لمصعب بن الزبير على الكوفة [١١] ، ومنهم عبيد الله بن عبد الله بن عتبة العالم الفقيه الشاعر ، الذى كان أحد مشاهير فقهاء المدينة [١٢] ، وكان من العلماء بالاخبار والأنساب [١٣] ، وهو من أجلّ شيوخ الزهرى ، وكان أثيرا لدى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، يقدر له علمه ، ويعرف له فضله [١٤] . وأخوه عون بن عبد الله بن عتبة ، وكان خطيبا راوية ناسبا شاعرا [١٥] .

ومن ولد عميس بن مسعود ، عمرو بن عميس ، وكان واليا على القطقطانة أيام على ، فقتله هناك الضحاك بن قيس الفهرى عامل معاوية [١٦] .

---

(١) الروض الأنف ١/ ١٦٦ . (٢) جمهرة انساب العرب ١٨٦ .
(٣) طبقات القراء ١/ ٤٨٥ . (٤) البغية ٣٨١ . (٥) ابن حجر: تعجيل المنفعة ٢٥٠ .
(٦) طبقات القراء ١/ ٣٠٢ . (٧) شذرات الذهب ٢٨٦ . (٨) جمهرة أنساب العرب ١٨٦ .
(٩) طبقات ابن سعد ١٠/ ٨٢ . (١٠) الإصابة ٤/ ١٠٠ (١١) طبقات ابن سعد ١٠/ ٨٦ .
(١٢) العقد الفريد ، ٣٠ . (١٣) البيان والتبيين ١/ ٣٦٩ .
(١٤) العقد ١/ ٢٠٦ . (١٥) البيان والتبيين ١٠/ ٣٤٣ ، ٣٤٤ .
(١٦) جمهرة أنساب العرب ١٨٦ .

والآن وقد أتينا على صاهلة بن كاهل وبطونها ، نصعد إلى كاهل مرة أخرى لنرى أن من بطونها أيضا عمرو بن كاهل بن الحارث[١] ، ومن عمرو هؤلاء بنو عامر بن عمرو ، وإليهم ينتمى حذيفة بن أنس الشاعر الهذلى [٢] ، وقد نسبه بعضهم رأسا إلى عمرو[٣] ، وليس هنالك فرق كبير ، فأصل النسب فى الحالين واحد . ومن بنى عمرو أيضا زهير بن العجوة الهذلى الذى قتله جميل بن معمر الجمحى يوم حنين حين وجده مربوطا فى الأسرى ، وكان زهير قد خرج يطلب الغنائم والأسلاب [٤] .

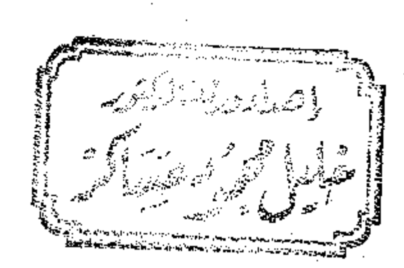
ومن بنى عمرو خُثَيم بن عمرو [٥] ، ومن خثيم هؤلاء حبيب بن عبد الله الأعلم الهذلى وأخوه صخر الغى [٦] ، وينسبان فى بعض المصادر [٧] رأسا إلى عمرو ، ولعل هذا من التسامح المعروف حتى الآن من نسبة الحفيد إلى الجد — لا إلى الأب — خصوصا إذا كانت شهرة الجد أكبر .

ونصعد إلى كاهل مرة ثالثة لنجد من بطونه بنى كعب بن كاهل ، وممن ينتسبون إلى كعب هذا ساعدة بن جُؤَيَّة الهذلى[٨] . ومن بطون كاهل أيضا بنو صُبيح ابن كاهل [٩] ، وقد كان صبح هذا من سادات هذيل فى الجاهلية [١٠] ، ومن بنى صبح هؤلاء أبو بكر الهذلى الفقيه [١١] الإخبارى [١٢] الذى كان يروى علم الأخبار والأنساب عن قتادة [١٣] ونجد من بنى صبح أيضا بنو زليفة بن صبح [١٤] ، ويذكر ابن حزم أن ديارهم كانت حول مكة ولهم بها عدد وعدة ومنعة [١٥] ، كما يذكر المسعودى أن الرياسة فى هذيل كانت فيهم [١٦] .

تلك أهم العشائر والبطون المشهورة فى هذيل ، ولكننا نجد إلى جانب ذلك إشارات سريعة فى الشعر الهذلى أو فى المصادر الأخرى تشير إلى بطون وأفخاذ يبدو أنها لم تكن ذات خطر ، فلم تنسب الا الى هذيل عامة دون تخصيص أو تحديد ، وقد يحوم حولها شىء من الشك ما دامت لا تأخذ مكانها فى سلسلة النسب من هذيل ، ومن هذه البطون دهمان [١٧] ، وبعجة [١٨] ، وجعثمة [١٩] وأسامة بن لعط [٢٠] .

---

(١) شرح أشعار الهذليين ١٠٤ . (٢) ديوان الهذليين ٣/ ١٨ .
(٣) شرح أشعار الهذليين ٢٢٨ . (٤) سيرة ابن هشام ٣/ ١٢١ . (٥) تاج العروس (خثم)
(٦) شرح أشعار الهذليين ٦ (٧) المؤتلف والمختلف ٩٤ . (٨) المنصف ٣/ ٢٣٤ —
الخزانة ٣/ ٧٦ . (٩) معجم قبائل العرب ٢/ ٦٣ . (١٠) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢/ ١
(١١) الجمهرة ١٨٧ . (١٢) شذرات الذهب ١/ ٢٦٤ . (١٣) المزهر ٢١٠ .
(١٤) شرح أشعار الهذليين ٩٥ . (١٥) الجمهرة ١٨٧ . (١٦) مروج الذهب ٢/ ١٥٥
(١٧) اللسان (دهم) . (١٨) ديوان الهذليين ١/ ٨٦ . (١٩) اللسان ، القاموس (جعثم) . (٢٠) القاموس (لعط) .



إلى غير ذلك من الإشارات العابرة التى لا تستحق الوقوف عندها ، ولهذا نجتزئ منها بهذا العرض السريع .

ولكن ينبغى أن نقف وقفة قصيرة عندما ذكرته بعض المراجع الحديثة بشأن هذيل وبطونها ، فقد ذكر صاحب معجم قبائل العرب أن هذيلا : " تنقسم قسمين : شمالى وجنوبى ... ويتألف القسم الشمالى من سبعة أفخاذ : المطارفة ، والمساعيد ، والسواهسرة ، لحيان ، عمرو أو عميرة ، والجنابر ، وأما القسم الثانى فيدعى هذيل اليمن ، ويتألف من الأفخاذ الآتية : الندوية ، دعدة ، السراونة ، العاملة ، وجميل[(١)] .

وإنا لنجد كثيرا من هذه الفروع غرابة ، تبعد بها كثيرا عما ذكرنا من بطون هذيل ولكن الواقع أن هذا كلام منقول بنصه – فى شئ من الإيجاز – عن مراجع حديثة أخرى تتحدث عن القبائل العربية التى تقطن المملكة العربية السعودية الآن[(٢)] .

فليس هنالك إذن أدنى شك يمكن أن يثار حول ما ذكرنا من قبائل هذيل لأن هذه الأزمان المتطاولة والآماد البعيدة بين العصر الجاهلى والعصر الحديث لابد أن يكون لها أثر كبير فى تغيير أسماء هذه الفروع التى تشعبت وتشابكت أو تباعدت وتخلت فى غيرها ، فاكتسبت أسماء جديدة قد لا تمت إلى أصلها القديم بأدنى صلة . هذا إلى أن صراحة النسب لم تعد لها أصالتها الأولى .

وحسبنا أن نعرف أن صاحب " قلب الجزيرة العربية " حينما يعدد بطون ثقيف فى عصرنا هذا يذكر فيها بطنا يسمى هذيلا ، وآخر يدعى قريشا[(٣)] ، فهل هناك أدنى صلة بين هذيل وثقيف ، أو بين قريش وثقيف ، حتى يكونا بطنين من بطونها لا يمكن إذن بأية حال تبرير هذا على أساس سليم ، إلا أن تكون هذيل وقريش هنا مجرد اسمين لا يمتان بصلة إلى هذيل وقريش المعروفتين فى العصر الجاهلى وصدر الإسلام ، أو أن يكون بعض أولئك وهؤلاء قد دخلوا بمرور الزمن ، وبحكم الجوار فى ثقيف ، حتى نسبوا أخيرا إليها ، وذكروا ضمن بطونها فى هذا العصر .

فليس عجيبا إذن – بعد ما رأينا – أن نجد إغرابا كهذا فى البطون المنسوبة إلى هذيل فى أمثال هذه المراجع ، ويكفينا أن نجد أن بعض هذه البطون لا يزال يحمل الاسم القديم مثل لحيان وعمرو أو عميرة فقد مر بنا لحيان وعمرو فيما سقنا من حديث حول بطون هذيل ، وهما من الشهرة المستفيضة بمكان ، كما أن عميرا

---

(١) معجم قبائل العرب ٣ / ١٢١٣ . (٢ ، ٣) قلب الجزيرة العربية ٢٠٢ .

ـ وإن كان مغمورا ـ قد ذكر فى سبائك الذهب بطنا منسوبا رأسا إلى هذيل[1] .
وحسبنا أيضا أن نجد أن بعض الأماكن التى ذكرت فى هذه المراجع مثل وادى فاطمة وغيره من الأماكن التى تقع حول مكة ، أو فى أطرافها من جهة الشرق والجنوب ، هى نفسها منازل هذه القبيلة وبطونها منذ العصر الجاهلى .

هكذا قد رأينا أن هذه البطون والعشائر التى تفرعت من هذيل ، سواء ما ورد منها فى الشعر الهذلى ، وما طالعتنا به المصادر الأخرى ، قد بلغت من الكثرة حدا يلفت النظر ، وإن كانت هذه المراجع تختلف فيما بينها فيما تمدنا به من هذه البطون كثرة وقلة ، فمنها ـ كما سبق أن أشرنا ـ ما يقتصر على الفروع الكبرى للقبيلة ومنها ما يمعن فى تعداد البطون والأفخاذ والفصائل الصغيرة التى تفرعت بمرور الزمن وتميزت بصورة ما عن الأصل الذى انحدرت عنه ، ولكن هذه المراجع فى مجموعها تعطينا عددا كبيرا من هذه البطون الهذلية .

ويستطيع الدارس ـ على أساس من المصادر المعتمدة ـ أن يرد هذه الأشتات من البطون والعشائر الهذلية كلا إلى أصله ، ويبعد بها ـ كما رأينا ـ عما عساه أن يجده القارئ فيها من شبهة التشويش والاضطراب والخلاف . فالحق أن معظم هذه البطون يؤول بعضها إلى بعض فى صورة هينة سهلة لا غموض فيها ولا التواء ، فهى تنتهى إلى بطون أكبر منها ، ثم تنتهى هذه وتلك إلى عمائر كبرى ، تدلى بنسبها رأسا إلى هذيل الجد الأكبر لهذه القبيلة الأم .

ومع هذا فإحقاقا للحق نقرر أن الخلاف حول هذا الموضوع لم تسلم منه المصادر المذكورة بصورة قاطعة ، شأنها فى ذلك هو الشأن فى كثير من مسائل التاريخ القديم ، الذى لم يؤت هؤلاء العلماء أداة تحقيقه ، والوصول دائما إلى وجه الحق فيه .

وأنا لا أريد أن أبعد كثيرا عن دائرة هذا البحث اللغوى فى اللهجات بالإيغال فى الحديث عن هذيل وتاريخها ونسبها وبطونها ، وما فشا من خلاف حول هذه البطون ، وقد ألزمت نفسى عدم الشطط والجنوح عن الموضوع إلى شعاب من البحث قد تسلك بى فجاجا بعيدة ، ولكنى أرانى مضطرا إلى تمحيص بعض القول فى هذه العشائر والبطون من هذيل ، لا لأن هذه العشائر التى دار حولها الشك كان لبعضها

(١) معجم قبائل العرب ٣/ ١٢١٣ ـ قلب الجزيرة العربية ٢٠٢ .

دوى هائل وصدى كبير فى الجاهلية ، وإبان ظهور الإسلام مثل لحيان ، بل لأن ذلك له صلته – فى اعتقادى – بموضوع هذا البحث من لغة هذيل ، إذ أن الدارس للهجة قوم كهؤلاء لا بد أن يتتبع آثارهم فى القول ، وما نسب إلى شعرائهم من شعر قد يكون قائله منسوبا على وجه الشك أو اليقين إلى هذه الفصيلة أو تلك من فصائل هذيل ، وسوف تكون قيمة هذه النصوص أو المرويات رهينة بما يكون هنالك من شك أو يقين فى نسب أصحابها واتصالهم بأصل القبيلة التى ندرس لهجتها . ومن ثم كان اهتمامى بهذا النوع من البحث فى بطون هذيل ، ذلك البحث الذى قد يظن للوهلة الأولى ، والنظرة العجلى أنه لا صلة بينه وبين صميم البحث فى اللهجات .

ومن أمثلة هذا ما نجده من خلاف حول بعض البطون الهذلية مثل لحيان ونسبتها إلى هذيل نسبة قائمة على قرابة الدم ولحمة النسب ، أو نسبة قائمة على الحلف والجوار والولاء ، فقد اتفق أغلب كتب الأخبار والأنساب ، وسائر المصادر القديمة على نسبتها إلى هذيل عن طريق النسب لا عن طريق الجوار فقد ذكرت هذه المراجع أن لهذيل ولدين من صلبه هما سعد ولحيان كما سبق أن مر بنا ، ولا نكاد نجد خلافا فى هذا بين قدمائنا إلا ما ذكر من أنهم كانوا من بقايا جرهم ودخلوا فى هذيل[1] ، أو أنهم من بقايا العماليق الذين هلكوا بتهامة وحالفوا هذيلا[2] ، وكثير ممن كتبوا فى الأنساب من المحدثين لم يخالفوا القدامى فى هذا النسب ، وإن كان قد خالف أولئك وهؤلاء فيما اتجهوا إليه الدكتور جواد على حيث اعتبر بنى لحيان هؤلاء من بقايا دولة اللحيانيين القديمة ذات الآثار والنقوش اللحيانية المعروفة وأنهم بعد ضعفهم وسقوط مملكتهم ، وضغط القبائل عليهم اضطروا إلى الانتقال من مواطنهم الأصلية فى منطقة العلا ومدائن صالح ، والاتجاه نحو الجنوب حيث اختلطوا بغيرهم ، وقد كانوا قبل الإسلام فى هذيل ، ولهذا عدهم النسابون من بطونها . ولعل الرجل متأثر فى هذا برأى المستشرقين ذلك الرأى الذى لو دلت الدلائل العلمية يقينا أو ظنا على ثبوته لسلمنا به دون شك أو مراء ، ولكن أغلب الظن أن هذا الرأى قد أوحى به الاشتراك فى الاسم بين بنى لحيان هؤلاء ، وبين أولئك اللحيانيين

---

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام ٣/ ٤٢٩
(٢) ابن بليهد النجدى فى صحيح الأخبار ٢/ ١٨٦ .
(٣) معجم قبائل العرب ٣/ ١٠١٠ ، محادثة أهل الأدب ص ٨٤ ، المنجد ص ٤٦٠

والحق أن بنى لحيان الهذليين هم ـ فيما أظن ـ من هذيل لحما ودما ، فهم غير اللحيانيين ذوى التاريخ العريق المعروف ، فلم يقل أحد بأن الاشتراك فى الأسماء يصلح أساسا لإطلاق الأحكام فى القضايا العلمية ، فكثيرا ما نجد أن الأسماء تكرر نفسها بين الأشخاص والقبائل العربية ، فمثلا فى العرب سعود كثيرة منها : سعد تميم ، وسعد هذيل ، وسعد قيس ، وسعد بكر[1]. وفيهم موازن كثيرة منها : مازن تميم ، ومازن قيس ، ومازن اليمن ، ومازن ربيعة[2]، وهناك تميم القبيلة المعروفة ، وتميم أخرى بطن من هذيل ، وبنو مخزوم فى قريش وغيرها فى هذيل ، وهكذا . ثم إنه يوجد كثير من هذه الأعلام العربية فى النقوش السبأية والثمودية[3]، وهى نقوش عربية قديمة ، وإن من يتابع هذه النقوش القديمة فى الثمارة وفى منطقة العلا نفسها يجد كثيرا من هذا التكرار فى الأسماء بل إنا لنجد أن كثيرا من أسماء الأعلام العبرية القديمة شائعة الاستعمال عند العرب فى الجاهلية . ومن حقنا ألا نذهب بعيدا ، فكثير من أسماء الأشخاص والعائلات اليوم مكررين الناس إلى حد كبير ، فهم يسمون ـ عن قصد أو غير قصد ـ أسماء متشابهة أو متماثلة ، وقد يتم هذا تيمنا بأسماء ، أو تشبها بعظماء ، وهذا مسلك الناس دائما فى كل زمان ومكان .

هذا وقد نسب الجمحى بنى كاهل أيضا إلى هذيل نسبة الحلف والولاء لا نسبة القرابة والنسب ، وجعل كاهلا أخا ثقيف[4]. وعلى هذا تقرر بعض المراجع أن عمرا ذا الكلب ـ وهو من رجالات كاهل ـ كان جارا لهذيل[5] ولم تعده من هذيل دما ونسبا ، ومعنى هذا أن الشك سيحوم حول نسب الفروع الأخرى التى تدلى إلى هذيل بكاهل هذا مثل بنى صبح وبنى زليفة ، وبنى صاهلة ، وبنى كعب ، وبنى مخزوم . ومن ينتسب إلى هؤلاء من بطون كاهل ورجالها ، ولكن يبدو أن كاهلا من أحفاد هذيل صلبية ، وليس مجرد حليف أو جار للهذليين ، فإن أغلب الكتب التى كتبت فى الأنساب وغيرها تقرر ذلك النسب الهذلى لكاهل ومن يلونه من أبناء وأحفاد ، ثم إن القلة من المراجع التى تقول بالمحالفة أو الجوار ذكرت ذلك مبهما ، فلم تنسب كاهلا من جهة النسب إلى قبيل آخر غير هذيل نسبة صحيحة ، وهذا يثير الشك فيما ذكر بشأن هذا النسب ، ويقوى الاحتمال الآخر ،

---

(١) الصحاح ، الجمهرة (سعد) (٢) شرح شواهد ابن عقيل ص١١٨ .
(٣) إسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ص٨٠ .
(٤) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص٣ (٥) ديوان الهذليين ٣/ ١١٣ .

وهو لعتبار كاهل وبطونها من صميم هذيل .

ومن قبيل الخلاف أن يكون بعض البطون أصلا من غير هذيل ، فتنسبها بعض المراجع إلى هذيل وهما منها ، واعتمادا على مجرد مجيئها على لسان شعراء هذيل ، دون تحقيق وتمحيص ، فقد ذكر الزبيدى[١] ، أن ذؤيبة قبيلة من هذيل وأتبع ذلك بقول الشاعر الهذلى :

غدونا غدوة لا شك فيها   فخلناهم ذؤيبة أو حبيبا

والحق أن ذؤيبة هذه من هوازن ، ويقرر ذلك أبو سعيد السكرى فى شرح هذا البيت من شعر أبى خراش[٢] ، ومن هذا النحو من الخلاف تقريبا ما ثار حول جعثمة التى ينسب إليها بعض القسى ، فقد ورد فى ديوان الهذليين أنها من هذيل[٣] ، وفى القاموس أنها "من هذيل أو من أزد السراة "[٤] وفى اللسان أنها من هذيل أو من أزد السراة أو من أزد شنوءة[٥] . ولعله قد أدى الى هذا الخلط قرب مواطن هذه القبائل التى نسبت جعثمة إليها ، ثم ضآلة شأن جعثمة هذه وأمثالها ، وعدم شهرتها واستفاضة أخبارها .

وهناك أمثلة من الخلاف قد تؤدى بنا إلى تعدد واهم فى بطون هذه القبيلة ، وذلك ـ فيما أحسب ـ نتيجة لتقارب بعض الحروف وإلتباسها على السمع أو لتشابه هذه الحروف فى الرسم واختلاطها فى الكتابة ، ومن ذلك خناعة وخزاعة ، فقد اتجهت غالبية المصادر إلى أن خناعة هو ابن سعد بن هذيل[٦] ، ولكن ورد فى بعض المراجع ذكر خزاعة بن سعد بن هذيل[٧] ، بدلا من خناعة ، وقد كان من الممكن وجودهما معا أخوين من سعد بن هذيل لو قد حدثتنا بذلك المراجع المذكورة ، أو دلت الدلائل عليه ، ولكن يبدو أن ذلك تكرار لاسم واحد هو خناعة ، ذكر صحيحا مرة ، محرفا مرة أخرى ، وقد يؤيد ما تذهب إليه اختلاف الرواية فى هذا البيت من شعر صخر الهذلى :

لو أن أصحابى بنو خناعة   أهل الندى والجود والبراعة

فالرواية السائدة خناعة ، وإلى جانبها رواية أخرى "خزاعة"[٨] ، ومما يزيد الأمر وضوحا اختلاف المصادر فى ترجمة واحدة لشاعر هذلى واحد هو مالك بن خويلد

---

(١) تاج العروس (ذأب) . (٢) ديوان الهذليين ٢/ ١٣٢ . (٣) المرجع السابق ١/ ٨٤
(٤) القاموس (جعثم) . (٥) اللسان (جعثم) . (٦) ديوان الهذليين ٣/ ١ ، ٢٠ ـ
القاموس ، اللسان (خنع) ـ شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص١٢ ، الشعر والشعراء ص١٥٦
معجم قبائل العرب ١/ ٣٦٢ . (٧) شرح أشعار الهذليين ٢٢ ـ العقد ٢/ ٥٧ .
(٨) ديوان الهذليين ٢/ ٢٢٥ .

فقد جاء فى اللسان (١) أنه مالك بن خويلد الخزاعى ، وصاحب اللسان متأخر ، وليس بحجة فى الأنساب ، وإنما هو فى هذا مجرد ناقل ، بينما نجد أن السكرى فى شرح أشعار الهذليين يقرر أنه خناعى (٢) ، ولا يمكن أن ينتهى نسب امرئ إلى شخصين مختلفين على هذا النحو ، فلا بد أن يكون أحدهما - وأرجح أنه خزاعة - من نسج الوهم والخيال نتيجة للتصحيف الذى عرض له .

ومن أمثلة هذا التعدد الواهم ما أشرنا إليه من ذكر حريث (٣) ، وخريب (٤) وحرب (٥) ، وجريب (٦) ، جنبا إلى جنب بين البطون الهذلية ، وأغلب الظن أنها جميعا بطن واحد من بطون سعد بن هذيل ، وما هذا التعدد إلا نتيجة التصحيف فى هذا الاسم . ومن الغريب أننا نجد أن ذلك التصحيف قد يسبب الخلاف حتى بين صفحة وأخرى فى المرجع الواحد ، فقد ذكر مثلا فى ديوان الهذليين مرة حريث وأخرى جريب ، وربما كان ذلك راجعا إلى إهمال التحقيق وقصوره ، إذا لم يكن خطأ طبعيا لا يستحق الوقوف عنده .

ومثل هذا يقال فى سعد بن هذيل نفسه ، إذ وجدته فى ترجمة أبى كبير الهذلى فى حاشية التنبيه على أوهام القالى فى أماليه محرفا إلى سهل بن هذيل (٧) ، ولم يمر بنا من أبناء هذيل وأحفاده من يسمى سهلا ، وعلى الأقل لم نجد فى سلسلة نسب أبى كبير من يحمل هذا الاسم ، ثم إن سلسلة النسب المذكورة فى هذا المصدر هى نفسها فى المصادر الأخرى مع استبدال سعد بسهل ، هذا إلى ما نجده من قرب نبرات الصوت فى كل منهما وأنهما على وزن واحد ، مما يوجد اشتباها عند من لا يحسن السماع . ومع هذا فالأمثلة على مثل هذا التصحيف والتحريف قليلة لا تكاد تجاوز ما ذكرنا .

---

(١) اللسان (بقل) . (٢) شرح أشعار الهذليين ١٤٨ . (٣) المعارف ٢٢ - ديوان الهذليين ٢ / ١٦٤ - شرح أشعار الهذليين ١٠٩ - العقد ٢ / ٥٧ . (٤) جمهرة أنساب العرب ١٨٦ . (٥) المنصف ٣ / ٢٠٢ . (٦) المخصص ١٣ / ٢٣٥ - شرح أشعار الهذليين ٢٢٦ - البقية ٩ - الخزانة ٣ / ١٧٤ - العقد ٢ / ٥٧ - ديوان الهذليين ٢ / ٤٣ (حاشية) . (٧) التنبيه ١٠٠ .

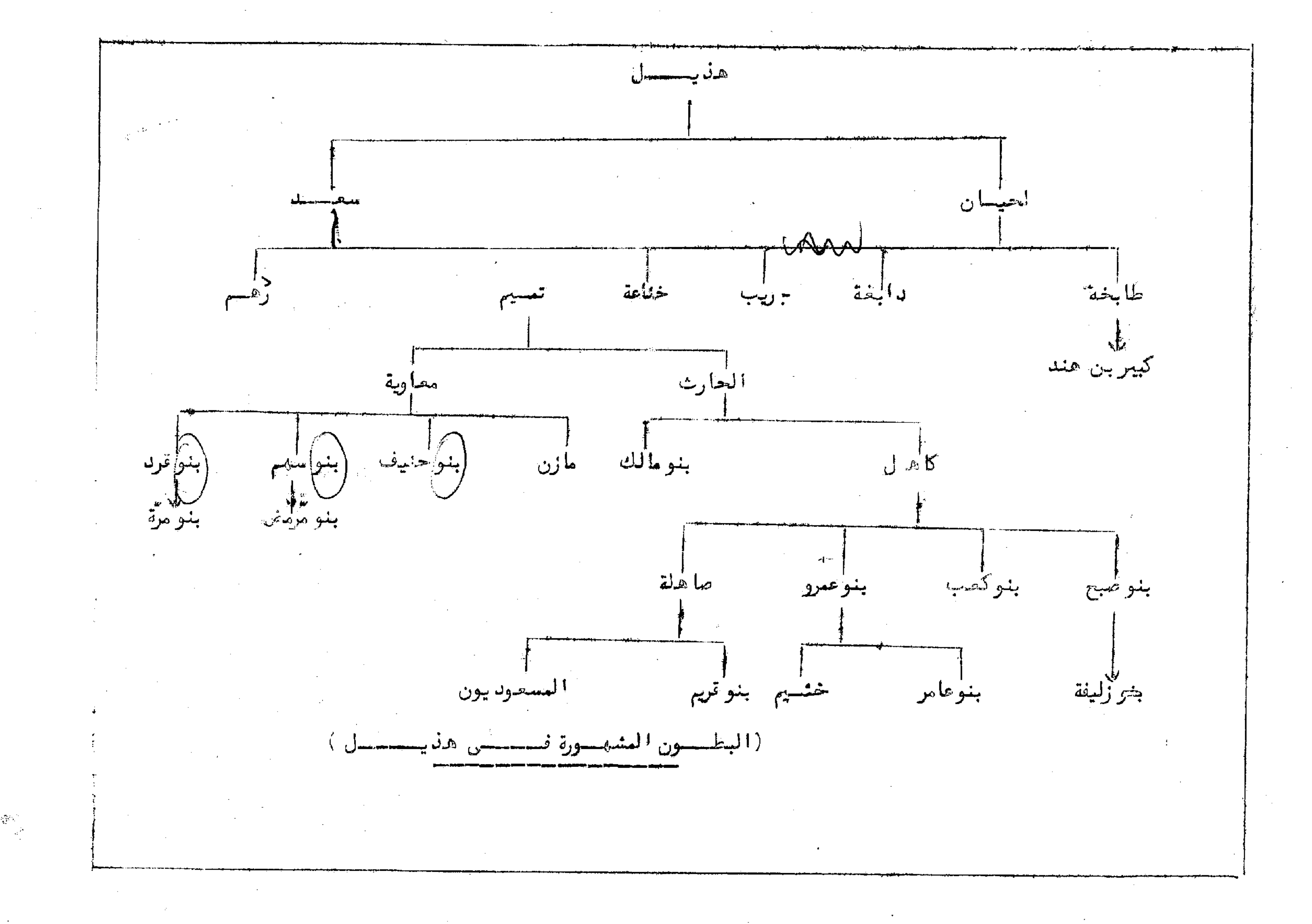
وإذا كان النسابون قد ذكروا أن بعض القبائل أو بطونا من هذه القبائل كانت تعيش في جوار هذيل مثل بني الدرعاء وهم حي من عدوان من قيس عيلان ، قيل إنهم حلفاء في بني سهم بن معاوية من هذيل[١] ، فإن هؤلاء النسابون قد أشاروا أيضا إلى أن بعض بطون هذيل ورجالها قد حالفوا غيرهم أو عاشوا في جواره ، بل إنهم ليذكرون أن بعض بطون هذيل دخلت في غيرها من القبائل ، وانتسبت إليها ، ولم تعد تذكر في عداد هذيل ، فقد ذكر ابن حزم أن خوية ـ وهم ينتمون في أصلهم إلى سعد بن هذيل ـ دخلوا في بني عبس ، وقيل إن الحطيئة الشاعر منهم[٢] ، ويبدو أن عامر بن سدوس الخناعي قد دخل هو الآخر في خزاعة ، فقد جاء في ديوان الهذليين أن عامر بن سدوس الخناعي كان يعزى هو ورهطه إلى خزاعة ، وأن المعطل قال في ذلك شعرا فيه شيء من اللوم يسدد سهامه إليهم[٣] .

كما ورد في شرح أشعار الهذليين بصدد الكلام في شعر المعطل نفسه أن الناس يولجون بني سدوس ، وأولياء عامر واخوته إلى خزاعة ، وقد قال ابن الأعرابي في ذلك إن الناس كانوا يعدلون عامر بن سدوس وبني أبيه إلى خزاعة ، فقال المعطل في ذلك شعرا هو الشعر الذي سبقت الإشارة إليه في ديوان الهذليين .

وهكذا نرى كلاما حول دخول قوم في هذيل ، وخروج آخرين منهم ، كما نجد خلافا حول بعض بطونهم ، وفي نسب بعض رجالهم . ولكن ذلك كله ليس بالأمر الجلل الذي يطغى على وضوح هذا النسب واستقامته ، وتلك البطون وانتهاء بها إلى أصلها الهذلي ، ففي شيء من التمحيص اليسير قد انتهينا إلى وجه الحق في هذا الشأن .

---

(١) تاج العروس (د ر ع) ـ ديوان الهذليين ٣ / ٣٠ .
(٢) الجمهرة ١٨٦ .
(٣) ديوان الهذليين ٣/ ٥١ .



(البطون المشهورة في هذيل)

الفصل الثاني
(منازل هذيل ومواطنها)

أولا ـ منازل هذيل في الجاهلية :

شغلت هذيل ببطونها العديدة رقعة واسعة من إقليم الحجاز في مناطق متعددة حول مكة ، وفي أطرافها الجنوبية والشرقية ، وفي عرفة وما يتصل بها وفي أماكن أخرى بين مكة والمدينة ، وربما كان أغلبها إلى مكة أقرب . وإن كان يحتمل أن يكون بعضها متصلا بنواحي المدينة كالنوازع التي وردت في شعر هذيل ، والتي ذكر البكري أنها من ديارهم [(١)].

ويهمنا من ذكر هذه المواطن والبقاع أن نوضح مسرح حياة هذه القبيلة التي ندرس لهجتها ، وما صاقبها من مواطن القبائل التي تجاورها ، أو الأماكن التي تشركها فيها هذه القبائل ، كي نستبين في ضوء هذا كله علاقة هذه القبيلة بجيرانها من القبائل الأخرى ، ومدى تأثرها بهذه القبائل أو تأثيرها فيها ، والمقصود بهذا التأثير والتأثر ما عساه أن يكون له من صدى في الجانب اللغوي الذي هو موضوع هذه الدراسة .

والمعروف أن هذيلا قبيلة بدوية في طابعها العام ، فهي إذن لم يستقر أغلب بطونها وعشائرها في أماكن بعينها ، لأن الاستقرار في المدن والقرى لم يتح إلا للحضر الذين كانوا يقيمون في مكة والمدينة والطائف ووادي القرى ، وما يماثلها في اليمن ، وفي الإمارات العربية التي كانت مستقرة في أطراف الجزيرة على حدود الفرس والروم كالمناذرة والغساسنة . أما البدو الرحل فهم لا يعرفون هذا الاستقرار ، وإنما كانوا يتنقلون في سبيل النجعة ـ كما هو معروف ـ .

فهذيل إذن كانت بطونها المختلفة تتنقل حيث الخصب والماء والكلأ ، ولكن مع هذا كان لمجموع البطون الهذلية مجال تجول فيه ، فلا تبعد كثيرا عما ألفته من مواطن ، وما تنزل به على مر العام من منازل . وقد كانت هذه المواطن وتلك المنازل كثيرة متعددة تعدد بطون هذه القبيلة وكثرتها ، كما أن الرقعة التي كانت تشغلها لم تكن في مجموعها ذات طبيعة جغرافية واحدة ، فكانت

(١) معجم ما استعجم ١/ ٢٨٢ .

هذيل تسكن الجبال والهضاب والوهاد والوديان فى منطقة واسعة من الإقليم .

السَّـراة :

ومن أهم البقاع التى كانت تقطنها بطون هذيل بعض الأجزاء الحجازية من تلك المرتفعات التى تمتد فى سلسلة جبلية تخترق إقليم الحجاز ، وتمتد شمالا حتى بلاد الشام وجنوبا حتى بلاد اليمن ، وقد يصل ارتفاعها إلى (٢٤٠٠م) فوق سطح البحر[١] ، وتسمى هذه السلسلة بجبال السراة ، وهذه السلاسل الجبلية إذا وصلت الطائف مالت شرقا كأنما هى فى زاوية وتركت مكة بينها وبين البحر . ويقول الهمدانى إنه لم يعد يطلق اسم السراة إلا على هذه السلسلة الجبلية بين الطائف وصنعاء ، وقد تغير اسمها فيما دون ذلك[٢]

وقد كان يشارك هذيلا فى هذه السروات جيرانها من القبائل الأخرى مثل فهم وعدوان وبجيلة وثقيف وغيرها ، وكلها قبائل عربية فصيحة[٣] .

وقد تحمل جبال السراة عدة أسماء تختلف باختلاف أماكنها ، وباختلاف القاطنين فيها ، والذى تقطنه هذيل منها ينسب إليها ، فيقال سراة هذيل . وسنرى أن جبال هذيل نفسها تتعدد أسماؤها ، وتختلف اختلافا ملحوظا فيما بينها . ويحدد ابن خلدون سراة هذيل هذه بأنها " متصلة بجبل غزوان المتصل بالطائف ولهم أماكن ومياه فى أسفلها من جهات نجد وتهامة بين مكة والمدينة " [٤] . والواقع أن جبل غزوان هذا يقع فى الجنوب الشرقى من مكة ، وفى ذروته مدينة الطائف ، وليست سراة هذيل متصلة به فحسب - كما يقول ابن خلدون - وإنما هو جزء من هذه السراة التى تتناثر فيها مساكن هذيل ومنازلها .

ومن جبال هذيل أيضا كُرَوكَراء والهَدّة وكلها سلاسل جبال متصلة تحيط بالطائف وتفضى إلى باديتها[٥] ، ومن بين سلاسل هذه الجبال نجد الشفا ، وهو الآخر من جبال الطائف[٦] ، وفى سفح كرنجد موضعا مشهورا لهذيل هو عساذ[٧] ، وقد يسمى "أُنفعاذ" وهو من ديار هذيل المجاورة لبنى سُليم[٨] .

---

(١) دكتور الصياد المملكة العربية السعودية : مذكرات معهد الدراسات العربية العليا ص ١١
(٢) صفة جزيرة العرب ٢٩٧ (٣) معجم البلدان ٥/ ٦٠ ، ٦١ - الألوسى : بلوغ الأرب فى أحوال العرب ٣/ ٩٥ . معجم ما استعجم ١/ ٨٨ (٤) تاريخ ابن خلدون ٢/ ٣٠٩ (٥) فى منزل الوحى ٣٦٦ . (٦) معجم ما استعجم ٣/ ٨٠٣ - فى منزل الوحى ٣٤٧ - ٤٣٤ . (٧) معجم البلدان ٦/ ٩٣ .
(٨) معجم ما استعجم ١/ ٢٠١ .

ولهذيل فيه مخلافان إحداهما فوق الأخرى ، وبينهما مسافة ميل تقريبا[1] ، ويذكر ياقوت أن منا جبال هذيل القريبة من الطائف جبال الجوز[2] ، ويريد الفيروزابادى أن يكون أكثر دقة وتحديدا فيقول : إنها لبنى صاهلة من هذيل[3] ، فهذه الجبال إذن كانت أقصى سروات هذيل نحو الجنوب ، فقد كان بنو صاهلة هؤلاء أقصى هذيل نحو اليمن[4] ، وكانت منازل فهم فى هذه الجهات مصاقبة لهم[5] ، فقد عاش فى جبال يلملم وما يقاربها بعض بطون صاهلة كبنى قريم ، وكانت بينهم وبين فهم فيها حروب ومواقع[6] .

وإذا اتجهنا نحو الشمال وتركنا الطائف وباديتها وجبالها وجدنا جبلى "نعمان" وهما فى جنوبى عرفات ويقعان بينها وبين الطائف ، ومن جبال هذيل فى هذه الناحية "كبكبا" وهو جبل مشرف على موقف عرفات[7] ، فهو من جبال عرفات ومن نواحيه ذو المجاز ، وبه ماء لهذيل باسمه[8] ، وكان موضع سوق بعرفة على فرسخ منها[9] ، وكانت لهذيل[10] ، وهى من أشهر أسواق العرب بعد عكاظ وقريبا من كبكب نجد "الوصيق" وهو جبل كانت تنزل به هذيل وكنانة[11] ، وهو الآخر متاخم لوادى عرفة .

وإلى الشمال من ذلك نجد من هذه الجبال قريب مكة "داءة" وهو الجبل الذى يحجز بين نخلة اليمانية ونخلة الشامية ، وكانت تنزل على بعض مياهه بنو مرة من هذيل ، وبعض بنى لحيان منهم[12] . ويمتد إلى الشمال منه "شمنصير" وهو جبل شامخ تكثر من حوله العيون التى يفيض منها الماء[13] ، وبغربى شمنصير تقع الحديبية ، وهناك مسجد الشجرة[14] ، ويتصل بهذا الجبل قرية أخرى يقال لها ضَرْغَد كانت بعد الإسلام ذات قصور ومنبر وحصون ، وتشترك فيها هذيل وعامر بن صعصعة[15] ويذكر البكرى فى معجمه ، وينقل عنه البغدادى فى خزانته أنها غير ضرغد التى قال إنها من الأخرى لهذيل وبنى غاضرة وبنى عامر بن صعصعة[16] . ويمتد شمنصير

---

(١) معجم البلدان ١/ ٣٦١ . (٢) المرجع السابق ٣/ ١٦٨ .
(٣) القاموس (جوز) . (٤) البقية ٢٥ . (٥) البقية ص ٥٣ . (٦) نفس المرجع ٣٧ ، ٤٨
(٧) الجبال والأمكنة والمياه ص ١٣٧ — صحيح الأخبار ص ٢٧٢ .
(٨) بلوغ الأرب ١/ ١٩٨ . (٩) ديوان الهذليين ١/ ٤٠ حاشية .
(١٠) معجم البلدان ٧/ ٣٨٥ — الجبال والأمكنة والمياه ٨٠ . (١١) معجم البلدان ٨/ ٤٢٥
(١٢) معجم ما استعجم ٢/ ٥٣٠ . (١٣) المرجع السابق ٢/ ٨١٠ .
(١٤) المرجع السابق نفس الصفحة . (١٥) معجم البلدان ٥/ ٤٢٨ .
(١٦) معجم ما استعجم ٣/ ٨٥٨ .

نحو الجنوب حتى يجاوره جبل صغير يقال له ضُعاضِع ، وعنده سد كبير يجتمع فيه الماء[١] وبه قرى صغيرة لسعد ومسروح ، وفى سعد هذه نشأ النبى صلى الله عليه وسلم ، وهذيل وفهم تجاوران سعدا فى هذا المكان[٢].

وجبال السراة سواء ما كان منها فى الجنوب والجنوب الشرقى متصلا بالطائف وعرفة وما حولهما ، أو ما كان منها فى الشمال بين مكة والمدينة ، كلما تخترقها الأودية والشعاب ومسايل الماء التى نجد بعضها فى سفوحها الشرقية المواجهة لنجد ، وأكثرها فى سفوحها الغربية المواجهة للبحر .

وفى جنوب مكة وجنوبها الشرقى وهو سراة هذيل الجنوبية نجد من هذه الأودية النَّخِب وقد رواه ياقوت عن السكونى بفتح النون وكسر الخاء ، وعن الأخفش بفتحهما وقال إنه واد بأرض هذيل بينه وبين الطائف ساعة[٣] فهو واد بناحية الطائف ، والخارج من الطائف من جهتها الشمالية يبدو له هذا الوادى أول ما تتراءى له باديتها[٤]، وقد مر به النبى فى طريقه إلى الطائف قبل الهجرة يدعو ثقيفا إلى الإسلام[٥]، ومن المأثور أن هذا الوادى هو وادى النمل[٦] الذى ذكره القرآن فى قصة سليمان[٧].

ومن هذه الأودية التى لهذيل وادى عُرَنة[٨] ، ويقع بين عرفة وجبلين هناك يسميانه بالمأزمين بينهما طريق ضيق يفضى بالحجيج إلى عرنة ثم إلى عرفة ، فهذا الوادى هو غير وادى عرفة كما يقول الإصطخرى والهمدانى[٩]، لا عرفة نفسها كما يقول البكرى[١٠] ، ومع هذا فهما متجاوران ، غير أن عرفة من الحل وعرنة من الحرم وتقع قبل عرفة فى طريق القادم من المزدلفة ، وفى عرنة هذه وما والاها كان ينزل سفيان بن خالد بن نُبَيح الهذلى اللحيانى فى جماعة من لحيان وغيرهم ، وكان يجمع الجموع لحرب النبى والمسلمين ، وإليها وصلت سرية عبد الله بن أُنَيس لإحباط المؤامرة فقتل زعيمها وقضى على حركته الآثمة[١١] ، كما سبق أن أشرنا .

ومن أوديتهم فى الجنوب أيضا نَعمان[١٢] ، ويقع بعد عرفة فى طريق الذاهب إلى الطائف[١٣] ، ويسلك المتجه إليه طريق منى إلى المزدلفة فعرفات[١٤]، ويمتد

---

(١) معجم البلدان ٥/ ٤٣٥ . (٢) معجم ما استعجم ٢/ ٨١٠ .
(٣) معجم البلدان ٨/ ٢٧٢ ، ٢٧٣ . (٤) فى منزل الوحى ٣٥٦ ، ٣٥٧ .
(٥) معجم البلدان ٨/ ٢٧٢ . (٦) فى منزل الوحى ٣٥٦ .
(٧) سورة النمل (٢٧) الآيتان ١٨ ، ١٩ . (٨) صفة جزيرة العرب ١٧٣ .
(٩) مالك الممالك ١٥ ، صفة جزيرة العرب ١٧٣ . (١٠) معجم ما استعجم ٣/ ٩٣٥ .
(١١) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٠ ـ حياة الحيوان ٢/ ٢٣٤ .
(١٢) صفة جزيرة العرب ١٧٣ ـ شرح أشعار الهذليين ٥٨ .
(١٣) كحالة : جغرافية شبه جزيرة العرب ١٧٤ . صفة جزيرة العرب ١٥٣ .
(١٤) فى منزل الوحى ٢٩٩ .

الطريق بعده إلى شداد على سفح جبل كرا الذى يحيط ببادية الطائف كما سبقت الإشارة . وفى نعمان مكان يسمى القدوم كان من منازل بنى وائلة ابن مطحل من بنى سهم من هذيل ، وفيه أغار عليهم بنو ظفر من بنى سليم فى يوم القدوم [١] ، وهذا الوادى كان ينزله بعض بنى قريم بن صاهلة أيضا ، وقد أغار عليهم فيه بنو مدلج ، وكان لقريم النصر عليهم [٢] ويذكر الأصمعى أن هذا الوادى يسكنه بنو عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد ابن هذيل [٣] وفى شعر حذيفة بن أنس الهذلى ــ أحد بنى عمرو ــ ما يؤكد ذلك [٤] ، وكذلك الشأن فى شعر أمية بن أبى عائذ ، وهو الآخر أحد بنى عمرو هؤلاء ، ويبدو أنهم كانوا ذوى منعة فى هذا المكان ، فلقد تجد صدى ذلك فى شعر هذا الشاعر بصورة واضحة [٥] . ومن بلاد هذيل وجبالها بهذا الوادى الأصدار وهو صدور الوادى التى يجىء منها العسل إلى مكة [٦] ، وينبئنا البكرى أن بنى عمرو ينزلون من هذا الوادى فى موضع يقال له أدَيْة [٧] . ومن أماكن هذيل فى وادى نعمان ضيم وعَرَعر ، وهما مكانان متصلان فى هذا الوادى . ومن جبال هذا الوادى يحرج ، وفيه طريق إلى الطائف أسفله لبنى الملحم من هذيل ، وأعلاه لزليفة من هذيل أيضا [٨] ، ونعمان هذا هو الذى يسمى بنعمان الأكبر، وهو غير نعمان الأراك بمكة [٩] ، ويقع هذا الأخير فى شماليها وبه التنعيم الذى يقع بظاهر مكة على طريق القوافل إلى المدينة ، وعلى مسافة أربعة أميال من مكة [١٠] ، وبه أقرب أعلام الحرم إليها [١١] ، وكثيرا ما تخلط المراجع بين واديى نعمان هذين لاشتراكهما فى الاسم ، والحق أنهما واديان مختلفان يحملان اسما واحدا [١٢] ، ويذكر ابن حزم أن نعمان هذا الذى فى شمال مكة هو الآخر من بلاد هذيل [١٣] ، وأن سواعا صنم هذيل كان فى هذا الوادى .

---

(١) البقية ٤ . (٢) البقية ٥٥ . (٣) البقية ١٣ . (٤) ديوان الهذليين ٣/ ٢٥ ، ٢٩ . (٥) شرح أشعار الهذليين ٢١٤ .
(٦) معجم البلدان ٨/ ٣٠٠ ، تاج العروس (نعم)
(٧) معجم ما استعجم ٤/ ١١٦٤ .
(٨) معجم البلدان ٨/ ٥٠٩ . (٩) اللسان (نعم) . (١٠) تاج العروس (نعم) .
(١١) فى منزل الوحى ٢٨٣ . (١٢) الجامع اللطيف ٣٣٦ .
(١٣) جمهرة أنساب العرب ص ٤٥٧ وما بعدها .

ومن أودية هذيل فى الجنوب المَرْج ، وهو أحد أودية الطائف مجاور لوادى النَّخب[1] ، فيروى ياقوت عن الأصمعى أن من أودية الطائف واديا يقال له المرج ، وهو غير المرج الذى بين مكة والمدينة[2] ، ويقول فى موضع آخر من كتابه إن جبل كبكب المعروف قريبا من عرفة مشرف على هذا المرج ، وهذه الروايات تعطينا صورة عن مكان المرج بين الطائف وعرفة ، وأنه كان من منازل هذيل وبنى نصر بن معاوية .

تهامة :

وهذه السلسلة من جبال السراة تتدرج فى الانحدار جهة الشرق ، بينما تنحدر فجأة جهة الغرب وتترك بينها وبين ساحل البحر سهلا ساحليا يعرف بالغور أو تهامة ، ويعرف فى الحجاز بتهامة الحجاز . وكانت تهامة الحجاز هى الأخرى من مواطن الهذليين التى انتشرت فيها بطونهم وعشائرهم ، فكانوا يسكنون السفوح الغربية للسراة وهى مواجهة لتهامة ، وكانت تجاورهم فى هذه الأماكن خزيمة التى كانت تنزل فى أسفل هذه السفوح فى أماكن تخترقها الشعاب والأودية ومسايل الماء فى طريقها إلى البحر[3] ، وقد كانت كنانة وهى أهم قبائل خزيمة تعيش فى ذلك السهل الساحلى ، وتمتد فيه على شاطئ البحر مسافات طويلة من تهامة الحجاز ، وتشترك وهذيلا فى كثير من هذه الأودية والشعاب[4] ومنها : حَلْيَة[5] ، وكان ينزل به مع الهذليين بعض بنى ثابر وهم حى من الأزد[6] ، والسِّرِّين[7] ، وبينه وبين مكة تسعة أميال[8] ، وتقع به بلدة باسمه قريبا من جدة[9] ، ومن هذه الأودية أُدام[10] ، وقد قيل إنه أشهر أودية مكة[11] ، وبينه وبين مكة اثنا عشر ميلا[12] ، وقد كان ينزل فى صدر أدام هذا جماعة من بنى صاهلة من هذيل[13] ، ومنها الضَّجُوع[14] ، وكان ينزل به بعض بنى لحيان[15] ، والضجن[16] ، والحَدَثة[17] ، ومَلْكان[18] ، وذات البشام وهو من بلاد هذيل بعُرَنة[19] ، وكان ينزل به بعض بنى لحيان ، وبنى سهم من هذيل[20] .

(١) بلوغ الأرب فى مآثر العرب ١/ ١٦٨ .
(٢) معجم البلدان ٦/ ١٤٠ (٣) معجم ما استعجم ١/ ٨٨ . (٤) المرجع السابق .
(٥) الجبال والأمكنة والمياه ٤١٥ . معجم البلدان ٣/ ٣١٩ . (٦) البقية ٣٣ ، ٣٤ .
(٧) ديوان الهذليين ٢/ ١٣٩ . ٨ تاريخ ابن المجاور ص ٤٠ ، ٤١ .
(٩) معجم البلدان ٥/ ٨١ . (١٠) معجم البلدان ١/ ١٥٥ . (١١) تاج العروس (أدم)
(١٢) تاريخ ابن المجاور ٤٠ ، ٤١ . (١٣) البقية ص ٤٥ . (١٤) الجبال والأمكنة والمياه ١٠١
معجم البلدان ٥/ ٤٤٦ . (١٥) البقية ص ١٣ . (١٦) معجم قبائل العرب ٣/ ٩٩٧ .
(١٧) معجم البلدان ٣/ ٣٢٢ (١٨) الجبال والأمكنة والمياه ص ١٤٤ . (١٩) معجم البلدان ٢/ ٨١
(٢٠) الخزانة ١/ ٤١٧ ـ البقية ص ٦١ .

وبالقرب من ذلك المكان نجد " الجُرُوف " القريب من وَدّان ، وهو من منازل بنى سهم بن معاوية المذكورين ، وفيه أوقعت بنو سليم بهم فى إحدى غاراتها عليهم[١] ومن الأودية المذكورة سَعيا ومَركوب[٢] ، وقد ورد كثيرا كما ورد غيرهما فى شعر هذيل ، وربما كان الوادى الأخير من أقصى هذه الأودية نحو الجنوب فهو يقع خلف يلملم[٣] ، الذى هو ميقات أهل اليمن .

وجميع هذه الأودية أعلاها لهذيل وأسفلها لكنانة .

ومن جبال تهامة فى شمال مكة ضَجنان وبينه وبين مكة اثنا عشر ميلا تقريبا ، وهو لأسلم وهذيل وغاضرة وله ذكر فى حديث الإسراء[٤] ، وفى أسفله كُراع الغَميم ، وهو واد يقع بين ضَجنان وعُسفان[٥] ، على ثمانية أميال منها[٦] ، وعسفان هذه تقع على طريق القوافل بين مكة والمدينة ، وهى إحدى مناهل هذا الطريق بين الجحفة ومكة على مرحلتين من مكة[٧] ، وهى من مساكن بنى لحيان[٨] ويشاركهم فيها بنو المصطلق من خزاعة[٩] ، وبالقرب منها من جهة الجنوب ماء الرجيع الذى يقع بينها وبين مكة[١٠] وهو من مياه لحيان ، وعنده غدرت لحيان برهط من المسلمين وأوقعوا بهم فى يوم الرجيع[١١] . ومن أودية لحيان فى هذه الاماكن قريبا من عسفان وادى رهاط ، وهو واد كبير فى غربه تقع الحديبية ، وهذا الوادى يجاور وادى نَعمان الشمالى ، وقد سبق أن عرضنا لما قيل من أن سواعا صنم هذيل كان فى نعمان ، ولكن يذكر ابن الكلبى أنه كان برُهاط[١٢] ، ولعل قرب المكانين كان السبب فى هذا الخلاف . وفى أطراف وادى رهاط بالقرب من مكة تقع قرية رهاط على ثلاثة أميال منها[١٣] ، وبه و رغم ما هنالك من خلاف أنها كانت مقر هذا الصنم ، فقد كان بنو لحيان أهل هذه الناحية ، هم سدنة سواع فى الجاهلية[١٤] ، وقد كان يسمى وادى رهاط وادى غُران أيضا ، وهذا الوادى خصب ، وبه عيون جارية ونخل كثير[١٥] ، وفى رُهاط أو غُران كانت

---

(١) معجم ما استعجم ١/ ٣٧٦ . معجم البلدان ٣/ ٨٤ .
(٢) الجبال والأمكنة والمياه ص ٧٩ . (٣) تاج العروس (ركب) . (٤) معجم البلدان ٥/ ٤٢٦
(٥) القاضى عياض: مشارق الأنوار ١/ ٣٥٠ . (٦) معجم البلدان ٢/ ١٢٢ .
(٧) المرجع السابق ٦/ ١٢٣ . بهجت: الأمكنة والبقاع ص ١٥٠ .
(٨) معجم البلدان ٦/ ١٧٣ . (٩) معجم ما استعجم (٣/ ٩٣٩) . (١٠) المرجع السابق ٢/ ٦٤١ . (١١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٧٩ ـ معجم ما استعجم ٢/ ٦٤١ .
(١٢) الأصنام ٩ ، ١٠ . (١٣) معجم ما استعجم ٢/ ٦٤٦ . (١٤) الاصنام ص ٩ ـ بلوغ الأرب ٢/ ٢١٧ . (١٥) أخبار مكة ١/ ٧٨ .

مساكن بنى لحيان كما سبقت الإشارة ، وإلى غران انتهى النبي فى غزوته بعد فتح بنى قريظة يريد بنى لحيـان هؤلاء مطالبا بأصحاب الرجيع (١) وبين هذا الوادى ووادى أمج ميل واحد (٢) وأمج وساية متجاوران أوهما شيء واحد ، وهو واد عليم به أكثر من سبعين عينا كما يذكر ياقوت فى معجمه (٣) وأمج هذا من مساكن خزاعة فهى إذن كانت تجاور هذيلا بعامة ، وبنى لحيان منهم بخاصة فى بعض هذه الأماكن ، ومن مظاهر المشاركة والمجاورة بين هذيل وخزاعة اشتراكهما فى عبادة مناة (٤) التى يقال إنها كانت صخرة بقديد وهو واد بين عسفـان والمدينة (٥) ، كما يقال إنها صنم فى جهة البحر مما يلى قديدا (٦) ، ونجد كذلك الكديد وهى قريبـة جدا من عسفان وغران ، وكان بعض بنى لحيان وبنى جندع بن ليث ينزلون فى هذا المكان حين أغارت عليهـم جميعا خيـل رسـول الله صلى الله عليه وسلم بالكديد بعد أن دلهم عليه رجل من خزاعـة فوجدت عليه بنـو بكر وبنو لحيـان (٧) ومن منازل لحيـان شـمال القديد ذو دوران ورسمه فى بعض المراجع دوران بتقديـم الواو على الراء (٨) ، وهو واد يأتى من شمنصير (٩) ، وبجوار ذى دروان نقرى ، وهى حرة من حـرار الحجاز كان ينزل بها بنو لحيـان وبنو خزاعة (١٠) ، ومن الأماكن المعدودة فى هذه الجهة جمدان ، بين أمج وعسـفان (١١) ، وبين قديد وعسفان (١٢) فهى تقع فى مثلث رؤوسه هذه الأماكن الثلاثة ، ويسوق الأزرقى رواية عن مسـير تبع إلى مكة مقررا أنه نزل فى بعض نواحى جمدان وهو فى طريقه إلى الحـرم (١٣) ، وفـى النفس من هذه الرواية شيء لأن جمدان فى شمال مكة ، وليست فى طريق تبـع هذا من اليمن إلى البيت الحـرام ويذكر القاضى عياض أن جمدان من منـازل أسـلم (١٤) ، وأسـلم هذه من خزاعة التى أشرنا إلى جوارها لهذيل فى هذه الأماكن ، وقد كان بينها وبين هذيل إحن وثارات بقيت مظاهرها إلى أوائل الإسـلام حتى بعـد اسـلام خزاعة (١٥) .

ومن أقرب هذه الأودية الشمالية الى مكة وادى سرف ، ويقع شـمال التنعـيم عـلى طـريق القوافـل الصادرة من مكة إلى المدينة ، وكان ينزل به بعض بنى لحيـان

---

(١) معجم ما استعجم ٣/٩٩٢

(٢) مشارق الأنوار ١/٥٨ ـ أخبار مكة ١/٧٩ .

(٣) معجم البلدان ٥/٢٩٦ .

(٤) الأصنام ص ١٤ ـ الزمخشرى : الكشاف ٣/١٤٥ ـ الألوسى : بلوغ الارب ٢/٢٠٢ .

(٥) الأزرقى : أخبار مكة ١/٧٤ . (٦) معجم البلدان ٨/١٦٧ .

(٧) البقية ٥٦ . (٨) معجم ما استعجم ٢/٥٦١ . (٩) معجم البلدان ٤/٩٦

(١٠) معجم ما استعجم ٢/٣٨٥ ـ مشارق الأنوار ١/١٦٩

(١٠) شرح أشعار الهذليين ١٦٧ (١١) أخبار مكة ١/٧٩ ، ٨٠ ، ١٥٦

(١٣) أخبار مكة ١/٧٦ (١٤) مشارق الأنوار ١/١٦٩

(١٥) أخبار مكة ٢/٩٧ وما بعـدها .

فى جوار بنى ليث بن بكر[1]، وكانت تقع قرية سرف على بضعة اميال من مكة . ويطن سرف سمى بعد ذلك بالنوارية، ويقع بين التنعيم ووادى فاطمة[2]، واغلب ما يطلق على سرف اليوم هو "مسجد ميمونة" فأطلاله هى الأثر الوحيد الباقى فى هذه الناحية[3].

وأهم أودية هذيل فى شرقى مكة وجنوبها الشرقى نخلة اليمانية، ونخلة الشامية، وهما واديان كبيران، ونخلة اليمانية هى مسلك حجاج جنوبى نجد والحساء وعمان واليمن . أما نخلة الشامية النافذة إلى ذات عرق، فهى مسلك حجاج العراق وشمالى نجد، وسكان هذين الواديين أغلبهم من هذيل[4]، وسيول نخلة اليمانية أعلاها من وادى قَرن، قريباً من قَرن المنازل ميقات حجاج نجد والتى تسمى الآن "السيل"[5]، ومن أودية نخلة اليمانية وادى يَدعان، وبه مسجد للرسول، وفى هذا الوادى عسكرت هوازن يوم حنين[6]، ويدعان لم يتغير اسمه للآن . وإن كان "أهل الحجاز قد أبدلوا ياءه جيماً فقالوا "جدعان"[7]، ومن قرى نخلة اليمانية الزَّيمة[8]، وهى لا تزال قائمة باسمها إلى اليوم فى طريق الطائف مجاورة لوادى حنين[9].

ويقول بعض الباحثين إن وادى نخلة هو المسمى الآن بالسيل الكبير[10]، ويبدو أن هذا قد يصدق على جزء من نخلة اليمانية وحدها، فهى الضاربة إلى الجنوب على هذا النحو، ثم إن السيل الكبير يقع فى جنوب الزيمة التى سبق أنها من قرى نخلة اليمانية وما قد يؤكد ذلك أيضا أنه لا يزال الطريق بين الزيمة وبين السيل الكبير يحمل اسم "دربه اليمانية"[11]، وقد مر الرسول بنخلة اليمانية منصرفه من حنين فى طريقه الى حصار الطائف[12].

ومن شعاب نخلة اليمانية أبام وأُبَيِّم وهما لهذيل[13]، وعُشَر وهو شعب لهذيل قرب مكة، يستمد ماءه من جبل داءة الذى يفصل بين واديى نخلة المذكورين[14].

(١) البقية [؟] ص ٢٨ (٢) الجامع اللطيف، ص ٢٩٥ (٣) فى منزل الوحى ٢٨٧ .
(٤) صحيح الاخبار ١/ ٣٠ ، (٥) اخبار مكة ٢/ ٢٥١ ، (٦) معجم البلدان ٨/ ٢٧٥ .
(٧) صحيح الاخبار ١/ ٣٦ ، (٨) القاموس، تاج العروس (زيم) .
(٩) فى منزل الوحى ٣١٦ ، (١٠) المرجع السابق ١٨٦ ، (١١) المرجع السابق ٣١٨ .
(١٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٨١ ، صحيح الأخبار ٢/ ١٣٨ .
(١٣) معجم البلدان ١/ ٦٩، ١٠١ ـ تاج العروس (أبم) .
(١٤) معجم البلدان ٦/ ١٧٩ ، تاج العروس (عشر) .

ومن هذه الشعاب الضُّمياًتان وهما شعبان آخران تجاه عشر ، ويجاورهما جبل يسمى المرقبة ، كان رقباء هذيل يرقبون فيه أعداءها وضحاياها[١] ، ولعله الجبل المسمى الآن بالمرقوب ، وهو آخر جبال نخلة اليمانية[٢] . ومن جبالها يسومان أو السومان كما يسميان عند أعراب هذه الجهات اليوم ، وهما جبلان يقعان على جانبي درب اليمانية من الزيمة والسيل الكبير عند نهايته في طريق الذاهب إلى الطائف[٣] ، ويفصل بينهما وبين الضمياتين جبل المرقبة السابق الذكر[٤] ، وقريبا من قرن المنازل تقع جبال مرخة التي لا زالت تحمل اسمها إلى هذا الحد[٥] ، وهما مرختان : شمالية وتسمى بالمرخة الشامية ، وجنوبية وتسمى بالمرخة اليمانية ، وكان بالشامية منهما بنوقريم بن صاهلة[٦] من الهذليين وبالمرخة اليمانية كان يقيم بنوعضل جيران هذيل[٧] ، هذا وتذكر بعض المراجع أن المرختين جميعا تعدان من منازل هذيل[٨] ، وقد ورد في البقية أن نخلة اليمانية عامة من منازل بني صاهلة[٩] .

أما نخلة الشامية تقع إلى الشمال من نخلة اليمانية ، ولعل سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة[١٠] ليترصد بها قريشا ويكون عينا للمسلمين عليهم كانت مهمتها هذه في نخلة الشامية فهي أقرب النخلتين إلى مكة والمدينة معا . وتأتي سيولها من ذات عرق بقايا حجاج العراق التي درست ، وفي مكانها اليوم " الضريبة " التي يُحرم منها حجاج العراق الآن[١١] .

والجبال الواقعة في أعالي نخلة الشامية بذات عرق وما يقاربها هي من بلاد نصر بن معاوية من هوازن ، ويشاركهم فيها غطفان ، وبنو نصر وغطفان أبناء عمومة ينتمون إلى قيس عيلان[١٢] ، ويجاورهم في أعلى نخلة الشامية هذه أبناء عمومتهم من بني سعد بن بكر الذين كانوا أظآرا للنبي[١٣] ، وبعض بني سعد هؤلاء كانوا جيرانا لبني سهم من هذيل[١٤] ، ويسكن في نواحي نخلة الشامية

---

(١) معجم البلدان ٥/ ٤٤٣ ـ صحيح الاخبار ٢/ ١٤٨ . (٢) المرجع السابق ٢/ ١٤٩ .
(٣) في منزل الوحي ٣١٩ . (٤) معجم البلدان ٥/ ٤٤٣ ، ٨/ ٢٧ ، ٢٨ .
(٥) صحيح الأخبار ٢/ ١٤٨ . (٦) معجم البلدان ٨/ ١٩ . (٧) ديوان الهذليين ٣/ ٤٠ .
(٨) الصباب الزاخر ورقة ٤٨ . (٩) البقية ص ٣٤ . (١٠) صحيح الأخبار ١/ ٣٥ .
(١١) في منزل الوحي ٣٨٢ . (١٢) تاج العروس (بس) .
(١٣) معجم البلدان ٨/ ٢٧٥ . (١٤) البقية ص ٥٤ .

من هذيل أيضا بنو معاوية (١)، ويؤكد ذلك شعر صخر الغي من شعراء هذيل (٢)، ثم ان مالك ابن عوف النصرى، وهو — كما مر — من جيران هذيل، قد أغار على بني معاوية هؤلاء في هذه الأماكن، ولأبي ذؤيب شعر في هذه المناسبة (٣)، ومالك بن عوف هذا كان قائد هوازن يوم حنين وقد أمر النبي بهدم حصن له وهو في طريقه الى الطائف (٤)، ومن كان ينزل أيضا في نخلة الشامية من الهذليين بعض بني خناعة، ولا سيما بني عامر بن سعد بن الخناعي (٥)، وفي شمالي وادي نخلة الشامية تقع صوائق " وهي جبال حجازية واقعة بين بلاد هذيل وبلاد بني سليم، وهي باقية على هذا الاسم إلى اليوم (٦).

وتجتمع سيول الواديين جميعا " نخلة الشامية ونخلة اليمانية " عند المكان المسمى بالسد أو بستان ابن معمر الذي يسميه الناس بستان ابن عامر، فهناك يجتمع الواديان في بطن مَرّ (٧) حيث يكونان واديا واحدا هو وادي مر أو مر الظهران الذي أخذ اليوم اسما جديدا هو " وادي فاطمة " ويستمر حتى يصب في البحر الأحمر (٨).

ومر الظهران يقع شمالي مكة بينها وبين عسفان، وهو المرحلة الأولى في طريق المدينة، ومن مر إلى سرف سبعة أميال، وإلى مكة ثلاثة عشر ميلا (٩) وينقل ياقوت عن عرام ان "مَرًّا" القرية، "والظهران" الوادي وأن "بمر" عيون كثيرة ونخل وجميز، وهي لأسلم وهذيل وغاضرة (١٠)، وسهل ساية (أو السي كما يعرف اليوم) — وقد سبق الحديث عنه قريبا — بين عسفان وغران — ينحدر ماؤه جهة الغرب ويصب في أعلى وادي فاطمة، وساية نخيل ومزارع وسكانه بنو سليم (١١) ومر الظهران كان ينزل بعض كنانة، ولهم فيها سوق هي لبني الدئل منهم خاصة (١٢) وبه منازل كعب من خزاعة إلى جانب هذيل (١٣)، وقريبا من مر الظهران يقع وادي الصفراء أو الصفراوات (١٤) وهو الآخر لهذيل (١٥).

وهناك بعض مصورات توضيحية، يتضح منها مكان هذيل بين القبائل العربية المعروفة في مختلف أنحاء الجزيرة ثم مكان هذه القبيلة وبطونها المشهورة مع جيرانها الأدنين ممن تأثرت بهم أو أثرت فيهم من بين قبائل العرب.

---

(١) شرح أشعار الهذليين ٣١ (٢) ديوان الهذليين ٢/٢٣٦ (٣) ديوان الهذليين ١/١٦٤

(٤) معجم ما استعجم ٤/١١٦٧ (٥) البقية ٥٨ (٦) صحيح الأخبار ١/١٧٨، ٣٨٢

(٧) الصحاح (سدد) (٨) صحيح الأخبار ١/٣٥ (٩) معجم ما استعجم ٣/٩٥٧

(١٠) معجم البلدان ٦/٩٠، ٨/٢١ — صحيح الأخبار ٢/١٣٧ — تاج العروس (ظهر)

(١١) صحيح الأخبار ١/١٢٨ (١٢) أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ٣٣٤ — معجم البلدان ٧/٢٨٩ القاضي عياض مشارق الأنوار ١/٣٩٤ (١٣) تاج العروس (طرق)

(١٤) مشارق الأنوار ٢/٣٥ (١٥) ديوان الهذليين ٣/٦١

بهراء
نمير
كلب
ربيعة
تغلب
بكر بن وائل
أسد
تميم
طيئ
فزارة
مزينة
جهينة
بلي
الأنصار
غطفان
عامر
كلاب
عقيل
غنى
هوازن
سليم
هذيل
خزاعة
باهلة
ضبة
سعد بن بكر
قريش
هذيل
ثقيف
شنوءة
خثعم
الأزد
مذحج
بلحارث
همدان
نهد
زبيد
حمير
خليج عدن
بحر فارس
عبد القيس
أزد عمان
بحر القلزم (البحر الأحمر)

مصور توضيحي للقبائل الهذلية ومنازلها وجيرانها في شمال مكة وشرقها وجنوبها الشرقي

المدينة

ذو الحليفة

الأبواء

رابغ

الجحفة

لحيان

القديد

جندع بن ليث

الرجيع

لحيان

بنو المصطلق

بنو سليم

بنو سليم

غطفان وسعد بن بكر

ونصر بن معاوية (من هوازن)

هذيل

النعيم

بنو سدوس

لحيان

هذيل

بنو الديل

كعب من خزاعة

لحيان

نخلة اليمانية

بنو عضل

هذيل صاهلة

مكة

البحر الأحمر

الهذليون وجيرانهم في
جنوب مكة ونحوها الشرقي

نخلة اليمانية
هذيل وسعد بن بكر
مكة
منى
مزدلفة
هذيل ذو المجاز
وادي عرنة
هذيل (منهم بعض لحيان و...)
عرفات
هذيل وكنانة
بنو قريم بن صاهلة
بنو الليم
وبنو زليفة
وادي نعمان
بنو واثلة بن مطحل
القدم من بني ... من هذيل
بنو عمرو بن الحارث
هذيل وادي السرح هذيل
وادي الليث هذيل
هذيل وفهم وبنو قريم
ثقيف بنو صاهلة

والآن قد عرفنا مواطن هذيل بعامة ، وبعض مواطن بطونها المشهورة بخاصة ، وحددنا تلك المواقع التي سكنتها تلك القبيلة وبعض جيرانها من خزاعة وكنانة وسعد بن بكر وهوازن وغطفان وغيرها ، وذلك في منطقة من الحجاز ، من حدود عسير تقريبا في الجنوب إلى ما بعد عسفان شمالا ، وتلك كانت مساكنهم في الجاهلية ، ولكن ينبغي أن نلم بمواطنهم في الإسلام استكمالا للبحث في هذا الموضوع .

(ثانيا) مواطن هذيل في الإسلام

يذكر بعض المؤرخين أن هذيلا تفرقت بعد الإسلام على الممالك ، ولم يبق لهم في الجزيرة العربية حي يطرق[1]، وهذا كلام فيه كثير من المبالغة والشطط ، فالحق أنه وإن كان كثير منهم قد فارقوا الحجاز وتهامة إلى بلاد الإسلام الأخرى ، فإنه قد بقي عدد منهم في منازلهم بالحجاز بعد الإسلام ، ففي صلة تاريخ الطبري أن الجنابي زعيم الخوارج صعد إلى سطح الكعبة ، ليقلع الميزاب ، فرماه بنو هذيل الأعراب من جبل أبي قبيس بالسهام فأزالوهم عنه[2] وفي " الرحلة الحجازية " نجد أن هذيلا لا تزال تسكن الجبال بين مكة والطائف ، وأن عددها الآن يناهز عشرة الاف نفس ، وأن بني لحيان بين مكة وجدة وعددهم ألف وخمسمائة . والدكتور هيكل في تطوافه ببادية الطائف يطلعنا على أن بعض الجبال في هذه الجهات ، ومن بينها جبال الطلحات يقيم فيها بعض قبائل الطلحات إحدى بطون هذيل في هذا العصر .

فالحق أن هذيلا ، أو ما بقي منها في بوادي الحجاز بعد الإسلام لا يزالون يسكنون في مواطنهم القديمة منذ العصر الجاهلي ، وكل ما هنالك أنه من المحتمل أن يكونوا قد انحسروا عن بعض هذه المواطن[3].

---

(١) تاريخ ابن خلدون ٢/ ٣١٩ _ معجم القبائل العربية القديمة والحديثة ٣/ ١٢١٣

(٢) صلة تاريخ الطبري ص١٣٧ .

(٣) انظر الهمداني . صفة جزيرة العرب ص١٧٣ .

ولكنهم مع هذا ، لا يزالون يحتلون مواطن كثيرة مما كان لهم منذ الجاهليـــة الأولى ، فيذكر بعض الباحثين أن هذيلا " باقية في منازلها من العهد الجاهلي إلى هذا العهد في وادي نخلة اليمانية وجبالها ، ووادي نخلة الشامية وجبالها ، وتمتد منازلهم إلى عسفان شمالا ، وجنوبا إلى وادي حنين " ، وإن كان يذكر أن بني لحيان منازلهم الآن داخل الحرم من الأميال إلى مكة ، وما بين الشعيبي ووادي فاطمة ، ويقرر أن هذه كانت منازلهم منذ العهد الجاهلي(١)، وفي هذا تساهل كبير ، فما عرف أحد أن بني لحيان كانوا يسكنون داخل الحرم في العصر الجاهلي . هذا وقد نقل عنه الدكتور جواد علي أن مساكن بني لحيان تقع في العصر الحاضر داخل حدود الحرم(٢) ، ولكنه لم يشر إلى أن هذه كانت مساكنهم في الجاهليــة .

ويذكر صاحب المنجد أن " مواطنهم في يومنا هذا حول الطائف في جبل قسره وفي ظواهر مكة(٣)" والحق أنه ليس هنالك جبل يسمى بهذا الاسم ، وإنما هو جبل كراء الذي سبقت الإشارة إلى أنه أحد سلاسل الجبال المحيطة بالطائف (كر وكراث والهدة) ، ويبدو أن صاحب المنجد قد ترجم عبارته عن مقـــال " هذيل " في دائرة المعارف الإسلامية – وملامح عبارته هي ملامح المقــال مع الاختصار والإيجاز – ومن هنا جاء اسم هذا الجبل عنده محرفا، إذ حرف مرة في الترجمة من العربية إلى الانجليزية ، وأخرى من الانجليزية إلى العربية نظرا لاختلاف الأصوات والحروف وطبيعة النطق في كل من اللغتين(٤).

وقد كانت هذيل في العصر الجاهلي يلم بعض أفرادها بالحضر القريب منها(٥) في مكة والمدينة وغيرهما ، كما كان يفعل الأعراب الآخرون ، ولكنها منذ فجر الإسلام لم تعد صلاتها بالحضر مقصورة على ذلك ، وإنما بدأت جماعات من الهذليين تستقر في هذا الحضر ولا سيما مكة والمدينة . فيذكر ياقوت أنه " لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة مهاجرا أقطع الناس الدور والرباع فخط لبني زهرة في ناحية من مؤخرة المسجد .... وجعل لعبد الله وعتبة ابني مسعود الهذليين الخطة المشهورة بهم عند المسجد(٦) . وقد ازداد مع الأيام عدد هؤلاء الهذليين بالمدينة سواء

---

(١) صحيح الأخبار ٢/ ١٨٦ (٢) تاريخ العرب قبل الإسلام ٣/ ٤٢٩ .
(٣) المنجد ٥٥٠ . (٤) انظر Encyclopaedia of Islam Vol 2. Hudhail 329
(٥) الإصابة ٢/ ١٥١ (٦) معجم البلدان ٧/ ٤٣٠ – طبقات ابن سعد ٣/ ١٠٨ .

من النازحين إليها أم من أبنائهم وأحفادهم الذين شبوا ونشأوا في ظلال هذا المجتمع الجديد . فقد نجد من المسعوديين بالمدينة بعض الأعلام من العلماء والشعراء كعبيد الله بن عبد الله بن عتبة[١]، ووالده عبد الله بن عتبة العالم المحدث[٢]، ولم يكن ذلك أمراً مقصوراً على المسعوديين وحدهم ، فقد كان بالمدينة كثير من الهذليين الآخرين منهم مسلم بن جندب الذي كان قاضي مسجد الرسول وكان إمامهم وقارئهم[٣]، وهو أستاذ نافع بن أبي نُعيم[٤]، وعبد الله بن مسلم ابن جندب الذي كان إمام مسجد الأحزاب فيها[٥]، والبريق الهذلي الشاعر[٦]، وأبو عمرو عبد الله بن الحارث الهذلي العالم الراوية[٧]، والنضر بن سفيان الهذلي[٨]، وأُصيل بن عبد الله الهذلي[٩] وجندب بن سلامة الهذلي الذي أدرك الجاهلية ، وكان تاجراً بالمدينة في عهد عمر[١٠].

فالهذليون الذين أقاموا بالمدينة في صدر الإسلام وبعده كثيرون ، وهذه أمثلة لم يقصد منها الحصر والإحصاء .

وقد كان يقيم في مكة أيضاً كثير من الهذليين فيذكر صاحب أخبار مكة أنه "كان يقيم في مكة آل أبي طَرَفة الهذليين ، وكان لهم جانب من رباع بني عامر ابن لؤي ، ومن دورهم هناك دار أبي طرفة ، ودار الطلحيين[١١]" ، وقد كان لكثير من هؤلاء الهذليين عطاء في خلافة ابن الزبير ، ومنهم أبو صخر الهذلي الذي كان هواه مع بني أمية ، وكثيراً ما كان يمدحهم[١٢] ، ولذلك عندما دخل في هذيل منعه ابن الزبير عطاءه فهجاه[١٣].

ولم يكن هذا شأن الهذليين في مدن الحجاز المشهورة وحدها مثل مكة والمدينة ، بل نزح كثيرون منهم إلى الأقاليم الإسلامية الأخرى في الشرق تحت راية الفتح الإسلامي وفي ظلاله ، شأنهم شأن الكثيرين من العرب ، ومنهم من رحل إلى هذه الأقطار بدافع من العلم ، أو في ركاب السياسة والحكم .

---

(١) سمط اللآلي ٢/ ٧٨١ ـ العقد الفريد ١/ ٢٠٤ . (٢) شذرات الذهب ٨١/١
(٣) البيان والتبيين ١/ ٣٧٧ (٤) إنباه الرواة ٣/ ٢٦١ . (٥) معجم البلدان ١/ ١٣٦
(٦) البقية ص ٧٠ ـ المؤتلف والمختلف ٢٦٨ . (٧) معاهد التنصيص ٢/ ١٦٨ .
(٨) أسد الغابة ٥/ ١٨ (٩) المرجع السابق ١/ ١٠١ (١٠) الإصابة ١/ ٢٧٥ .
(١١) الأزرقي : أخبار مكة ٣١٣ (١٢) الخزانة ٣/ ٢٣٧ ـ تاج العروس (ربع) .
(١٣) الخزانة ٣/ ٢٣٧ .

ثم هم في أصل حياتهم بدو رحل لا يعرفون الاستقرار ، وقد كان أجدادهم يرحلون في بادية كلها أو جلها خشونة وشظف ، فلا عليهم أن يرحلوا هم أيضا إذا كانت رحلاتهم ستنتهي بهم إلى شيء من الراحة والدعة في ظل هذا المجتمع الجديد . ولهذا كله ألقوا عصاهم في كثير من الأمصار الإسلامية فمنهم من ذهب إلى نيسابور(١) ، وإلى نصيبين(٢) ، وإلى مكران (٣) ، ثم إلى حلب(٤) وحمص(٥) ، والجلتة(٦) ، واللاذقية(٧) ، من بلاد الشام ، وكذلك بعض بلاد اليمن(٨) ، ولكن أهم الأقاليم الإسلامية التي رحلوا إليها ، وكان لهم في بعض جوانب الحياة فيها شأن إنما هي العراق والمغرب ومصر .

الهذليون في العراق

لا تخلو أمصار العراق المعروفة من وجود هذليين يشاركون في مجتمعها ، والعراق إقليم إسلامي له من الخصائص ما جعل أفئدة كثيرين من العرب تهوى إليه ، وأهم أمصار العراق ، وأجدرها بالنظر في هذا الشأن : الكوفة والبصرة وبغداد .

الكوفة :

كانت الكوفة من أكثر الأمصار الإسلامية استقبالا للرافدين من هذيل ، وربما كانت من أشدها تأثرا بهم ، فقد كان رأس الوافدين إليها من هؤلاء الهذليين عبد الله بن مسعود الذي ولاه عمر بيت المال فيها(٩) ، فنزل بها وابتنى فيها دارا إلى جانب المسجد(١٠) ، وقد كان لابن مسعود منزلة علمية رفيعة ، فأقبل عليه الكوفيون يأخذون عنه العلم ، وكأنما قد زادهم تحديا به ، وإقبالا عليه ، ما رأوه من تقدير الخلافة له ، وإعظامها لشأنه ، فقد كتب إليهم أمير المؤمنين عمر : " إني بعثت إليكم بعبد الله بن مسعود معلما ووزيرا ، وآثرتكم به على نفسي فخذوا عنه(١١) " ، وإلى جانب كونه فقيها محدثا كان من

---

(١) شذرات الذهب ٣/ ٢٠٨ (٢) البيان والتبيين ١/ ٣٠٣ .
(٣) البلاذري ، فتوح البلدان ص٤٣٨ ، (٤) طبقات القراء ٢/ ٢٠٠ .
(٥) الإصابة ٦/ ١٨٥ (٦) البخيمة ٤١٠ (٧) طبقات القراء ١/ ٣٧٧ .
(٨) تاج العروس (حجر) . (٩) الأخبار الطوال ١٢٩ ، الزركلي : الاعلام ٢/ ٥٨٥ .
(١٠) طبقات ابن سعد ١٠/ ١١ . (١١) المرجع السابق ٣/ ١١١ .

الأعلام المشهورين في علوم القرآن وقراءاته ، وقد كان له مصحفه وقراءته التي يمكن إعتبارها مفتاحا للهجة الهذلية ، وقد أقبل عليه الكوفيون ، وتتلمذوا عليه في هذا الفرع من الدراسات القرآنية ، وقد كان كثيرون منهم يفضلون قراءته على غيرها [1] . بل كانوا يتعصبون لها تعصبا كبيرا ، فتخرج منهم على يده ويد تلاميذه كثير من مشاهير علماء القراءات في الكوفة من أمثال زر بن حبيش تلميذ ابن مسعود نفسه ، وأبي بكر بن عياش ، وعاصم بن أبي النجود أحد القراء السبعة ، وشيخ الإقراء بالكوفة في عهده [2] ، ومنهم سليمان بن مهران الأعمش [3] ، ويحيى بن وثاب وأستاذه مسروق [4] ، وطلحة بن مصرف [5] ، وغيرهم كثير [6] ، والربيع ابن خيثم الكوفي التابعي أخذ القراءة عن ابن مسعود [7] ، وأبو عمرو الشيباني الكوفي الذي كان يقرئ الناس بمسجد الكوفة له رواية عن ابن مسعود أيضا [8] ثم إن حمزة وهو أحد القراء السبعة تنتهي قراءته الى ابن مسعود [9] ، والمفضل الضبي العالم النحوي اللغوي الراوية كان من القراء الذين أخذوا عن عاصم والأعمش [10] ، وكلاهما ـ كما سبق ـ تنتهي قراءته إلى ابن مسعود [11] .

وهكذا نجد أن تلاميذ ابن مسعود من قراء الكوفة أكثر من أن نحصيهم عدا ، ومن هؤلاء بعض الهذليين أنفسهم مثل أبي عبيدة بن معن بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن مسعود الذي روى القراءة عن الأعمش [12] ، ومحمد بن أبي عبيدة هذا هو قد روى القراءة عن حمزة [13] .

وكثيرا ما نجد أن علماء اللغة والنحو في الكوفة من القراء ، وربما كان كثيرون منهم من مدرسة ابن مسعود نفسه ، كالمفضل الضبي وأبي عمرو الشيباني ، وقد سبقت إليهما الإشارة ، والفراء النحوي الكوفي المشهور ، روى القراءة عن أبي بكر بن عياش وعلي بن حمزة الكسائي [14] ، ومحمد بن الحسن بن يونس أبو العباس الهذلي المعدود في نحاة الكوفة كان هو الآخر من القراء [15] . بل إن رأس مدرسة الكوفة النحوية وهو الكسائي هو نفسه من القراء السبعة المعروفين .

---

(١) طبقات القراء ٢/ ٣٨٠ (٢) المرجع السابق ١/ ٣٤٦ (٣) المرجع السابق ١/ ٣١٥
(٤) المرجع السابق ٢/ ٢٩٤ (٥) المرجع السابق ١/ ٣٧٧ (٦) المرجع السابق ١/ ٣٧٧، ٢٥٨ (٧) المرجع السابق ١/ ٢٨٣ (٨) شذرات الذهب ١/ ١١٣ ـ طبقات القراء ١/ ٣٥٤ ـ (٩) طبقات القراء ١/ ٢٥٨ .
(١٠) المرجع السابق ٢/ ٣٠٤ (١١) المرجع السابق ١/ ٤٥٨ (١٢) المرجع السابق ١/ ١٠٢
(١٣) طبقات القراء ١/ ٦٠٢ (١٤) طبقات القراء ٢/ ٣٧٠ (١٥) البغية ص ٣٦ ـ طبقات القراء ٢/ ٢٩، ٢٨٩

ولهذا كانت القراءات بعامة ، وقراءة ابن مسعود بخاصة ، ذات أثر عميق في المدرسة الكوفية ، حتى أنهم ـ على عكس البصريين ـ يعتدون بها ، إلى جانب الشعر ، مصدرا هاما من مصادر النحو الكوفي ، فهم من أكثر الناس إدراكا لفضل هذه القراءات والاعتداد بها في النحو واللغة ، لما يحوطها من سياج يبعد بها عن الوضع والانتحال اللذين قد يستهدف لهما الشعر ، وعن الخطأ ـ أحيانا ـ في الرواية عن الأعراب الذين قد لا تحسن نيتهم في كل ما يرويه عنهم علماء اللغة ورواتها .

وقد كان من علماء الكوفة الهذليين ، ذلك النحوي اللغوي علي بن حازم ، " اللحياني " الذي أخذ عن الكسائي وغيره ، وأخذ عنه أبو عبيد القاسم بن سلام وهو من بني لحيان بن هذيل[١] ، ومنهم عبد الله بن عتبه بن مسعود وكان قاضيا لمصعب بن الزبير على الكوفة[٢] ، وعون بن عبد الله بن عتبه الذي كان راوية ناسبا شاعرا[٣] ، وعبد الرحمن بن عبد الله بن عتبه من المحدثين[٤] ، والقاسم ابن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود الذي كان من علماء الكوفة بالعربية والفقه والحديث والشعر والأخبار[٥] ، وكان قد ولي القضاء بالكوفة[٦] وكان أستاذا لابن الأعرابي من الكوفيين البارزين[٧] .

وهكذا كانت بيئة الكوفة غنية بآثار الهذليين وتلاميذهم في اللغة والعلم والأدب جميعا .

البصرة :

نزل البصرة من الهذليين عدد ليس بالقليل ، ولكن الآثار التي نجدها لهؤلاء الهذليين فيها أقل من نظائرها في الكوفة ، لأن حظ البصرة من النابهين من هذيل كان أقل من حظ الكوفة منهم ، وقد كانت هذه الآثار في ميدان غير ميدان البحث النحوي واللغوي وقراءات القرآن الكريم ، فقد إتفق أن كان أغلب هؤلاء من المحدثين

---

(١) معجم الأدباء ١٤/ ١٠٦ ، البغية ص ٣٤٦ ـ تاريخ العرب قبل الإسلام ٣/ ٤٢٩ ،
(٢) طبقات ابن سعد ١٠/ ٨٢ = أسد الغابة ٢/ ٣١٦ ـ الإصابة ٤/ ١٠٠ .
(٣) البيان والتبيين ١/ ٣٤٣ . (٤) شذرات الذهب ١/ ٢٤٧ .
(٥) البغية ص ٣٨١ ، معجم الادباء ١٧/ ٥ (٦) الزبيدي : الطبقات ص ١٤٦ ، معجم الأدباء ١٧/ ٥ (٧) معجم الأدباء ١٨/ ١٨٩ .

المقلين من أمثال أبي المليح الهذلي[١]، الذي كان عاملا على الأبلة، وكان يشهد الجمعة في البصرة، وهو من المعدودين في البصريين[٢]، ومحمد بن أبي المليح الذي ذكره ابن حبان في الثقات، وذكر أنه قد روى عنه البصريون[٣] وأبو عزة الهذلي[٤]، وهو صحابي من بني طابخة بن لحيان[٥]، ونبيشة الخير، وهو الآخر صحابي من بني لحيان[٦]، وحمل بن مالك بن النابغة من بني طابخة ابن لحيان أيضا، وهو من أصحاب الرسول، وكان قد استعمله النبي على صدقات هذيل، وقيل إنه روى عنه ابن عباس[٧]، ثم نزل البصرة بعد فتح العراق وأقام فيها[٨]، وروح ابن عبد المؤمن أبو الحسن الهذلي النحوي[٩] الذي قرأ على إمام البصرة يعقوب بن أبي إسحاق الحضرمي، وكان إماما ثقة روى عنه البخاري[١٠]، ومن هؤلاء الهذليين البصريين أبو بكر الهذلي الذي كان من العلماء بأيام العرب وأنسابها، وكان يروي هذا العلم عن قتادة[١١].

وقد كان بالبصرة من القراء صافي الدين الهذلي[١٢]، وهو ليس فيما أعلم — من مشاهير القراء المعروفين. ثم إنه قد ألم بالبصرة أبو القاسم الهذلي صاحب كتاب الكامل في القراءات، فقرأ على بعض شيوخها[١٣].

وممن نزل البصرة العلاء بن شريك الهذلي، وكان عبد الملك قد أقطعه أرضا هناك، وكان في الأرض نهر صغير سمي باسمه[١٤].

هذا وقد كان للهذليين بالبصرة خطة لسكناهم وإقامتهم، وفيها درب كان يعرف بدرب الحبش (نسبة إلى حبش أسكنهم عمر بالبصرة). وكان يلي هذا الدرب مسجد أبي بكر الهذلي[١٥].

---

(١) صحيح مسلم ٣/ ١٥٣ (٢) طبقات ابن سعد ١١/ ١٥٩
(٣) ابن حجر: تعجيل المنفعة ٣٧٨ (٤) طبقات ابن سعد ١١/ ٥٦.
(٥) أسد الغابة ٥/ ٢٥٣ (٦) أسد الغابة ٥/ ١٣ — الإصابة ٦/ ٢٣١.
(٧) تاج العروس "حمل" (٨) الإصابة ٢/ ٣.
(٩) مناهل العرفان ٤٥٦، طبقات القراء ١/ ٢٨٣.
(١٠) طبقات القراء ١/ ٢٨٣ (١١) المزهر ٢/ ٢١٠ — إنباه الرواة ٣/ ٣٥.
(١٢) طبقات القراء ٢/ ٢٥٥ (١٣) المرجع السابق ١/ ٤٧٣.
(١٤) البلاذري: فتوح البلدان ص٣٥٤، معجم البلدان ٨/ ٣٩١.
(١٥) معجم البلدان ٣/ ٤١٠.

بغداد

إذا كان الهذليون أقل إبحاثا وأضعف نشاطا وآثارا في البصرة منهم في الكوفة ، فإنهم لكذلك في بغداد ، وربما كان شأن معظمهم فيها أقل من شأنهم في البصرة . وأغلب من نزل بغداد على أي حال أصلهم من البصريين أو الكوفيين الذين جذبهم مجتمع بغداد ، تلك المدينة الناشئة في ظل الخلافة العباسية . ومن الهذليين النازلين بها أبوبكر الهذلي العالم الإخباري الذي قد سبق الحديث عنه في البصرة ، والذي قد نزل بغداد في خدمة البلاط العباسي في عهد السفاح [١] والمنصور [٢] . ومنهم أبو معمر الهذلي من المحدثين [٣] وقد حدث عنه بعض البغداديين [٤] ، وعبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الذي ذكر في الكوفيين ، ولكنه نزل بغداد ، وتوفى بها ، وكان ـ كما يقول ابن سعد ـ ثقة كثير الحديث [٥] .

هذا وقد ألم ببغداد أبوالقاسم الهذلي ، في تطوافه بالأمصار الإسلامية طلبا للعلم ـ فقرأ على بعض شيوخ القراءات بها [٦] . ولعل من أهم الهذليين في بغداد ، المسعودي المؤرخ الرحالة البحاثة الذي أقام في مصر مدة [٧] ، وهو من ولد عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، وصاحب مروج الذهب المعروف بين كتب التاريخ .

الهذليون في المغرب

لعل أول عهد للهذليين بالمغرب هو خروج عدد منهم في جيش عبد الله بن سعد بن أبي السرح لغزو إفريقية [٨] ، وكان من هؤلاء أبو ذؤيب الهذلي الشاعر المخضرم المعروف ، وذلك بعد سنة ٢٦ هـ ، ٦٤٦ م [٩] ، وكان في هذه الغزوة عبد الله بن الزبير ، وقد أرسله القائد إلى عثمان بشيرا بفتح قرطاجنة ، وكان في صحبته أبو ذؤيب ، فأدركته منيته في مصر [١٠] أو في المغرب نفسه كما تقول بعض المصادر [١١] .

---

(١) الأبشيهي ، المستطرف ١/ ١٣٨ (٢) المرجع السابق ١/ ١٣٠ ، ١١٨ .
(٣) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٦ ـ العقيدة والشريعة لجولد تسيهر ص ١٣٣ .
(٤) معجم البلدان ٧/ ١٣٠ (٥) الطبقات ١٠/ ٢٥٤ . (٦) طبقات القراء ١/ ٦٣ ، ١٤٦
(٧) الأعلام ص ٦٦٦ (٨) الإصابة ٧/ ٦٤ (٩) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١/ ١٦٩ ـ
Encyclopaedia of Islam, vol. 1, P 83 .
(١٠) أسد الغابة ٥/ ١٨٩ (١١) الإصابة ٢/ ١٨٤ ـ الشعر والشعراء ١٥٤ ـ
حسن المحاضرة ١/ ١٠١ .

هذا شأن الجيش الفاتح فى الصدر الأول للإسلام ، ومن كان ينضوى تحت لوائه من هذليين وغيرهم • ولكنا بعد هذا نجد فى المغرب كثيرا من الهذليين ومنهم من يرجع نسبه إلى أبى ذؤيب نفسه [١] ، ويذكر ابن خلدون أنه "كان منهم – فى أيامه – قبيلة " بنوا حى باجة يعسكرون مع جند السلطان ويؤدون المغرم" [٢] فلعل بعض هؤلاء الفاتحين قد بقى منهم من بقى ، ونزح إليهم أيضا من نزح وهذا هو الذى حدث بالقياس إلى الهذليين وغيرهم فى مصر والعراق ، وفى سائر الأقاليم الإسلامية الجديدة ، ولهذا وجد بعض أبناء هؤلاء الهذليين وأحفادهم فى مختلف نواحى المغرب •

وتحدثنا المراجع أنه كان من بين هؤلاء الهذليين الأحفاد علماء فى النحو واللغة والقراءات وغيرها ، ومن هؤلاء العلماء عيذون الهذلى [٣] ، وحفيده على بن عبد الجبار بن سلامة بن عيذون الهذلى التونسى ، ولد بتونس سنة ثمان وعشرين وأربعمائة [٤] ، وكان إماما عظيما فى اللغة ، حتى قيل إنه لم يكن فى زمانه أعلم منه بها [٥] رحل إلى صقلية ، وأخذ عن ابن القطاع الصقلى ، ولقى بها ابن رشيق القيروانى صاحب كتاب العمدة ، ثم رحل بعد إلى الإسكندرية ، وبها كانت وفاته [٦] ، ومنهم يوسف بن على بن جُبارة المغربى البسكرى النحوى القارىء الرحالة الذى طاف بكثير من البلاد فى طلب القراءات [٧] ، وهو صاحب كتاب الكامل المشهور عند أهل هذا العلم • ونسبه فى طبقات القراء " البشكرى " وهو تصحيف إذ هو منسوب إلى بسكرة بلدة بالمغرب من نواحى الزاب • ومن هذه المدينة أيضا زليلس بن هديد الذى يرجع نسبه إلى أبى ذؤيب الهذلى ، وكان من علماء النحو والقراءة ، رحل إلى الشرق وسمع من علمائه [٨] ، ومنهم فضل ابن أحمد الهذلى القارىء الذى روى القراءة عن يعقوب الحضرمى [٩] • ويحيى ابن عبد الله التطيلى الهذلى الأصل الغرناطى الأديب الشاعر ، وقد ذكر السيوطى أنه كان عالما بالنحو واللغة والتاريخ والعروض [١٠] •

وإذا تتبعنا هؤلاء الهذليين من العلماء والأدباء بحثا واستقصاء ، وجدنا منهم بالمغرب العدد الكثير •

---

(١) معجم البلدان ٢/ ١٨٢ (٢) تاريخ ابن خلدون ٢/ ٣١٦ – معجم قبائل العرب ٨/ ١٣ ٢
(٣) تاج العروس (عوذ) • (٤) معجم الأدباء ١٤/ ٨ وما بعدها •
(٥) إنباه الرواة ٢/ ٢٩٢ – البغية ٣٤٠ (٦) إنباه الرواه ٣٥/ ٩٠
(٧) طبقات القراء ١/ ٦٣ ، ٣٧٥ ، ٤١٤ ، ٥٢٣ ، ٥٣٥ – ٢/ ٧٩ ، ١٣٢ –
ابن الجزرى ، غاية النهاية ٢/ ٣ – القراءات الشاذة ص١٧ •
(٨) معجم الأدباء ١/ ١٨٢ ، ٢٠/ ٦١ ، ٦٢ (٩) طبقات القراء ٢/ ٨
(١٠) بغية الوعاة ص٤١٢

الهذليون في مصـــــر

تقدم بعض الهذليين مصر جندا في الجيش الفاتح بقيادة عمرو بن العاص في عهد عمر[١]، وبعد أن تم للمسلمين الفتح أمر عمرو المسلمين بالبناء حـــــول فسطاطه، ففعلوا واتصلت العمارة بعضها ببعض وسمي مجموع ذلك الفسطاط[٢]. وقد كان بالفسـطاط خطط وأحياء لمختلف القبائل العربية التي شاركت فـــي الفتح[٣]، والقبائل التي لم يكن لها عدد يمكن أن يقوم بنفسه في خطة باسمها، وكرهت أن تدعى باسم قبيلة غيرها، جعل لهم عمرو بن العاص راية لم ينسبهـــا الى أحد، فسميت خطتهم مجتمعين بخطة أهل الراية، وهم جماعة من قريـــش والأنصار وخزاعة وأسلم، وغيرهم، ولم يكن من بينهم هذيل، وفي هذا ما يـــدل على أنها – وإن فاقها غيرها من بعض القبائل العربية في عدد الفاتحـــين من أبنائها – لم يكن عدد الفاتحين منها قليلا، فكان لها وحدها خطة باسمها، ولم تكن من بين أهل الراية هؤلاء[٤]، وكانت خطة هذيل مجاورة لخطة بني شبابة من قبيلة فهم القيسية[٥]، ويذكر المقريزي أن من خطط الفسطاط كانت خـــطط الحمراوات الثلاث، وأنها خطط بلى وفهم وعدوان وبعض الأزد وهذيل وغيرهم . ثم يذكر أن خطة هذيل كانت من مساكن خطة الحمراء الوسطى من بين هـــذه الحمراوات الثلاث، ويجاورهم فيها خطة بعض الأزد وخطة عدوان من قيس[٦]. فكما قدر لهذيل أن تكون مساكنها في الجزيرة العربية مجاورة لبعض القبائـــل مثل فهم وعدوان وغيرهما لا فهي هنا أيضا تجاور بعض أولئك وهؤلاء فـــي مساكنهم بالفسطاط، فهل هذا محض اتفاق أم أن النفوس تهفو دائما إلى الـــــ ـى من ألفت كما يقضي بذلك ناموس الحياة .؟

ويذكر ابن عبد الحكم أنه إذا جاء وقت الربيع واللبن كتب عمرو إلى كـــل قوم بربيعهم ولبنهم إلى حيث أحبوا فكانت هذيل تأخذ في جهة بوصير، وكانـــت عدوان تأخذ أيضا في بوصير[٧]، ونجد مثل هذا تماما عند المقريزي في خططـــه وفي الخطط التوفيقية أيضا نقلا عن المقريزي[٨] وهنا يؤكد التجاور بين هذه القبائل المتقاربة في طباعها وأرضها في البيئة الجديدة .

---

(١) ديوان الهذليين ٢/ ٢٥٦ – الإصابة ١/ ٨، ٣٢، ٧/ ١٤٣ ...

(٢) حسن المحاضرة ١/ ١٢١ (٣) فتوح مصر ص ٩٨ (٤) المقريزي، الخطط ١/ ٢٩٦ .

(٥) فتوح مصر ص ١٢٠ (٦) المقريزي، الخطط ١/ ٢٩٨ (٧) فتوح مصر ص ١٤١ –

(٨) الخطط التوفيقية ١٠/ ٩٣

هذا – في إيجاز – ما تشير إليه المراجع بشأن منازل الفاتحين من العرب، ومحال إقامتهم ونزولهم في مصر، ولكن يبدو أن العرب الذين شاركوا في الفتح من هذليين، وغير هذليين لم تكن إقامتهم في مصر وقفا عليهم، إنما توالت هجرات العرب إليها، إلى قرون متأخرة، فهل كان من هؤلاء العرب المهاجرين بعض الهذليين؟، فلقد نجد في شعرهم ما يشير إلى ذلك كشعر البريق الهذلي الذي يشكو فيه لوعة الأسى لفراق أهله الذين هاجروا إلى مصر كما يقول البكري[1] فهل يقصد البكري الهجرة اللاحقة للفتح، أم يقصد أنهم خرجوا إليها في الفتح وأقاموا بها، فهم إذن من المهاجرين إليها؟ الحق أننا لم نجد في كتب التاريخ شيئا صريحا من هجرات هؤلاء الهذليين إلى مصر بعد الفتح مثلما نجد عن هجرات قيس[2] وغيرها من قبائل العرب، ولكن لعل هجرات الهذليين لم تكن ذات خطر يأبه له هؤلاء المؤرخون فلم يكتبوا عنها لهذا السبب أو لغيره. وأيا ما كان الأمر فإن هؤلاء الهذليين فاتحين أو مهاجرين لم يكن عددهم في مصر وفي غيرها بالعدد القليل، حتى أن بعض المؤرخين قد قرروا في مبالغة وإسراف – كما أشرنا – انهم قد تفرقوا في الإسلام على الممالك، ولم يبق لهم في الجزيرة العربية حي يطرق[3]. هذا شأنهم في الأقاليم الإسلامية بعامة، أما في مصر بخاصة، فإن هؤلاء الهذليين كانوا – في أغلب الظن – أكثر منهم في غيرها، وإنا لنجد في شعر أبي العيال الهذلي، وبدر بن عمار الهذلي[4] إشارات إلى أنه كان من رهطهما من هذيل عدد غير قليل يقيم في مصر. وأبو صخر الهذلي يذكر آل مُحَرِّق من قومه وقد خلت منهم منازلهم في تهامة واستبدلوا بها بابليون وغيره في مصر[5]، وكثيرا ما تجد شعر الهذليين يرثي من ماتوا لهم فيها[6]، أو يعبر عن شوقهم إلى من نزحوا إليها من أهلهم وذويهم[7]. وتلك ظاهرة قلما نجدها في غير مصر من الأقاليم.

---

(١) معجم ما استعجم ١/ ٢٨٢، ٢/ ٤٥٤.
(٢) فتوح مصر ص ١٤١ (٣) تاريخ ابن خلدون ٢/ ٣٠٩.
(٤) ديوان الهذليين ٢/ ٢٥٦. (٥) معجم البلدان ١/ ٢٠.
(٦) البقية ٦٤ – سمط اللآلي ١/ ٤٤٩ – بلوغ الارب ٣/ ١٣٦.
(٧) معجم البلدان ١/ ٢٠، ٣٣٧ – البقية ٤٢.

وهناك ظاهرة أخرى نحسها في هذيل مصر ، تلك أنهم كانوا يشاركون مشاركة إيجابية في الأحداث الكبرى في المجتمع، وقد كان لهم دور ظهروا فيه على مسرح السياسة مع غيرهم من القبائل العربية في مصر معارضين لسياسة عثمان ، وشاركوا في الفتنة التي كان من أهم نتائجها مقتل عثمان وما تلاه من أحداث ، فكانوا من القبائل الضالعة في قتله من عرب مصر التي ذهبت ثائرة إلى المدينة (١).

* * *

هذا شأن الهذليين في مصر في الصدر الأول للإسلام من حيث مشاركتهم في الأحداث التي تحيط بهم ، ومن حيث محالهم التي كانوا ينزلونها بالفسطاط والمرابع التي كانوا يرتبعون فيها هم وغيرهم من القبائل العربية في بعض أيام السنة .

وهذه القبائل العربية في مجموعها ، لم تكن - في أول أمرها - لتبعد في الريف المصري وقراه للإقامة الدائمة ، فقد كان ذلك الأمر محظورا على هؤلاء المحاربين من العرب حتى لا يذوبوا في غيرهم ، ولا يركنوا إلى الدعة والهدوء فيفقدوا خصائص المحاربين الشجعان ، ولكن بمرور الزمن وتتابع الأجيال أصبح هؤلاء العرب من أهل مصر لحما ودما ، ونزلوا في الأقاليم المختلفة فأقاموا فيها ويذكر المقريزي أن الهذليين كانوا ينزلون في أخميم وفي طوخ دلكة ، ويقول صاحب معجم قبائل العرب إنهم نزلوا بطوخ الجبل من أخميم بالديار المصرية (٢).

ومع هذا نجد أن بعض الهذليين كانوا ينزلون بجهات قنا وقوص، ومنهم بعض العلماء النابهين من الحكام من أمثال الحسين بن رضوان بن هبة الله .. الهذلي ، الذي كان يلقب بفخر الدين القنائي ، وكان حاكما بقنا ، ومن العلماء الممتازين في القرن السابع الهجري (٣)، ومحمد بن إبراهيم المعروف بابن صالح الهذلي القنائي الذي كان يلقب بالصدر ، وكان من المحدثين الذين سمعوا من أبي الفتح القشيري وغيره ، وكان من أثرياء قنا المعروفين بالبذل والسخاء ، وتولى الحكم في بلده مدة ثم تركه ليفرغ لشئونه الخاصة (٤) ، ومنهم أيضا يونس بن عبد المجيد ابن علي بن داود الهذلي ، القاضي سراج الدين الأرمنتي ، وكان فقيها أديبا شاعرا محمود السيرة في القضاء ، وسمع من كبار المحدثين في مصر (٥)، وكان يحدث

---

(١) معجم ما استعجم ١/ ٢٨٢ ، ٢/ ٤٥٤ .
(٢) معجم قبائل العرب ٣/ ١٢١٣ . (٣) الإدفوي، الطالع السعيد ص ١١٦ .
(٤) المرجع السابق ٢٦٤ . (٥) المرجع السابق ص ٤٢١ .

بقوص وغيرها . ولهذا نرجح أن الهذليين كان نزولهم في مصر بالصعيد الأعلى، يقيمون فيه ، وربما تنقلوا بين أرجائه ، وفي شعر أبي العيال الهذلي ما يستأنس به في ذلك إذ يقول عن قومه :

فاستقبلوا طرف الصعيد إقامة طورا وطورا رحلة وتنقل[1]

---

(١) ديوان الهذليين ٢/ ٢٥٥ .

الفصل الثالث

أدبها: شعرها ونثرها

الفصـــل الثالـــث
(أدب الهـذليـــــــــين)

ليس المقصود بالحديث عن أدب الهذليين أن نهتم بالجانب الفـنى فى هذا الأدب، فذلك يخرجنا عن دائرة البحث فى اللهجات، فحسبنـــــا أن نتحدث عما يتصل من ذلك بالموضوع ، وأدب هذيل أكثره من الشعـــــر الذى لفتت كثرته الأنظار فاتجهت إليه، وأقله من النثر الذى دفعت قلته إلـــى عدم الإنتباه إليـه، ولذلك لا يكاد يجد الباحث فيه ضالته بسبب قلته وندرتـه، ومع هذا لا ينبغى أن نهمله إهمالا بل نعرض له فى شىء من الإيجاز .

النثـــــر

لم يكن للهذليين فى العصر الجاهلى نثر بالمعنى الحقيقى لهذه الكلمة فقد كان النثر فى ذلك العصـر مقصـورا على الخطابة التى كانت فى أغلـــــب الأمر وقفا على أفراد قلائل من كهان العرب فى شكل مسجوع، ولم نجد بـــين الهذليين من عرفوا بها فى العصر الجاهلى، فالنثر عندهم لا تكاد تجـــــده إلا فى بعض ما أثر عنهم من جمل مقتضبة، وعبارات موجزة كتلبيتهم فى الحج : لبيـــك عن هذيل، قد أدلجوا بليل ... "(١) واستمطارهم " اللهم اجعلها عشيـــة قسـم من عندك، فقد تلوحت الأرض فهى " مثل جحر التوب تعوى وتنبح " وهو مثل لغبرة الأرض ووحشتها، والقسم الغيث(٢).

ويبدو أنهم لم يؤثر عنهم كذلك فى الإسلام نثر يذكر، اللهم إلا بعـــض نقول ومرويات قليلة، ومن أمثلة ذلك ما نسب إلى بعض الهذليين فى أول عهدهـــم بالإسلام من قول قاله تعقيبا على حكم الرسول فى جنين أسقطه عدوان امرأة هذليـة على امرأة أخرى : أنغرم من لا شرب ولا أكل، ولا نطق ولا استهل، فمثل هـــذا يطل " فلم يستحسن النبى هذا منه، واعتبره من سجع الكهان فى الجاهلية(٣).

وقد نسب إلى أصيل بن عبد الله الهذلى الصحابى، وصف موجز لمكـــة ذكر النبى بموطنه، وهاج فيه كوامن الشوق إليه، وذلك حين قدم من مكـــــة على النبى، فقال له يا أصيل، " كيف عهدت مكة " قال " عهدتها والله قـــد أخصب جنابها، وابيضت بطحاؤها، وأغدق إذخرها، وأسلب ثمامها، وأمشر سلمها " فقال " حسبك يا أصيل، لا تحزنـــا " (٤).

---

(١) اليعقوبى ٢٩٦ (٢) الزمخشرى : أساس البلاغة ٣٦٦ (٣) أسد الغابة ٤/ ١٥٧، الإصابة ٥/ ٣٧، صحيح مسلم ٥/ ١١٠ (٤) أسد الغابة ١/ ١٠١ .

وروى لأبي صخر الهذلي الشاعر الإسلامي هجاء نثري لابن الزبير هو أشبه ما يكون بخطابة موجزة ، واجه بها عبد الله عندما دخل عليه في هذيل فمنعه عطاءه لميله لبني أمية(١).

وقد روى لابن مسعود خطب قليلة ، فيها شيء من الإيجاز(٢) ، كما وردت على لسانه آثار ومرويات كثيرة في كتب الحديث واللغة والأدب وغيرها .

كما نقل عن أبي ذؤيب حديث طويل عن علمه وهو في البادية بمرض الرسول في المدينة ، يصور فيه شعوره ، ورحلته العاجلة إلى المدينة غداة وفاة النبي وحضوره سقيفة بني ساعدة حيث آل الامر إلى أبي بكر(٣).

فيمكن إعتبار هذه النقول وأمثالها أدبا نثريا قد نجد فيه بعضها يفيد في موضوعنا ، وإن كان ذلك النثر – كما أشرنا – قليلا مسرفا في القلة ، فليس إلا شذرات مبعثرة هنا وهناك ، وقد كان من شأنه – لخلوه من الضرورات التي تعترى الشعر – أن تكون الفائدة منه في موضوعنا أقوى وأجدى ، ولكن قلته رجحت كفة الشعر عليه ، فهو كما سنرى ، رحب فسيح خصب الجناب ، يسعف الباحث فيما يريد .

الشعر

كثرة شعر الهذليين وشعرائهم

كان حظ الهذليين – فيما يبدو – من الشعر والشعراء أكبر من حظ غيرهم من العرب ، فلم يتح لقبيلة عربية ما أتيح لهم من ذلك ، وهذا العدد الكبير من شعراء الهذليين وما كان لهم من شعر كثير ، لفت أنظار القدامى من الشعراء أنفسهم ، أو من اللغويين والرواة وغيرهم ، فقد جعلهم حسان بن ثابت أشعر أحياء العرب(٤) ، وقال يونس بن حبيب : " ليس في هذيل إلا شاعر أو رام أو شديد العدو "(٥) ، ويقول الأصمعي : " إذا فاتك الهذلي أن يكون شاعرا أو ساعيا أو راميا ، فلا خير فيه "(٦) ، ويصف اليعقوبي هذيلا بأنهم " أصحاب فصاحة وشعر "(٧) ؛ وقد بلغ من تصوير القدامى للهذليين بأنهم قبيلة شاعرة ما ذكروا من أنه ربما كان للواحد منهم عشرة أبناء كلهم من الشعراء مثل بني مرة ، وهم أبو خراش الشاعر المخضرم المعروف وإخوته(٨) ، ويريد ابو سعيد السكري وهو من أهم رواة أشعار الهذليين وشراحها ، أن يصور كثرة شعر هذيل فيقول " هذيل فيهم نيف وثلاثون شاعرا أو نحو ذلك ، وبنو سنان مثلهم مرتين ليس فيهم شاعر

---

(١) خزانة الأدب (السلفية) ٣/ ٢٣٧ (٢) الباقلاني : إعجاز القرآن (على هامش الاتقان) ١/ ١٩٤ (٣) شرح المفصل ٤/ ٦ (٤) العمدة ١/ ٥٥ – معجم الادباء ١١/ ٨٦ – المزهر ٢/ ٣٠٠ – أسد الغابة ٥/ ١٨٩ ومابعدها – ابن سلام / طبقات الشعراء ص ١١٠
(٥) البيان والتبيين ١/ ٢٠٠ (٦) الاغاني (ساسي) ٢١/ ٣٨ (٧) تاريخ اليعقوبي ٣١٣ .
(٨) ديوان الهذليين ٣/ ١٧٢

واحـــد[١]، فصو يبغى من وراء هذه المقارنـة أن يبرز ما لهذيل من تبريز في هـــذا المضمار، وقد عد ابن حزم مشاهير شعراء هذيل نيفا وسبعين شاعرا[٢]،

وأكثـــر من هذا ما يقوله بعض الأدباء والرواة من أنه "كان للهذليين مائـــة وثلاثون شاعرا ما فيهم إلا مفلق"[٣]، ومع أن في هذا القول إسرافا في وصـــف شعراء هذيل جميعهم بالتفوق والإجادة فإنه ـ في أغلب الظن أقرب إلى الواقـع في التعبير عن كثرة شعر الهذليين وشعرائهم، فلقد نجد لهؤلاء الشعراء مـــن الشواهد في لسان العرب وحده ما يناهز هذا العدد، حقا إنه قد يذكـــــر بعض الشعراء مرة باسمه ومرة أخرى بكنيته أو لقبه، وقد يكون هنالك أيضا خطـــأ أو تزيد في نسبة بعض الشعراء إلى هذيل، ولكنا مع هذا نجد كثرة من الشعـــراء تلفت النظر بحق، ولهذا فصـاحب اللسان على حق يصف هذيلا بأنها قبيلـــة أعرقت في الشعر[٤]. وما يقوله ابن منظور وغيره لا يكاد يختلف عليه أحد مـــن القدامى أو المحدثين الذين من شأنهم عادة تمحيص ما يقوله القدماء، وعـــدم التسليم به إلا بعد روية وطول نظر، وأنى لهم هذا الاختلاف وشعر الهذليـــين ماثل أمامهم، يدفع كل خلاف أو مراء .

أهمية هذا الشعر واعتداد العلماء به واعتمادهم عليه :

ترجع أهمية الشعر الهذلـي إلى أنه مجموعة كبيرة انتهت إلينا من شعـــر قبيلة بأسـرها، وإلى أن هذه المجموعة هي المجموعة الوحيدة التي انحـــدرت إلينا من دواوين القبائل، ففيها إذن فرصة سانحة تمكن الباحثين من دراســـة حياة هذه القبيلة دراسة أدبية، اجتماعية، تاريخية لغوية، قد لا تتيسر لهم إزاء قبيلة أخرى لم يصلنا من تراثها الأدبي ما وصلنا من تراث هذيل .

ولقد كان لشعر هذيل أهمية كبيرة عند اللغويين والنحاة والمفسرين وغيرهم من علماء الدراسات اللغوية والإسلامية، فليست أهمية هذا الشعر مقصورة في نظرنـــا على أنه مصدر أصيل للهجة الهذلية التي هي موضوع هذه الدراسـة، وإنمـــــا نجده أيضا منذ تدوين اللغة العربية موئلا يرجع إليه حفاظها، ويستشهد بــــه اللغويون وأصحاب المعاجم على صحة مفرداتها وألفاظها، ويعتمد عليه علمــــاء التفسير في إيضاح ما التبس من آيات الكتاب الكريم، ونصيبه في ذلك كله هـــو النصيب الأوفى، وحظه هو الحظ الكبير، ومن يتصفح كتب النحو والصرف، ومعاجـم

(١) ديوان الهذليين ٢/ ٣٨ (٢) جمهرة أنساب العرب ص ١٨٦، ١٨٧ .
(٣) معجم الأدباء ١٦/ ١٤١، حاشية الأمير على المغني ٢/ ٤٦ (٤) اللسان (هذل)

اللغة ، وكتب التفسير ، وغريب القرآن ، وغيرها يجد مصداق هذا واضحا لا يحتاج الى بيـــان .

ومن مظاهر الاهتمام بالشعر الهذلي ما روى من أن الشافعي لزم باديــة هذيل ـ في أول الشباب ـ ردحا من الزمن يتعلم كلامها ويحفظ أشعارهــا ، فلما رجع إلى مكة جعل ينشد الأشعار ويذكر الآداب والأخبار(١)، وكان لذلــك أثره في فصاحته ولغته(٢) ، وقد روى أن الأصمعي على جلالة قدره قرأ عليه أشعــار الهذليين(٣)، ويقول الأصمعي نفســه " صححت أشعار هذيل على فتى من قريش يقال له محمد بن إدريس الشافعي "(٤). ويروى ياقوت عن عبد الرحمن بن أخــي الأصمعي قوله " قلت لعمي ، ياعماه ، على من قرأت شعر هذيل ؟ فقال ، قرأتــه على رجل من آل المطلب يقال له محمد بن إدريس " (٥).

وإذا عرفنا دور الأصمعي في جمع الشعر الهذلي وحفظه وروايته ، أدركنا فضل الشافعي ، وعرفنا أنه حلقة هامة في هذه السلسلة التي وصلتنا بشعر هذيــل في منبعه الأصيل في البادية ، وإذا كان هذا هو صنيع الأصمعي وغيره فإن أبا سعيــد السكري (٢١٢ـ ٢٩٠ هـ)(٦) قد أخذ هذه الأشعار وصنفها ، وزاد عليها وشرحهــا ويقول بروكلمان إنه كانت توجد قبل السكري نسخة من ديوان هذيل مكتوبة سنــــة ٢٠٠ هـ/ ٨١٦ م ، وكانت لا تزال باقية لدى البغدادي صاحب الخزانة ، ولكــن السكري نقح الديوان من جديد بعد سنة ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م(٧) ورواه تلميذه وقريبــه أحمد بن محمد الحلواني الذى روى كتبه وأخذ عنه ، ثم رواه عن هذا الأخير أبو الحســن علي بن عيسى النحوى المعروف بالرماني ٣٨٤ هـ ، والواقع أن هناك خطأ فــــي التاريخ جعل بروكلمان يخطىء فيما قرره من أن النسخة التي كانت عند صاحب الخزانــة كانت سابقة على السكري ونسخته فقد نسب صاحب الخزانة هذه النسخة لأبي بكر القاري وهو الحلواني (أحمد بن عاصم القارىء) راوى شرح أشعار الهذليين عن الســكري ، وأغلب الظن أن هذه نســخة من شرح السكري نسبت إلى القارىء تجوزا لأنـــــه راويها(٨) ، إلى جانب أنه قد نسخها بخطه فيما يبدو(٩)

---

(١) معجم الأدباء ١٧/ ٢٨٤ (٢) المرجع السابق ١٧/ ٢٩٩ .
(٣) وفيات الأعيان ٣/ ٣٠٥ (٤) معجم الأدباء ١٧/ ٢٩٩ (٥) المرجع السابق ١٧/ ٣١١
(٦) البغية ص ٢١٩
(٧) بروكلمان ـ تاريخ الأدب العربي ١/ ٤٢ (٨) أنظر مقدمة شرح أشعار الهذليين (تحقيق عبد الستار فراج) ص١٤ (٩) الخزانة (ط بولاق ٣/ ١٥١)

ولم يكن ديوان هذيل هو المجموعة الوحيدة التى جمعت من دواوين القبائل العربية ، فإنه يروى أن أبا عمرو الشيبانى جمع أشعار القبائل[١]، وأنه جمع من ذلك أكثر من ثمانين ديوانا[٢]، ولكنها أهملت نظرا لاتجاه العناية بعد هذا إلى جمع المختار من شعر القبائل ، ودواوين الفحول فيها ، فأدى ذلك إلى إهمال دواوين القبائل ونسيانها ، ولم يبق من هذه الدواوين ، أو تلك المجموعات إلا مجموعة شعر هذيل ، فقد حاطها رواة الشعر بالعناية ، وخصها أساطين اللغة والأدب بالرعاية ، وإنا لنجد من مظاهر هذه العناية ما ألف من كتب فى شرح أشعارهم ، كشرح السكرى وشرح ابن جنى ، وسنعود إليها فى شىء من التفصيل فى مجموعات ديوان هذيل ، وشرح المرزوقى المتوفى سنة ٤٢١ هـ[٣]، وغير ذلك من شروح . وهذا غير ما جاء فى كتب اللغة من شرح اللغويين لشعر هذيل .

وممن كتبوا فى أشعار الهذليين أحمد بن على المأمونى النحوى اللغوى ، وله كتاب (أشعار الهذليين) فى ثلاثة مجلدات كما يقول ياقوت[٤]، وقد كانت هذه الأشعار موضع دراسة وتعليق من كثيرين من العلماء والأدباء كابن فارس ، وابن العميد[٥] ، وأبى على القالى[٦]، وأبى عبيد البكرى[٧] ، كما كان يهتم بحفظ هذه الأشعار كثير من الرواة واللغويين والنحاة ، حتى المتأخرين منهم ، ومن هؤلاء الخضر بن ثروان البغدادى النحوى[٨] ، وغيره . وقد كان هذا الشعر محور دراسات أخرى غير الدراسات اللغوية والأدبية ، فكثير ممن كتبوا فى البلدان والأماكن العربية ، ومن كتبوا فى الأخبار ولا سيما من كتب فى أخبار الهذليين ، وجدوا فى هذا الشعر معينا لا ينضب .

وما لهؤلاء القدامى من جهد مشكور يتراءى فى هذه المخطوطات الكثيرة لديوان هذيل وشروحه وهى منبثة فى مكتبات العالم الآن ، وينبغى لنا أن نشير إلى أهم هذه المخطوطات .

---

(١) معجم الأدباء ٦/ ٧٧ (٢) جولدتسهير : دواوين القبائل (ترجمة حسين نصار) .
(٣) الإصابة ٥/ ٣٥ ، ٧/ ١٠٣ (٤) معجم الأدباء ٤/ ١٧٥ .
(٥) الخزانة (السلفية) ١/ ٢٥٢ (٦) الأمالى ١/ ٢٦٧ (٧) معجم ما استعجم ٢/ ٤٤٣
(٨) معجم الأدباء ١١/ ٥٩ ـ البغية ص ٢٤١ .

١) مخطوط الشنقيطي :ـ

وهذه النسخة موجودة بدار الكتب تحت رقم ٦ أدب ش ، وهى قسم من مجموعة تشتمل على دواوين لشعراء آخرين غير شعراء هذيل ، وهذه المجموعة مصدرة بديوان حسان ، ثم كتاب ديوان الهذليين (وعدد صفحاته ٦٤ صفحة من القطع المتوسط) ، ثم ديوان لبيد ، وديوان الشماخ ، وبعض الشعراء الآخرين ، وتضم شعرًا لواحد وثلاثين من شعراء هذيل ، وعلى هامشها تعليقات كثيرة على الشعر الهذلي ، والنسخة كلها بما عليها من تعليقات مكتوبة بخط مغربي هو خط الشنقيطي نفسه ، وهى منقولة عن نسخة أخرى موجودة بالمدينة المنورة ، ولهذا يقول بروكلمان " إنها نسخة مكتوبة في المدينة سنة ١٢٨٤ هـ عن أصل مكتوب سنة ٨٨٢ هـ " (١) .

٢) مخطوط ليدن :

وقد كتبه محمد بن على المتابى عام ٥٢٩ أو ٥٣٩ هـ ، وهى نسخة منقولة عن عدة نسخ قوبل بعضها ببعض ، فهى تعد مرجعا هاما صحيحا لبعض ما طبع من شعر هذيل ، وتحوى شعر عدد كبير من الهذليين إلى جانب ما ذكر فيها من أخبار القبيلة وأيامها ، وبها ثلاث وسبعون ومائة قصيدة بين طويلة ومتوسطة وقصيرة ، وللسكرى فيها مقدمات لكثير من القصائد و تنبيهات لغوية ونحوية له ، وهذه النسخة هى الجزء الثاني من أشعار هذيل ، أما الجزء الأول فهو مفقود (٢)

وهناك نسخة أخرى مخطوطة منبوطة فى ليدن كتبها محمد بن إبراهيم بن زبج المتوفى سنة ٥٥٦ هـ ، وهى التى اعتمد عليها يوسف هل فى إخراج مجموعته . (٣)

٣) مخطوط باريس :ـ

وهو تكملة لنسخة ليدن ، ويكاد خطه يشبه خطها ، ويبدأ بشعر المعجلان ابن خويلد الهذلي ، وقد قوبلت نسخته وصححت فى سنة ٣٧٨ هـ .

٤) شرح ديوان هذيل لابن جنى ، وهو كتاب " التمام " فى تفسير أشعار هذيل ما أغفله أبو سعيد السكرى ، وهذا الكتاب هو الذى أشار إليه المؤلف أحيانا بقوله :
" كتابنا فى شعر هذيل " (٤) وأحيانا أخرى بقوله : " كتابى فى ديوان هذيل " (٥)

---

١) تاريخ الأدب العربى ١/ ٨٣ (٢) مقدمة (شرح أشعار الهذليين) بالإنجليزيه طبع ١٨٥٤ (٣) مقدمة كتاب التمام ص ٤ . (٤) الخصائص ١/ ١٢٤ .
٥) المرجع السابق ١/ ١٥١ .

وقد جاء ذكره بعنوان " التمام " في الخزانة [١] وفي الخصائص أيضا [٢] كما ذكره ابن جني في الإجازة التي رواها ياقوت [٣] ، وهذا الكتاب عده بروكلمان من كتب ابن جني المفقوده . وقد اعتمد على هذا ناشر كتاب الخصائص فذكر عند الحديث عن كتب ابن جني أنه لا يعلم لهذا الكتاب وجود في مكتبات العالم [٤] . وبعد هذا عثر عليه الدكتور محمد أسعد طلس في مكتبة الأوقاف ببغداد ، وهي نسخة بخط " أسعد بن المعالي بن إبراهيم ابن عبدالله الكاتب ، وقد أتم نسخها في شهور سنة ثمان وخمسمائة للهجرة ، وقد صور المجمع العلمي في بغداد هذه النسخة وحفظها في مكتبته . [٥]

٥) **ديوان أبي ذؤيب وشرحه :-**

وهو محفوظ بدار الكتب تحت رقم ١٩ أدب ش ، وقد كتب هذا المخطوط في أول ذي الحجة سنة ١٣٠٥ هـ ، وعدد أوراقه ١٤٤ ورقة من القطع المتوسط ، وهذه النسخة وإن كانت مصدرة بما يفيد ملكيتها ووقفها بخط الشنقيطي ، فإنها مكتوبة بخط النسخ المعتاد وبأثنائها بياض عن الأصل المنقولة عنه ، وبها تعليقات طفيفة على هامشها . وتوجد نسخة أخرى محفوظة بدار الكتب أيضا برقم ٢٦٤ شعر تيمور ، وهي منقولة عن نسخة الشنقيطي السابقة ، ومصدرة بخط مغربي هو خط الشنقيطي نفسه ، ومكتوبة من الداخل بخط قريب من خط النسخ وعدد صفحاتها ٢١٠ ، وتاريخ نسخها ١٣١٤ هـ .

هذا أهم ما عرف من مخطوطات الشعر الهذلي إلى الآن ، ويذكر بروكلمان أن هناك نسخا حديثة أخرى بعضها في الفاتيكان [٦] .

هذا وقد كانت هنالك مخطوطات لديوان هذيل ، لا وجود لها الآن - فيما نعلم - ومن بين هذه المخطوطات النسخة القديمة التي سبقت الإشارة إليها عند صاحب الخزانة [٧] ، ويروي صاحب الخزانة أيضا أنه رأى نسخة من شرح أشعار هذيل للسكري ، وهي النسخة التي قرأها ابن فارس على ابن العميد ، وعليها خطهما ، كما رأى أيضا مخطوط " شرح أشعار الهذليين " للإمام المرزوقي [٨] .

× × ×

وإلى جانب هذه المخطوطات أخرج لنا الباحثون المحدثون من ديوان هذيل عدة مطبوعات جديرة بالتقدير ، نعرض لها في إيجاز ، لما لذلك من أهمية في الإلمام بمصادر الشعر الهذلي .

---

١) البغدادي : الخزانة (بولاق) ٣/ ١٥٣ ٢) الخصائص ١/ ١٥٣ ٣) معجم الأدباء ١٢/ ١٠٩
٤) مقدمة الخصائص ١/ ٦١ . ٥) مقدمة التمام ص ٤ . ٦) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ١/ ٨٣ .
٧) المرجع السابق ١/ ٨٢ - الخزانة (بولاق) ٢/ ٣٦٧ .
٨) الخزانة (السلفية) ١/ ٢٥١ .

المجموعة الأولى : شرح ديوان الهذليين ، وقد نشره المستشرق الإنجليزى Godfrey Kosegarten سنة ١٨٥٤ ، وقد مهد له بمقدمة قصيرة بالانجليزية ، وهذه المطبوعة تمثل القسم الأول من مخطوط ليدن ، الذى أراد جودفرى إخراجه للناس فى أقسام ثلاثة ، فأخرج القسم الأول وحده .

المجموعة الثانية : هى (شرح أشعار الهذليين ما بقى منها فى النسخة اللغوية " الليدنية " غير مطبوع) أى ما تركه جودفرى من نسخة ليدن دون طبع بعد إخراج كتابه السابق ، ولهذا تسمى بقية أشعار الهذليين ، أو " البقية " ويسميها بروكلمان ، القسم الأخير من أشعار الهذليين[1] ، وهذه التسمية هى الترجمة العربية لعنوان هذه النسخة بالالمانية (Letzter Teil Der Lieder Der Hudhailiten) وقد تم طبعها فى برلين على يد المستشرق الألمانى فلهاوزن سنة ١٨٨٤ ، أو سنة ١٨٨٧ كما يقول بروكلمان[2] ، ومنها نسختان محفوظتان بدار الكتب ، إحداهما برقم ١٧٨١ أدب ، والثانية برقم ١٣٩ أدب .

المجموعة الثالثة : مجموع دواوين من أشعار الهذليين وهى جزءان :

١) الجزء الأول منها ديوان أبى ذؤيب " نشره المستشرق الألمانى يوسف هل وطبعه فى هانوفر سنة ١٩٢٦ م .

٢) الجزء الثانى هو دواوين ساعدة بن جؤية وأبى خراش والمتنخل وأسامة ابن الحارث ، وقد نشره يوسف هل أيضا ، وطبع بمدينة ليبزج سنة ١٩٣٣ م .

وقد طبعت هذه المجموعة بجزئيها عن نسخة خطية قديمة مضبوطة فى ليدن ، كتبها ابن زبرج المتوفى سنة ٥٥٦ هـ ، وقد سبقت الاشارة إليها ، وهى غير النسخة التى اعتمد عليها كل من جودفرى وفلهاوزن فى إخراج مجموعته .

المجموعة الرابعة : ديوان الهذليين (طبعة دار الكتب) وقد أخذت هذه النسخة عن النسخة الشنقيطية مع الاستعانة بشرح ديوان أبى ذؤيب . وبعض المراجع الأخرى ، وقد أخرج هذا الديوان فى أقسام ثلاثة ، ويشتمل على شعر ثلاثة وثلاثين شاعرا من شعراء هذيل ، عدا بعض ما فيه من أشعار لغير الهذليين ممن كانت له صلة بشعراء هذيل .

---

(١) تاريخ الأدب العربى . ترجمة د . النجار ١ / ٨٣
(٢) تاريخ الأدب العربى . ترجمة د . النجار ١ / ٨٤ .

المجموعة الخامسة : " التمام " في تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد السكري لأبي الفتح عثمان بن جني المتوفى سنة ٣٩٢ هـ — وقد أخرج هذا الكتاب بعض الباحثين العراقيين في بغداد سنة ١٩٦١ ، وقد اعتمدوا في إخراجه على النسخة الوحيدة الموجودة بمكتبة الأوقاف ببغداد ، والتي اكتشفت أخيرا على النحو الذي أشرنا إليه [١] ، ولكن يبدو أن هذا الكتاب (والمخطوط الذي اعتمد عليه) لا يمثل إلا جزءا من كتاب التمام كما ألفه ابن جني [٢] .

المجموعة السادسة : " شرح أشعار الهذليين للسكري " وهي آخر ما ظهر من شعر الهذليين مطبوعا ، وتقع في أجزاء ثلاثة ، وقد قام بتحقيقها (الأستاذ عبد الستار أحمد فراج) ويوحي عنوان هذه المجموعة أنها جميعها من شرح السكري ، ولكن قصائد بعض الشعراء المشهورين من هذيل وهم : أبو كبير ، وساعدة بن جؤية ، وأبو خراش ، والمتنخل ، وأسامة بن الحارث لم يعثر المحقق على شرح السكري لأشعارهم ، فاضطر إلى ذكر شعرهم بشرح لغير السكري من علماء اللغة ، ورواة شعر هذيل كالأصمعي ، ولكنه — كما يذكر في مقدمة هذه المجموعة — أخر قصائد هؤلاء الشعراء الخمسة إلى آخر الكتاب ليكون ما عمله السكري متصلا . وقد ذكر شرح شعرهم ما عثر عليه من ذلك منسوبا للسكري في كتب اللغة وغيرها .

هذه أهم مجموعات الشعر الهذلي مخطوطة ومطبوعة ، وهي تعطينا — متضافرة — مجموعة ضخمة من الشعر الهذلي ، يمكن الإفادة منها ، والاعتماد عليها في كثير من الدراسات الأدبية واللغوية .

وحسبي الكلام الآن في شعر هذيل هذا التعريف به ، وبمادته الأصلية أما المعالجة الموضوعية لهذا التراث الهذلي من الناحية اللغوية فسوف نرى أنها من أهم الدعائم التي تقوم عليها دراسة اللغة الهذلية ، وأما الناحية الأدبية الفنية للشعر الهذلي فليست من مطالب هذا البحث .

---

(١) مقدمة كتاب التمام ص ٤

(٢) راجع نقده — حسين نصار للكتاب (مقال منشور " بالمجلة " عدد مارس ١٩٦٣ ص ٩٦) .

اللهجة الهذلية

الباب الثانى

الظواهر الصوتيه عند هذيل

((الباب الثانـــى))

الظواهر الصوتية عند هذيـــــــــل

اتفقت اللغة العربية الشمالية منذ العصر الجاهلى فى الصفـــات والظواهر العامة التى كانت تكفل الاتصال بين القبائل العربية المختلفة والتى كانت فى الوقت نفسه نتيجة لهذا الاتصال ، ولكن هذه القبائـــل جميعها لم تتح لها فى حياتها ظروف متماثلة ، أو ملابسات متشابهــــة بل أحاطت بها فى حياتها الاجتماعية والاقتصادية ، وفى بيئتها : الطبيعية المادية ، والمعنوية الأدبية ، ظروف مختلفة ، فقد كان بعضها يحيـــــا حياة بدوية كلها شدة وخشونة ، وبعضها الآخر يحيا حياة حضريـــــة فيها شىء من الدعـــة .

كما أن هذه القبائل كانت تختلف فيما بينها من حيث التنقل والاستقرار والانعزال والاختلاط ... ، وقد أدى هذا إلى أن يكون لكل من اللهجات العربية ما يميزها عن غيرها - إن قليلا أو كثيرا - من صفات ومميزات ، فكان أن اختلفت فى بعض المظاهر الصوتية ، وفى بنية بعض ألفاظهـــــا وفى دلالة بعض كلماتها ، وغير ذلك من خصائص وسمات .

وقد كان لهذيل من الصفات والخصائص ما كان جديرا أن يكـــــون موضوعا لهذا البحث ، وأول هذه الخصائص والسمات هو الظواهر الصوتيـة التى ميزت لهجة هذيل عن غيرها من اللهجات .

وهذه الظواهر الصوتية فى لهجة هذيل من أمثلتها البحث فـــــى الحركات ، وفى حروف المد الثلاث أى فى أصوات اللين قصيرة وطويلـــة ، وطريقة نطق الهذليين لهذه الأصوات ، ومدى ميلهم إلى أصوات معينـــة من بينها ، وفى اتجاههم إلى الإمالة أو إلى الفتح ، والبحث فى الهمـــزة تحقيقا وتسهيلا وحذفا ، والنظر فى القلب وإبدال الحروف بعضها مـــن بعض ، وفى التخفف من بعض أعباء النطق كالإدغام والحذف والترخيـــم ، وغير ذلك من مظاهر صـــوتية جعلتها مادة لفصول هذا الباب مـــن أبـواب البحـــث .

(الفصل الأول)

(أصوات اللين)

أصوات اللين هى تلك التى يقصد بها المحدثون ما كان يعبر عنه القدامى بالحركات الثلاث من فتح وكسر وضم ، وكذلك ما كانوا يسمونه ألف المد ، وياء المد ، وواو المد[1] .

وإذا كانت اللغات تختلف فيما بينها ، اختلافا واضحا فى نطق أصوات اللين ، فإننا ـ مع هذا ـ نجد فروقا بين هذه الأصوات داخل اللغة الواحدة ، فنطقها فى اللهجات العربية قديمها وحديثها لا يكون واحدا دائما ، كما أنه قد يحل بعضها محل بعض تبعا لاختلاف الظروف التى أحاطت بأبناء الضاد حديثا ، وما كان هنالك من خلاف بين القبائل العربية المختلفة فى محالها ومنازلها ، ومن هذا الاختلاف بعض المظاهر الصوتية التى كانت تميز كل قبيل عربى عن قبيل غيره ، ولا شك أن هذيلا ـ شأنها شأن غيرها من قبائل العرب ـ كان لها من هذه الظواهر الصوتية نصيبها الذى يتناسب ومكانها فى الجزيرة العربية ، وظروف حياتها ، وما كان يكتنفها من بدو أو حضر .

ومن هذه الظواهر الصوتية ـ كما أشرنا ـ أصوات اللين ، وسنتناول الكلام عنها فى مبحثين ، أحدهما أصوات اللين القصيرة ، التى يسميها برجشتراسر الحركات المقصورة[3] ، وهى الحركات الثلاث ، والثانى ، أصوات اللين الطويلة ، التى يسميها برجشتراسر أيضا " بالحركات الممدودة[4] ، وهى حروف المد الثلاث .

أصوات اللين القصيرة

هى الفتح والضم والكسر وأولها ـ وهو الفتح الخالص الذى لا تشوبه الإمالة ـ هو أخف هذه الأصوات فى النطق ، فهو أخف من الضمة والكسرة ،

---

(١) دكتور إبراهيم أنيس . الأصوات اللغوية ص ٢٩
(٢) ، (٣) تطوير النحو ص ٣٤ ، ٣٨ ، ٤٩ .
(٤) المبرد ـ المقتضب القسم الثانى ٤٦٨ .

وأكثر اقتصادا منهما في الجهد العضلي ، بل قيل إنه أخف من السكون الذي يلجأ إليه العرب عادة للتخفيف ، فيذكر ابن خالويه في الشواذ قول الأصمعي : " قلت لأبي عمرو ابن العلاء " لم لا تقرأ رغْبا ورهْبا مع ميلك إلى التخفيف ، فقال : ويلك أخَفُّ أم حمل يعني أن المفتوح لا يخفف " (١) . ولذلك فالفتح من مميزات القبائل الحجازية بعامة ، وربما كان الكسر طابعا تتسم به غالبا بعض القبائل البدوية التي لا توغل في بداوتها ، خلافا للضم الذي قد تتسم به القبائل الموغلة في البداوة .

ولعل مصداق ذلك ما ذكره أبو حيان في قوله تعالى : " وليجدوا فيكم غلظة " (٢) ، فهو ينبئنا أن الغين في "غلظة" تقرأ بالحركات الثلاث وأن الفتح فيها لهجة الحجازيين ، والكسر لهجة بني أسد - الذين يلونهم في مواطنهم - ، والضم لهجة التميميين (٣) الذين كثيرا ما نرى القدامى يجعلونهم رمزا للمجموعة الشرقية من القبائل البدوية في وسط الجزيرة العربية .

فإذا اجتمع إذن في الكلمة الواحدة لهجتان ، الفتح والضم ، أو الفتح والكسر ، فنظرا لأن الفتح أخف الحركات وأسهلها (٤) ، فغالبا ما يكون هو لهجة الحجازيين ، فالزُّعم بالضم مثلا تميمية ، بينما الزَّعم بالفتح حجازية (٥) ، ويروى أبو حيان أن الضم فيها لغة بني أسد ، والفتح لغة الحجاز (٦) . والحوب بالفتح كذلك لغة الحجاز ، وبالضم لغة تميم (٧) . والجهد (أي الوسع والطاقة) يفتح في لغة الحجاز ويضم عند غيرهم (٨) .

والوتر بمعنى الفرد هو بالكسر لهجة تميمية ، وبالفتح لهجة حجازية (٩) . ويذكر القالي في أماليه أن الفتح فيه لغة الحجاز ، والكسر لغة تميم وقيس وأسد (١٠) . وإذا كان غير الحجازيين يقولون لمكان السكن " مسكِن " بكسر الكاف فإن الحجازيين ينطقونها " مسكَن " (١١) بفتحها . وبرأ المريض بفتح الواو ، لهجة الحجاز ، وبالكسر لهجة تميم (١٢) ، وأهل الحجاز يقولون أنا منك بـراء وغيرهم يقول أنا بريء (١٣) .

---

(١) مختصر شواذ القرآن ص٩٢ (٢) سورة التوبة ٩ آية ١٢٣ .

(٣) أبوحيان : البحر المحيط ٥/ ١١٥ (٤) المبرد : الكامل ١/ ٢٣١ . المقتضب . القسم الثاني ص ٤٦٩ (٥) اللسان ، تاج العروس (زعم) (٦) البحر المحيط ٤/ ٢٢٧ .

(٧) ابن الأثير : النهاية ١/ ٢٧٦ - تاج العروس (حوب) (٨) البغدادي : الخزانة ٣/ ٣٠ .

(٩) تاج العروس (وتر) (١٠) القالي الأمالي ١/ ١٣ (١١) الصحاح (سكن) ، إصلاح المنطق ١٦٣

(١٢) تاج العروس (برأ) - مقاييس اللغة ١/ ٢٣٦ - القاضي عياض : مشارق الأنوار ١/ ٨٢ - النهاية ١/ ٨٣ (١٣) ابن فارس . مقاييس اللغة ١/ ٢٣٦ .

وإنه وإن كان هذا التعميم في قولهم : " أهل الحجاز " لا ينتظم دائما جميع لهجات القبائل التي تقطن في بلاد الحجاز باديها وحاضرها فإننا — مع هذا — نجد أن الهذليين من أولى الناس بالدخول أحيانا في هذا التعميم ، فباديتهم هي من بلاد الحجاز أولا ، ثم هم ثانيا من أقرب القبائل إلى قريش جوارا ونسبا ، فليس بدعا أن تشاركها وتشارك غيرها من بعض القبائل الحجازية التي تميزت ببعض خصائص النطق التي تتسم بها .

ولكن — مع ذلك — لا ننسى أن هؤلاء الهذليين في باديتهم كانوا ينزلون في بعض معالمهم قريبا من قبائل قيس كفهم وعدوان وهوازن وسليم وغيرها ، وكثيرا ما يصور شعرهم هذا الجوار (١) ، فليس عجيبا أن نجد في لهجتهم أثارة من هذه اللهجات التي تتميز بها هذه القبائل الموغلة في البداوة في وسط الجزيرة وفي شرقيها ، بل إنا لنجد لهجة هذيل أحيانا — كما سنرى — شيئا وسطا بين لهجات أخواتها من القبائل الحجازية ولا سيما تلك التي أخذت بحظ من الحضارة والاستقرار كقريش ، ولهجات تلك القبائل من جاراتها الأخريات الموغلة في البداوة ممن ذكرنا ، فليس بدعا إذن أن نجد الضم يحتل مكان الفتح في بعض ألفاظها ، فيروى أبو عمرو أن هذيلا تقول " المُنا " بالضم تريد " المنايا " (٢) ، وإن كان قد ورد هذا اللفظ بالفتح في شعر صخر الغي (٣) ، فإذا صحت هذه الرواية ، وصحت رواية أبي عمرو ، كان معنى هذا أن ضم الميم ليس لهجة لكل هذيل ، ذلك إذا لم تكن رواية البيت متأثرة باللغة العامة السائدة ، وأعني بها اللغة الفصحى ، ومع هذا فصخر الغي إسلامي أموي لغته قد تطورت في أغلب الظن ، فليس شعره دليلا قاطعا على لهجة قومه .

ومن ذلك أيضا أن هذيلا تقول " النُّجُدُ " بضمتين ، وهي تريد نَجْدا ، وقد وردت هكذا في شعر أبي ذؤيب (٤) ، وفي شعر غاسل بن غزية الجربي الهذلي (٥) . وهذه لهجة تنسبها بعض المصادر لهذيل خاصة (٦) ، وتنسبها مصادر أخرى لهذيل وتهامة والحجاز بعامة (٧) ، ويجعلها بعض اللغويين

---

(١) ديوان الهذليين ٣/ ٤٦ — القالي : الأمالي ٢/ ٣٢٨ — البكري : التنبيه ص ١٣٠ .
ابن بليهد النجدي : صحيح الأخبار ٣/ ٩ (٢) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ق
(٣) ديوان الهذليين ٢/ ٥١ (٤) المرجع السابق ١/ ١٢٤ (٥) البقية ص ٣٧ — شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ٢/ ٨٠٦ — تاج العروس (فرط) .
(٦) ديوان الهذليين ١/ ١٢٤ (حاشية) — معجم البلدان ٨/ ٢٥٢ .
(٧) ديوان الهذليين ١/ ٢١٨ — اللسان (نجد) — معجم البلدان ٨/ ٢٥٣ .

جمع نجد ، وسواء صح إفرادها أو جمعها ، فجميعهم متفقون على أنها لهجة هذلية . وقد يكون من هذا القبيل ما ذكروا من أن العُضُر لهجة في العصر[١] ، فقد نسبوا الاولى لاهل الحجاز[٢] على طريقتهم في التساهل وفي تعميم الاحكام .

وقد تكثر هذه الصيغة عندهم فيما يقارب ذلك مثل القدس بضمتين لهجة في القدس ، ومنه قراءة الكسائي ويعقوب وهما كوفيان . " سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب "[٣] بضم العين ، في جميع القرآن[٤] ، وقد رويت هكذا في شعر أبي العيال الهذلي[٥] . وقد قرأ جماعة منهم أبوبكر ويعقوب الكوفيان . " لقد جئت شيئا نكرا "[٦] بضمتين[٧] ، كما قرئ قوله تعالى " وقولوا للناس حسنا "[٨] بضمتين أيضا ، وقد ذكروا أنها لغة الحجاز[٩] . ومن ذلك قولهم " سهد " صيغة مبالغة من السهاد في شعر أبي كبير[١٠] وكذلك حبك الثياب أي محبوكاتها ، وضرب أي كثيرو الضرب ، وذلك في شعر أبي العيال الهذلي[١١] .

ومن صيغ الجمع عندهم ما ينحو هذا النحو ، وتتجه إليه قراءة عبد الله ابن مسعود وتلاميذه من قراء الكوفة عدولا عن الفتح في قراءة غيرهم ، متأثرين – فيما نظن – بهذه اللهجة الهذلية ، ومن ذلك قراءة ابن مسعود :
" فلا رُفُث "[١٢] بالجمع بضمتين[١٣] ، وقراءته : " إنها ترمي بشرر كالقصر "[١٤] ، بمعنى القصور[١٥] ، وقراءة يحيى بن وثاب : " فجعلهم جذذا "[١٦] بضمتين[١٧] ، أي بضم الذال بدلا من فتحها وإشباعها .

---

(١) العكبري ، التبيان ٢/ ٩٧ . (٢) الخزانة (السلفية) ١/ ٦٧ – أبو شامة : إبراز المعاني ٢٣٧ . (٣) سورة آل عمران ٣ آية ١٥١ .
(٤) البيضاوي ٢/ ٤٧ . (٥) ديوان الهذليين ٢/ ٢٥٠ .
(٦) سورة الكهف ١٨ آية ٧٤ . (٧) البيضاوي ٣/ ١٤٧ .
(٨) سورة البقرة ٢ آية ٨٣ . (٩) البيضاوي ١/ ١٦٧ .
(١٠) ديوان الهذليين ٢/ ٩٢ (١١) تاج العروس (ضرب) .
(١٢) سورة البقرة ٢ آية ١٩٧ . (١٣) مختصر شواذ القرآن ص ١١ .
(١٤) سورة المرسلات ٧٧ آية ٢٠ (١٥) الزمخشري . الكشاف ٣/ ٢٤٤ .
(١٦) سورة الانبياء ٢١ آية ٥٨ . (١٧) أبوحيان . البحر المحيط ٦/ ٣٢٦ .

وقراءة طلحة وابن وثاب وحمزة والكسائي : "من ثمُرة "(١) بضم الثاء والميم بدلا من فتحهما في قراءة الجمهور(٢). وقراءة الأعمش : "رُغبا ورُهبا "(٣) بضمتين(٤) وقراءة عبد الله وأصحابه ، وطلحة وحمزة والكسائي : فجعلناهم سُلُفا ومثلا "(٥) بضم السين واللام(٦).

ومن أمثلة إحلالهم للضم محل الفتح أيضا قراءة ابن مسعود وطلحة والأعمش : "عاليهم ثياب سندس "(٧) بالياء مضمومة(٨) ، وقراءة أغلب الكوفيين : " في عمد ممدة "(٩) بضمتين بدلا من الفتحتين في "عمد "(١٠) وقراءة ابن وثاب وطلحة والأعمش والكسائي : " وحُزنا "(١١) بدلا من "حزنا "(١٢) ، وقراءة أصحاب عبد الله : "إن يمسسكم قُرح "(١٣) بضم القاف لا بفتحها(١٤) ، وقراءة الكسائي : " فقالوا هذا لله بزُعمهم "(١٥) ، لا يطعمها إلا من نشاء بزُعمهم "(١٦) ، بضم الزاي فيهما(١٧) ، وقراءة ابن مسعود : " ضُعف "(١٨) ، بضم الضاد لا بفتحها(١٩) ، وقراءة الكوفيين "غُرفة "(٢٠) بضم الغين بدلا من الفتح فيها(٢١) ، وقراءة حمزة والكسائي وهما من أساطين قراء الكوفة : " ما أخلفنا موعدك بمُلكنا "(٢٢) بضم الميم(٢٣) ، وقراءة كثير من الكوفيين أيضا (السلمي وابن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي وطلحة بن مصرف) : " مالها من فُواق "(٢٤) بالضم بدل الفتح(٢٥) وجميع هؤلاء من تلاميذ ابن مسعود بالكوفة .

---

(١) سورة الأنعام ٦ آية ٩٩ ، سورة يس ٣٦ آية ٣٥ .
(٢) البحر المحيط ٧/ ٣٣٥ ـ البيضاوي ٢/ ٢٠٠ ، ٤/ ٦٧ .
(٣) " الأنبياء ٢١ آية ٩٠ (٤) البحر المحيط ٦/ ٦٣٦ .
(٥) سورة الزخرف ٤٣ آية ٥٦ . (٦) البحر المحيط ٨/ ٢٣ .
(٧) سورة الدهر ٧٦ آية ٢١ (٨) البحر المحيط ٨/ ٣٣٩ .
(٩) سورة الهمزة ١٠٤ آية ٩ (١٠) البيضاوي ٤/ ٢٦٥ (١١) سورة القصص ٢٨ آية ٨
(١٢) البحر المحيط ٧/ ١٠٥ (١٣) سورة آل عمران ٣ آية ١٤٠ .
(١٤) البيضاوي ٢/ ٤٤ ـ المخصص ١٥/ ٧٥ ـ ابن السكيت ،إصلاح المنطق ص ١٠٢ .
(١٥) سورة الأنعام ٦ آية ١٣٦ . (١٦) سورة الأنعام ٦ آية ١٣٨ .
(١٧) البحر المحيط ٤/ ٢٢٧ ـ البيضاوي ٢/ ٢٠٦ (١٨) سورة الروم ٣٠ آية ٥٤ .
(١٩) البحر المحيط ٧/ ١٨٠ (٢٠) سورة البقرة ٢ آية ٢٤٩ .
(٢١) البيضاوي ١/ ٢٥٤ (٢٢) سورة طه ٢٠ آية ٨٧ . (٢٣) البيضاوي ٣/ ١٨١ .
(٢٤) سورة ص ٣٨ آية ١٥ .
(٢٥) البيضاوي ٤/ ٨٦ ـ البحر المحيط ٧/ ٣٨٩ ـ :

الضباع : شرح الشاطبية ص ٢٧٧

هذا وقد نرى إيثار هذيل للكسر مكان الفتح أكثر ذيوعا وانتشارا من إيثارها للضم الذى يبدو أن ذيوعه وانتشاره يتم فى البيئات الموغلة فى البداوة أكثر منه فى غيرها . فإنه وإن كان الكسر من أصوات اللين التى رأينا الفتح يفوقها خفة وسهولة فإنه ــ مع هذا ــ يلى الفتح فى سهولته ويسره وذيوعه فى البيئات التى لا توغل فى بداوتها ومع هذا فيبدو أن نطق بعض الألفاظ بالكسر دون الفتح ليس سائدا عند هؤلاء الهذليين جميعهم ، وإنما بعضهم يؤثر الفتح عليه . ولعل هؤلاء هم أكثر يطون هذيل قربا من قريش وهذا يجعل هذيلا حلقة وسطى بين أهل الحضر من الحجازيين وبين البدو الموغلين فى البداوة من الأعراب الضاربين بجرانهم فى وسط الجزيرة العربية .

ولقد نجد ذلك باديا فى بعض الألفاظ مما سماه النحاة بعد بالأسماء والأفعال والأدوات . فمن الأسماء "الحقو" بمعنى الكشح وهو بالفتح والكسر وقد ذكر اللغويون أن كسر الحاء فيه لهجة هذلية (١) . و "المجس" وهو مقبض القوس ، والكسر فيه لهذيل أيضا وقد ورد فى شعر الهذليين بهذا الضبط كما ورد فى شرح أشعارهم كذلك (٢) . "والمرء" جاء فى اللغة بالفتح والكسر وقد ساقه صاحب اللسان فى قول أبى خواش الهذلى بالكسر ، وقد نقل عن السكرى هذه الرواية وأنها لغة هذيل (٣) ، كما نقل الزبيدى مثل ذلك عن السكرى وزاد عليه أن هذا الاسم يثنى فيقال "مرآن صالحان" بالكسر لغة هذيل (٤) ، ويقارب هذا قراءة ابن مسعود "ولدا" (٥) بكسر الواو وسكون اللام (٦) ، وإذا كان "النمس" بالفتح والكسر هو الغدير فقد ورد فى حديث ابن مسعود بالكسر (٧) .

هذا شأن الهذليين فى كسر أوائل بعض الأسماء فى لهجتهم أما شأنهم مع الأفعال فإن بعض اللغويين يقررون أن أكثر هذيل يكسرون حرف المضارعة فى نحو "تعلم" (٨) ويذكر صاحب اللسان أنها تشارك فى هذا قيسا وتميما وأسدا وربيعة ، أما أكثر أهل الحجاز ، وقوم من أعجاز

---

(١) تاج العروس (حقا) . (٢) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ١٩٣ ، (تحقيق فراج) ٢/ ٥٠٨ (٣) اللسان (مرأ) (٤) تاج العروس (مرأ) (٥) سورة مريم ١٩ آية ٩١ ، ٩٢ (٦) البحر المحيط ٦/ ٢١٣ (٧) اللسان (نمس) .
(٨) اللسان (ريب) .

هوازن وأزد السراة وبعض هذيل فيقولون تِعلم ، والقرآن عليها [1] ، وقد نقل صاحب المزهر قول ابن فارس إن الفتح لغة قريش والكسر لغة أسد وغيرهم [2] وهذا تعميم تعوزه الدقة والتحديد ، ولكنا نفهم منه أن الفتح لهجة الحضر غالبا ، والكسر لهجة البدو فى الغالب أيضا . وقد خصص الزبيدى بعض التخصيص فذكر أن كسر أول المضارع لهجة لتميم وقيس وأسد [3] ، كما يذكر صاحب المنصف [4] أن بعض فصحاء العقيليين كان يكسرها ، ويسوق شاهدا على ذلك قول الشاعر:

فقومى هم تميم يا ساري وجوثة ما إخاف لهم كثارا

بكسر الهمزة من (أخاف) .

وانه وإن كان يشور فى النفس أحيانا شئ من الشك من قبل بعض شواهد النحو واللغة التى لا تبرأ أحيانا من الصناعة والوضع فإننا مع هذا - لا نستبعد نسبة هذه الظاهرة إلى عُقيل ، فهذه القبائل جميعها تشترك فى بداوتها وفى أن الجوار يجمع بينها أو بين الكثير منها .

ويذكر صاحب اللسان - كما يذكر غيره من اللغويين - أن القبائل التى تكسر حرف المضارعة إنما تفعل ذلك فى كل مضارع ثانى ماضيه مكسور "كعلم" [5] . ولكن يبدو أن هذا الضابط ليس جامعا مستوعبا لجميع الأفعال التى يكسر فيها أول المضارع ، إذ يخرج عنه بعض الأفعال كاستعان وعبد وعثا ... فهذه يكسر فى مضارعها حرف المضارعة كما سنرى .

ومن مظاهر كسر هذيل لأول المضارع ما ذكر من قراءة قوله تعالى : "ولاتِقربا هذه الشجرة" [6] ، بكسر التاء [7] ، فقد ساق أبو حيان أنها لهجة لبعض الحجازيين ، ثم نقل عن أبى بكر الطوسى أنها لهجة لهذيل ، فكان فى هذا تخصيص للعموم الذى سبق فى عبارته . ومن ذلك أيضا قراءة ابن مسعود : " لتِركبن طبقا عن طبق [8] ، بكسر التاء [9] ، ولعل منها قراءة

---

(١) اللسان (وقى) (٢) السيوطى : المزهر ١/ ١٥٢ .
(٣) تاج العروس (يأس) (٤) المنصف ١/ ٣٢٢ . (٥) اللسان (ربب) - الأصمعى : الاضداد ص١٠ (٦) سورة البقرة ٢ آية ٣٥ .
(٧) البحر المحيط ١/ ١٥٨ . (٨) سورة الانشقاق ٨٤ آية ١٩ .
(٩) البحر المحيط ٨/ ٤٤٨ .

الأعمش "ولا تِعثوا" (١) بكسر التاء أيضا ، (٢) وقراءة يحيى بن وثاب "ألم إعهد إليكم" (٣) بكسر الهمزة فى إعهد (٤) ، ومن ذلك أيضا قراءته "إياك نِعبد" (٥) بكسر النون ، وقراءته مع زر بن حبيش والأعمش وغيرهم "نِستعين" (٧) بالكسر أيضا (٨) ، وقراءته مع ابن مسعود "تِيمنه" (٩) بدلا من تأمنه (١٠) ، ومثلها "تِيلمون" (١١) بدلا من "تألمون" .

ومن الأفعال التى ورد فيها كسر أول المضارع عند هذيل الفعل "تِربِب" بمعنى "تَربى" وهو مضارع "رَبَّ" فى معنى "ربى" ، وقد نص الاصمعى على أنها لهجة لهذيل فى هذا الضرب من الفعل (١٣) .

ويقرر النحاة واللغويون أن حرف المضارعة إذا كان ياء مثل "يعلم لا يكسر لاستثقالهم الكسرة على الياء ، (١٤) وينسبون الكسر فيها إلى قبيلة واحدة هى "بهراء" (بطن من قضاعة) ، ويعلل ذلك بعض الباحثين بأن هذه القبيلة تبعت فى ذلك اللغات السامية المجاورة لها (١٥) ، ولكن تذكر المصادر أن هذه الياء نفسها تكسر فى مثل يِيأس ويِيجع عند هذيل وتميم وقيس وأسد (١٦) ونراهم عندما تفجؤهم هذه الظاهرة يستوحون عللهم الصناعية ، فيقولون إن علة كسر الياء هنا هى أنها تقوت بالياء المجاورة لها (١٧) ، ولا أدرى كيف تتقوى الياء بالياء ، وهما مثلان متجاوران مخرجهما واحد ، وهذا على عكس ما ذكروا يحدث تنافرا ومشقة فى النطق ، ولعل قلة كسر ياء المضارعة

---

(١) سورة البقرة ٢ آية ٦٠ ـ الأعراف ٧ آية ٧٤ ـ هود ١١ آية ٨٥ ـ الشعراء ٢٦ آية ١٨٣ ـ العنكبوت ٢٩ آية ٣٦ .

(٢) البحر المحيط ، ٤/ ٣٢٩ (٣) سورة يس ٣٦ آية ٦٠ . (٤) مختصر شواذ القرآن ١٢٥

(٥) سورة الفاتحة ١ آية ٥ (٦) البحر المحيط ١/ ٢٣ .

(٧) سورة الفاتحة ١ آية ٥ (٨) البحر المحيط ١ / ٢٣ .

(٩) الكشاف ١ / ٣٢٧ (١٠) سورة آل عمران ٣ آية ٧٥ .

(١١) العكبرى : إعراب القرآن ١/ ١٠٦ (١٢) سورة النساء ٤ آية ١٠٤ .

(١٣) الأضداد ص٥٢ . (١٤) اللسان (وجل) .

(١٥) د . أنيس : فى اللهجات العربية ١٢٨ .

(١٦) تاج العروس (يأس)

(١٧) اللسان (وجع)

بالقياس إلى حروف المضارعة الأخرى هو الذى دفعهم إلى أن يتحسسوا هذه العلة ،والحق أن ياء المضارعة مكسورة من تلقاء نفسها عند بعض من يكسرون حرف المضارعة) ممن ذكرنا ، ولهذا تحولت الياء الساكنة التالية لها إلى صوت لين طويل يلائم الكسرة السابقة عليه .

ويتضح لنا فساد علتهم وصحة ماذكرنا فى مثل ييجع (الذى أصله وجع الواوى)فكيف كسرت ياء المضارعة هنا مع وجود الواو التى ليست بياء تتقوى بها الياء كمايقولون ؟ الحق أن ياء المضارعة فى هذا الفعل مكسورة أصلا عند من يكسرها آسوة بغيرها من حروف المضارعة الأخرى، فقلبت وواوه الساكنة (Consonant) إلى ياء مد ، وصارت مع الكسرة السابقة عليها صوت لين واحد طويل . ولكن النحاة ينتحلون لذلك علة أخرى لاأساس لها . بل هى أكثر فسادا من سابقتها ، فيقولون إنهم لما أرادوا قلب الواو ياء كسروا الياء التى هى حرف المضارعة لتنقلب الواو قلبا صحيحا فكيف ارادوا قلبالواو ياء وقبلها مفتوح = على حد قولهم ـ وكيف تأتى أن يكسروا ياءالمضارعة عمدا ، ولغير موجب ، إلا مجرد تسويغ قلبهم للواوياء بعد هذا الكسرالمصطنع الذى انتحلوه؟ هل المسألة هكذا مجرد إرادة أو هوى؟ أم أن القوانين الصوتية هى التى تعمل عملها فى هذا المجال ؟ الحق انهم بصنيعهم هذا قد جانبوا الصواب ، فياء المضارعة هنا مكسورة كما أشرنا ـ عند من ينطقونها كذلك ، وكسرها هو الذى يتحكم فى الحرف الساكن التالى لها ـ واوا كان أوياء ـ فيقلبه صوت لين طويل من جنسه بغية التيسير الذى يعمل عمله فى تطور اللغات واللهجات ، وهذا يتفق والقوانين الصوتية التى لمح بعضها القدماء ، وحققها المحدثون من علماء الأصوات .

ومن اللغويين والنحاة من أشار إلى كسر ياء المضارعة عند بعض القبائل ، دون لجوء إلى هذه العلل الخاطئة ، مثل أبى حيان الذى يقرر أن كسر حرف المضارعة إنما هو " لهجة غير الحجازيين ... واكثرهم لايكسر الياء ، ومنهم من يكسرها " (١) فهو لم يلجأ هنا إلى هذا التعليل الصناعى حينما عرض لكسر ياء المضارعة عند من يكسرها من القبائل ، وإن كانت عبارته تشير ـ كما يشير غيره ـ إلى أن كسرها قليل عند العرب وذلك لأن كسر الياء أثقل من فتحها وقد لمح ذلك القدماء أنفسهم (٢)

---

(١) البحر المحيط ١/ ١٥٨

(٢) سيبويه . الكتاب ٢/ ٢٥٦

وظاهرة الكسر هذه عند هذيل ، ليست بارزة فى أول المضارع وحده ، بل نلمسها فى بعض الأفعال الماضية مثل " ظلت " التى أصلها " ظللت " ونظائره من الأفعال المضاعفة العين مثل مسست وأحسست ، وقد قرأ ابن مسعود والأعمش وغيرهما (ظلت عليه عاكفا)[1] بالكسر مقابلا للفتح عند جمهور القراء[2] ، وقد وجد هذا الفعل بوزنه وضبطه فى شعر الهذليين وفقا لهذه القراءة[3] .

ولعل هذه اللهجة ليست من كلام هذيل وحدها ، بل يشاركها فيها بعض الحجازيين الآخرين ، إذ يذكر الزبيدى[4] وابن منظور[5] أنها لغة الحجاز ، وقد يكون هذا ناشئا عن عدم الدقة فى الحكم عند الرواة . فقد تسمع اللهجة فى لفظ ما عند قبيلة حجازية فيقال إنها لغة الحجاز ، أو قبيلة تميمية فيقال انها لغة تميم .

هذا وينقل ابو حيان عن بعض العلماء من معاصريه أن ذلك ينقاس فى كل مضاعف العين واللام فى لهجة بنى سليم[6] ، وإذا صح هذا فسليم وهذيل قبيلتان متجاورتان كما أشرنا إلى ذلك فى موضعه من البحث ، ويشهد بذلك شعر الهذليين أنفسهم ، ومن بينهم المعطل الهذلى[7] ، فليس غريبا بعد هذا أن تنسب هذه اللهجة إلى هذيل .

ونجد كذلك عندهم " نِعِم " بكسر النون والعين فى موضع نعم ضد بئس[8] وقراءة حفص " نعما يعظكم به "[9] قد وردت على هذه اللهجة[10] مع الإدغام الذى أدى إليه وجود التجانس بين الميمين فى الكلمتين فصارتا كلمة واحدة . وقد كان يمكن القول بأن السبب فى كسر العين إنما هو تحقيق شىء من التجانس بين الكسرتين المتجاورتين فى الكلمة ، ولكنا نجد إلى جانب ذلك " نعم " فى معنى " نعم " التى هى للجواب ، وهى الأخرى لهجة لهذيل[11]

---

(١) سورة طه ٢٠ آية ٩٧ (٢) البحر المحيط ٦/ ٢٧٦ ، ٧/ ٤٢٤ ـ تاج العروس (ظلل) . (٣) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ٢٨٢ .
(٤) تاج العروس (ظلل) (٥) اللسان (ظلل) . (٦) البحر المحيط ٦/ ٢٧٦ .
(٧) ديوان الهذليين ٣/ ٤٦ . (٨) سيبويه / الكتاب ٢/ ٤٨ ـ القاضى عياض : مشارق الأنوار ٢/ ١٨ . (٩) سورة النساء ٤ آية ٥٨ .
(١٠) الكتاب ٢/ ٤٠٧ . (١١) الجمهرة (نعم) القسطلانى ٤/ ٢٠٤ .

ولعلها كانت في بعض قريش أيضا ، فقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينطقها كذلك ، وأن أمير المؤمنين عمر كان يستحب نطقها أيضا ، وقد ساق صاحب اللسان أن بعض ولد الزبير كان يقول : " ما كنت أسمع أشياخ قريش يقولون إلا " نعم " بكسر العين (١) ، وهذه كانت قراءة عمر ، وابن مسعود (٢) وقد ذكر أيضا أنها لهجة لكنانة (٣) ، وكنانة وقريش وهذيل كلها قبائل قريبة النسب والجوار ، فلا يستبعد أن يكون قد علقها بعضهم من بعض .

وهذه اللهجة قد قرأ بها الكسائي الآيتين الكريمتين : " قل نعم وأنتم داخرون " (٤) ، " فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم " (٥) بكسر العين فيهما (٦) . ويذكر المستشرق الإنجليزي (Rabin) (٧) أن وجود الكسر هنا يدل على أن لهجة هذيل لم يصبها شئ من الميل الشرقي إلى تناسق الأصوات ، ولعل الذي دفعه إلى هذا هو أن هذيلا من قبائل غرب الجزيرة العربية التي قال عنها هو نفسه إن السبب في الاحتفاظ بهذه الصيغة في العربية الغربية هو انعدام الميل إلى التناسق الصوتي (٨) . والحق أنه وإن كانت هذيل قبيلة حجازية ، فإنها - مع ذلك - قد أدت بداوتها وجوارها ، أو جوار بعض بطونها وأفخاذها - على الأقل في بعض فصول العام - لقبائل وسط الجزيرة ، قد جعلها هذا الموقف شيئا وسطا بين القبائل الغربية أو الحجازية ، وبين القبائل التي تنزل في شرق الجزيرة أو في وسطها ، وإذا كان (Rabin) يعني بتناسق الأصوات انسجام الحركات في الكلمة الواحدة ، فكيف لم يصب هذيلا منها شئ ؟ وقد لمسنا في لهجات الحجاز عموما شيئا من هذا الانسجام في مثل : "برأ" بفتحتين بدلا من" برئ" عند تميم ، "عنق" بضمتين بدلا من " عنق " بسكون النون كذلك عند تميم . وقد تنبه اللغويون والنحاة إلى أن ضم النون في لهجة الحجاز إنما هو للإتباع ، وليس هذا الإتباع (٩) في حقيقته ومعناه إلا هذا الانسجام الذي يقصده (رابن) ويعنيه المحدثون عموما . وإنا لنلمس هذا الانسجام الصوتي عند هذيل فيما رأينا من توالي الضمتين في نحو : نُجُـد ونُمُر وعُمُـد ... ، كما نجد عندهم توالي الكسرتين في " نِعِمات " جمع " نِعْمة " بكسر العين في الجمع لا يسكونها وقد تنبه القدامى أنفسهم إلى ذلك ، فقالوا إن الإتباع فيه لأهل الحجاز (١٠)

(١) اللسان (نعم) (٢) شرح المفصل ٢/ ١٢٥ (٣) المرجع السابق والصفحة السابقة .
(٤) سورة الصافات ٣٧ آية ١٨ (٥) سورة الأعراف ٧ آية ٤٤ (٦) البيضاوي ٤/ ٧٤ ، ابن هشام : المغني ٢/ ٢٣ ، ٢٤ - السيوطي : جمع الجوامع ٢/ ٧٦ .
(٧) Rabin , ancient west Arabia P 79 , 80
(٨) " " " P 73
(٩) العدوي : فتح الجليل ص ٦٩ . (١٠) ابن سيده : المحكم (ع ل م) ٢/ ١٢٩ .

وفى مثل "إبن" بدلا من أبن[١] ، وقد ذكر هذا (رابن) نفسه فى كتابه[٢] ، وقد تتوالى الفتحتان أيضا فى مثل "رَشَد" بدلا من "رُشد" بضم فسكون ، وقد قرأ بها ابن مسعود[٣] ، "فإن آنستم منهم رَشَدا"[٤] ، كما قرأ بها حمزة والكسائى[٥] من مدرسة ابن مسعود قوله تعالى "وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا".[٦]

وهكذا نجد أن (رابن) قبل أن يطلق بعض هذه الأحكام لم يستقرئ مفردات اللهجة التى يتحدث عنها ، ولعل بعض عذره أن كتابه ليس خاصا بقبيلة واحدة كهذيل ، وإنما هو نظرات عابرة فى لهجات مجموعة من القبائل لا تمكنه إلا من إعطاء أحكام عامة ، قد يعوزها شئ من الدقة المطلوبة فى الأحكام العلمية .

+ ++ ×

وإذا كان الحديث عن أصوات اللين القصيرة أو الحركات الثلاث يكاد يكون متداخلا بصورة لا يمكن معها أن يخلص الحديث لأحدها منفصلا عن غيره انفصالا تاما ، فإننا — مع هذا — ندرك فى يسر أن ما سبق من كلام فى الموضوع إنما كان حول الفتح ، وكيف كانت تتجه إليه هذيل ، والقبائل الحجازية عامة — على تفاوت بينها — فى كثير من الكلمات التى كانت تكسر فيها القبائل الأخرى أو تضم . ثم كيف كانت تتجه هذيل نفسها نحو الضم أحيانا حين يفتح غيرها من الحجازيين ، وإلى الكسر أحيانا حين يفتح هؤلاء أو غيرهم . أما الحديث عن الكسر والضم فإنهما وإن كانا يستويان فى أن الفتح أخف منهما معا كما أدرك ذلك القدماء من اللغويين والنحاة والقراء ، ثم المحدثون من علماء الأصوات ، فإن الكسر ، مع ذلك ، أيسر من الضم وأرق منه نطقا واستعمالا[٧] ، فلا غرو أن نجده أكثر انتشارا فى البيئة الحجازية التى هى أقرب إلى الحضارة ، وأكثر إيثارا للسهولة واليسر والانتقاء ، فقد قرأ معظم القراء من كوفيين وغيرهم (ومن بينهم حفص) قوله سبحانه : "وما كانوا يعرِشون"[٨] ، "ومما يعرِشون"[٩]

---

(١) ابن دريد : الاشتقاق ص ٨٠ (٢) Rabin ancient west Arabia P 80
(٣) البحر المحيط ٣/ ٧٤ (٤) سورة النساء ٣ آية ٦ (٥) البيضاوى ٢/ ٢٤٣ .
(٦) سورة الأعراف ٧ آية ١٤٦ (٧) فى اللهجات العربية ص ٨١ .
(٨) سورة الأعراف ٧ آية ١٣٧ . (٩) سورة النحل ١٦ آية ٦٨ .

بكسر الراء [١] ، وهي لهجة الحجازيين وقد وصفها اليزيدي بأنها أفصح من لهجة الضم [٢]، ولعله يعني بذلك خفة النطق فيها بالكسر عن نظيره بالضم ، أو أنه وصفها هذا الوصف لكونها من لهجات الحجاز . هذا وقد قرأ أبو رزين الكوفي ، "فأحسن صِورکم" [٣] بكسر الصاد [٤]، وهو ممن رووا عن ابن مسعود وعلى بن أبي طالب [٥] وكلاهما حجازي ، وهذه القراءة نفسها قراءة الأعمش الكوفي [٦] . ونجد من ذلك أيضا الرِّضوان "بكسر الراء لهجة الحجاز وضمها لهجة تميم [٧] وبكر وقيس عيلان [٨] . "وصنو" جمعه في لهجة الحجاز صنوان بكسر الصاد كقنو وقنوان ، وبضمها في لهجة قيس وتميم [٩] ، "والعِدوة " (وهي جانب الوادي) لهجة الحجازيين فيها كسر العين [١٠] .

وهذيل – وهي حجازية كما هو معروف – تكسر في ألفاظ يضم فيها بعض القبائل الأخرى من غير الحجازيين ، فقد قرأ ابن مسعود : فصِرهن إليك " [١١] ، بكسر الصاد بدلا من ضمها [١٢] . وقد أشار بعض اللغويين إلى أن معناها مكسورة الصاد يخالف معناها مع الضم ، ولكن الفراء يقرر ، كما يقول الزبيدي ، أنهما لغتان ، وأن الضم كثير ، وأما الكسر ففي هذيل وسليم [١٣] ، وبه قرأ تلاميذ ابن مسعود من الكوفيين [١٤] ، فهما إذن لهجتان : إحداهما بالضم ، والثانية بالكسر [١٥] ، وقد رأينا أن الكسر لهذيل . والفعل "وجد " (بمعنى عثر على ضالته) مضارعه يجد بالكسر عند الحجازيين – وهذيل من بينهم – وعند كثيرين من غيرهم ، بينما نراه بضم الجيم عند بعض القبائل البدوية كبني عامر بن صعصعة [١٦] ، وقرأ ابن وثاب والأعمش وابن مصرف والكسائي "وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة " [١٧] ،

---

(١) البحر المحيط ٥/ ٥١٢ (٢) المرجع السابق ٤/ ٣٧٧ (٣) سورة غافر ٤٠ آية ٦٤ ، سورة التغابن
(٤) مختصر شواذ القرآن ١٣٢ (٥) طبقات القراء ٢/ ٢٩٦ (٦) القاضي : القراءات الشاذة ص ٨٣ .
(٧) أبو شامه ، إبراز المعاني ٢٦٧ (٨) البحر المحيط ٢/ ٣٣٨ .
(٩) المرجع السابق ٥/ ٣٥٧ (١٠) إبراز المعاني ٣٣٤ (١١) سورة البقرة ٢ آية ٢٦٠
(١٢) اللسان (صير) (١٣) المرجع السابق (المادة نفسها) .
(١٤) البيضاوي ١/ ٢٦٢ (١٥) الزمخشري : الكشاف ١/ ١٢٤ – البيضاوي ١/ ٢٦٦ .
(١٦) تاج العروس (وجد) شرح الشافية ٤/ ٩١ . (١٧) سورة يونس ١٠ آية ٦١ .

" لا يعزب عنه مثقال ذرة " (١) بكسر الزاى بدلا من ضمها (٢) ، وقرأ يحيى ابن وثاب والأعمش : " بما كانوا يفسقون " (٣) ، بكسر السين (٤) ، وقرأ الأعمش وأبو حيوة : " يعرجون " (٥) ، بكسر الراء وهى لهجة هذيل فى العروج بمعنى الصعود (٦) ، وقد قرأ يحيى بن وثاب والأعمش فى جماعة من الكوفيين : " ولو رِدوا " (٧) بكسر الراء مبنيا للمجهول (٨) وهى نفسها قراءة علقمة ويحيى بن وثاب والأعمش فى قوله تعالى (٩) : " هذه بضاعتنا رِدت إلينا " (١٠) ، وقرأ ابن وثاب وصِدوا (١١) بكسر الصاد (١٢) ، وهى القراءة نفسها ، ويسوق ابن الجزرى أن أبا بكر بن عياش الذى أخذ القراءة عن زر بن حبيش عن ابن مسعود كان يقرأ بهذه القراءة ذاتها ، ثم يذكر ابن الجزرى نفسه أنها لغة هذيل (١٣) .

ومن مظاهر ميلهم إلى الكسر أننا حين نجد فى لهجة بعض القبائل " يُسع " بالضم أى ريح الشمال ، نجد أن هذيلا تقول مِسع أو نِسع بالكسر وقد رويت هكذا فى أشعار بعض الهذليين كقيس بن خويلد والمتنخل (١٤) .

وقد يأتى الكسر عند هذيل محققا لقانون الانسجام الصوتى ، الذى تنبه إليه القدامى أنفسهم ، وكانوا يسمونه بالاتباع ، فقد قرأ عبد الله بن مسعود ويحيى بن وثاب ، والأعمش وحمزة والكسائى " بِكيا " (١٥) ، بكسر الباء ، ويذكر أبو حيان أن ذلك إتباع لحركة الكاف (١٦) ، وكذلك قرأ حمزة والكسائى وحفص من الكوفيين " عِتيا " (١٧) بكسر العين لا بضمها (١٨) ، وقرأ أصحاب ابن مسعود جميعهم ، وكثير ممن أخذوا عنهم كطلحة وابن وثاب ، ويحيى والأعمش واتخذ قوم موسى من حِليهم " (١٩) بكسر الحاء (٢٠) ، وقد أدرك صاحب الكشاف وغيره ما فيه من انسجام صوتى ، فقالوا إن الكسر فيه للإتباع (٢١) . ومن ذلك ميلهم إلى كسر همزة " أم " إذا كان قبلها كسرة أو ياء (٢٢) ، (والياء والكسرة صنوان) ، وقد قرأ حمزة الكوفى : " والله أخرجكم من بطون إمهاتكم " (٢٣)

---

(١) سورة سبأ ٣٤ آية ٣ (٢) البحر المحيط ٥/ ١٧٤ ـ البيضاوى ٣/ ١٣ .
(٣) سورة الأنعام ٦ آية ٤٩ (٤) البحر المحيط ٤/ ١٠٤ (٥) سورة الحجر ١٥ آية ١٥ .
(٦) حمودة : القراءات واللهجات ص ٢٧ (٧) سورة الأنعام ٦ آية ٢٨ .
(٨) البحر المحيط ٣/ ٣١٦ ، ٤/ ١٠٤ (٩) سورة يوسف ١٢ آية ٦٥ .
(١٠) البحر المحيط ٥/ ٣٢٣ (١١) سورة الرعد ١٣ آية ٣٣ (١٢) البحر المحيط ٥/ ٣٩٥ .
(١٣) طبقات القراء ١/ ٣٤٦ (١٤) ديوان الهذليين ٢/ ١٦ ـ الأمالى ٢/ ٨٧ ـ تاج العروس واللسان (مسع) . (١٥) سورة مريم ١٩ آية ٥٩ .
(١٦) البحر المحيط ٦/ ٢٠٠ (١٧) سورة مريم ١٩ آية ٨ (١٨) البيضاوى ٣/ ١٥٦ .
(١٩) سورة الأعراف ٧ آية ١٤٨ (٢٠) البحر المحيط ٤/ ٣٩٢ (٢١) الكشاف ١/ ٣٥١ .
(٢٢) البحر المحيط ٣/ ١٨٥ (٢٣) سورة النحل ١٦ آية ٧٨ .

بكسر الهمزة والميم من "أمهاتكم" في هذه الآية [١] ، وفي غيرها من آيات الكتاب الكريم [٢] ، وكذلك يذكر الفراء أنه قد قرأ حمزة والكسائي : "فلإمه الثلث" [٣] ، "في إم الكتاب" [٤] ، "في إمها رسولا" [٥] ، بالكسر في الحرفين معا [٦] وقرأ حمزة "أو بيوت إمهاتكم" [٧] ، من بطون إمهاتكم [٨] بالكسر في الحرفين أيضا [٩] ، وقد فعل ذلك الكسائي في قوله سبحانه "والله أخرجكم من بطون إمهاتكم" [١٠] وقد علل بعضهم ذلك بأنه لغة أو إتباع لما قبلها [١١] والواقع هو اجتماع الأمرين معا ، فهي لهجة اتسم أصحابها بوجود ذلك الانسجام الصوتي في بعض ألفاظهم ، وقد اتفق علماء اللغة والتفسير والقراءات على أن كسر همز "فلإمه" هو لهجة هوازن وهذيل ، كما يقول الكسائي فيما يرويه أبو حيان في تفسيره [١٢] ، أو لهجة كثير من هوازن وهذيل فيما يحكى عن سيبويه [١٣] .

وأغلب الظن أن هذا الكلام يحده شيء من التوفيق ، لأن قانون الانسجام الصوتي نجده في واقع الأمر يقوم على الاقتصاد في الجهد العضلي ، وذلك ما نلمسه واضحا في البيئات البدوية أكثر منه في الحضر ، كما نجده الآن في اللهجات الحديثة واضحا كل الوضوح بين الفلاحين والعمال من غير المثقفين فهؤلاء يطلقون أنفسهم على سجيتها في النطق دون تحكم كثير في اللسان .

ولهذا ظهر الكسر في هذا الاسم عند بعض القبائل البدوية لأن ظروفها دفعت إلى وجود شيء من التناسق الصوتي في بعض ألفاظها ، فليس غريبا إذن ما ذكره اللغويون حين نسبوا ذلك إلى هوازن وهذيل ، فهذيل وإن كانت حجازية متأثرة بأهل المدر من الحجازيين ولا سيما قريش ، فإنها – مع هذا – قبيلة بدوية تجاور هوازن ، وغيرها من البدو بين مكة والطائف كما سبق أن ذكرنا ، وكما يشير إلى ذلك شعر الهذليين أنفسهم [١٤] ، فمن المعقول أن تتأثر أو تتأثر بطونها القريبة من هؤلاء بهذا التناسق الصوتي في بعض ألفاظها .

(١) البحر المحيط ٥/ ٦ ٢٤ . (٢) سورة النور ٢٤ آية ٦١ ، الأحزاب ٢٣ آية ٤ ، الزمر ٣٩ آية ٦ ، النجم ٥٣ آية ٣٢ (٣) النساء ٤ آية ١١ . (٤) الزخرف ٤٣ آية ٤ (٥) القصص ٢٨ آية ٥٩ (٦) الضباع : إرشاد المريد ص ١٨٠ أبو شامة : إبراز المعاني ص ٢٨٥ وما بعدها . (٧) سورة النور ٢٤ آية ٦١ . (٨) سورة النحل ١٦ آية ٧٨ . (٩) البيضاوي ٣/ ١٠٥ . (١٠) سورة النحل ١٦ آية ٧٨ . (١١) البيضاوي ٢/ ٧١ ، ٣/ ١٠٥ (١٢) البحر المحيط ٣/ ١٨٥ . (١٣) إبراز المعاني ٢٨٥ ، ٢٨٦ – حمودة : القراءات واللهجات ص ٢٧ .

(١٤) ديوان الهذليين ٣/ ٤٦ ، الأمالي ٢/ ٣٢٨ .

هكذا كان اتجاه هذيل نحو الكسر غالبا حين يضم غيرها من القبائل البدوية الأخرى التى تزداد توغلا فى قلب الجزيرة العربية ، وتزداد بعدا عن أهل الحضر من الحجازيين فى مدنهم وقراهم ، ولكن قد نرى مع هذا أن هذيلا "تضم" أحيانا حين "يكسر" غيرها ، ومعنى هذا أنها لا يتسنى لها أن تخلص من الطابع البدوى الذى لها فيه نصيب ، ولجاراتها الأخريات فى وسط الجزيرة منه أوفى نصيب .

ومن أمثلة ذلك قول هذيل "يعُن" بضم العين "أى يعرض" وقد روى به بيت للأعلم الهذلى يتحدث عن فراره وسرعة عدوه كأنه ظليم [1] ويقول السكرى معقبا عليه : "لغة هذيل يعن بالضم ، وغيرهم يعن بالكسر" [2] .

وعلى هذا النحو كان إيثار هذيل للكسر كثيرا ، واتجاهها نحو الضم قليلا ، ولقد تحس لهذا الطابع أثره فى اتجاه هذه القبيلة بخاصة ، وسائر القبائل الحجازية بعامة نحو استعمال الياء أكثر من استعمال الواو فى الألفاظ التى تتعاقب فيها الواو والياء فى لهجات العرب .

فإذا ما آثر غير الحجازيين الواو فى كلمة ألفينا نطق الحجازيين – فى كثير من الأحيان – لهذه الكلمة نفسها بالياء بدلا منها ، وهذا ما يسميه القدماء من علماء اللغة بالمعاقبة الحجازية ، إذ يسمى الحجازيون الصواغ "الصياغ" [3] والصوام "الصيام" [4] ، ويستبدلون الصّياغ بالصّواغ ، والمياثق بالمواثق [5] ويقولون امرأة شغياء كشغوا" .

ويريد ابن سيده أن يوضح هذه المعاقبة ، والعلة الدافعة إليها ، فيقول : "إنها قلب الواو ياء لغير علة إلا طلب الخفة" [6]

---

(١) ديوان الهذليين ٢/ ٨٣ – الجمهرة (ت ح ح) ١/ ٣٩ – شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص٦١ – اللسان (عنن) .
(٢) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص٦٢ (٣) اللسان (صوغ) – الخصائص ٢/ ٦٥ إصلاح المنطق ص١٥٥ (٤) ابن جنى : المنصف ٣/ ٦٢ ، ٦٣ .
(٥) تاج العروس (وثق) . (٦) ابن سيده . المخصص ١/ ١٥٠ ، ١٥/ ١٦٤ .

وهذيل تبدو فيها هذه الظاهرة في وضوح . فهم يقولون للوازع، بمعنى الزاجر، " يازع "[1]، وقد روى بها قول حصيب الهذلي يذكر فرته من العدو : لما رأيت بني عمرو ويازعهم أيقنت أني لهم في هذه قود[2]

ويقول السكري : أراد " وازعهم " فقلب الواو ياء طلبا للخفة، ولعل السكري لا يعني أن هذا صنيع الشاعر وحده حين راح ينشد الخفة في الياء، وإنما يريد أن يقول إن الشاعر يمثل لهجة قومه التي اتخذت هذا النهج فرارا من ثقل الواو إلى خفة الياء، إذ يقول هو نفسه بعد قليل : " لغتهم جعل الواو ياء " . ويلاحظ الجمحي أن كنانة هي الأخرى كانت تقول يازعهم بدلا من وازعهم شأنها شأن هذيل في ذلك[3] .

هذا وقد تستعمل هذيل الخيف بالياء وأصله الواو، وهكذا ورد في شعر صخر الغي : فلا تقعدن على زخة وتضمر في القلب وجدا وخيفا[4]
ونجد الحيبة بالياء بدلا من الحوبة بالواو في مثل قول أبي كبير :
ثم انصرفت ولا أبثك حيبتي[5] .

ويسوق صاحب المخصص بيت أبي صخر الهذلي :
فإن يعذر القلب العشية في الصبا فؤادك لا يعذرك فيه الأقاوم[6]
ثم يعرض فيه رواية أخرى هي " الأقايم " بالياء، ولعل الاتجاه إلى هذه الرواية أنسب لما اتسمت به هذيل والحجازيون من إيثار الياء كما نرى .

وهذيل تقول أيضا : أجييت القدر في معنى أجوبتها أي غلفتها[7] ، ويغير في معنى " يغور " أي يغيث " ويقول عبد مناف بن ربع الهذلي :

ماذا يغير ابنتي ربع عويلهما لا ترقدان ولا بؤسى لمن رقدا[8]

وإذا وجد في اللغة فلاه يفلوه ويفليه، وفلوته وفليته، فإنا نجدها في شعر الهذليين بالياء، ومن أمثلة ذلك قول صخر الغي :
فليت عنه سيوف أريح حتى باء بكفي ولم أكد أجد[9]

---

(١) القاموس (وزع) (٢) المرجع السابق، تاج العروس، اللسان (وزع) .
(٣) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص ٧٣ ، Rabin: Ancient west Arabia, 65.
(٤) ديوان الهذليين ٢ / ٧٤ ـ اللسان (خوف) ـ ابن السكيت، إصلاح المنطق ١٧ .
(٥) ديوان الهذليين ٢ / ١٠٢ ـ إصلاح المنطق ١٣٣ . (٦) المخصص ١٤ / ٢١ .
(٧) الأصمعي : ما تفرد به بعض أئمة اللغة ص ١١ .
(٨) ديوان الهذليين ٢ / ٣٨ ـ الصحاح (غير) ـ محمد صديق خان : البلغة ١٠ .
(٩) ديوان الهذليين ٢ / ٦٠ .

وليس هذا الأمر وقفا على الشعر بل نجد صداه في النثر ، وفي قراءة ابن مسعود ، فإذا كان جمهور القراء قد قرءوا : " تذرُوه الرياح " (١) بالضم والواو ، فإن قراءة ابن مسعود " تذرِيه الرياح " بالكسر والياء (٢) .

هذا وقد روي عن ابن مسعود : " إياكم وهو شات الليل ، وهوشات الأسواق أي فتنتها وهيجها " ورواه بعضهم " هيشات " بالياء (٣) ، ولعل هذه الرواية أشبه بابن مسعود الهذلي أولا والحجازي ثانيا . وقد ورد في بعض المواضع رواية الياء منفردة دون إشارة إلى الواو (٤) . وقد روي عن ابن مسعود غير هذا قوله : " إذا قلت صه عند الخطبة فقد لغِيت " بكسر الغين وبالياء في موضع لغَوت (٥) .

هذا من آثار ميل هذيل للكسر غالبا ، ولكن اللغات واللهجات لا يمكن أن ينتظمها قانون عام جامع مانع كما يقال ، وإنما هي دائما تأخذ وتعطي طبقا لما يقتضيه ناموس الحياة ، وما تتطلبه حياة المجتمعات البشرية التي اتخذت من هذه اللغات أو تلك اللهجات أداة للتعبير عنها ، فإذا كنا قد رأينا من هذيل ميلا للكسر وانعطافا نحو الياء ، فإنا قد رأينا عكس هذا أحيانا ، وهو أنها قد عرفت الضم مكان الكسر في بعض ألفاظها ، وكان لهذا أثره في تسرب الواو مكان الياء في شيء من كلامها ، ومن مظاهر ذلك قول هذيل : أتوته آتوه بمعنى أتيته آتيه ، فقد ذكر القالي ــ وهو من أشد الناس اهتماما بالهذليين ، وأكثرهم اتصالا بلهجتهم وأشعارهم ــ أن هذه لهجة هذلية ، وبها ورد شعر الهذليين في ديوانهم ، وفي كثير غيره من المصادر اللغوية والأدبية (٦) . كما نجد الأقوال في موضع الأقيال (جمع قَيل) وهم ملوك حمير في شعر مالك بن خالد الخناعي يرد على مالك بن عوف النصري زعيم هوازن (٧) . ومن ذلك ما يذكره ابن عباد من أن هذيلا تقول " صلَوتُ الظهر " بمعنى صليت . (٨)

---

(١) سورة الكهف ١٨ آية ٤٥ (٢) اللسان (ذرا) ــ مختصر شواذ القرآن ص ٨ .
(٣) تاج العروس واللسان (هوش) ــ الفائق ٣/ ١٢٥ ، ٢٢١ .
(٤) اللسان (هيش) . (٥) البلغة ص ١٠ . (٦) ديوان الهذليين ١/ ١٦٥ ــ الأمالي ٢/ ٢٠٤ ــ اللسان (أتى) ــ المخصص ١٢/ ٣١٣ ، ١٤/ ٢٤ ، ٢٨ ــ تاج العروس ، اللسان (بزز) . الجمهرة (ب ر ى) ، (ت أ و) ــ ابن فارس : مقاييس اللغة (أ ت و) ــ المفضليات ٥٠٩ ــ اصلاح المنطق ١٦٠ ــ مجالس ثعلب ١/ ١٦٢ (٧) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص ١٥٩ .
(٨) المحيط (صلو) .

وكذلك آم يؤوم بدلا من " يئيم " أى يدخن على النحل ليشتار العسل ، وهكذا رويت فى شعر ساعدة بن جؤية[١] ، أو فى شعر أبى ذؤيب[٢] وكلاهما هذلى كما عرفنا ولكنهم رجعوا بمصدر هذا الفعل إلى أصله اليائى فى لهجتهم ، فلا يقولون (أوما) بل (أياما) ، وهكذا ورد به كثير من شعرهم[٣] .

وعند هذيل أيضا (صلوته) أى أصبت صلاة أو ضربته ، فى موضع (صليته) بالياء عند غيرهم[٤] ، وأسوان أى حزين بدلا من (أسيان) فى بعض اللهجات الأخرى ، وقد وردت روايته بالواو فى الشعر الهذلى[٥] .

وقد نجد شيئا من ذلك فى لهجة الحجازيين بعامة ، فليس معنى المعاقبة الحجازية التى ذكرها اللغويون أن كل واو عند غيرهم تنطق ياء عندهم وإنما المقصود أن الواو وإن كانت موجودة فى نطق الحجازيين فى الأصل ، فإنهم نظرا لطبيعتهم الحضرية ، وقدرتهم على الانتقاء والاختيار يميلون إلى استبدال الياء بها فى نطقهم مع بقاء الواو فى بعض ألفاظهم ، وفى لهجات بعض قبائلهم ولقد تنبه إلى هذا بعض اللغويين فأشار إلى أن المعاقبة ليست مطردة فى لغتهم فهم وإن كانوا يسمون الصواغ الصياغ[٦] ، فإنهم يقولون المياثر والمواثر والمواثق والمياثق[٧] ، وهذا الكلام لا يجافى الواقع ، ولكن نضيف إليه أنه حين يوجد الواوى واليائى معا فى لهجة الحجازيين فهما لا يوجدان جنبا إلى جنب فى لهجة قبيلة واحدة أو أكثر من قبائلهم بل نجدهما فى لهجتين لقبيلتين مختلفتين تكون إحداهما قد انتقلت إلى النطق بالياء بينما بقيت الأخرى على الواو لا تريم . ولعل القبائل التى تحولت إلى الياء أو كثرت فيها مظاهر هذه المعاقبة إنما هى القبائل الحضرية كقريش ، والتى قلت فيها إنما هى القبائل البدوية من هؤلاء الحجازيين كهذيل .

---

(١) شرح اشعار الهذليين (فراج .) ٢ / ٩٥٤ تاج العروس (أيم) ، (قمول)
(٢) ديوان الهذليين ١ / ٢٠٩ التمام ص ٢١٢ الصحاح (أيم) ـ شرح المفصل ٥ / ٨٤ . (٣) شرح المفصل ٥ / ٨٤ ـ المنصف ٣ / ٦٣ ـ المخصص ١٤ / ٢٣٩ ـ ـ البحر المحيط ٣ / ٢٩٠ . (٤) القاموس (الصلا) ـ تاج العروس ، اللسان (صلا) . (٥) ديوان الهذليين ١ / ٢٠٤ ـ اللسان (أسا) . (٦) المحتسب ١٥٦ . (٧) المخصص ١٤ / ١٩ .

أصوات اللين الطويلـــة

أصوات اللين الطويلة هي ألف المد ، واو المد ، وياء المد ، وهـــذه الأصوات في الواقع امتداد لأصوات اللين القصيرة ، وتشترك معها في الحكـــم مع الاختلاف في الكم ، ولذلك فالطابع العام الذي يطبع لهجة من اللهجـــات العربية من حيث ميلها إلى حركة بعينها تظهر فيها ، مقابلة لحركة أخـــرى في لهجة غيرها ، ذلك الطابع نجده بارزا أيضا في أصوات اللين الطويلـــة ، فالقبائل التي تميل إلى الفتح مقابلا للكسر أو الضم عند غيرها ، نجدها غالبا تميل إلى الألف في الوقت الذي يتجه فيه غيرها إلى الياء أو الواو . والقبائـــل التي تتجـه إلى الكسر مقابلا للضم أو العكس ، نجد هذا الاتجاه ينعكـــس أثره عليها فيما يخص أصوات اللين الطويلة أيضا ، فمن قال يفرغ بالفتح قـــال في المصدر " فراغا " ومن قال يفرُغ بالضم جعل المصدر " فروغا " [(١)] ، ومـــن قال بُعنا وخُفنا وهُبنا ، يقول بُوع ، وخُوف وهُوب في صيغة البناء للمفعول [(٢)] ، ومن فتح أول المضارع في أثم قال " آثم " ، ومن كسرها قال " إيثم " [(٣)] . وهكـذا

ولما كانت هذيل ممن يكسرون حرف المضارعة على النحو الذي سبق فـــي أصوات اللين القصيرة ، فإنه اذا ولي هذا الحرف همزة ، فإنها قد تصير صـــوت لين طويل مماثل للكسرة السابقة عليه ، وهو الياء ، وذلك إقتصادا في الجهـــد العضلي ، وتحقيقا للتجانس الموجود بين الكسر والياء ، فنجد إيثم بدلا من آثم [(٤)] ، وتيمنه في موضع تأمنه ، وتيلمون أي تألمون ، وبهذا قرأ ابن مسعود وبعض تلاميـــذه من الكوفيين [(٥)] .

وإذا كان الحرف الذي يلي حرف المضارعة ياء ساكنة (consonant) صارت عندهم لمجانسة الكسرة ياء مد (vowel) ، فالفعل ييأس عندمـــا تكسـر ياؤه عند هذيل (وتميم وقيس وأسد) تصير ياؤه الثانية ياء مد فتنطق " ييأس " [(٦)] ومثله الواو في (يوجل) فهي حرف ساكن ، ولكن كسر أول الفعل يجعل الواو صوت لين طويل مجانس للكسرة قبله (وهو ياء المد) ، فيصير عند هذيل (ييجل) [(٧)] . . . وهكـــذا .

---

(١) الكامل ١/ ٥٠ (٢) سيبويه ، الكتاب ٢/ ٢٦١ (٣) اللسان (أثم) .
(٤) ابن الأثير ، النهاية ١/ ٢٠ (٥) البحر المحيط ٢/ ٤٩٩ ـ الكشاف ١/ ٣٢٧ ـ العكبري ، إعراب القرآن ١/ ١٠٦ (٦) تاج العروس (يأس) ـ القـــراءات الشاذة ٢٢ ، ٢٣ (٧) اللسان (وجل) .

وإذا تركنا المضارع إلى غيره ألفينا أن الفعل (عسى) من المعروف أنه عندما يتصل بضمير رفع متحرك (كضمير المتكلم أو المتكلمين وضمير المخاطب أو المخاطبين) فى مثل عسيت) أو عسيتم " تفتح سينه ، وهذا هو المألوف فى نطقه ، ولكن السين قد تكسر أيضا [1] ، فعند الفتح يعقب السين المفتوحة حرف ساكن (consonant) هو الياء ، وهى قريبة فى المخرج من صوت اللين أى من ياء المد ، ومع كسر السين تصير هذه الياء الساكنة صوت لين طويل هو الياء وبهذا قرأ نافع المدنى وهو حجازى طبعا ، وعليه قراءة ابن مسعود وهو حجازى هذلى ، وقد نقل صاحب شرح الشاطبية عن أبى بكر الإدفوى أن هذه لغة هذيل يكسرونها مع المضمر خاصة [2] .

وما يقال فى الكسرة والياء ، نجد ما يماثله فى الفتحة والألف ، فالفعل سأل يسأل (ونظائره) نجد همزته عند هذيل ألفا [3] فتح ما قبلها (أى صوت لين طويلا) وذلك لأن قبلها صوت لين قصيرا يجانسها ، فمن اليسير مد الصوت به دون جهد .

وهذا حسان بن ثابت يهجو هذيلا فيقول :

سألت هذيل رسول الله فاحشة ... ضلت هذيل بما سالت ولم تصب
سالو رسولهم ما ليس معطيهم ... حتى الممات وكانو سبة العرب [4]

فهو - كما نرى - قد وضع سال فى موضع (سأل) فإذا لم يكن قد فعل هذا رغبة فى أن يستقيم له الوزن ، فربما فعله يحاكى به هذيلا فى لهجتها حال هجائه إياها كما يفعل الناس حينما يحاكون كلام غيرهم أثناء تأنيبهم ، قصدا إلى المبالغة فى التنديد بهم وتبكيتهم ، وعلى هذا تكون لهجة خاصة ، وليست من ضرورات الشعر ومستلزماته ، وقد نقل الاستراباذى عن السهيلى قوله :

" سالت هذيل ليس على تسهيل الهمزة ولكنها لغة [5] وقد رأينا أنها لهذيل ويحتمل أن يكون قول حسان دليلا على وجودها فى بعض البيئات الحجازية الأخرى

---

(١) الكشاف ٢٨٦/١ - أدب الكاتب ٢٥٩ (٢) أبوشامة : إبراز المعانى " شرح الشاطبية " ص ٢٥٥ (٣) تاج العروس (سأل) - البحر المحيط ٢١٩/٧ .

(٤) المخصص ٢١٨/١٢

(٥) شرح شواهد شرح الشافية ص ٣٤٠ .

لاسيما وقد قرأ بها نافع (١) قوله تعالى : "سأل سائل بعذاب واقع" (٢) فقد تمثلها إذن لهجة المدينة وبعض الحجازيين الآخرين إلى جانب هذيل (٣) ، وقد ذكر أنها كانت قراءة عبد الله بن مسعود (٤) ، كما قيل إنها كانت لهجة قريش أيضا (٥) ، وهذا يوائم ما ذكروا من أن قريشا لا تهمز في كلامها (٦) ولعل هذا أثر من آثار اللهجة الهذلية.

وقد نجد من ذلك أيضا "مساب" أي "مسأب" (٧) ، وهو سقاء العسل ، ومثاله من شعر أبي ذؤيب : "تأبط خافة فيها مساب" (٨) .

فيحتمل أن يكون ضرورة شعرية ، كما يحتمل أن يكون اللفظ هكذا على لهجته ولا ضرورة فيه ، فيذكر اللغويون أن أبا ذؤيب ترك همزه ، ولكنهم لم يشيروا إلى كون ذلك ضرورة أو لهجة (٩) ، ولكنا ألفينا هذا اللفظ مهموزا في شعر ساعدة بن جؤية (١٠) ، وهذا قد يوحي بأن صنيع أبي ذؤيب من قبيل الضرورة الشعرية تتطلبها سلامة الوزن واستقامته ولهذا لو كان ذلك الشاهد وحده لما نظرت إليه ، ولكنه ـ ومعه غيره ـ يستأنس به فيما نحن بصدده . هذا مع ما يحتمل من أن تكون الضرورة في شعر ساعدة لا في بيت أبي ذؤيب ، ومع ذلك فأبو ذؤيب قردي من بني صاهلة ، وساعدة من بني كعب ابن كاهل ، فهما من بطنين مختلفين ، وقد يكون لكل منهما في هذا لهجته ، ثم إن ما ذكر بعض الأفذاذ من علماء اللغة كأبي عمرو بشأن هذا البيت يرجح كون هذا اللفظ لهجة لا ضرورة (١١) .

ومن ذلك أيضا (منساة) بالألف بدلا من (منسأة) بالهمز وقد قرئ بها (١٢) قوله تعالى : "إلا دابة الأرض تأكل منساته" (١٣) ، وهنا يقرر بعض المفسرين من العلماء ـ تعليقا على هذه الآية ـ أن تخفيف الهمزة قلبا وحذفا على غير قياس ، إذ القياس إخراجها بين بين ، ويقرر ذلك أيضا فيما يختص بلفظ سبأ

---

(١) البيضاوي ٤/ ٢٠٠ . (٢) سورة المعارج ٧٠ آية ١
(٣) شرح الشافية ٣/ ٢٤ (٤) البحر المحيط ٨/ ٣٣٢ . (٥) شرح الشافية ٣/ ٢٤ .
(٦) اللسان (نبر) . (٧) الصحاح (سأب) ـ اللسان (زهو ، خوف) ـ المخصص
(٨) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١/ ١٧٠ ـ ديوان الهذليين ١/ ٨٧ .
(٩) الصحاح (سأب) ـ المخصص ٥/ ١٩ (١٠) تاج العروس (فرط) ، (سأب) .
ديوان الهذليين ١/ ١٨٠ . (١١) تاج العروس (مسد) .
(١٢) المرجع السابق نسأ) . (١٣) سورة سبأ ٣٤ آية ١٤ .

فى الآية نفسها إذ ينقل رواية عن ابن كثير أنه قلب همزة هذا اللفظ ألفا ثم يرد على ذلك بأنه لعل ابن كثير أخرج الهمز بين بين ، فلم يؤده الـــــراوى كما وجب [1] ، والحق أنها لهجة خاصة لبعض الحجازيين كما مر ، وليست تسهيلا للهمز حتى تكون بين بين [2] . ولكنها على أى حال لمحة لطيفة تنبهنا إلـــى ما قد ينقص الرواية أحيانا من دقة ، وتدفعنا إلى محاولة التغلب على ذلـــك باستيحاء اللهجات الحديثة علها تهدينا إلى بعض الظواهر الصوتية فى تلــك اللهجات القديمـــة .

هكذا كانت لهجة الهذليين وبعض الحجازيين الآخرين ، ولهذا رويـــت عن القراء الحجازيين ومن تابعهم ، ويحدثنا علماء القراءات ومن كتبوا فى علوم القرآن أن أبا عمرو بن العلاء — الذى ذكروا أن مادة قراءته من أهل الحجاز — كـــان لا يهمز القرآن ، وكان يقرؤه كما روى عن ابن كثير [3] . فليس ذلك بغريب على البيئة الحجازية بعد ما ذكرنا . وهذه لهجة عربية حديثة ، نجدها شائعة بين العامـــة عندنا فى مصـــر .

وهذه اللهجة الحجازية الهذليـــة نجد صداها عند الشافعى [4] ، وهـــو — كما نعلم — حجازى قرشى ، ثم إنه مكث فى بادية هذيل ردحا من الزمن ، وحفظ من أشعار الهذليين ما حفظ ، وعلق من لهجتهم ما علق [5] .

* * *

وكما رأينا كيف تحولـــت الياء الساكنة والواو الساكنة (Consonant) إلى صوت لين طويل هو ياء المد ملاءمة لصوت اللين القصير الذى هو من جنسهـــا وهو الكسرة ، فإنا نجد هذه الظاهرة نفسها بالقياس إلى الفتحة إذا تلتهـــا واو ساكنـــة وذلـــك مثل لوعة فإنا نجدها عند هذيل " لاعـــة " . وقد ورد بها حديث ابن مسعود : " إنى لأجد له من اللاعة ما أجد لولدى " [6] .

---

(١) البيضاوى ٤/ ٥٠ (٢) شرح شواهد الشافية ص ٣٤٠ — الروض الأنف ٢/ ١٧٣ .

(٣) السيوطى الإتقان ١/ ٩٨ . (٤) الرسالة ص ٢٦٧ .

(٥) يـــاقوت : معجم الأدباء ١٧/ ٢٨١ وما بعدها .

(٦) تاج العروس ، اللسان (لوع) — ابن الأثير النهايـــة ص ٧٠ .

ومن هذا القبيل قراءة بن مسعود : "ذلك عيسى بن مريم قُال الحق"[١] بضم اللام أي قول الحق[٢].

ومثل ذلك ما ذكره ابن يعيش من أن قوما من أهل الحجاز حملهم طلب التخفيف على أن قلبوا حرف العلة في مضارع افتعل ألفا : واوا كان أو ياء وإن كانت ساكنة ، قالو : ياتعد وياتزن ... وياتسر . وإن كان ابن يعيش لم يستطع أن يلمح العلة الأصلية في ذلك ، فقال : "إن اجتماع الياء مع الألف أخف عندهم من اجتماعها مع الواو . والحق - كما ذكرنا - أن الفتحة ، وهي صوت لين قصير ، اقتضى مد الصوت بها في سهولة ويسر أن يتلوه ألف المد فيكونا صوتا واحدا طويلا ، هو أسهل عليهم من انتقال اللسان من الفتح إلى الواو الساكنة في (يوتعد) ، وأكثر من ذلك إلى الياء الساكنة في "ييتعد" ولكن ابن يعيش قد عاد فلمح الصلة بين الفتحة والألف فقال "إنهم كرهوا الجتماع الواو والياء ففروا إلى الألف لانفتاح ماقبلهما .[٣]

ويقارب ذلك ما نجده كثيرا في شعر هذيل من قولهم "غزاة"[٤] وأذاة[٥] و شكاة[٦] ، ووصاة[٧] و مهاب ومهال (أي ذو هيبة وهول)[٨] ، وطوال في معنى طويل[٩] ، وما يشابه ذلك من ألفاظ.

وإذا كانت هذه صلة الفتحة بأختها الألف على حد تعبير القدامى ، فإن الضمة والواو شأنهما كذلك ، فهم يقولون : بوع ، وهوب ، وخوف في البناء للمفعول كما يقولون بُعنا وخُفنا وهُبنا[١٠] ، فنجد عندهم : قُول القول ، بُوع المتاع . وقد روى أنها لهجة هذيل وبنى دبير من بني أسد ، وبنى فقعس[١١] ، وقد ساقوا لهذه اللهجة ذلك الشاهد النحوى المعروف :

ليت وهل ينفع شيئا ليت ليت شبابا بوع فاشتريت[١٢]

(١) سورة آل عمران ٣ آية ١٣٧ (٢) الكشاف ٢/ ٧ (٣) شرح المفصل ، ١/ ٦٣.
(٤) ديوان الهذليين ٢/ ٣٧ و ٧٦ - شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١/ ٣٣٦ ، ٢/ ٥٤٨ . (٥) المرجع السابق ١/ ٢٢٤.
(٦) ديوان الهذليين ١/ ٢١ ، ٨١ ، ١٦٣ - شرح أشعار الهذليين (فراج) ١/ ٦٧. المؤتلف والمختلف ص ٣٧١ - الجاحظ : الحيوان ١/ ٣٤٨.
(٧) ديوان الهذليين ١/ ١٤٢ ، ٣/ ٥٠ - المزهر ص ١٤٩.
(٨) ديوان الهذليين ٢/ ١٧٢ - شرح أشعار الهذليين (فراج) ٢/ ٤٩٤. مقاييس اللغة ٦/ ٢٠ - تاج اللغة ٢/ ٢٥٥
(٩) ديوان الهذليين ٢/ ١٧٥ (١٠) سيبويه : الكتاب ٢/ ٣٦١ .
(١١) الروض الأنف ٢/ ٦٦ - التصريح ١/ ٢٩٣.
(١٢) شرح شواهد ابن عقيل ص ١١١.

وقد اقتصر الصبان على نسبتها لبني فقعس وبني دبير، ولعله لم يقصد إلى الدقة والتحري والاستيعاب، وإنما قصد ما يقصده كثير من علماء اللغة أحيانا من مجرد التمثيل لبعض من يتكلمون هذه اللهجة [1]، ولعله فعل ذلك لأن هذه اللهجة فاشية في فقعس ودبير، قليلة عند هذيل، كما يفهم من سياق عبارة التصريح [2]، وقد صرح أبو حيان بأنها لغة هذيل وبني دبير [3]، وإن كان لم يذكر غيرهما كما فعل غيره، ولعله فعل ذلك على سبيل الاكتفاء والتمثيل الذى أشرت إليه لا على سبيل التقصي والتحديد العلمي الدقيق .

ويسوق أبو حيان أنه قرئ بهذه اللهجة قوله تعالى "سيء بهم" [4]، فقد قرأ عيسى بن عمر، وطلحة بن مصرف "سوء بهم" بالضم والواو لا بالكسر والياء ويقرر أبو حيان هنا أيضا أنها لهجة هذيل وبني دبير، يقولون في قيل وبيع ونحوهما قول وبوع [5].

وقد اتفقت المصادر - فيما نعلم - على أن ضم فاء الفعل في مثل هذه الأفعال، إنما هو ضمة خالصة [6]، ويفصل صاحب التصريح الموضوع تفصيلا مسهبا، يمكن إيجازه في أنه إذا اعتلت عين الماضي ثلاثيا كقام وباع، أو كان على افتعل وانفعل كاختار وانقاد، يكسر ماقبل عينه كسرا خالصا في المبني للمفعول وهو لهجة قريش ومن جاورهم، وإشمام الكسر الضم لغة كثير من قيس وأكثر بني أسد، وإخلاص الضم مثل بوع وحوك لهجة تنسب لبعض هذيل، ولفقعس ودبير، وهم من بني أسد، كما حكيت عن ضبة وبعض تميم [7].

وإذا كانت نسبة الضم الخالص إلى ضبة وبعض تميم لا غرابة فيها، فإن إشمام الكسر الضم، ونسبته إلى كثير من قبائل قيس وأسد، مع نسبة الضم الخالص إلى هذيل - هذا الأمر قد يكون فيه شيء من الغرابة، فإن الضم الخالص أشبه بهذه القبائل الموغلة في البداوة، وما عبر عنه بإشمام الكسر الضم، إنما هو نوع من إمالة الضم نحو الكسر، أو هو في واقع الأمر اتجاه نحو الكسر، أي نحو نطق هذا اللفظ "بيع" كما ينطقه الحضريون من أهل الحجاز، وهذا الاتجاه كان أشبه بهذيل الحجازية التي هي أكثر قربا من الحضر، وأشد اتصالا به .

وأيا ما كان الأمر فيفهم من كلام صاحب التصريح - كما سبق أن أشرنا - أن هذه اللهجة غير منتشرة في هذيل، وإن كانت تجد طريقها إلى بعض بطونها ولعل من نطق هذه اللهجة منهم كان أكثر بداوة وتوغلا في جوار بعض الناطقين بها .

---

(١) حاشية الصبان على شرح الأشموني ٢/ ١٢ . (٢) خالد الأزهري التصريح ١/ ٢٩٣
(٣) البحر المحيط ١٠/ ٦٠ (٤) سورة هود ١١ آية ٧٧ (٥) البحر المحيط ٧/ ١٥١ .
(٦) المرجع السابق ١/ ٦٠ - الكتاب ٢/ ٣٦١ - السهيلي، الروض الأنف ٢/ ٦٢ - شرح شواهد ابن عقيل ص ١١١ - السجاعي على القطر ص ٦٣ .
(٧) التصريح ١/ ٢٩٣ .

من قبائل المجموعة الشرقيـــة .

ويروى اللغويون أن من لهجة هذيل أيضا أن تقول " البُوع " بالضم والواو تريد الباع، ويسوق ابن منظور فى الباع لهجات ثلاث : الباع والبَوْع والبُوع، ويذكر أن الأخيرة هذلية ، ويقدم لذلك شاهدا من شعر أبى ذؤيب :

فلو كان حبلا من ثمانين قامة   وخمسين بوعا نالها بالأنامل[(١)]

ويسوق الزبيدى هذه اللهجات الثلاث، ويقول أيضا أن الأخيرة هذلية[(٢)] ويستدل على هذا بالبيت الذى ذكره صاحب اللسان ، ولكن رواية البيت فـــى دواوين الهذليين مطبوعة ومخطوطة : " سبعين باعا " على المألوف فى اللغة الفصحـــى[(٣)] .

ومما ذكروا فيه الضم موضع الفتح قولهم إن هذيلا تقول "حضرموت" بضم الميم لا بفتحها ، وقد جاء بذلك شعر هذيل فى مثل قول صخر الغى :

حدت مزنة من حضرموت مربه   ضجوع لها منها مدر وحالب[(٤)]

وقد ذكر اللغويون أنها لهجة لهذيل[(٥)] ، وإن كنت أرجح فى ذلك إمالة الضم إلى الفتح كما سيأتى فى الإمالة .

ويقول بعض اللغويين والنحاة : إن هذيلا أو عقيلا تجمع الاسم الموصول لجماعة الذكور بالواو والنون فى حال الرفع، وبالياء والنون فى حال النصب والجر، ويخص بعض اللغويين هذيلا دون غيرها بهذه اللهجة[(٦)]، وينسبها بعضهـــم إلى عقيل[(٧)]، ويرجح بعض الباحثين من المحدثين نسبة هذه الصيغة إلى بنـــى عقيل لأنها أشد توغلا فى شرق الجزيرة وأكثر بعدا من البيئة الحجازية ، وأقـــرب إلى قبائل تميم من هذيل[(٨)] ، وهذا فى الحق تعليل معقول ، ولكن بعد أن رأينا أن الاتجاه إلى الضم وإلى الواو لا تبرأ منه هذيل ، فغير مستبعد إذن أن يكـــون ذلك من كلامها ، ولا ينبغى أن يصرفنا عن ذلك كون هذيل من القبائـــــل

---

(١) اللسان (بوع) . (٢) تاج العروس (بوع) . (٣) ديوان الهذليين (مخطوط) الشنقيطى ص٢٦ . ديوان الهذليين (ط. دار الكتب) ١/ ١٤٢ . ديوان أبى ذؤيب (مخطوط) . (٤) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ٢/ ٩٤٨ .
(٥) المرجع السابق (الصفحة نفسها) . (٦) البحر المحيط ١/ ٧٧ . ابن عقيل ١/ ٧٢ . (٧) ابن هشام : المغنى ٢/ ٥٧ . (٨) د . أنيس : فى اللهجات العربية ص٨٣ .

الحجازية ، فقد رأينا كيف أن هذيلا كانت حلقة وسطا بين القبائل الحجازية أو المجموعة الغربية ، وقبائل تميم أو المجموعة الشرقية ، فهى من أكثر قبائل الحجاز اتصالا بقبائل نجد ، والقبائل الشرقية عامة ، ويبدو ذلك واضحا من منازل هذيل وصلاتها بغيرها من القبائل كما مر فى غضون البحث .

ولعل نسبة هذه الصيغة إلى هذيل يؤكد احتمالها أن اللغويين والنحاة ينسبون لهذه القبيلة صيغة أخرى للاسم الموصول هى " اللاءون " وتستعمل عندهم فى رأى هؤلاء النحويين لجمع المذكر العاقل[1] ، وفى هذه الصيغة من الشذوذ ما قد يستبعد معه احتمالها ، ولكن يلفت النظر فيها وجود الواو والنون ، فليست نسبة الضم والواو شيئا غريبا على هذيل فى عموم لهجتها أو فى الاسم الموصول فيها ، وحسبنا أن نقول إن بعض هذيل هم الذين يحتمل نسبة هذه الصيغة إليهم ، وهؤلاء هم أقرب الهذليين جوار واتصالا بالقبائل التميمية .

جوارا

ويبدو أن ثمة صلة بين الاسم الموصول (ذو) عند طيء ، وبين الموصول (اللذون) عند هذيل وعقيل . تلك الصلة التى لم يلمحها القدامى ، ولم يشيروا إليها ، فذكروا كلا من الصيغتين مستقلة عن الأخرى ، ولم ينتبهوا إلى وجود أى رابط بينهما ، مع أنهم قالوا هم أنفسهم إن " ال " فى جميع الأسماء الموصولة زائدة ، وحذفها من الجميع لغة ، وكذلك حذف النون الجمع[2] ، وقد وصل الأمر بالكوفيين إلى القول بأن الأصل فى الذى الذال وحدها ، وما عدا ذلك زائد[3] ، ونحن لا نريد أن نزكى هذه المبالغة ، ونمعن فى تأكيدها ، بل يكفينا أن نعلم أن " ذا " اسم موصول بعد ما فى قولهم (ماذا) أى (ما الذى) وقد عممه الكوفيون ، فلم يقصروه على مجيئه بعد " ما " ثم أوردوا شاهدا على ذلك[4] فماذا هنالك – بعد هذا – من غرابة فى " ذو " الاسم الموصول عند طيء تحمل بعض الباحثين مثل (Rabin)على أن يعدها من الصيغ الغريبة التى أدى إليها المسلك الصناعي البحت فى النحو العربى ؟[5] . حقا نحن لا نمارى فى أن هناك أحيانا تمحلا وانتحالا وتزيدا ، ولكن الحق أن (ذو) هذه لا غرابة فيها – بعد ما رأينا – ، ولا فى نسبتها إلى قبيلة بدوية موغلة فى بداوتها

---

(١) المغنى ٢/ ٥٧ (٢) حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل ١/ ٧٠ .
(٣) شرح المفصل ٣/ ١٣٩ (٤) المرجع السابق ٤/ ٢٣ .
(٥) Rabin's Ancient West Arabia P. 8.

وأمثالها مطابقة لهذه اللهجة الهذلية ، أو كما يقول صاحب مناهل العرفان : إنما كتبت كذلك للدلالة على لغة هذيل [1] ، وفوق هذا فإن ماكتب بالواو والياء يقرأ معظمه ابن مسعود وتلاميذه بالحذف [2] ، فقد قرأ عبد الله والحسن وعيسى والأعمش "الأيد" [3] بغير ياء في موضع "الأيدى" [4] كما قرئ "الداع" [5] بإسقاط الياء أيضا [6] ، وقرأ ابن مسعود أيضا : الزانية والزان" [7] بغير ياء ايضا ، وقرأ حمزة والكسائي وأبوبكر وعاصم (يابن أم) [9] بالكسر ، وأصله "يابن أمي" فحذف الياء اكتفاء بالكسرة [10] ، ومثل هذا من حذف ياء المتكلم (أو ياء الإضافة) في قوله تعالى : "رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث [11] ، نجده في قراءة ابن مسعود : "رب قد آتيتن من الملك وعلمتن" بحذف الياء في الفعلين معا ، وفي ذلك يقول ابن جنى : "أراد الياء فيهما جميعا فحذفها تخفيفا" [12] ، وليس المقصود قصر هذا الحذف على ابن مسعود وحده دون قومه ، وإلا كان ابن جنى في ذلك قد أخطأه التوفيق ، فليس من دافع يدفع ابن مسعود إلى هذا إلا أن يكون صنيع أهله وذويه .

وهذه الياءات يسميها القراء بالزوائد ، لأنها زائدة على رسم المصحف في أواخر الكلم ، ويقع ذلك في الأسماء والأفعال نحو : الواد ، والمناد ، والتناد ، ويأت ، ونبغ ونرتع ، فهي في هذا ونحوه لام الكلمة . وقد تكون للإضافة في موضع الجر والنصب نحو دعائي وأخرتنى ... ومن القراء من يثبتها في الوصل والوقف ، ومنهم من يثبت في الوصل وحده ، ومنهم من يحذف على الإطلاق ، والحذف لغة هذيل [13].

وكذلك ذكر علماء اللغة عدة لهجات في الاسم الموصول للمفرد المذكر منها اللذِ بكسر الذال دون ياء ، واللذْ بسكونها [14] وينسبه أبو سعيد السكرى لرجل من هذيل [15] ، في رجز ينسبه اللغويون لذلك الهذلي ، ويبدو أن السكون في هذا ضرورة شعرية لجأ إليها الراجز ليقيم الوزن . أما الكسر (اللذِ) فهو أشبه مايكون باللهجة الهذلية في التخلص من صوت اللين الطويل في نهاية الكلمات ، وإذا صح هذا فلعله ليس لهجة لهذيل جميعها ، فقد

---

(١) مناهل العرفان ص٢٨٣ . (٢) الكشاف ٣/ ٩ ، ١٤٨ . (٣) المرجع السابق ٣/ ٩
(٤) سورة ص ٣٨ آية ١٧ . (٥) سورة القمر ٥٤ آية ٣٦ .
(٦) الكشاف ٢/ ٤٢٠ . (٧) سورة النور ٢٤ آية ٢ . (٨) مختصر شواذ القرآن ص١٠٠
(٩) سورة طه ٢٠ آية ٩٤ . (١٠) البيضاوى ٢/ ٢٤٤ . (١١) سورة يوسف ١٢ آية ١٠١
(١٢) المحتسب ص ٤٢١ . (١٣) ابراز المعاني (شرح الشاطبية) ص٢١٩ .
(١٤) اللسان (لذى) القاموس (الذى) .
(١٥) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ص٢٨٢ . شرح المفصل ٣/ ١٤٠ .

ورد في بعض شعرها (الذى) بياء المد أيضا (١) ، وذلك إذا لم يكن الإشباع ضرورة شعرية ، أو أثرا من آثار اللهجة القرشية ظهر في رواية هذا الرجز .

وقد تخففت هذيل من صوت اللين الطويل إذا كان ألفا أيضا ، وإن وجد ذلك قليلا في كلامهم ، فهم يقولون : " ربّ " بمعنى ربّى " " وربّه أى رباه " .

ومن مظاهر ذلك التخفيف عندهم أن يكون ذلك الحذف أحيانا في وسط الكلمة لا في آخرها فحسب ، فالمعروف أن الفعل الأجوف يحذف عينه في الأمر حتى لا يلتقى ساكنان ، فإذا حرك آخر الفعل لاتصاله بألف التثنية وواو الجمع .... رجعت عينه المحذوفة لانتفاء علة الحذف ، ولكنها قد تظل محذوفة عند هذيل ، فيقولون : " بِعَا يا رجلان ، وبِعُوا يا رجال " (٣) ولذلك قرأ ابن مسعود : " فقُلا له قولا لينا " (٤) بضم القاف من غيرواو خلافا لما عليه جمهور القراء ، وما نجده في المصاحف التى بين أيدينا (٥) .

وربما عُدّ من قبيل الميل إلى حذف صوت اللين الطويل من وسط الكلمة أحيانا حذف ياء المد في قراءة ابن مسعود " إلى أهلِهم " (٦) بدلا من " أهليهم " في قوله تعالى : " بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا (٧)

وهكذا نرى أن هذيلا قد تلجأ إلى التخلص من صوت اللين الطويل خصوصا في نهاية الكلمات . وهذه الظاهرة واضحة في بعض اللهجات الحديثة ولا سيما في مصر فنقول " كتبْنَ " ونحن نريد " كتبنا " ، ضربَة " نقصد ضربها " و " ضربن " في موضع ضربنى " و " عملُ " بدلا من عملوا " " أبُعلى " وهى أبو على " .

وهكذا نختلس الحروف اختلاسا دون إشباع في كثير من ألفاظنا . أى نحذف أصوات اللين الطويلة من كلامنا طلبا للخفة في كثير من الأحيان .

---

(١) ديوان الهذليين ٢/٥٠ ، ١٤٤ ، ١٦٦ ، ١٦٩

(٢) اللسان (ربب) الأصمعي الأضداد ص ٥١ .

(٣) الخصائص ٣/٨٩ ، ١٣١

(٤) المرجع السابق والصفحة السابقة . ابن خالوية : مختصر شواذ القرآن ص ١٥٥

(٥) سورة طه ٢٠ ، آية ٤٤

(٦) مختصر شواذ القرآن ص ١٤٢

(٧) سورة الفتح ٤٨ آية ١٢

الإمالـــــة

الإمالة ظاهرة صوتية معروفة ، ليس هذا مجال الإطناب فيها ، وفى تعريفها ، وأنواعها ، وأسبابها ، .. فقد كتب فيها قديما وحديثا ما فيه كل غناء ، فحسبى أن أقول إنها الاتجاه بصوت اللين طويلاً كان أم قصيرا إلى وضع يكون نطقه فيه شيئا وسطا بين صوتين مختلفين من أصوات اللين ، وإذا كانت الإمالة منتشرة اليوم فى اللهجات الحديثة ، فقد أخذت طريقها قبل ذلك إلى كثير من اللهجات العربية القديمة التماسا للخفة فى النطق(١) ، ولكنها لم تأخذ مكانها من الشهرة والاستفاضة إلا فى حالة واحدة من حالاتها ، هى إمالة الفتحة إلى الكسرة ، أما غيرها من أنواع الإمالة الأخرى ، فلم يوجد بشأنها إلا شذرات أو لمحات قليلة هنا وهناك ، ولهذا كان تعريفهم للإمالة لا يكاد يخرج من هذا النطاق .

هذا هو الشأن فى مفهوم الامالة عند القدماء . أما فيما يختص بالقبائل التى كانت تؤثر الإمالة ، أو التى كانت لهجتها الفتح ، فإننا نجد أن علماء اللغة يكادون يتفقون على أن الفتح لغة أهل الحجاز والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وقيس وأسد(٢) ، ويكاد المحدثون يتابعون القدامى على ذلك التقسيم دون جدال ، بل إن بعضهم ليذهب إلى ما هو أبعد من ذلك ، فيدخل قبائل قيس كهوازن ، وسعد بن بكر فى مجموعة قبائل " الفتح " ويستبعد قيسا كلها ـ فى غير حق ـ من قبائل الإمالة ، ويستبدل بها " عبد القيس " محاولة للبعد بالإمالة قدر المستطاع إلى قبائل شرق الجزيرة العربية . والحق أن هذا الكلام غير دقيق ، ثم إن هذا التقسيم فى عمومه يعوزه الضبط والتحديد ، فليس معناه أن أهل الحجاز لا يميلون فى نطقهم أبدا ، وإنما المقصود هو التغليب فحسب ، وقد أدرك هذا بعض علماء اللغة والنحو ، فوضعوا لذلك استثناء يحد من هذا العموم قليلا ، فقالوا إن ذلك هو الأصل عندهم ـ أى عند الحجازيين ـ ولا يميلون إلا فى مواضع قليلة(٤) ، ومع هذا الاحتياط من جانب هؤلاء نجد فى الكلام شمولا يدعو إلى الإبهام ، فهل جميع القبائل الحجازية سواء فى أنها لا تميل إلا فى مواضع قليلة ؟ أم أن منها من يميل قليلا ، ومنها من لا يميل أصلا ؟ وأى هذه

---

(١) ابن الجزرى ، منجد المقرئين ص ٥٩ (٢) السمنودى ، الدرة فى القراءات العشر ص ٢٨ (٣) إبراز المعانى ص ١٥٠ وما بعدها ـ شرح الشافية ٣/٤ السيوطى ، الإتقان ١/٩١ (٤) حاشية الصبان على شرح الاشمونى ٤/١٤٣ .

القبائل يتسم بهذه الإمالة القليلة ، وأيها يأخذ بالفتح فلا يميل ؟ .

الواقع أننا إذا اعتبرنا الإمالة مرحلة وسطا في مراحل تطور اللهجات العربية ، كما يقول علماء الأصوات تأسيسا على القوانين الصوتية في مختلف اللغات[١] ، وعلى المشاهدة المحسوسة في اللهجات الحديثة ، وما نجده لدى القدامى أحيانا من لمحات مشرقة تفيد أن الياء كانت طورا سابقا على الألف ، فكانت أساسا طبيعيا فيما وصل إليه المحدثون من نتائج[٢] . فإنه من المعقول جدا أن تكون قبيلة حضرية كقريش قد وصلت إلى المرحلة الأخيرة من مراحل هذا التطور ، وهي " الفتح " وأن الإمالة تكون معدومة تقريبا عند هذه القبيلة ، وموجودة — إلى حد ما — في بعض القبائل البدوية ولو كانت حجازية ، وفاشية في كثير من القبائل الأخرى كلما توغلنا شرقا في قبائل قيس وتميم وغيرهما .

إذن من الصعب أن نصدق أن هذيلا وجاراتها في بوادي الحجاز كانوا لا يميلون أصلا ، وقد رأينا في كل خطوة خطوناها أنهم مرحلة وسط بين المتحضرين من أهل الحجاز ، وبين البادين المتوغلين في البداوة من قبائل المجموعة الشرقية ، وفي الإتقان للسيوطي " رواية تفيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمال أحيانا ، فلما سئل : " أتميل ، وليست الإمالة لغة قريش ؟ " أجاب بأنها لغة الأخوال في بني سعد[٣] ، ومعلوم أن الرسول قضى طفولته في هذه البادية التي يقيم فيها بنو سعد وجيرانهم من هذيل وغيرها . وينقل ابن الجزري عن كتاب الكامل لأبي القاسم الهذلي أن " الإمالة لغة هوازن وبكر ابن وائل وسعد بن بكر[٤] ، وهكذا كانت تتضافر الروايات على أن سعدا كانت تميل .

وبنو سعد وهذيل كانوا يعيشون في مناطق متجاورة في الحجاز كما هو معروف فهل يحتمل إذن أن يكون حكمهم واحدا تقريبا من حيث القول بأنهم حلقة وسطى بين من يميل ومن لا يميل ، هل يمكن القول بأن هذيلا — رغم أنها لم يرو لها اللغويون في الإمالة شيئا يذكر — كانت لا تخلو لهجتها من الإمالة ؟ وهل يمكن الاعتماد في ذلك على مجرد جوارها لبعض قبائل قيس، وخاصة بني سعد هؤلاء ، أم أن لدينا بعض أسانيد موضوعية إلى جانب

---

(١) في اللهجات العربية ٥٧ (٢) شرح الشافية ٣/١١ (٣) الإتقان ١/٩١

(٤) ابن الجزري ، منجد المقرئين ومرشد الطالبين ص ٦٠ .

ذلك الناموس العام ؟ الحق أننا قد نجد مفتاح ذلك عند قراء الكوفة الذين انتشرت بينهم الإمالة انتشارا لا يعود في أصله إلى قبائل تميم وأسد المنبثة في البيئة الكوفية بحسب ، وإنما يرجع أغلب الأثر فيه إلى ابن مسعود وتلاميذه من القراء ، خصوصا وأن القراءة مرجعها إلى التلقي والتلقين فهي في الحق (سنة متبعة) .

فعاصم بن أبي النَّجود ، وهو من الرعيل الأول من قراء الكوفة كانت تشتهر الإمالة عنه في رواية أبي بكر بن عياش ، وتقل في رواية حفص ، ولكن عاصما ينبئنا أن القراءة التي أقرأها حفصا هي قراءته على أبي عبد الرحمن السلمي عن علي ، وأن القراءة التي أقرأها أبا بكر ابن عياش هي القراءة التي قرأها على زر بن حبيش عن ابن مسعود [1] ، ومن هنا ندرك أن الإمالة عند ابن عياش وأستاذه عاصم إنما هي راجعة في أصلها إلى عبد الله بن مسعود .

وإن من أهم من اشتهروا بالإمالة من الكوفيين حمزة والكسائي [2] ، وإلى ابن مسعود تنتهي قراءتهما [3] ، ثم إن الكسائي من تلاميذ حمزة ، وحمزة عرض على الأعمش ، والأعمش يجود حرف ابن مسعود ، وإليه تنتهي قراءته أيضا [4] .

هذا ، ومن الأخبار ما يفيد إمالة ابن مسعود للفظ (طه) من قوله تعالى : " طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى " ، وإذا كانت المراجع قد كسرت الطاء والهاء في الخبر الذي يفيد ذلك [5] ، فما هذا إلا لأنها لم تستطع تصوير الإمالة تصويرا دقيقا ، كما نصورها الآن ، وقد يؤكد ذلك قراءة تلاميذ ابن مسعود — كأبي بكر والكسائي والأعمش — لهذا اللفظ بإمالة الطاء والهاء معا [6] .

هذا إلى أن البحث بشأن ذلك اللفظ في المراجع التي عرضت له كالقرطبي إنما يدور حول الفتح والإمالة ولا شأن للكسر هنا ، ولا معنى له في هذا المقام ، وإذا قلنا به ، فقد حملنا هذا اللفظ ما لا يحتمله بحال ، وكأني بالسيوطي ، وقد أدرك هذا وضع ذلك الخبر على علاته في باب الإمالة [7] ، وذلك مما يرجح أن الكسر هنا إنما هو الإمالة نحو الكسر ، لا الكسر الخالص .

---

(١) طبقات القراء ١/ ٣٤٦ (٢) إرشاد المريد (شرح الشاطبية) ص ١٤ .
(٣) طبقات القراء ١/ ٤٥٨ (٤) المرجع السابق ١/ ٢٦١ ، ٤٥٨ .
(٥) الإتقان ١/ ٩١ — اللسان (طه) . القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٦٨ .
ابن الجزري : النشر ٢/ ٣١ .
(٦) القرطبي ١١/ ١٦٨ . (٧) الإتقان ١/ ١٩١ .

ومما يزيد الأمر أكثر من هذا وضوحا أن أبا عمرو الداني — وهو من مشاهير علماء القراءات — قد اعتبر هذا الخبر دليلا واضحا على الإمالة، وأصلا هاما من أصولها، حين يقول — وهذا الحديث أصل كبير في الإمالة مع استقامة طريقة واشتهار نقلته[1]، فالأمر بعد هذا لا يحتاج إلى بيان ثم إنه قد نسبت الامالة لابن مسعود أيضا في مثل قوله تعالى: "فنادته الملائكة"[2]، اذ قرأ هذا الفعل بصيغة التذكير مع الإمالة "فناديه الملائكة"[3].

وذلك — إلى جانب ما سبق — يمكن الاستدلال به في إثبات الإمالة في بعض الألفاظ لابن مسعود وعلى هذا الأساس قد يمكن الاطمئنان إلى وجود الإمالة، على نحو ما في كلام هذيل.

وكذلك أثر عن القراء الكسرة تشوبها الضمة في نحو قيل وغيض وجيء وحيل وسيق وسيء وسيئت"، وهي قراءة الكسائي وهشام بإشمام الضم كسر أوائلها، فلعل لذلك صلة باللهجة الهذلية التي ذكر الرواة فيها هذه الأفعال، وأمثالها بالضم والواو، واستشهدوا لذلك بالشاهد المعروف الذي سبق ذكره في أصوات اللين.

ليت وهل ينفع شيئا ليت ليت شبابا بوع فاشتريت

وقد صرح أبو حيان بأن هذه لغة بني هذيل وبني دبير، يقولون في قيل وبيع ونحوهما قول وبوع[4] كما سبقت الإشارة.

هذا وقد ذكر اللغويون أن العرب تقول: الباع والبَوْع والبُوع، ثم ينسبون لهذيل صيغة الضم مع الواو، فلعل البَوْع هو المرحلة الأولى، والبُوع (boc) بالإمالة هو المرحلة الثانية التي وقفت عندها هذيل، والباع هو المرحلة الثالثة وهي لهجة قريش، فليس الضم مع الواو إذن ضما خالصا، وإنما هو ضم ممال نحو الفتحة، وكل ما هنالك أن القدامى لم يستطيعوا تصوير النطق تصويرا دقيقا نظرا لعدم وجود حركات في اللغة تصور هذا النطق، أو لم يلمحوه لأنه لم يكن داخلا في إمالة الفتح نحو الكسر، تلك التي اهتموا بها، ولفتت أنظارهم لفتا قويا.

ومما يرجح أنه من هذا القبيل أيضا حضرمُوت (Hadramōt) بدلا من حضرمَوْت — كما سبق أن أشرنا — وهو ملائم تماما للنطق الحديث لهذا اللفظ في لهجتنا الحديثة في مصر.

---

(١) الموضح (مخطوط) ورقة ٥٨ (٢) سورة آل عمران ٣ آية ٦٨.

(٣) مختصر شواذ القرآن (برجشتراسر) ص ٢٠.

(٤) البحر المحيط ١١٥/٥.

(٥) انظر الدكتور أنيس، في اللهجات العربية ٥٥، ٨٦.

ويمكن أن يكون من الإمالة التي هي مرحلة وسطى بين الفتح والكسر قولهم (كِيد) أي كاد ، (وما زِيل) أي مازال ، ومن ذلك ما رواه اللغويون كالأصمعي والأخفش وغيرهما من بعض شعراء هذيل :

وكيد ضباع القف يأكلن جثتي ... وكيد خراش يوم ذلك ييتم (١)

فأرجح أن هذا اللفظ ليس بالكسر الخالص ، بل هو فتحة ممالة نحو الكسرة ، وكل ما هنالك أنه يحتمل أنها خفيفة لم يلمحها الرواة ، ولكنها على أي حال إمالة تلتها مرحلة الفتح في النهاية فصارت (كاد) عند من يفتح ولا يميل ، أي عند من وصل بتطور اللفظ إلى آخر الشوط .

والدليل على أن الإمالة كانت طورا سابقا على الفتح هو ما سبق من أن الإمالة كانت شائعة في البيئات البدوية التي هي أكثر حفاظا على القديم ، واستعصاء على التطور السريع في النطق وغيره من مظاهر الحياة .

والإمالة إذن كانت طورا سابقا للفتح في العربية ولا يقول بهذا الرأي المحدثون وحدهم ، بل سبقهم إليه بعض قدمائنا فيما لمسنا لديهم من لمحات كانت - كما أشرنا - أساسا للمحدثين في أبحاثهم ، ومن ذلك ما رواه الاستراباذي عن قول سيبويه : "وكره بعض العرب إمالة نحو رمى لكراهة أن يصيروا إلى ما فروا منه ، يعني أنهم قلبوا الياء ألفا أولا فلم يقلبوا الألف بعد ذلك ياء" (٢) أي أن الإمالة كانت طورا لاحقا للياء ، سابقا للألف .

ومعنى هذا أننا انتهينا إلى الفتح بصورة واضحة في البيئات الحضرية من غرب الجزيرة العربية ، وبقيت الإمالة منتشرة بين القبائل المتوغلة في البداوة في وسط الجزيرة العربية ، وفي شرقيها وكان لها بعض آثار في بعض القبائل البدوية الحجازية كبني سعد وهذيل .

* والإمالة موجودة في لهجتنا العربية الحديثة مثل "امبارح" التي ينطقها بالإمالة أهل دمياط وآخرون غيرهم . ولفظ "بيضة" الذي ينطقه بعض سكان الريف في القليوبية وغيرها بالإمالة بين الألف والياء أو بين الفتحة والكسرة ممدودتين . ويشير حفني ناصف إلى أن نطق المصريين لألف التثنية بين الألف والياء في مثل : رجلين ، فرسين ... يحتمل أن يكون من باب الإمالة (٣)

---

(١) المنصف ١/٢٥٢ ، تاج العروس (زيل) ، (كود) - اللسان (زيل) . شرح المفصل ١٠/٧٢ . (٢) شرح الشافية ٣/١١ (٣) مميزات لغات العرب ص ٢٠
الكتاب ٢/٢٦٣ .

المقصور المضاف إلى ياء المتكلم

درج النحاة واللغويون العرب على أن ينظروا في بنية الكلمات اللغوية كما تلقاها الرواة من أفواه العرب، فإذا ما وجدوا كلمة تختلف في أدائها، أو في بنيتها عن الاتجاه العام لنظائرها من الكلمات في اللغة الفصحى، راحوا يبررون ذلك تبريرا متكلفا، ولم يستطيعوا أن ينظروا نظرا سليما في تعليل ما يقع تحت أنظارهم من الظواهر اللغوية، ولو قد استطاعوا أن يجمعوا الإلف إلى إلفه والنظير إلى نظيره، لوصلوا من وراء هذا الاستقراء إلى نتائج باهرة .

فهم مثلا عندما وجدوا صيغة كصيغة المقصور مضافا إلى ياء المتكلم مثل : عصاي، فتاي، بشراي ... ، واستقامت لهم هذه الصيغة في اللغة الفصحى، أو التي يسميها بعض المحدثين باللغة الأدبية، ثم اصطدموا بعد ذلك بما يخالف هذا الاتجاه، كأن وجدوا مثلا عصيّ بدلا من عصاي، وفتيّ في موضع فتاي، وبشريّ مقابلا لبشراي، وذلك في لهجة قبيلة من القبائل العربية كهذيل، انطلقوا يقولون إن الألف انقلبت عن الياء في هذه اللهجة وذلك لكي يردوها في يسر إلى الصيغة التي ألفوها، فيستقيم لهم الأمر من أقرب طريق، أو من الطريق الذي ألفوا أن يسلكوه، ولم يعرفوا سواه، والغريب أنهم يصفون هذا القلب بالجواز مرة، وبالحسن مرة أخرى، فبينما نرى ابن مالك يقول : " وفي المقصور عن هذيل انقلا بها ياء حسن "(١) نجد عبارة التسهيل : (وإن كان ألفا لغير تثنية جاز في هذيل القلب والإدغام)(٢) كما نجد في شرح الرضي للكافية ما يماثل ذلك(٣)، فما معنى الحسن، وما معنى الجواز هنا، ما دامت تلك لهجة لقبيلة معينة لا فكاك لها منها، ولا اختيار لها فيها ؟ .

ثم إن قولهم، تقلب الألف ياء عند هذيل قد يفيد أن الألف هي الأصل القديم، والياء تطور لها، ولكن الحق أن العكس هو الصحيح، فالأصل هو وجود الواو والياء في كثير من الكلمات قبل أن تتطور هذه الواو أو الياء

(١) الصبان على شرح الأشموني ٢/ ١٨٥، السيوطي، البهجة ٨٠ .
(٢) ابن مالك، التسهيل ٤٦ (٣) شرح الكافية ١/ ١٩٤ .

إلى ألف ، وذلك مثل قولهم أفعَوْ يريدون أفعى (١) ، وقفَوْ يريدون قفا (٢) ، وقد سبق أن ذكرنا أن هذا هو الطور الأول من أطوار النطق في مثل هذا اللفظ قد تطور في اللهجة القرشية إلى الألف قصار قفا وأفعى ... ، ولكنه وقف عند كثير من القبائل البدوية لم يتطور ، فعصا كانت تنطق عند هم عصو ، وهدى هدى ، وبشرى بشرَىْ ، وهكذا .

وعند الإضافة إلى ياء المتكلم كان من الطبيعي أن تدغم الياء في الياء في مثل بشرَىْ فتصير بشرىَّ ، وأن تقلب الواو ياء في عصوْ لصعوبة النطق بها مع الياء ، ثم تدغم في ياء المتكلم كسابقتها ، ولعل هذا هو التعليل الصحيح لهذه الظاهرة اللغوية .

أما عن نسبتها إلى هذيل ، فإن جمهرة كتب اللغة والنحو والأدب ، وغيرها تنسبها إلى هذه القبيلة (٣) ، وقد وردت الرواية بذلك عن كثير من الرواة واللغويين القدامى كالرياشي (٤) وغيره ، وقد قرئ بلهجة هذيل هذه "هدىَّ" (٥) في موضع "هدايَ" (٦) و "عصىَّ" (٧) بدلا من "عصايَ" (٨) ونظائرهما في جميع القرآن الكريم .

وممن روى عنه من اللغويين نسبتها إلى هذيل ابن حبيب (٩) ، وقد روى الضبي عن الأصمعي أيضا نسبتها إلى هذه القبيلة (١٠) ، ومعلوم أن الأصمعي قد جاب بلاد هذيل ، وروى عنهم الشعر واللغة إلى جانب أنه قد قرأ شعرهم أيضا على الشافعي الذي قضى بين ظهرانيهم ردحا من الزمن وحفظ كثيرا من أشعارهم كما سبق أن أشرنا .

---

(١) ابن الأثير ، النهاية ١/ ٤٤ ، ٢٤٢ . اللسان (فعا) .

(٢) الخزانة (السلفية) ٤/ ٣٢٦ . (٣) اللسان (علل) ـ تاج العروس (هوى) ـ شرح الرضي للكافية ١/ ٢٩٤ ـ التصريح ٢/ ٦١ ـ المحتسب ١/ ٦٦ ـ البحر المحيط ١/ ١٦٩ ، ٤/ ٢٣٩ ، ٥/ ٢٩٠ حاشية الخضري ٢/ ٢٦ ، ١٧٩ ـ الصحاح (هوا) القراءات واللهجات ٢٧ شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١/ ٧ (٤) المرجع الأخير ١/ ٧ (٥) البيضاوي ١/ ١٤٥ . الكشاف ١/ ٥٤ . شواذ ابن خالويه ٦٥

(٦) سورة البقرة ٢ آية ٣٨ . (٧) البيضاوي ٣/ ١٧٣ (٨) سورة طه ٢٠ آيه ١٨ (٩) ديوان أبي ذؤيب ص ٥ ، اللسان "هوى" (١٠) المفضليات ص ٨٥٤ .

وإذا كان لهذه اللهجة (لهجة هذيل) في هذا اللفظ شيء من الشهرة والإلف عند علماء العربية بعامة ، فلعل علماء القراءات بخاصة كانوا أشد من غيرهم إلفا لها ، ومعرفة بها ، حتى إنه عندما أشار الصبان إلى شذوذها[1] تعقبه الشاطبي وخطأه في أن ينسب الشذوذ إلى لغة شهيرة[2] .

وقد أورد النحاة واللغويون لهذه اللهجة شاهدا من شعر أبي ذؤيب الهذلي هو بيته المشهور في رثاء أبنائه :

سبقوا هوىَّ وأعنقوا لهواهم فتخرموا ولكل جنب مصرع[3]

وليس هذا البيت من الشواهد النحوية التي قد يتطرق إليها الشك أحيانا ، فقد ورد في الديوان بهذه الرواية ، وهكذا روى أيضا في كتب اللغة والأدب ، مع أنه لو روى باللغة الفصحى لما أثر ذلك في استقامة وزنه وموسيقاه ، وهذا يمنع احتمال وقوع الضرورة الشعرية فيه .

ثم إنه قد جاءنا في كتب اللغة بعض شواهد أخرى تسانده[4] ، وهذا كله يزكي صحة هذه اللهجة منسوبة إلى هذيل .

فليس بعد هذا شك يمكن أن ينطرق إلى أن هذه لهجة لهذيل ، فإن هذيلا وإن كانت قبيلة حجازية ، فهي بدوية ، وقد لمسنا في لهجتها شيئا من مظاهر البداوة التي نجدها فاشية في غيرها ، وما دمنا قد وجدنا أن هذه الظاهرة إنما هي طور متخلف من أطوار البداوة ، فلابد أن يشاركها فيه بعض القبائل البدوية الأخرى ، وعلى الأقل بعض هذه القبائل التي تفوق هذيلا في بداوتها ، ولهذا يقول ابن جني في هذه اللهجة إنما " لغة فاشية في هذيل وغيرهم "[5] ولهذا لا نرفض تلك الرواية القائلة بأن هذه كانت لهجة طائية[6] ، ولا نرى تعارضا بينها وبين نسبة هذه اللهجة إلى هذيل كما ذكرنا . وقد نسبوا إلى طلحة قوله " قفيَّ "[7] بدلا من قفايَ في حديث دار بشأن بيعة علي[8] ، ويذكر بعض الروايات أنه كان عند طلحة امرأة من

(١) حاشية الصبان ٤/ ١٤٤ (٢) نفس المرجع والصفحة . (٣) تاج العروس (هوى) ، المحتسب ١/ ٦٦ ـ شرح المفصل ٣/ ٣١ ـ شرح شواهد ابن عقيل ١٧١ . ـ مميزات لغات العرب ٢٩ ـ شرح أشعار الهذليين ١/ ٧ ـ ديوان الهذليين ١/ ٢ .
(٤) اللسان (علل) . (٥) المحتسب ١/ ٦٧ (٦) الزمخشري . الفائق ٣/ ٩١ .
(٧) مقاييس اللغة ٥/ ١٠٢ (٨) شرح المفصل ٣/ ٣١ .

طيئ أى أن زوجه كانت طائية [١] . فإذا صحت هذه الرواية فلعله قد علق بلسانه شيئاً من لهجتها ، ولهجة قومها ، كما يتأثر لسان الصاحب بصاحبه والعشير بعشيره ، لاسيما إذا طالت العشرة بينهما .

وهذا وقد بالغ بعض علماء اللغة كعيسى بن عمر الثقفي ، وكان أحد من قرءوا بهذه اللهجة [٢] فنسبها إلى قريش [٣] ، وهذا شئ بعيد الاحتمال ولعل الذى حدا به إلى ذلك هو ما روى من أن هذه كانت قراءة النبى صلى الله عليه وسلم ، ونحن نعلم أن طفولة النبى كانت فى بادية بنى سعد وقد علمنا أنه كان ينطق لغتهم أحيانا كما رأينا فى الإمالة .

فخلاصة القول إذن أن هذه اللغة هى لغة هذيل ، وبنى سعد ومن عداه أن يكون قد نطقها غيرهما من القبائل البدوية مثل طيئ ، وأن الياء قبلها ليست منقلبة عن أصل هو الألف ، وإنما هذا الصوت فيها هو فى ذاته أصل قديم .

---

(١) الفائق ٣/٩١

(٢) المحتسب ١/٦٦ . البحر المحيط ٤/٢٣٩ ، ٢٦٢

(٣) التصريح ٢/٦١

(٤) المحتسب ١/٦٦

(الفصل الثانـــى)

الهمـــز

يتسم الهمز ـ كما أدرك القدامى والمحدثون ـ بأنه أشد الحـــروف الشديدة ، فهو حرف مضغوط إذا رفهنا منه انقلب حرفًا من حروف الليـــن أو حرفًا آخر ساكنا (Consonant) يكون أسهل منه نطقًا ، وقـد لمس القدماء من علماء النحو واللغة ذلك فقالوا إنه نبرة تخرج من أقصـى الحلق ، وتحتاج في تحقيقها إلى شيء من الجهد[1] ، ولهذا ثقلـــت عليهم[2] ، وقريب من ذلك ما ذكره المحدثون من أن " مخرجها فتحـــة المزمار التي تنطبق عند النطق بها ، ثم تنفتح فجأة فنسمع ذلك الصـــوت الانفجاري الذي نسميه بالهمزة المحققة "[3] .

ولهذا نرى في النطق بها كلفة[4] دفعت العرب ـ تبعا لاختلاف بيئاتهم وظروفهم ـ أن يسلكوا طرائق مختلفة ، ومسالك متعددة في نطق هذا الحـــرف من حذفه أو إثباته فهناك رائد وراد ، وسائد وساد . وتحقيقه أو تسهيلـــه أو إسالته وجعله شيئا بين التحقيق والتسهيل ، فيقال : راس ورأس ، وبير وبئـــر وسورة وسؤرة ، وقد يستبد لونه بحرف آخر ساكن أو يستبدلون به ذلك الحـــرف الساكن ، فيقال استأدى واستعدى ، وأيمات وعيهمات[5] ، وأثرب ويثرب[6] ، وأمته ويمتته[7] ، وعباءة وعباية[8] ، ومصائب ومصاوب[9] ، وقطع الله يديه وأديه[10] ، وهاوأته وهاونته أي فاخرته[11] .

ولا تنتهى الأمثلة على هذا عند ما ذكرنا ، وإنما لذلك أمثلة كثيرة نجدهـــا في كتب اللغة ، بعضها منسوب إلى قائليه ، والكثير منها مجهول النسبة علـــى عادة القدماء في عدم الاهتمام غالبا بأن يردوا هذه اللهجات إلى أصحابها .

وهذه الاتجاهات المختلفة في نطق هذا الحرف صورها القراء في قراءاتهم[12]

---

(١) الكتاب ٢/ ١٦٧ (٢) شرح المفصل ١٠/ ١٣٤ (٣) في اللهجات العربية ٦٧ .
(٤) إبراز المعاني ٩٤ (٥) الخزانة (سلفية)١/ ٣٣١ (٦) اللسان (ثرب) .
(٧) المخصص ١٤/ ١٧ (٨) إصلاح المنطق ١٧٩ (٩) المرجع السابق ١٥٤ .
(١٠) القاموس (أدى) (١١) تاج العروس (هدأ) .
(١٢) إرشاد المريد (شرح الشاطبية ص ٦٥ وما بعدها) . إبراز المعانـــى ص ١٠٨ وما بعدها .

وسنرى فى هذا الفصل كيف كان اتجاه هذيل فى كلامها إزاء الهمز تحقيقا وتسهيلا ، وحذفا وإثباتا وإبدالا ... إلى غير ذلك مما قد نراه فى هذه اللهجة الهذلية .

تخفيف الهمز بالإبدال

سبق أن أشرنا إلى أن هذيلا كانت من القبائل التى لا تهمز (الا قليلا) فى كلامها وأن الهمز كان ينقلب عندهم غالبا إلى حرف من حروف اللين لمناسبة الحركة السابقة عليه ، حتى يكونان معا صوت لين طويلا يسهل النطق به فى سهولة ويسر ، وذلك فى مثل سال ، وبيثم ، وموصد ، وفى "موصد" هذه يقول أبوبكر بن عياش الكوفى — الذى كان مرآة صادقة لنطق ابن مسعود وقراءته — كان لنا إمام يهمز (مُؤصدة) [١] فأشتهى أن أسد أذنى إذا سمعته "[٢]

ولكنا لا نعنى بالحديث (عن) الهمز عند هذيل الاقتصار على ذلك وحده ، فقد ذكر فى موضعه من أصوات اللين ، وانما تبغى الحديث عن ذلك فى نطاق أكثر شمولا واتساعا ، فهذيل كانت — هى وبعض من جاورها من الحجازيين — تتخفف من الهمز فتقلبه إلى بعض الحروف الساكنة القريبة فى مخرجها من صوت اللين ، ويفصل أبوزيد الميل إلى ترك الهمز عند الحجازيين فى قوله :"أهل الحجاز وهذيل ، وأهل مكة والمدينة لا ينبرون " وهذا ما ينقله الزبيدى عن اليزيدى فى نوادره[٣] ، وكان عيسى بن عمر يقول : " ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر ، وهم أصحاب النبر ، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا " ، وروى عن أبى عمرو الهذلى قوله توضيت ، فلم يهمزها وحول الهمز ياء ، وذكر أن هذا هو الشأن فى كل ما أشبه ذلك من باب الهمز[٤] ، وقد روى مثل ذلك عن غير الهذلى من علماء اللغة[٥] ، والشافعى الحجازى الذى قضى شطرا كبيرا من شبابه الأول فى هذيل يعيش بين ظهرانيها ، ويحفظ أشعارها ، ويتأثر بلهجتها[٦]

(١) سورة البلد ٩٠ آية ٢٠ (٢) الكشاف ٢/ ٥٤٦ (٣) تاج العروس (لبأ) .
(٤) اللسان (وضأ) (٥) تاج العروس (وضأ) (٦) معجم الأدباء ١٧/ ٢٨٤ .

نراه يميل إلى تخفيف الهمز بصورة واضحة ، فلفظ "مبتدأ" يكتبها "مبتداه" [(١)] ، والنسيئة "النسية" [(٢)] ، سئل "سيل" [(٣)] ... وهكذا :

هذا ، ونجد قراءة ابن مسعود فى قوله تعالى "ما كذب الفؤاد" [(٤)] "الفوَاد" بالتخفيف [(٥)]

ويسوق ابن سيده أن لفظ الجفاء (الذى يفسره بالأشياء التى توضع عليها القدور) يهمـــزه ولا يهمز ، وهذيل لا تهمزه . [(٦)] ونقل مثل ذلك عن ابن جنى أيضا [(٧)] .

ونجد أيضا .. "جابيا" بالتخفيف (وهو الجواد) [(٨)] فى بيت عن مناف بن ربيع

صابوا بستة أبيات وأربعة حتى كأن عليهم جابيا لبدًا [(٩)]

"ورزية" بالتخفيف أيضا فى قول أبى المثلم الهذلي :

رَزِيّة قومه لم يأخذوا ثمنًا ولم يَهَبوا [(١٠)]

وكذلك تقول هذيل "النبي" ولا تقول النبئ ، والحتى ولا تقول الحتئ (وهو سويق المقل)

وعليه جاءتنا رواية بيت المتنخل :

لا درّ درى إن أطعمت نازلكم قرف الحتى وعندى البر مكنوز [(١١)]

وقد ورد البيت بهذه الرواية فى ديوان الهذليين [(١٢)] ، وفى كتب اللغة والنحو [(١٣)] وإن كان بعضهم قد ذكر فيه رواية (الحتئ) بالهمز . ولعل هذه الرواية قد اصطنعت لتكون شاهدا على هذا اللفظ مهموزا بعد ذكره غير مهموز ، ولكن الرواية الصحيحة فيه - فيما أحسب - هى تخفيف الهمزة ياء وإدغامها فى الياء .

وينبغى لنا أن نتنبه إلى أن صيغة فعيل هذه فى مثل النبى والحتى ، وما إليهما إذا نظرنا فيهما سبيلا لمسيرنا - إلى جانب الفرار من الهمزة

---

(١) الرسالة ص ٢٦٧ . (٢) المرجع السابق ص ١٧٤ ، ٢٧٨ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٣١ . (٤) سورة النجم ٥٣ آية ١١ .

(٥) مختصر شواذ القرآن ص ١٤٦ . (٦) المخصص ٥/٦٤ - ١٦/٢٨ .

(٧) المرجع السابق (الصفحات نفسها) . (٨) اللسان ، تاج العروس (جبى) .

(٩) ديوان الهذليين ٢/٤٠ . (١٠) ديوان الهذليين ٢/٢٥٢ .

(١١) الشيبانى .. الجيم ص ٢١٠ . تاج العروس (البر) . مقاييس اللغة ٢/١٣٦ . البيان والتبيين ١/٣٥ . الزمخشرى .. الفائق ١/٢٢٧ . (١٢) ديوان الهذليين ٢/١٥ .

(١٣) الكتاب ٢/٢٦١ . شرح الشافية ٢/٤٨٨ . اللسان (بور) .

فى ذاتها – مبررا صوتيا آخر يزكى قلبها ياء ، هو وجود صوت لين سابق عليها ، وهو الكسرة والياء التى هى امتداد لها ، فكان مناسبا بعد هذا أن تكون تلك الهمزة ياء ليتم التجانس بينها وبين صوت اللين السابق عليها . ولهذا كانت تلك لهجة قريش التى كانت تعنى بتخير ألفاظها ، وقد أنكر الرسول الهمز على من نطق " النبئ " مهموزا أمامه ، وقال : " إنا معشر قريش لا ننبر "(١)

ويتصل بهذا النوع من التخفيف ما نجده فى مثل (نِيء) " أى غير ناضج " فقد قلبت همزتها ياء ، ثم أدغمت فى الياء فصارت " نِيّ " – وهو غير التى بفتح النون فى معنى الشحم ، وقد ساقوا لذلك هذا الشاهد من شعر هذيل :

فظلت وظل أصحابى لديهم غريض اللحم نِيّ أو نضيج(٢)

وهذا الشاهد أيضا من شعر أبى ذؤيب :

عُقار كماء النِّيِّ ليست بخمطةٍ ولا خَلَّةٍ يَكوِي الشَّروبَ شِهابُها(٣)

ومن هذا القبيل قراءة ابن مسعود قوله تعالى : " وامرأته حمالة الحطب " " ومريته " بالتصغير مع قلب الهمزة ياء وإدغامها فى الياء(٤) :

وإذا كنا قد لمسنا ذلك فيما سبق همزته ياء لينة ، فلقد نجده أحيانا عقيبا سبق همزته واو لينة أيضا ، ففكرة التخفف من الهمز فيهما تكاد تكون واحدة . ومن ذلك ما نلمسه من نطقهم " الهُدوّ " بدلا من الهدوء فى بعض وجوه استعمالها التى لا تبعد كثيرا عن المعنى الأصلى للهدوء فى عمومه ، ومن ذلك قول أبى ذؤيب الهذلى :

أمن أم سفيان طيف سرى هدوا فأرق قلبا قريحا

فنجد فى قول أبى سعيد السكرى – شارح أشعار هذيل – أن الهدو هو الهدوء الذى يكون بعد انقضاء هزيع من الليل(٥) ، ومثله قول ساعدة بن جؤية :

ومنك هدو الليل برق فهاجنى(٦)

---

(١) تاج العروس (نبء) (٢) المرجع السابق والمادة السابقة .
(٣) تاج العروس (ناء) (٤) مختصر شواذ القرآن الصفحة الأخيرة .
(٥) ديوان الهذليين ١ / ١٣٩ (٦) المرجع السابق ٢ / ٢١٢ – معجم البلدان ٥ / ٤٢١ ، ٧ / ٦٨

وقول المتنخل : فلا والله نادى الحي ضيفي هدوا بالمساءة والعلاط (١)

وقول عبد بن حبيب :

هدوا تحت أقمر مستكف يضيء علالة العلق الحليب (٢)

وهكذا نرى أن الأمثلة على هذا كثيرة في شعر هذيل ، بل إنا نجدهم أحيانا يصيرون إلى ما هو أبعد من ذلك ، فيقلبون الهمزة إلى حرف مماثل للحرف السابق عليها ، ولو لم يكن ذلك الحرف هو ياء المد أو واو المد كما في الأمثلة السابقة ، ومن أمثلة ذلك لفظ (المرء) إذ ينطقونه " المرّ " بالتضعيف بعد قلب الهمزة راء وإدغامها في الراء ، ويبدو أن النطق بالهمز يصعب عليهم تحقيقه أحيانا ، ولا سيما بعد السكون الذى فيه خفة واضحة ، والهمزة معروفة بأنها من أشد الحروف الشديدة ، ومن شواهد ذلك في شعر هذيل قول أبي خراش الهذلي يرثي خالد بن زهير :



جمعت أمورا ينفذ المرّ بعضها من الحلم والمعروف والحسب الضخم (٣)

وقد ورد البيت في ديوان الهذليين بهذه الرواية ، ومع هذا فقد انحدرت الينا أبيات أخرى لغير أبي خراش ، وفيها جاء تحقيق الهمز ، وذلك في شعر أسامة بن الحارث الهذلي (٤) ، وفي شعر المتنخل الهذلي (وهو من بني خناعة) (٥) ، وشعر المعطل (وهو أحد بني رهم بن سعد) (٦) .

فإذا لم تكن رواية هذه الأبيات متأثرة بالفصحى ، فإنه من المحتمل أن يكون هذا اللفظ قد جاء عند بعض الهذليين مهموزا ، وعند بعضهم غير مهموز . ولهذا فنحن لا نرفض نطق بعض الحجازيين بعامة ، والهذليين بخاصة للهمز محققا أحيانا ، فقد روى ان أهل الحجاز يقولون : " آداني السلطان عليه أي أعداني ، واستأديته عليه استعديته واستعنته " (٧) .

ويقول ابن سيده : " القراء المجمع عليها في النبي طرح الهمزة ، وجماعة من أهل المدينة يهمزون (٨) ، ولقد نجد نافعا نفسه ـ وهو أحد القراء السبعة ـ يهمز لفظ النبي . ورغم أن قراءة " معائش " بالهمز مشهورة عن

---

(١) ديوان الهذليين ٢/ ٢١ ـ المحكم ١/ ٣٤٠ (٢) تاج العروس (حلب)
(٣) ديوان الهذليين ٢/ ١٥٣ (٤) المرجع السابق ٢/ ٢٠٢ .
(٥) المرجع السابق ٣/ ١٧ (٦) المرجع السابق ٣/ ٤٤ .
(٧) المرجع السابق ٢/ ٨٥ ـ اللسان (أدا)
(٨) المخصص ١٢/ ٢١٧ .

ابن عامر[١] ، فقد روى عن نافع انه قرأها كذلك مع أن الأصل فيها الياء ، ولقد كان هذا محل نقد من جميع نحاة البصرة[٢] ، ولم ترد هذه القراءة عن نافع وحده ، وانما هي عند عبد الله بن مسعود والأعمش وغيرهما[٣] .

وقد قرأ نافع كذلك بعض الألفاظ الأخرى مهموزة "كالبريئة" في موضع "البرية" وكذلك كان تقريبا صنيع بعض القراء الآخرين[٤] . ويذكر ابن خالويه في الشواذ أن أبا جعفر المدني قرأ قوله تعالى : "اهتزت وربت"[٥] بالهمز في "ربأت"[٦] بدلا من "ربت" . وكذلك يذكر السيوطي أن أهل مكة كانوا يهمزون بعض الألفاظ التي لا يهمزها غيرهم ، وتلك رواية تنسب إلى يونس بن حبيب العالم اللغوي المعروف[٧] .

وقد لا يقف الأمر عند هذا الحد من تحقيق الهمزة أحيانا ، فانا لا نعدم ان نجدها — وان كان في حالات نادرة — محققة في الموضع الذي ينبغي أن نجد فيه صوت اللين الطويل أي ألف المد ، وذلك في مثل شأبه بدلا من شابه ، ودأبه أي دابة ، ولكن اللغويين اعتبروها شذوذا في اللهجة الهذلية[٨] ، ولعلهم لم يقولوا ذلك الا لانهم الفوها نادرة من جهة ، ولانها من جهة اخرى — اذا صحت جاءت على نقيض الشائع المعروف من تسهيل الهمزة عند هذيل والحجازيين بعامة بدلا من تحقيقها .

فنستطيع في ضوء هذا أن نقول ان المبدأ العام عند الهذليين ، وبعض الحجازيين الآخرين إنما هو تسهيل الهمزة ، وموجز ما ذكرنا من ذلك أن هذا الحرف يقلب إلى أحد حروف المد الثلاث حين تسبقه حركة تناسب ذلك الحرف وحين تجيء ساكنة في وسط الكلمة مثل : توضيت وبديت ونظائرهما ، وذلك لصعوبة النطق بها ساكنة إذ سكونها يزيد من شدتها وانفجارها ، وتسهيل في نهاية الكلمة في مثل النبي والبرية والخبي والحطية ، وما اليها ، لسبق الكسرة والياء عليها ، فالتجانس في النطق ، والميل إلى التيسير أدى إلى تسهيلها .

---

(١) ابراز المعاني ٢٠٧ ، ٤٩٨ (٢) شرح المفصل ١٠/ ٩٧ — اللسان "ميش" — المنصف ١/ ٣٠٧ ، ٣٠٨ (٣) البحر المحيط ٨/ ١٣ (٤) إبراز المعاني ٤٩٨ .
(٥) سورة الحج ٢٢ آية ٥ (٦) مختصر شواذ القرآن . ص ٩٤ .
(٧) المزهر ٢/ ٢١٢ — اللسان (ذرر) . (٨) المنصف ١/ ٢٨١ — تاج العروس "مضل" .

أما فى أول الكلمة فإن بعض العرب كان يقلب الهمزة أحيانا إلى غيرها فيقول هياك فى موضع اياك ، وهراق فى مكان أراق ، ويلملم بدلا من ألملم ، ولكنه لم يثبت للهذليين شيء من ذلك ، فلعلهم يحققونها فى أول الكلام ، ويزكي هذا الاتجاه قراءة ابن مسعود قوله تعالى : "ولا تيمموا الخبيث"(١) ولا تأمموا " بالهمزة المحققة لا بالياء خلافا لما عليه جمهور القراء(٢) . وأكثر من هذا أنهم لا يكتفون بتحقيقها فى أول الكلام ، بل هم - لازدياد الفهم لها في هذا الوضع - قد يبدلونها من غيرها فى شيء من الاطراد كما سنرى فى هذا الفصل .

هذا إذا كانت الهمزة منفردة في الكلمة ، ولكن قد تجتمع همزتان فى كلمة واحدة ، كما فى الكلمات المبدوءة بالهمز حينما تجتمع - فى حال الاستفهام - همزة الاستفهام وهمزة الكلمة مثل : " أأنذرتهم ، أأعجمى ، فى حال فتح الهمزة الثانية ، وأئنا " فى حال كسرها ، أؤنبئكم فى حال ضمها . وقد تكون الهمزتان من صلب الكلمة وبنيتها مثل كلمة أئمة ، أأوم .

وفى حالة اجتماع الهمزتين هكذا نجد الهمزة الأولى محققة عند الهذليين كما ذكرنا ، وكذلك الهمزة الثانية لأن الهمزة الأولى مفتوحة والثانية متحركة ، فلا تنطبق عليها قواعد الإبدال طبقا للقاعدة التى أوجزناها فى إبدال الهمزة عندهم ، ولذلك فإن الهمزتين معا تظلان على نطقهما محققتين ، ويكاد يطرد ذلك عندهم ، وتحقيق الهمز بهذه الصورة سائد بين قراء الكوفة(٣) ومن أهمهم حمزة والكسائى وأبوبكر(٤) ، وجميعهم تنتهى قراءتهم - كما سبق إلى ابن مسعود . وهذا ابن مسعود نفسه يقرأ قوله سبحانه وتعالى : " بل ادارك علمهم "(٥) " بل أأدرك علمهم " بهمزتين همزة الاستفهام وهمزة أفعل ، فحقق الهمزتين جميعا(٦) ، وقد حققهما - كما ذكرنا أهل الكوفة أيضا ، وهم من تلاميذ ابن مسعود(٧) .

---

(١) سورة البقرة ٢ آية ٢٦٧ (٢) الكشاف ١ / ١٢٦ (٣) العكبرى : التبيان فى شرح الديوان ١ / ٤ (٤) ارشاد المريد (شرح الشاطبية) هامش ابرازالمعانى ٩٥ ومابعدها (٥) سورة النمل ٢٧ آية ٦٦ .
(٦) البحرالمحيط ٧ / ٩٢ - مختصر شواذ القرآن ص ١٠٩ .
(٧) الواسطى : الإرشاد ١١١ .

وكذلك الشأن إذا كانت إحدى الهمزتين فى كلمة ، والثانية تالية لهما فى كلمة أخرى ، فتحقيق الهمزتين فى هذه الحالة كشأنه فى سابقتها ، والقاعدة فى هذا مطردة . وقد يكون لقائل أن يقول : إن ذلك أثر من آثار البيئة الكوفية التى ينتشر فيها بنو أسد وبنو تميم ممن اشتهروا بالتحقيق ، ونحن لانمارى فى تأثير البيئة فى أصحابها ، ولكن أغلب الظن أن القراء ، بما يلتزمونه فى أدائهم من تحفظ واحتياط فيما يتصل بقراءات القرآن ، تجعل لهم بيئة خاصة لها تأثير كبير فى نفوسهم ، ويؤكد هذا ماقيل - بحق - من أن القراءة سنة متبعة . ثم إننا وجدنا فى قراءة ابن مسعود نفسه تحقيق الهمز هكذا فى أوائل الكلمات فليس ذلك مقصورا على تلاميذه من الكوفيين . ومع هذا فقراء الكوفة حين ينهجون هذا النهج فى قراءتهم يسيرون مع الاتجاه الذى سنراه عند هذيل من إيثار الهمز فى أوائل الكلمات ، بينما نجد مكانها حرفا آخر كالواو أو الياء أحيانا فى بعض اللهجات العربية . (١) وهذا التلاقى يطمئننا على أننا على الجادة سائرون .

حذف الهمزة

لم تقف اللهجة الهذلية فى التخفف من الهمزة على مجرد إبدالها وإنما قد تحذف من الكلمة أصلا . وطبيعى ألا يقع هذا الحذف فى أوائل الكلمات ، فقد وقفنا على أن من خصائص هذه اللهجة تحقيق الهمزة فى أول الكلام وإن كنا نجدها قد حذفت عند هذيل وغيرها فى بعض العبارات التى قالوا إن الحذف فيها راجع إلى كثرة الاستعمال مثل "عم صباحا" فى "انعم صباحا" "ويلمه" فى "ويل أمه" وهذه وإن كانت ليست وقفا على هذيل فانها من كلامهم ، وقد وردت كثيرا فى أشعارهم (٢) ، هذا وقد حذفت بعد يا التى للنداء فى بعض أشعار هذيل ، ومن ذلك قول مالك بن خالد الخناعى :

تنادوا فقالوا يال لحيان ماصعوا عن المجد حتى تثخنوا القوم بالضرب (٣)

يريد ياآل لحيان .

وفى قول صخر الغى الهذلى :

ولست بمضطر ولا ذى ضراعة فخفض عليك القول ياأبا المثلم (٤)

أى يا أبا المثلم .

---

(١) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ٢/ ٧٤٩ ، ٧٤٨ - البحر المحيط ٥/ ٣٣٢
(٢) ديوان الهذليين ٣/ ٧٨ - الإنصاف ٢/ ٤٣٣ . (٣) ديوان الهذليين ٣/ ١٦ .
(٤) المرجع السابق ٢/ ٢٢٥ .

فإذا لم يكن هذا الحذف من قبيل الضرورة الشعرية ـ وهذا مالا أرجحه فقد حكى أبو زيد فى الاختيار "لا ب لك" يريد " لا أب لك " (١) ـ فلعل وجود الهمزة مفتوحة بعد فتح وألف قد أغراهم بحذفها مادام الكلام فيه غنية عنها ، ولكن حينما جاءت فى أول الكلام عادت إلى التحقيق المعهود فى مثل قوله ، " أبا المثلم إنى غير مهتضم (٢) • " أبا المثلم أقصر قبل فاقرة " (٣) •

والغرض من هذا النوع من الحذف عامة إنما هو التخفيف والوصول إلى الهدف فى سرعة ، ودون جهد ، وهذا لا يخرج بنا عن الاتجاه السائد فى الحذف أو فى غيره من أحكام الهمزة التى تهدف إلى التخلص من تحقيقها •

فأكثر ما يكون حذف الهمزة إذن إنما يكون فى وسط الكلمات أو فى نهايتها ومن أمثلة ما يكون من ذلك فى أوساط الكلمات : حذف الهمزة المكسورة بعد الألف اللينة فى صيغة " فاعل " مثل راد فى موضع رائد (٤) ، وسارها فى موضع " سائرها " وقد ورد ذلك فى شعر أبى ذؤيب :

وسَوَّدَ ماءُ المردِ فاها فلونُه ... كلون النؤور فهىَ أدماءُ سارُها (٦)

ومن أمثلة هذا فى شعره أيضا :

فباتَ بجَمعٍ ثمَّ تَمَّ إلى منًى ... فأصبحَ رادا يبتغى المَزْجَ بالسَّحلِ (٥)

ومثله قول ساعدة بن جؤية فى هار بمعنى " هائر " •

فاستبعدوهم فهاضوهم كأنهمُ ... أرجاءُ هارٍ زفاهُ اليمُّ منثلمِ (٨)

وقد يخيل للمرء بادئ ذى بدء أن هذه وتلك ضرورة شعرية ، ولكن يدفع هذا الاشتباه وجود نظير لها فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : "على شفا جرف هار " (٩) ، فقد ذكروا أن معناه فى الآية (هائر) (١٠) • وهذا اللفظ نفسه نجده فى شعر أبى خراش :

---

(١) سمط اللآلى ٣٩٦/١ (٢) ديوان الهذليين ٢٢٨/٢ (٣) المرجع السابق ٢٢٩/٢ (٤) المخصص ١٥٠/١٣ (٥) ديوان الهذليين ٤١/١ تاج العروس (ورد) القاموس (رود) ، (سحل) ـ المخصص ١١٥/٢ (٦) ديوان أبى ذؤيب ص٣٠ ـ ديوان الهذليين ٢٤/١ شرح أشعار الهذليين (فراج) ٧٣/١ ـ اللسان ، الصحاح (سير) ـ تاج العروس (سير ، سأر) ـ (٧) تاج العروس (سير) •

(٨) ديوان الهذليين ٢٥٦/٢ (٩) سورة التوبة ٩ آية ١٠٩ •

(١٠) نوادر أبى زيد ص٣٠ •

فلا وأبي لا تأكل الطير مثله ... طويل النجاد غير هار ولا هشم (١)

يريد هائرا أي ضعيفا .

وفي شعر ساعدة بن جؤية :

فاستبد روعهم فهاضوهم كأنهم ... أرجاء هار زفاه اليم منثلم (٢)

ونظيره هال في شعر أمية بن أبي عائذ :

أحم المدامع يبني الكناس ... في دمث الترب ينثال هال (٣)

وعبارة السكري في شرحه "وهال : هائل مثل هار وهائر" .

ومثله أيضا صات بمعنى صائت في قول صخر الغي :

يكاد يدرج درجا أن يقلبه ... مس الأنامل صات قدحه زعل (٤)

ويذكر ابن منظور أن مثل هذا كثير في لغة هذيل . (٥)

وبعض ألفاظ المقصور التي يوجد لها نظير ممدود من لفظها ومعناها يمكن أن نعدها من هذا الباب . فالزنى مقصورا (محذوف الهمز) لغة الحجاز عموما " وهذيل حجازية " والممدود لغة نجد (٦) . وقد نقل ابن منظور عن اللحياني أن القصر لغة أهل الحجاز . والمد لغة بني تميم (٧) ، وينقل الزبيدي هو الآخر هذه الرواية التي تشبه مثل ذلك للحياني أيضا ، ثم ينقل عن صاحب الصحاح ما ذكره من أن القصر لأهل الحجاز ... والمد لأهل نجد (٨) .

وإنا لنجد آثار هذه الظاهرة ـ ظاهرة تخفيف الهمزة بالحذف ـ منعكسة على كتابة الشافعي الحجازي القرشي الذي قضى باكورة شبابه الأول في بادية هذيل كما سبق أن ذكرنا (٩) .

---

(١) ديوان الهذليين ١٥٥/٢

(٢) المرجع السابق ٢٠٦/١

(٣) المرجع السابق ١٧٦/١ ـ شرح أشعار الهذليين ٤٩٩/٢

(٤) ديوان الهذليين ٣٣/٢ ـ شرح أشعار الهذليين (فراج) ٢٧٤/١ .

(٥) اللسان (رود) (٦) المصباح (زنى) (٧) اللسان (زنا) .

(٨) تاج العروس (زنى)

(٩) انظر الرسالة ص ٥٨٣

ع وليس ٢٤٤

وحذف الهمزة في اللهجة الحجازية هكذا بعد حرف المد ، أي بعد صوت اللين الطويل نجده واضحا في لهجة هذيل للتخفيف والتيسير ، فقد سبق أن وجدناها تسهل إلى حرف لين مناسب لصوت اللين القصير السابق عليها ، ولكنها هنا قد سبقت أصلا بصوت لين طويل فلا يمكن أن تسهل إلى صوت لين طويل آخر ولهذا اتجه تخفيفها نحو الحذف ، وليست هذه طبعا عملية آلية تحدث عن وعي وتدبيره بل هي ظاهرة اجتماعية شأنها شأن الظواهر اللغوية جميعا تحدث في ضمير المجتمع ، وإذا تطور تطورت معه ، دون عمد أو تدبر سابق ، ولا يشترط لحذف الهمزة بعد حرف المد أن تكون الهمزة في أول الكلمة أو في وسطها أو في نهايتها ، فالمهم إذن وجود صوت اللين الطويل كما ذكرنا ، وقد رأينا من ذلك في الشعر الهذلي "يا ال لحيان" بدلا من "يا آل لحيان" ، "يا با المثلم" وأصلها "يا أبا المثلم"

ومن هذا القبيل تضال بدلا من تضاءل في قول أبي خراش :

وما بعد أن قد هدّني الدهر هدّة تضال لها جسمي ورقّ لها عظمي (١)

وفي حديث ابن مسعود : "من استطاع الباه فليتزوج" (٢) ، فحذف الهمزة فيها تيسير ، والتيسير هنا جد واضح ملموس ، وقد قرأ ابن مسعود نفسه وبعض تلاميذه قوله تعالى : "ويكون لكما الكبرياء" (٣) "الكبريا" بحذف الهمز (٤)

وقد قرأ أهل مكة في مثل ذلك قوله تعالى : "شركائي الذين" (٥) "شركاي الذين" (٦) من غير همز .

وإذا كنا قد رأينا الهمز محذوفا هكذا بعد حرف المد ، فقد نرى أحيانا حذفه قبل ذلك الحرف ، ومن أمثلة ذلك قراءة ابن مسعود : "لا يأكله إلا الخاطون" (٧) بحذف الهمزة (٨) وقراءة الأعمش "أنبوني" (٩) بحذفها كذلك (١٠) .

---

(١) سمط اللآلي ١/ ٣٩٦ . (٢) اللسان (بوه)
(٣) سورة يونس ١٠ آية ٧٨ (٤) مختصر شواذ القرآن ص٥٨ .
(٥) سورة النحل ١٦ آية ٢٧ (٦) مختصر شواذ القرآن ص٧٢ .
(٧) سورة الحاقة ٦٩ آية ٣٧ (٨) البيضاوي ٤/ ٢١٩ - الكشاف ٢/ ٤٨٧ - مختصر شواذ القرآن ص ١٦١ . (٩) سورة البقرة ٢ آية ٣١ .
(١٠) البحر المحيط ١/ ١٤٦ .

وإن كنت أرى أن بعض ذلك راجع إلى تسهيل الهمز في الأصل أي أن الهمزة قلبت ياء في المفرد " الخاطئ " فصار كالمنقوص فجاء جمعه الخاطون " ، كما قلبت ألفا في الماضي " أنبأ " فصارت " أنبا " فجاء الأمر " أنبوني " فيكون ذلك راجعا إلى التسهيل في الأصل لا إلى الحذف الذي نحن الآن بصدده .

ولعل من آثار هذا الحذف ما نجده عند الشافعي من نطق بعض الألفاظ محذوفة الهمز " كالقران " أي " القرآن " إذ ألفيناه دائما عند الشافعي هكذا دون همزة (١) .

ومن أمثال هذا الحذف أيضا عند هذيل " رفوني " في قول شاعرهم أبي خراش :

رفوني وقالوا يا خويلد لا ترع ... فقلت وأنكرت الوجوه هم هم (٢)

وقد اتخذ اللغويون من ذلك البيت شاهدا على أن رفا بمعنى سكن وهدأ ، وعلى أن الأصل فيه الهمز ، ومنه الرفاء أي الالتئام والموافقة ، ولكنْ قليل منهم من أدرك صلة هذا اللفظ باللهجة الهذلية ، فكل ما يقوله ابن منظور هو أن الشاعر يريد رفؤوني فألقى الهمز (٣) ، وينقل الزبيدي عن بعض علماء اللغة أن الشاعر ألقى الهمزة ، والهمز لا يلقى إلا في الشعر ، وقد ألقاها في هذا البيت ، فكأنه يشير إلى أن ذلك الحذف من ضرورات الشعر . أما ابن سيده فيقول (٤) إن الشاعر أراد رفؤوني فترك الهمز ، وهو بهذا يبعد بنا عن الضرورة الشعرية فلا يصرح بها ، ولا يشير إليها كما فعل سابقه ، ولكن أبا سعيد السكري راوية شعر هذيل ــ يقول إن أهل الحجاز لا يهمزون فترك الهمز (٥) ، وبهذا كشف اللثام عن وجه الحق ، ووصل بنا إلى أصل هذه اللهجة الحجازية أولا ، والهذلية ثانيا ، فالشاهد الذي يسوقه اللغويون إنما هو لشاعر هذلي ، والطابع فيه طابع اللهجة الهذلية . ولكن لعل إسقاط الهمز هنا لا يعود إلى الحذف كما ذكر علماء اللغة ، بل يرجع إلى تسهيل الهمز أصلا في (رفأ) فصارت (رفا) بالألف ، فجاء الإسناد طبيعيا (رفوني) كما سبق أن أشرنا إلى ذلك في بعض الألفاظ الهذلية الأخرى .

---

(١) الرسالة ص ١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ . (٢) ديوان الهذليين ٢ / ١٤٤ ــ المخصص ٥ / ٣١ ــ تاج العروس (راع ، رفأ) الجمهرة (رفو) . (٣) اللسان (رفأ) ــ أساس البلاغة (رفو) . (٤) المخصص ١٦ / ٣١ . (٥) ديوان الهذليين ٢ / ١٤٤ .

وهكذا قد رأينا أن تخفيف الهمز تسهيلا وحذفا وإبدالا هو من سمات البيئة الحجازية ، ولكن إذا كنا قد رأينا شيئا من الخروج على هذا الاتجاه بتحقيق الهمز أحيانا فى بعض البيئات الحجازية فى مكة والمدينة ، فإنا قد لمسنا أن الهذليين هم أيضا لم يسلموا من التحقيق ، وربما كان أبرز عندهم منه عند من ذكرنا من أهل الحجاز ، وقد ذكرنا من مظاهر التحقيق المطردة عندهم – أى عند الهذليين – تحقيق الهمز فى أوائل الكلمات حتى لو سبقها همز فى كلمة سابقة عليها أو تلاها همز فى الكلمة نفسها . ومن مظاهر ذلك أيضا أنهم قد يستبدلون الهمزة بغيرها فى أول الكلمة ، أى أنهم قد يؤثرونها على بعض الحروف كالواو والياء فى أوائل الكلمات . وهذا ما سنحاول إيضاحه الآن .

إيثار الهمز فى أوائل الكلمات

إن من يقرأ شعر هذيل يجد فيه كلمات كثيرة أبدلت فيها الواو همزة ، أى أن الهذليين كانوا ينطقونها همزة ، بينما كان ينطقها آخرون واوا ، ويكثر ذلك حينما تكون الواو مكسورة ، إذ ينطقها هؤلاء همزة مكسورة ، ومن ذلك قول المعطل الهذلى :

لَهُ إِلْدَةٌ سُفْعُ الوُجُوهِ كَأَنَّهُم　　يُصَفِّقُهُم وَعْكٌ من المُومِ ماهِنُ (١)

وقول ساعدة بن جؤية :

لها إلدةٌ سفعُ الوجوهِ كأنهم　　نصالٌ شراها القينُ لما تركَّبِ (٢)

وفى شعر مالك بن خالد الخناعى :

لإِ لِدِكَ أصحابى فلا تزدَهيهِمُ　　بسَايَةَ إذ مدت عليكَ الحَلائبُ (٣)

وشعر البريق الهذلى :

فأصبحتُ لا أدعو من الناسِ واحدًا　　سوى إلدةٍ فى الدارِ غيرِ مقيمِ (٤)

وشعر الأعلم الهذلى :

تزوجت حبشيا فأترح إلدتى　　كما زحزحت عند المبارك هيمها (٥)

---

(١) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ١٥٦ ، تحقيق فراج ١/ ٤٤٩ – ديوان الهذليين ٣/ ١٠٧ (٢) ديوان الهذليين القسم الأول ص ٢٢ .

(٣) ديوان الهذليين ٣/ ٩ (٤) المرجع السابق ٣/ ٦١

(٥) شرح أشعار الهذليين (فراج) ١/ ٣٢٦

فيصرح السكرى فى شرح أشعار الهذليين بأن هذه لهجة لهذيل (١) ، ومع ذلك فقد روى هذا اللفظ فى بعض هذه الأبيات أو فى غيرها بالواو لا بالهمزة فى بعض المراجع (٢) أو بالواو إلى جانب الهمزة فى بعضها الآخر (٣) وإذا لم تكن هذه الرواية من إيحاء الفصحى كما أرجح ، فيحتمل أن يكون قلب الواو المكسورة همزة مكسورة غير مطرد عند هذيل أى أن منهم من ينطقها واوا فى بعض بطونها ، ومنهم من يحققها همزة فى بطون أخرى .

وليس قلب الواو المكسورة همزة مقصورا على هذا اللفظ الوارد فى هذه الأبيات ، بل كثيرا ما نجده فى ألفاظ أخرى مثل وشاح ووسادة وغيرهما ، فقد كانوا يقولون فى مثل ذلك إسادة وإشاح عند من ينسبها إلى هذيل بكسر الهمزة لا بضمها (٤) ولكن ابن سيده يذكر أن إبدال الهمزة المكسورة بالواو المكسورة غير مطرد (٥) ، فلعله يعنى بذلك أنه غير مطرد فى اللغة عامة ، إذ لم يخص عدم الاطراد بلهجة معينة ، بل أطلق ذلك إطلاقا ، أما أبوحيان فيقرر أن ذلك " مطرد فى لغة هذيل يبدلون الواو المكسورة الواقعة أولا همزة " (٦) .

وهكذا نرى أنه سواء اطرد هذا أم لم يطرد ، فهو من كلام هذيل ، وقد قرأ به سعيد بن جبير الكوفى (٧) ، وبعض الكوفيين الآخرين (٨) ، إعاء " بدلا من (وعاء) فى قوله تعالى : " ثم استخرجها من وعاء أخيه " (٩) كما ورد ذلك فى شعر حبيب بن الأعلم من مشاهير شعراء هذيل (١٠) .

ولا يقتصر الأمر فى ذلك على الواو المكسورة ، بل إن الواو المضمومة قد تنقلب هى الأخرى عند هذيل همزة مضمومة ، وقد جاءت هكذا فى شعر معقل بن خويلد الهذلى :

أبا مُعقِل إن كنت أُشِّحت حُلَّةً   أبا معقل فانظر بنبلك من ترمى (١١)

وفى شعر عمرو بن الداخل الهذلى :

تمنَّانى وأبيض مشرفيًا   أُشاح الصدر أخلص بالصقال (١٢)

---

(١) شرح أشعار الهذليين (فراج) ٧٤٥/٢ ، ٧٤٨ (٢) البقية ص ٢١ ديوان الهذليين ١٩٣/٢ تاج العروس (يمر) (٣) ديوان الهذليين ٩/٣ ، ٥٨ ـ شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ١٠٣ ، ١٥٦ (٤) ديوان الهذليين ٨٣/٢ ـ مشارق الأنوار ٢٩٦/٢ ـ الجمهرة (د س و) البحر المحيط ٣٣٢/٥ . (٥) المخصص ٨٨/٤ (٦) البحر المحيط ٣٣٢/٥

(٧) المرجع السابق (الصفحة نفسها) المنصف ٢٩/٣ (٨) مختصر شواذ القرآن ص ٦٠

(٩) سورة يوسف ١٢ آية ٧٦ (١٠) ديوان الهذليين ٨٣/٢ (١١) المرجع السابق ٦٥/٣ ـ شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص ١٠٨ ـ تاج العروس (وشح) (١٢) ديوان الهذليين ١١٦/٣

وفي شعر أبي صخر الهذلي

فكانَ لَمَا أدَّى وربقة ميمتي وليدا إلى أن رأسي اليوم أشيب(١)

وقد قال ابن جني في ذلك : " يريد ودى وهي لغتة "

وقد ذكر البيضاوي في تفسيره أن الكوفيين ـ غير حفص ـ قرءوا قوله تعالى " وأنى لهم التناوش "(٣) بالهمز على قلب الواو لضمها (٤) أي أن الواو المضمومة قلبت أحيانا همزة ولو لم تكن في أول الكلام ، وقد نسب ابن الجزري ذلك إلى حمزة والكسائي وشعبة(٥) ، وأغلب الظن أن هذه قراءتهم عن ابن مسعود ، أما حفص فقد تلقى قراءة عاصم التي تنتهي إلى علي بن أبي طالب كما سبق أن ذكرنا . هذا وقد قرأ ابن مسعود قوله تعالى :

" ما وُرِي عنهما من سوءاتهما " (٦) " ما أورى "(٧) بالهمز موضع الواو أيضا .

وقد جاء في شعرهم " أحدان " بالهمزة المضمومة في موضع " وحدان " بالواو المضمومة ، وهذا يتسق مع ما سبق ذكره من ذلك ، فقول مالك بن خالد الخناعي

أحمى الصريمة أُحدان الرجال له صيد ومستمع بالليل هجاس(٨)

فسره صاحب اللسان بأنه جمع واحد ، وهو الرجل الواحد المتقدم في بأس أو علم أو غير ذلك ، كأنه لا مثيل له(٩) . ويقول الزبيدي : " يقال في جمع الواحد أحدان .. قلبت الواو همزة لانضمامها ، ثم يسوق هذا الشاهد نفسه مع تغيير طفيف لا يمس جوهره .(١٠)

هذه أمثلة من شعر الهذليين ، ومما وافتنا به كتب اللغة عن لهجة هذيل ، وبعض ما أطلعتنا عليه كتب القراءات من قراءة ابن مسعود وتلاميذه من الكوفيين . وكل ذلك لم نقصد به إلى الحصر بل المراد منه مجرد تقرير المبدأ من قلب الواو مكسورة أو مضمومة ، في كثير من الأحيان ، عند هذيل إلى همزة تجانس هذه الواو في حركتها . أما الأمثلة فكثيرة ، وقد أشار إلى كثرتها ابن السكيت في إصلاح المنطق(١١) .

(١) ابن جني التمام في تفسير أشعار هذيل ١٧١ (٢) المرجع السابق والصفحة نفسها .
(٣) سورة سبأ ٣٤ آية ٥٢ (٤) البيضاوي ٤/ ٥٦ (٥) شرح الشاطبية ٢٧٢ .
(٦) سورة الأعراف ٧ آية ٢٠ (٧) الكشاف ١/ ٣٢٥ ـ البحر المحيط ١/ ٢٩٥ .
(٨) ديوان الهذليين ٣/ ٤ (٩) اللسان (وحد) (١٠) تاج العروس (وحد) .
(١١) إصلاح المنطق ص ١٧٩

وإذا كان هذا القلب يقع في الواو المكسورة أو المضمومة كثيرا ، فلقد نجد أحيانا أن الواو والياء المفتوحتين قد تقلب كل منهما همزة مفتوحة ، فقد وجدنا في اللغة وريت وأريت من التورية أي أردت الشئ وأظهرت غيره[١] وممت وأممت ، وعلى هذه الأخيرة ما ذكر من قراءة عبد الله بن مسعود قوله تعالى :

" ولا تأمموا الخبيث منه تنفقون "[٢] بالهمز لا بالياء كذلك[٣]

وهكذا نرى أن هذيلا كانت تتسم بإيثار الهمز في أوائل الكلمات عن طريق الإبدال أحيانا كما نرى هنا ، أو عن طريق تحقيقها كما سبق أن رأينا . ولعل هذا ما دفع بعض أصحاب المراجع إلى القول بأن هذيلا كانت تظهر الهمزة في كلامها .[٤]

وقصارى القول أن الهذليين كانوا يؤثرون تحقيق الهمزة ، أو إبدالها من غيرها أحيانا في أوائل الألفاظ ، بينما كانت تؤثر تخفيفها بالحذف أو القلب في أوساطها . وهذا التخفيف نجده واضحا في لهجاتنا العربية الحديثة ، فلفظ " السوء " ننطقه " السوّ " والخطيئة عندنا " خطية " والشؤم " شوم " والبئر " بير " والذئب : ديب " والثأر : تار " والفأر : فار " " والفأل : فال " " والرأس : راس " ... وهكذا .

---

(١) اللسان (ورى)

(٢) سورة البقرة ٢ آية ٢٦٧ .

(٣) الكشاف ١ / ١٢٦ .

(٤) ابن المنير الإسكندري : الانتصاف ١ /٧٢ .

الفصل الثالث

الإبدال في سائر الحروف

(الفصل الثالث)

ما وقع فيه الإبدال من سائر الحروف

تنقسم الحروف العربية عدة مجموعات تتشابه كل مجموعة منها من حيث مخارجها أو من حيث صفاتها ، ولسنا بصدد الحديث المسهب المتخصص في مخارج هذه الحروف وصفاتها ، ولكني أود أن ألفت النظر إلى أننا في حديثنا عن هذه اللهجة الهذلية من حيث إبدالها حرفا بآخر في بعض ألفاظها ، من الخير أن نسير على هدى من هذه الأقسام ، وتلك المجموعات التي أثبت علماء اللغة والقراءات من القدامى ، وعلماء الأصوات من المحدثين أن بينهما تقاربا أو مشاركة ، فقد أشار هؤلاء القدامى أنفسهم إلى أهمية ذلك حين قالوا "إن اتقارب الحرفان في المخرج تعاقبا في اللغات"(١) ، فلا شك أن هذا التقارب أو تلك المشاركة ستساعدنا على معالجة الموضوع إلى حد كبير .

الإبدال في حروف الحلق

هناك تقارب كبير في حروف الحلق ، وهي (الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء) وقد سبق أن أفردت للهمزة فصلا خاصا بها نظرا لأهمية الحديث عنها تسهيلا وتحقيقا ، وحذفا وإبدالا ، ولذلك فالحديث في عنوان البحث من هذا الفصل قاصر على سائر حروف الحلق دون الهمز ، وقد ذكرت أن بينها جميعا تقاربا كبيرا منشؤه اتحاد مخرجها ، إذ أن هذا المخرج في عمومه هو الحلق ، ولذلك سميت بهذا الاسم وإن كانت تتفاوت بعض التفاوت في مكانها من الحلق ، لكنها متقاربة تقاربا من شأنه أن يجعل حلول بعضها محل بعض أمرا ممكنا في بعض الألفاظ عند مختلف القبائل العربية تبعا لطبيعة كل قبيلة وظروفها ، وإيثارها بعض الأصوات على بعضها الآخر . وبعض الخصائص القديمة التي اتسمت بها بعض اللهجات العربية إن هي إلا نوع من هذا الإبدال في حروف الحلق أو غيرها ، ونظرا لما ألفه الرواة واللغويون من سماع اللغة الفصحى ، صارت هذه السمات والخصائص نابية على أسماعهم ، فسموها أسماء خاصة كالعنعنة والفحفحة والاستنطاء .. وما إليها ، واعتبروها من عيوب هذه اللهجات التي سلمت منها اللهجة القرشية .

---

(١) اللسان (كشط) ٢

وكان من نصيب هذيل فى ذلك هذه السمة التى سموها بالفحفحة وقد عبروا عنها بأنها قلب الحاء عينا فى بعض الكلمات ، وبعض اللغويين ينسب ذلك إلى هذه القبيلة وحدها [١] ، وبعضهم ينسبه إليها وإلى ثقيف معها [٢]، وهم لم يبعدوا كثيرا لأن هذيلا وثقيفا متجاورتان فى المواطن والمنازل – كما رأينا – فليس ببعيد أن يكون ذلك لهجة لهما معا ، أو على الأقل لثقيف مع جيرانها من البطون الهذلية القريبة منها ، ولا يغض من ذلك شىء سوى أن ثقيفا قبيلة حضرية مقرها الطائف ، أما هذيل فقبيلة فيها بداوة ، فهذه الظاهرة أشبه بها من سواها .

والمثال المشهور الذى تواردت عليه جميع المراجع بشأن هذه الظاهرة هو " حتى " وإبدال حائها عينا ، فجميع هذه المراجع قد اتفقت على أن ابن مسعود قرأ بها قوله تعالى " حتى حين " [٣] بإبدال الحاء الأولى عينا (عتى حين) [٤] ، وكثير من هؤلاء يروى أن عمر بلغه أن ابن مسعود يقرىء الناس (عتى حين) فكتب له : إن القرآن لم ينزل بلغة هذيل ، فأقرىء الناس بلغة قريش ، ومهما يقال فى شأن هذه الرواية ، فهى دليل آخر على أن ابن مسعود كان متأثرا فى قراءته بلغة قومه [٥] ، هذا إلى جانب ما هو معلوم من ذلك – هو ما تقتضيه طبائع الأشياء فينبغى إذن أن تكون قراءته نبراسا يهدينا السبيل .

وهناك أمثلة أخرى لهذه الظاهرة يسوقها بعض المراجع ، فتخرج بها إلى شىء من التعميم ، وتبعد بها عن أن تكون مقصورة على الحاء فى هذا اللفظ وحده ، ومن ذلك قولهم " إن هذيلا يبدلون الحاء عينا فيقولون " علت العياة لكل عى " أى : " حلت الحياة لكل حى " [٦] ، " اللعم الأعمر أعسن من اللعم الأبيض " [٧] أى : " اللحم الأحمر أحسن من اللحم الأبيض " .

ولعل السر فى إبدال هذيل أو بعض بطونها للحاء عينا هو أن العين صوت مجهور ، والحاء صوت مهموس ، والمجهور قد يناسب بيئة فيها بداوة كهذيل أكثر مما يلائمها الصوت المهموس ، ثم إن فى الحاء رخاوة وفى العين شىء من الشدة إذ هى ليست بالرخوة ولا بالشديدة ، وإنما هى شىء بين بين ، أو كما يقول القدماء متوسطة بين الشدة والرخاوة [٨] ، ولهذا أمكن أن تحل محل الحاء لاتحاد مخرجهما تقريبا ، مع ملاءمتها لقبيلة مثل هذيل .

---

(١) ابن سيده : المحكم ٢/ ٢٤٠ – تاج العروس (فح ، حث) – البحر المحيط ٥/ ٣٢٧ – الرضى : شرح الكافية ٢/ ٢٥٢ – التسهيل ص ٤٤ – المزهر ص ١٣٣ . الاقتراح ص ٨٣ – الأمير : حاشيته على المغنى ١/ ١٠٣ (٢) الصحاح ، اللسان ، تاج العروس (عتا) . (٣) سورة يوسف ١٢ آية ٣٥ .
(٤) مختصر شواذ القرآن صفحة ٦٢ (٥) فك ، العربية ص ٧٨ (٦) مميزات لغات العرب ص ١٣ (٧) فى اللهجات العربية ص ٨٧ (٨) أبو حيان : الارتشاف (المقدمة) ص ٨ .

التي يحتمل أنها دفعت عمر إلى أن يكتب إلى ابن مسعود ما كتب .

أما الحديث بشأن هذه الظاهرة الصوتية في ذاتها ، من استبعاد هذه اللهجة وعدم نسبتها إلى هذيل ، وتأسيس ذلك على اتصال هذيل ببيئة الحجاز اتصالا روحيا ، وقرب مساكنهم من الحجاز ، فإنا نقول — بشأن هذا الاتصال — ما هو أكثر من ذلك ، وهو أن هذيلا ليست متصلة ببيئة الحجاز فحسب ، وليست مساكنهم قريبة من الحجاز فقط ، بل إن هذه القبيلة قبيلة حجازية فعلا ، ومنازلها من بلاد الحجاز لا قريبة منها ، ولكنها مع ذلك حلقة وسطى ، كما قلنا ، بين الحضريين من الحجازيين وبين الموغلين في البداوة من غيرهم ، فهي وإن كانت تجاور الحضر في الحجاز وتتأثر بهم ، فإنها من جهة أخرى تجاور غيرهم من قبائل وسط الجزيرة ، ولهذا فهي تؤثر فيهم وتتأثر بهم ، كما يقضي بذلك الناموس الاجتماعي ، فلا نستبعد بعد هذا أن نجد هذيلا تستبدل في بعض كلامها حرفا مجهورا بآخر مهموس، وهما متفقان في مخرجهما اتفاقا يجعل بينهما من التقارب في النطق ما يؤكد هذا الاحتمال .

ولكن يبدو أن هذيلا كانت تعكس الوضع أحيانا ، فتقلب العين المجهورة حاء مهموسة إذا دعا لذلك داع كأن يأتي بعدها حرف مهموس كالثاء نظرا للتجاور بين الحرفين ، وتيسير النطق بهما في شيء من الانسجام والتقارب الصوتي ، وهذا ما يعبر عنه ابن جني بتقريب الحرف من الحرف، حين كتب في أهميته ،واتجاه كثير من العرب إليه : " التقريب للحرف من الحرف باب طويل منقاد "(١) ، فليس غريبا إذن أن ينسب إلى ابن مسعود أنه كان يقرأ " إذا بحثر ما في القبور "(٢) ، بالحاء لا بالعين (٣)، على أن هذه الظاهرة إذا صحت كانت — كما لاحظ الدكتور إبراهيم أنيس —(٤) أولى بأن توسم بالفحفحة من الظاهرة الأولى أي من قلب الحاء عينا في بعض ألفاظ هذه اللهجة .

ولما كانت الهاء والحاء حرفين من حروف الحلق ، وكلاهما حرف مهموس أيضا ، أي أنهما متحدان في المخرج والصفة ، فإنا وجدنا أثر ذلك في نطق الحاء هاء في بعض الالفاظ مثل " كده يكده " بمعنى "كدح يكدح " ، ويقال كدهه الهم يكدهه كدها إذا اجهده ، ومن ذلك قول أسامة الهذلي يصف الحمر :

(١) المحتسب ٧٥٩ (٢) سورة الطارق ١٠٠ آية ٩ (٣) مختصر شواذ القرآن ص ١٧٧ .
(٤) البحر المحيط ٨/ ٥٠٥ . (٤) اللسان (كده) .

إذا نَضَحتْ بالماءِ وازدادَ فورُها نجا وهو مكدوهٌ من الغمِّ ناجد [1]

وإن كانت قد وجدت فى ديوان الهذليين مخطوطا ومطبوعا "مكدود" بالدال لا بالهاء [2] .

هذا وقد ذكر اللغويون أن العين (وهى حرف حلقى) تقلب عند هذيل "نونا" وهى حرف غير حلقى ، فمخرج كل منهما بعيد عن مخرج الأخرى ، ولهذا نجد فى هذه الظاهرة شيئا من الغرابة ، خصوصا وأنه قد اختصها فعل واحد هو الفعل "أعطى" إذ ينطقونه "أنطى" . وقد ذكر اللغويون أن مرد هذا النطق إلى مجاورة العين الساكنة للنون [3] ، مع أنه ليس فى هذه المجاورة ما يسوغ ذلك ، وليس هناك مبرر ظاهر لوجوده ، كما أنه ليست هنالك علاقة واضحة بين العين والنون تبرر هذه الظاهرة الصوتية ، اللهم إلا أن يكون من أسبابها اشتراك هذين الحرفين فى الصفة إذ هما صوتان مجهوران ثم هما أيضا صوتان متوسطان بين الشدة والرخاوة [4] ، ولكن يضاف إلى ذلك أن النون من الأصوات الكثيرة الدوران فى اللغات السامية ، ومن أكثر الأصوات الساكنة وضوحا وظهورا [5] ، وهذا كل ما يمكن أن يقال فى تبرير هذه الظاهرة التى سماها اللغويون بالاستنطاء ، ومرجع هذه التسمية هو وجود النون والطاء متجاورتين بعد إبدال العين نونا فى الكلمة .

وقد نسب معظم اللغويين هذه الظاهرة إلى هذيل ، وأضافوا إلى ذلك أنه قرئ بها قوله تعالى "إنا أعطيناك الكوثر" [6] "أنطيناك" [7] بإبدال العين نونا فى الكلمة ، كما ذكروا أيضا أن ابن مسعود والأعمش كانت قراءتهما "وأنطاهم تقواهم" [8] أى "وأعطاهم تقواهم" [9] . ومع ذلك فان بعض اللغويين ينسب هذه الظاهرة إلى اليمن [10] ، ولعل مصدر ذلك هو ما ذكر من أن الأنصار والأزد كانوا يلهجون بها ، وأولئك وهؤلاء هم فى أصل نشأتهم من اليمن [11] .

وكثير من المراجع ينسبها إلى سعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس والأنصار [12] ، وينسبون القراءة بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم [13] ، وقد ذكروا من

---

(١) اللسان (كده) . (٢) ديوان الهذليين (مخطوط) ص٨٦ ، (دار الكتب) ٢/ ٢٠٤
(٣) مميزات لغات العرب ص١٥ . (٤) الارتشاف ص٨ ـ فى اللهجات العربية ص ١٠٤
(٥) فى اللهجات العربية ص١٣١ ـ الأصوات اللغوية ٥٢ . (٦) سورة الكوثر ١٠٨ آية ١
(٧) اللسان ، القاموس (نطا) ـ القراءات واللهجات ص١٢٣ ـ مميزات لغات العرب ص١٥ . (٨) مختصر شواذ القرآن ص١٤١ (٩) سورة القتال ٤٧ آية ١٧
(١٠) الزمخشرى : الفائق ص٨ ـ تاج العروس (أنطى) . اللسان (نطا) ابن الأثير : النهاية ٤/ ١٥٤ . (١١) تاج العروس (نطو) .
(١٢) المرجع السابق والمادة السابقة . (١٣) الكشاف ٢/ ٥٦٣ البحر المحيط ٨/ ٥٢٥

من كلام الرسول حديث عطية السعدى : " اليد العليا هى المنطية ، واليد السفلى هى المنطاة " (١) ، ونظيره قول الرسول أيضا : " وإن مال الله مسئول ومنطى " (٢) ، أى " معطى " ، وقوله : " لا مانع لما أنطيت ، ولا منطى لما منعت " (٣) ، وأنطه كذا وكذا أى " أعطه " (٤) .

أظئار

ولعل فى هذا ما يؤكد نسبة هذه الظاهرة إلى بنى سعد النبى صلى الله عليه وسلم ، هم وبعض من جاورهم من الهذليين الذين تنسب إليهم هذه الظاهرة أصلا ، وكذلك بعض القيسيين من الأعراب القاطنين فى وسط الجزيرة العربية ، وليست هذه الظاهرة غريبة على بعض القبائل البدوية ، فإنها لا تزال شائعة فى لهجة بعض الأعراب بصحارى مصر (٥) ، ومنهم بعض أعراب الفيوم ويقال إن أصلهم من بنى سعد .

الإبدال فى باقى الحروف :

هناك غير حروف الحلق مجموعات أخرى من حروف الهجاء ، يربط بينها — كما أشرنا — قرب فى المخرج ، أو اتحاد فى الصفة ، وإن يكن ذلك فيها أقل وضوحا وبروزا منه فى حروف الحلق ، ولكن نلمس له أثرا فى اختلاف اللهجات العربية ولهذا نعرض لها باحثين ما عساه أن يكون لها من أثر فى لهجة هذيل .

إبدال السين :

السين والصاد والزاى من الحروف العشرة المهموسة ، فهى مشتركة معها فى هذه الصفة ، وإلى هذا تربط بين ثلاثتها رابطة أخرى هى أن مخرجها واحد تقريبا هو أسلة اللسان أى طرفه) ، ولذلك تسمى عند علماء اللغة عموما ، وعلماء القراءات خصوصا بالحروف الأسلية (٦) ، وهى لذلك يحل بعضها محل بعض فى اللغة فى حالات معينة فيقال " باسقات " ، "وباصقات " مثلا فى لهجتين مختلفتين ، ويذكر ابن جنى فى تعليل هذه الظاهرة أن الصاد أبدلت من السين لاستعلاء القاف ، فتم هذا الإبدال لما فى الصاد — هى الأخرى — من الاستعلاء ، ونحو ذلك أيضا " زقر " لهجة فى " سقر " وهى أيضا

---

(١) البحر المحيط ٨/٥٢٥ — السيوطى : الاقتراح ص ٨٣ — القراءات واللهجات ص ١٢٣ — ميزات لغات العرب ص ١٥ (٢) اللسان (نطا)

(٣) القاموس (نطا)

(٤) اللسان نطى) (٥) ميزات لغات العرب ص ١٥ (٦) تاج العروس (باب الصاد ٤/٤٧٢) .

ـ على حد تعبير ابن جنى ـ تقريب الحرف من الحرف ، وذلك أن السين مهموسة والقاف مجهورة ، فأبدلت السين زايا ، وهى مجهورة ، لتقرب من القاف (١) والأمثلة على هذا كثيرة فى اللغة .

فما موقف هذيل من هذه الظاهرة ؟ هل تهملها ، ولا تعيرها اهتماما كبيرا أم تتأثر فى لهجتها بهذا الاتساق والتقريب بين الحروف فى النطق حين يدعو لذلك داع من الدواعى الصوتية المشار إليها ؟ . الواقع أن هذيلا تتأثر هذه الحروف فى لهجتها بمجاورتها لحروف أخرى ، لها من الصفات والمخارج ما يستدعى ذلك ، فهى قد تبتعد لتخرج حرفا من أخواتها إذا دفع لذلك دافع من الدوافع المذكورة ، ولذلك بعض أمثلة عامة لم يقصرها العلماء والرواة على هذيل وجيرانها وبعض أمثلة أخرى ذكر هؤلاء الرواة واللغويون أنه من خصائص الهذليين وبعض من جاورهم فى مواطنهم ، ولعل ما ذكر من ذلك غير منسوب إلى هذيل أو غيرها إنما يرجع فى أصله إلى هذه البيئة الهذلية وإن كان قد دخل فى الفصحى فصار من ألفاظ العربية التى لم ينسبها هؤلاء الرواة الى قبيل خاص من القبائل العربية .

ومما عده العلماء من ألفاظ اللغة العامة متأثرا بهذه الظاهرة كلمة " مصيطر " التى أبدلت فيها السين صادا لاستفالة السين ، واستعلاء كل من الصاد والطاء ، وقد ذكرنا أنه قد أخذت به اللغة الفصحى ، وظهر فى رسم المصحف (٢) ، وقرأ به معظم قراء الكوفة (٣) ، وغيرهم .

ومن الأمثلة التى نص اللغويون على نسبتها لهذيل وبعض من جاورها من قبائل ـ مانقله الزبيدى عن الفراء بقوله " بنو سليم وهوزان وأهل العالية وهذيل يقولون ، هو أخوه صوغه بالصاد . وأكثر الكلام بالسين " سوغه " (٤) وهذا ما ينقله صاحب اللسان عن الفراء أيضا . (٥) ونسب أبو حيان هذه الظاهرة لبنى كلب فقال : إنهم يبدلون الصاد من السين إذا جامعت الغين أو الخاء أو القاف ، فليس عجيبا أن تنسب لبنى كلب وهم بدو ما دمنا قد وجدنا أن القبائل

---

(١) المحتسب ٧٥١ . القاموس (زقر) . (٢) سورة الغاشية ٨٨ آية ٢٢ .
(٣) البيضاوى ٢٥٣/٤ . (٤) تاج العروس (صيغ) . (٥) اللسان (صوغ)

التى سبقت نسبة هذه الظاهرة إليها هم من البدو أيضا كبنى سليم وهوازن وأهل العالية وهذيل • ومن أمثال ما ورد من ذلك بالصاد عند هذيل ما نجده فى أشعارهم

تصيخ إلى دوى الأرض تهوى   بمسمعها كما أصغى الشحيح[(١)]

وتعقيب ابن جنى على هذا البيت أن العرب قالوا " أساخ " بمسمعه " وأصاخ " ، فكأن الصاد قلبت عن السين لأجل استعلاء الخاء ، كما قالوا فى " مساليخ " " مصاليخ " وفى " سالغ " " صالغ " ، لأن الصاد أخص بالخاء والغين منها ببقية حروف الحلق (٢) .

وهكذا يبدو من استقراء اللغويين لهذا الموضوع أنهم وجدوا — فيما جمعوا من المادة اللغوية — أن هذا النوع من الإبدال المتأثر بمجاورة هذه الحروف لغيرها قد تم حين يأتون بعدها بغين أو خاء أو قاف أو طاء ، والسبب فى ذلك أن هذه الحروف كلها من حروف الاستعلاء ، والصاد هى الأخرى مستعلية (٣) ، ولهذا شرط ابن مالك فى التسهيل أنه لا تبدل الصاد من السين جوازا على هذه اللهجة إلا إذا وقع بعدها أحد هذه الأحرف ، حتى لو فصل بينها حرف أو حرفان فهذا لا يؤثر فى حدوث هذه الظاهرة (٤) ، وقد لمسنا ذلك فعلا مع وجود حرف فاصل هو الياء الساكنة فى " مصيطر " ، والواو الساكنة فى " صوغه " وما شابه ذلك من كلمات •

ذلك صنيع هذيل ومن جاورها فى شأن هذه الحروف ، ولكنا نجد أن هذيلا إلى جانب هذا قد تقلب السين ثاء فى بعض الألفاظ مثل " تسوخ " إذ ننطقها أحيانا " تثوخ " ، وقد ذكر ذلك صاحب الأمالى فى " ما تتعاقب فيه السين والثاء المثلثة " (٥) ، وساق لذلك هذا الشاهد من شعر أبى ذؤيب :



قَصَرَ الصَّبوحَ لها فشُرِّجَ لحمُها   بالنَّىِّ فهْى تثُوخُ فيها الإصبَعُ

أى تدخل فيها الإصبع ، وقد ورد البيت بهذه الرواية نفسها فى كتب اللغة (٦) وفى دواوين شعر هذيل (٧) ، ونجد ذلك أيضا فى شعر المتنخل يصف سيفا :

---

(١) أشعار (٢) ابن جنى ، التمام فى تفسير هذيل ص ٢٦ (٣) أبو حيان : الارتشاف ص ٨

(٤) تاج العروس (باب الصاد) ٤/٣٧٢ (٥) القالى : الأمالى ٢/١١١

(٦) مقاييس اللغة (ثوخ) — المخصص ١٢/٢٨ — أساس البلاغة ٢٣٢ — اللسان (ثوى) — سمط اللآلى ١/٤٤٨ — تاج العروس (شرج)

(٧) ديوان أبى ذؤيب مخطوط (الشنقيطى ورقة ٢٣) ، (تيمنور ص ٣٢) — ديوان الهذليين ١/١٦ — التمام ص ٢٦ — شرح أشعار الهذليين (فراج) ١/٢٣

أبيض كالرجع رسوب إذا   ما ثاخ في محتفل يختلي (١)

وفي هذا يرى ابن جني أن الثاء أبدلت من السين لاجتماعهما في الهمس(٢) . ولكننا مع هذا ، إذا كنا قد وجدنا مبررا صوتيا مقبولا حال القلب من السين إلى الصاد مع الخاء وأخواتها من حروف الاستعلاء ، فقد لا نجد مثل هذا المبرر في وضوح مع قلب السين ثاء قبل هذه الخاء في " تثوخ " إذ الجامع بين الثاء والخاء هو كونهما من الحروف المهموسة ، وهذه الشركة ، ربما كانت كافية في تبرير هذه الظاهرة لو لم تكن السين نفسها هي الأخرى شريكة لها في هذه الصفة ثم إن ثلاثتها تشترك في أنها من الحروف الرخوة التي سماها المحدثون من علماء الأصوات بالأصوات الاحتكاكية (Fricatives) (٣) ، فليس هناك والحال هكذا داع لهذا القلب إلا أن تمتاز الثاء عن السين بما يؤهلها لهذا الإبدال ، ولا وجود لهذا المبرر كما نرى اللهم إلا أن يكون ذلك غير راجع إلى التأثر بمجاورة الخاء ، بل مرده إلى أن السين والثاء متحدتان في الصفة ، قريبتان في المخرج ، فليس ما يمنع ـ حال التساهل في النطق الذي تتسم به البيئات البدوية ـ من أن تحل إحداهما محل الأخرى ، وذلك أن مخرج الثاء من بين طرف اللسان وطرف الثنايا العليا ، ومخرج السين ما بين طرف اللسان وفويق الثنايا السفلى (٤) ، فالمخرج ـ كما نرى ـ متقارب ، والصفة واحدة .

وإذا لم يكن هذا التبرير الصوتي مقبولا أو كافيا ، فلعلها كانت لثغة قبل أن تكون لهجة .

<u>إبدال الفاء ثاء :</u>

الفاء والثاء كلتاهما من الحروف المهموسة ، وهما كذلك من الحروف الرخوة فهما متفقتان في صفتين هامتين من شأنهما أن تحدثا بين الحرفين نوعا من التقارب يتهيأ معه لبعض القبائل إيثار نطق أحدهما في بعض ألفاظها ، بينما يتهيأ لقبيلة أو قبائل أخرى أن تؤثر ما لم تؤثره سابقتها ، وذلك دون وعي أو قصد من هذه القبيلة أو تلك وإنما ظروف كل وبيئتها هي صاحبة الشأن في الموضوع ، ولقد نجد في تراثنا العربي كلمات تصور لنا ذلك مثل " الحفالة " و " الحثالة " (وهي الرديء من كل شيء) ، و "فلغ رأسه " وثلغه " (إذا شدخه) " والأثاثي "

---

(١) ديوان الهذليين ٢/١٢٠ ـ اللسان (حقل) ، (رجع) ، الصحاح (ثوخ) . تاج العروس (حفل) ـ المخصص ١٢٩/١٠ (٢) التمام ص ٢٦

(٣) الأصوات اللغوية ص ٢٥ (٤) أبو حيان : الارتشاف ٣/١ وما بعدها .

"والأثافي" ، "وثم وفم" إلى غير ذلك من كلمات (١) وقد نسب اللغويون النطق في بعض هذه الألفاظ بالثاء إلى تميم ، وبالفاء إلى الحجاز ، ومن ذلك ما رووا من أن تميما تقول: "الأثاثي" بدلا من "الأثافي" (٢) ، "وتلثمت" على الفم لا تلفت (٣) ، وإن كانوا قد عكسوا أحيانا ، فنسبوا النطق بالفاء في حالات نادرة إلى تميم ، وبالثاء لأهل الحجاز ، فقد قالوا إن الحجازيين يقولون القبر "جدث" وتميم تقول "جدف" فما موقف هذيل من هذه الظاهرة ؟ وإلى أي الفريقين كانت تميل ؟ الواقع أن هذيلا مع أنها حجازية لا يستطيع الإنسان أن ينسب إليها كل ما ينسبه إلى الحجازيين نظرا لوضع هذيل في ظروفها البيئية التي كثيرا ما وجدنا تأثيرها واضحا فيها ، ولكن يبدو أن الهذليين كانوا يتبعون أصحابهم الحجازيين في نطق الكثير من أمثال هذه الألفاظ ، ومن ذلك "جدث وأجداث" التي وردت في شعرهم بالثاء (٤) ، ويقرؤها ابن مسعود كذلك حيثما وردت من القرآن حتى أنك في قوله تعالى : "من كل حدب ينسلون" (٥) تجد قراءة ابن مسعود "من كل جدث" (٦) ، مما يؤكد هذا النطق عند هذيل ، وفضلا عن ابن مسعود الهذلي ، فقد قرأه كذلك ابن عباس القرشي (٧) ، وهذا يزكي نسبته إلى الحجاز أولا ثم إلى هذيل ثانيا .

هذا إلى أن "الثوم" في رأي الكثيرين من العلماء لغة في "الفوم" (أي الحنطة) رواها اللحياني اللغوي الهذلي ، ونقلها الزبيدي عن أبي حنيفة الدينوري في كتاب النبات وهكذا هي بالثاء في مصحف ابن مسعود (٨) ، وبها كانت قراءته (٩) ، كما روي أن ابن عباس كانت هذه قراءته كذلك (١٠) .

وما رواه اللغويون من ألفاظ قليلة ذكروا أن نطق الحجازيين فيها بالفاء ونطق التميميين بالثاء ، مثل تلفت وتلثمت (١١) ، والأثافي والأثاثي (١٢) يحتمل أن يكون خطأ من الرواة ، ومع ذلك ، فاللغات واللهجات لا تتخذ لنفسها خطا مستقيما دائما تسير عليه

---

(١) الخصائص ٢/ ٤٤٠ ، (٢) القالي : الأمالي ٢/ ٣٢ ـ تاج العروس (أثف) .
(٣) اللسان ( ) (٤) ديوان الهذليين ٢/ ٦٢ (٥) سورة الأنبياء (٢١) آية ٩٦ .
(٦) البحر المحيط ٦/ ٣٣٨ ـ ابن جني : المحتسب ص ٥١٩ .
(٧) البحر المحيط ٦/ ٣٣٨ . (٨) تاج العروس (ثم) .
(٩) الأمالي ٢/ ٣٢ ـ المخصص ١٣/ ٢٨٥ ـ البحر المحيط ١/ ٢٣٣ ـ الصحاح (فوم) .
(١٠) المحتسب ١/ ٨٣ . (١١) المصباح (لثم) . (١٢) تاج العروس "أثث" المزهر ١/ ٢٧٥ .

ولا تحيد عنه ، وقد نجد صدى كلام اللغويين فى شىء من الشعر الهذلى كقول عبد الله بن أبى ثعلب القردى الهذلى يرثى من أصيب فى الطاعون من هذيل فى مصر والشام :

فماذا هناك من حرة (١) مولولة لا يرد التقامها

أو لعل كلام اللغويين كان صدى لما رأوه فى مثل هذا البيت من الشعر الهذلى الحجازى .

ومهما يكن الأمر فإن هذيلا إزاء هذه الظاهرة كانت فيما نظن يغلب عليها طابعها الحجازى الذى تأثرت به أكثرها عداه .

القاف والكاف : هذان الحرفان متقاربان فى مخرجيهما تقاربا كبيرا إذ مخرج القاف فى تعبير اللغويين والقراء هو الجزء الأول من أقصى اللسان ، ويليه مخرج الكاف مباشرة (٢) . ثم هما متفقان فى بعض صفاتهما إذ هما حرفان شديدان يمتنع جريان الصوت معهما ، فليس بدعا أن يحل أحدهما محل الآخر فى بعض الألفاظ عند بعض القبائل العربية ، وذلك مثل القحط والكحط (٣) ، والقسط والكسط (٤) ، والقشط والكشط (٥) . وتنسب القاف فى هذه الأخيرة إلى قيس وتميم وأسد ، كما تعزى الكاف إلى قريش (٦) . ويذكر بعض اللغويين أنها كانت فى مصحف ابن مسعود (قشطت) بالقاف لا بالكاف (٧) ، وبها كانت قراءته (٨) فى قوله تعالى " وإذا السماء كشطت " (٩) ، وهى بالقاف أيضا فى قراءة بعض الكوفيين كالشعبى والنخعى (١٠) وقد قرأ ابن مسعود أيضا " قافورا " (١١) أى كافورا " فى قوله تعالى : " كان مزاجها كافورا " (١٢) ، ولعل السر فى ذلك الإبدال إنما هو تقارب هذين الحرفين (القاف والكاف) فى مخرجيهما ، مع اشتراك القاف والشين الثالية لها فى الصفة التى هى الانخفاض أو الاستفالة (١٣) ، وهذا من قبيل تأثير الأصوات بعضها فى بعض أو تقريب الحرف للحروف على حد تعبير ابن جنى الذى تحدث عن ذلك طويلا كما سبقت الإشارة .

وإذا كنا قد رأينا أن الكاف أبدلت قافا هكذا فى قراءة ابن مسعود ، فلقد نجد عكس هذه الظاهرة فى قراءته أيضا ، ففى قوله تعالى : " فأما اليتيم فلا تقهر (١٤)

---

(١) شرح أشعار الهذليين (فراج) ٢/٨٨٠ (٢) الارتشاف ص ٣
(٣) القاموس وتاج العروس واللسان (كحط) (٤) اللسان ، والقاموس (كسط)
(٥) القاموس (كشط) (٦) الأمالى ٢/١٣٥
(٧) المرجع السابق (الصفحة نفسها)
(٨) الكشاف ٣/٢٥٤ ـ تاج العروس (قشط) البحر المحيط ٨١/٤٣٤ ـ مختصر شواذ القرآن ص ١٦٧ (٩) سورة الانشقاق ٨١ آية ١١ (١٠) تاج العروس (قشط) . (١١) البحر المحيط ٨/٤٣٤ (١٢) سورة الدهر ٢٦ آية ٥ (١٣) الارتشاف ص ٨ (١٤) سورة الضحى ٩٣ آية ٩

نجد قراءة ابن مسعود " تكهر " بالكاف المبدلة من القاف (١) ، وقد ذكرت المراجع أن القهر والكهر واحد في معناهما ، فإن تكون " تكهر " بالكاف لهجة في تقهر (٢) ، وقد قرأ بها ذلك الصحابي الهذلي . وقد يبدو للنظرة العجلى أن هناك تعارضا واضطرابا في الرواية ما بين نسبة القاف إلى ابن مسعود ، واللهجة الهذلية بدلا من الكاف في مثل " قشطت " وثبوت عكس هذا في مثل " تكهر " . والحق أنه لا تعارض ولا اضطراب ، فقد رأينا تعليلا سليما لإيثار القاف في الحالة الأولى ، وسنرى الآن أن إيثار الكاف في الحالة الثانية انما يرجع (بالإضافة إلى تقارب الحرفين : القاف والكاف) إلى أن الكاف والهاء التالية لها تشتركان لا في صفة واحدة بل في كثير من الصفات التي تجعل للهاء تأثيرا في نطق القاف في مثل هذا اللفظ . ومن وجوه اشتراك الكاف والهاء في الصفة أنهما مهموستان منخفضتان أي هما معا من حروف الهمس والاستفالة .

ولهذا نرجح أن هذيلا كانت تتساهل في نطق هذين الحرفين المتقاربين في المخرج ، المتحدين في بعض الصفات إذا دعا لذلك داع كالتأثر بالاصوات المتجاورة أو تقريب الحرف من الحرف كما يقول بعض القدامى في هذا الصدد .

الدال والذال : هذان الحرفان متقاربان في مخرجيهما ، إذ مخرج الدال من بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا ، ومخرج الذال من بين طرف اللسان وطرف الثنايا العليا (٣) كما أنهما تتحدان في بعض الصفات إذ هما مجهورتان ، بينما تختلفان في بعض الصفات الأخرى ، فالدال حرف شديد أو انفجاري (Plosive) والذال حرف رخو (٤) أو احتاكي (Fricative) ، ولذلك نجد أن أحدهما قد يحل محل الآخر في لسان بعض القبائل العربية تبعا لطبيعة النطق فيها وميلها إلى الأصوات الشديدة أو الرخوة ، فقد نجد مثلا " لحم خراديل " بالدال الشديدة في نطق القبائل ، "وخراذيل " بالذال الرخوة في نطق غيرها (٥) .

---

(١) الفائق ٤٣٧/٢ . القاموس (الكهر) تاج العروس واللسان بمقاييس اللغة (كهر) المزهر ص ٣٣ . البحر المحيط ٤٨٦/٨ – البيضاوى ٢٥٦/٤

(٢) الصحاح (كهر) . البحر المحيط ٤٨٦/٨

(٣) الارتشاف ص ٨

(٤) المرجع السابق والصفحة السابقة . (٥) البحر المحيط ٥٠٩/٤ . القاموس (خردل)

ويبدو أن هذيلا كانت لاتمنت نفسها في نطق كل من هذين الحرفين بل كانت تسمح فتبدل كلا منهما من الآخر إذا دعا لذلك مبرر صوتي ، فلقد نجد أن ابن مسعود كان يقرأ قوله تعالى : فشرد بهم من خلفهم " (١) بالذال في موضع الدال أي " فشرذ بهم " (٢) وكذلك هي موجودة في مصحفه (٣) ، ومثل ذلك قوله تعالـــــى : " فهل من مدكر " (٤) إذ نجد قراءته فيه فهل من " مذكر " بالذال لا بالدال في جميع آيات السورة (٥) .

ولانكاد نجد مبررا صوتيا لذلك أكثر من تقارب مخرج الحرفين ، وسبب من أحدهما إلى لسان بعض القبائل التي قد توحي إليهما بداوتها بعدم التحرز في النطق أحيانا كهذيل ، أما التناسق الصوتي ، أو التأثر بالأصوات المتجاورة وغير هذا من القوانين الصوتية ، فلا نكاد نجد له أثرا واضحا في ذلك .

وإذا كنا قد وجدنا في قراءة ابن مسعود نطق الدال [ذالا] فيما سبق فقد نجد هذه الظاهرة معكوسة في بعض الآيات الأخرى إذ نجد الذال دالا (٦) في قـــراءته : " الأولادقة " (٧) ، وقراءته أيضا (٨) : " وإنا لجميع حادرون " (٩) أو لم يعمركم مايدكر فيه من ادكر " (١٠) .

ولعلنا لانجد لهذه الظاهرة الأخيرة تبريرًا صوتيا معقولا إلا قرب المخرج بين الدال والذال ، أما فيما عدا ذلك فإن هذين الحرفين مشتركان ــ كما سبق ــ في صفاتهما سوى أن الدال شديدة ، والذال رخوة ، ولا تأثير لهذا الاختلاف ــ في تقديري ــ لأن كلا من الميم والراء وهما الحرفان التاليان في هذين المثالين حرف متوسط بين الشدة والرخاوة ، ويستوى لتحقيق الانسجام الصوتي أن يكون قبلهما دال أو ذال على السواء .

---

(١) سورة الأنفال ٨ آية ٥٧ (٢) مختصر شواذ القرآن ص ٥٠ ــ البحر المحيط ٤/ ٥٠٦
(٣) البحر المحيط ٤/ ٥٠٩ (٤) مختصر شواذ القرآن ص١٤٧ .
(٥) سورة القمر آية ١٥ وغيرها (٦) مختصر شواذ القرآن ص ٥٢ .
(٧) سورة التوبة ٩ آية ٨ (٨) تاج العروس (حدر) .
(٩) سورة الشعراء ٢٦ آية ٥٦ (١٠) سورة فاطر ٣٥ آية ٣٧ ــ مختصر شواذ القرآن ص ١٢٣ .

اللام والنــون :

هـذان الحرفان متقاربـان في مخرجيهمـا (١) ، وهمـا معـا من الأصـوات المجهورة ، وفي الوقت نفسـه مـن الأصـوات المتوسـطة بين الشـدة والرخـاوة ، ثـم همـا من الحـروف المنخفضـة أو المسـتفلة ، وفوق ذلك فإنهمـا من الحـروف التي سـماها القـدامى بالحـروف الذلقيـة (٢) ، أي الـتي تخـرج من طـرف اللسـان ، وقد فسـروا الذلـق بأنه الطـرف .

فهـذان الحرفان متقاربان في المخـرج ، متحـدان تقريبـا في جميـع الصفـات فبينهمـا عـلاقة صوتيـة كـبيرة ، وقـد اعـتبر المحدثـون من علمـاء الأصـوات أن وجـه الشـبه بين هذين الحـرفين ، بل بين حـروف المجمـوعة التي ينتميان إليهـا ، (وهـى اللام والنـون) التي سـماها القدامـى بالحـروف الذلقيـة كما ذكرنـا إنمـا هـو ـ إلـى جانب قرب مخرجهـا ـ اشـتراكها في نسـبة وضوحها الصوتي ، وإنهـا مـن أوضـح الأصوات السـاكنة في السـمع (٣) ، فليـس غريبـا ـ وقد اتفـق هـذان الحرفـان هـذا الاتفـاق ـ أن نجـد بينهما مراوحـة في اللغـة أي في لهجـات القبائـل العربيـة ، فالعـلوان فـي لهجـة هـو العنـوان في أخـرى (٤) ، وكذلك القُلة والقُنة والجمـع قلل وقـنن (٥) وقد روى الأعمـش في حديث عبد اللـه بن مسـعود أن رسـول اللـه صـلى الله عليه وسـلم كان يتخولنا بالموعظـة مخافـة السـآمة ، فخطأه أبو عمـرو ، وذكـر أنـها بالنـون لا باللام (٦) ، والحـق أنهمـا لهجتـان مختلفتان ، إحداهمـا جاءت على لسـان ابن مسـعود ، رواهـا عنـه الأعمـش أحـد تلاميـذ مدرسـته ، فلعلهـا لهجـة هذليـة أبدلت فيها النـون لاما لتقاربهمـا الشـديد ، وللفـرار من النطـق بالنونين متجارتين فـي كلمـة لأن فـي هـذا شـيئا من الثقـل كما هو معلوم ، وقـد يكـون هذا ديدن هذيـل في سـائر الألفـاظ الأخرى التي تبـدل فيها النـون لاما ، كمـا فـي الأمثـلة التي ذكرناها ، ومـع ذلك فالعـلاقة بـين الـلام والنـون قويـة جـدا ، جعلت الـرواة يشـتبه عليهـم أمرهمـا ، فـيروى بعضهـم قراءة ابن مسعود

---

(١) الارتشـاف ص ٣ وانظر الأصوات اللغوية ص ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٦

(٢) المرجع السابق ص ٨ ، ٩ (٣) د . أنيس ، الأصوات اللغوية ص ٥٣

(٤) اللسان (عتن) (٥) المخصص ٧١/١٠ (٦) الخصائص ٢٨٩/٣ ، ٢٩٠ ـ البقيـة ٤٥٦ ، ٤٥٧

"فلكزه موسى فقضى عليه "(١) باللام، ويرويها بعضهم بالنون "فنكزه "(٢)، ولعل رواية اللام أصح .

الياء والجيم : الياء والجيم مخرجهما واحد تقريبا ، هو وسط اللسان مع تجويف الفم (٣) ، وهما متحدان في بعض الصفات ، إذ هما حرفان مجهوران وهما كذلك منخفضان أو مستفلان ، ولكنهما يختلفان في أن الجيم شديدة ، والياء متوسطة بين الشدة والرخاوة ، فهي شبه رخوة إذا قيست بالجيم الموغلة في الشدة . ونظرا لما بين هذين الحرفين من تقارب كبير مع ما ذكرنا من خلاف ، نجد بعض العرب يبدلون الجيم ياء فيقولون في شجرة "شيرة" وفي تصغيرها "شييرة" (٤). وبعضهم يقلب الياء جيما فيقول في تميمي "تميمج" ، وفي علي "علج" (٥)، ويبدو أن شدة الجيم جعلتها أنسب للنطق البدوي من الياء ، ولذلك نسب الرواة كثيرا من الألفاظ التي تعتمد في نطقها على الجيم بدل الياء إلى بعض القبائل البدوية ، ولهذا فإن الشعر الذي يستشهد به الرواة على وجود هذه الظاهرة ينسبونه صراحة إلى أهل البادية (٦)، ومن القبائل البدوية التي ينسبون إليها هذه الظاهرة بنو سعد (٧) المجاورون لهذيل ، فقد ذكر ابن يعيش في شرح المفصل أن ناسا من بني سعد يبدلون من الياء المشددة جيما في الوقف لأن الياء خفية ، وهي من مخرج الجيم ، فلولا شدة الجيم لكانت ياء ، ولولا لين الياء لكانت جيما " ثم يضرب لذلك أمثلة من الشعر والنثر (٨)، ويحكي الزبيدي عن سيبويه ما يقارب ذلك (٩).

وإن في جوار سعد وهذيل ما يلفتنا إلى محاولة البحث عن علاقة هذيل بهذه الظاهرة التي يبدو أنها كانت لهجة لهذيل هي الأخرى ، ويؤكد هذا الاحتمال ما روي عن ابن مسعود من قوله "على كل غنج" يريد غني (١٠)، وقوله " لما وضعت رجلي على مذمر أبي جهل قال "اعلُ عنّج " أي تنح عني (١١)، كما روي عنه هذا اللفظ في ظروف أخرى (١٢).

---

(١) سورة القصص ٢٨ آية ١٥ . (٢) البحر المحيط ٧/ ١٠٧ . (٣) الارتشاف ص٣
(٤) اللسان (شير) . (٥) شرح المفصل ٩/ ٧٤ ، ابن جني : المنصف ٣/ ٧٨ ، ٧٩
(٦) المنصف ٣/ ٧٨ ، ٧٩ . (٧) المرجع نفسه والصفحة نفسها (الشرح والتعليقات) .
(٨) شرح المفصل ٩/ ٧٤ . (٩) اللسان (شجر) . (١٠) المرجع السابق والصفحة السابقة . (١١) تاج العروس (غنج) . اللسان (علا) — ابن الأثير : النهاية ٣/ ١٢٥ . (١٢) الفائق ٣/ ١٧١ .

ولهذا نرجح أن هذه الظاهرة من الظواهر الصوتية عند هذيل .

الصاد والضاد : حرفان متقاربان في مخرجيهما إذ مخرج الصاد مما بين طرف اللسان وطرف الثنايا العليا (١) . ومخرج الضاد قريب من ذلك (٢) ، وهما متفقان في بعض الصفات كالرخاوة فكلاهما حرف رخو ، ثم هما من حروف الإطباق ومن حروف الاستعلاء ، ولا يختلفان إلا في أن الصاد مهموسة والضاد مجهورة ، وهذا من شأنه أن يجعل مجال الاختيار بين هذين الحرفين من سمات اللهجات العربية المختلفة — في ظل ما ذكرنا من أسباب — فبعض القبائل يقول مثلا (نضنض لسانه) أي حركه ، وبعضها يقول (نصنصه) بالصاد (٣) . ومن هذا القبيل قولهم (لأقيمن ضلعك) ، "ضلعك " أي عوجك (٤) ، ويبدو أن هذيلا كانت تؤثر الضاد المجهورة فيما جاء من الألفاظ على هذا النمط ، ومن قولهم "قوس مضلوعة " أي فيها عطف واعوجاج ، وقد جاء بذلك شعرهم في مثل قول المتنخل :

واسْأَلْ عن الحُبِّ بمضلوعةٍ تابعها البارِى ولم يَعْجَلِ (٥)

وما روى من ذلك في شعرهم بالصاد والضاد ، فنحن أميل فيه إلى أن الضاد من لهجتهم ، وأن رواية الصاد ربما كانت من صنيع علماء اللغة للاستدلال والاستشهاد بها على أنها لهجة عربية ، ومن ذلك ما رووا من قول أبي ذؤيب :

فراق كقيض السِّنِّ فالصَّبْرَ إنَّه لكلِّ أُناسٍ عثرةٌ وجُبُورُ (٦)

فقد جاءت الرواية به "قيض" ، "قيص" بالضاد والصاد ، ولعل الضاد كما قلنا أنسب لهذيل ، وأشبه بلهجتها ، وقد فسر بعض اللغويين هذا اللفظ في اللهجتين بأن معناه الانشقاق (٧) ، وإن كان بعضهم قد فسر القيض بالضاد بأنه الانشقاق طولا ، وبالصاد بأنه الانهيار من أصله (٨) فهما عند هؤلاء كلمتان لكل منهما مدلول يخالف مدلول الأخرى بعض المخالفة وليستا لهجتين مختلفتين في كلمة واحدة ، ولكن منهم من يصرح بأن معناهما واحد (٩) أي أنهما لغتان مختلفتان لمدلول واحد وإذا كان الأمر هكذا ، فإن

---

(١) الارتشاف ص٣ (٢) الأصوات اللغوية ٤٩ (٣) تاج العروس (نض) (٤) اللسان (ضلع) . (٥) ديوان الهذليين ٢/١١ — اللسان (ضلع) . " والرواية فيه قوّمها بدل تابعها " (٦) ديوان الهذليين ١/١٣٨ — اللسان (قيض) ، تاج العروس (قيض ، قيص) الصحاح (قيص) (٧) تاج العروس (قيض) . (٨) الصحاح (قيص) (٩) المرجع السابق والمادة السابقة .

الضاد المجهورة أنسب لهذيل من الصاد المهموسة . ثم إننا إذا وقفنا وقفة قصيرة عند قوله تعالى : " فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض " (١) . وجدنا أنه عندما قرأها بعض القراء " ينقاص " بالصاد لزم ابن مسعود الضاد المجهورة فقرأها " ينقاض " وفي هذا دليل آخر على ما نحن بصدده .

وإذا كان من لهجة بعض القبائل العربية أن يقولوا تبصّع العرق في معنى نبع قليلا قليلا ، فإن هذيلا تقول في هذا المعنى تبضع بالضاد المجهورة ، وقد نطقت بذلك أشعارهم ، ومن ذلك قول أبي ذؤيب في وصف الفرس :

تأبى بدرّتها إذا ما استُكرهَت   إلا الحميمَ فإنه يتبضّعُ (٢)

ومن حرص الرواة واللغويين على هذه الرواية ، أي رواية هذا اللفظ هكذا بالضاد في شعر أبي ذؤيب أنه عندما رواه الخليل بالصاد " يتبصع " عدوا ذلك منه خطأ وصوبوه بالضاد ، وقالوا هكذا رواه الرواة بالضاد في شعر أبي ذؤيب ، وقد ذكر بعض اللغويين أن الخليل أخذه من كتاب الليث ، فمر على التصحيف الذي صحفه فصحف (٣) ، وأن الذي عليه الناس إنما هو رواية الضاد (٤) .

وهكذا نرى أن هذيلا قد تبدل الضاد من الصاد في بعض ألفاظها .

الإبدال في الحرف المضعف :

لما كان النطق بالحرف المكرر في الفعل المضعف فيه شيء من الصعوبة عند بعض القبائل العربية ، ولا سيما القبائل البدوية منها ، فقد لجأ هؤلاء إلى تيسير نطقه بالحذف ، فقالوا في ظللت ظلت ، وفي مسست مست ، وفي أحسست أحست (٥) ، ومنهم من سلك إلى ذلك التيسير طريقا آخر هو إبدال ثاني الحرفين ياء ، لأن الياء فيها سهولة ولين يجعل النطق بهذا المضعف أمرا ميسورا على أمثالهم ، ومن ذلك ما رواه اللغويون من أن " أمللت " لغة الحجاز وبني أسد ، " وأمليت " لغة بني تميم وقيس (٦) .

---

(١) سورة الكهف ١٨ آية ٧٧ .
(٢) ديوان أبي ذؤيب (مخطوط تيمور) ص ٣٣ . ديوان الهذليين ١ /١٧ .
شرح أشعار الهذليين (فراج) ١ /٣٨ . الضبي : المفضليات ص ٦٧٥ ، ٨٧٩ .
الصحاح (بضع) . تاج العروس (بصع ، بضع) .
(٣) تاج العروس (بصع) . (٤) مقاييس اللغة (بصع) .
(٥) المنصف ٣ /٨٤ . البحر المحيط ٦ /٢٧٦ . (٦) تاج العروس ، اللسان ، المصباح (ملل) . شرح السجاعي على القطر ٤٤ .

والهذليون ، وإن كانوا حجازيين ، فمنهم مع هذا بدو جاوروا بعض القبائل التميمية كما هو معروف ولهذا فمن المحتمل أنهم يقولون : أمليت ، وأحسيت كما هو الشأن عند هؤلاء القيسيين ، ففي قوله تعالى " فإن آنستم منهم رشدا " (١) نجد قراءة ابن مسعود ، "أحسيتم منهم رشدا " بمعنى أحسستم (٢) ، وفي هذا ما يؤيد اتجاه هذيل إلى تيسير نطق المضعف أحيانا على هذا النحو .

ويزكي ذلك أيضا أن بيت أمية بن أبي عائذ الهذلي

بها محض غير جاني القسوى ... إذا مط حين بورك حدال (٣)

رواه بعض اللغويين "مطى " بطاء ساكنة زيد تبعدها ياء مفتوحة (٤) ، وهكذا نجد في شرح السكرى لأشعار الهذليين (٥) والرجل من أدرى الناس بالشعر الهذلي وقد وهم صاحب اللسان في قوله تعليقا على هذا اللفظ في البيت "أراد مطى فأسكن الحركة فليس الأمر أمر حركة وسكون ، وإنما هو إبدال وقع في الحرف المضعف تيسيرا للنطق به ، ويدل عليه ما ورد من رواية البيت بالتضعيف ، والمعنى لا يستقيم إلا به .

الإبدال في الحروف الأخرى

على هذا الأساس الذي ذكرناه في شيء من الإسهاب ، كانت هذيل ـ كما هو شأن غيرها من قبائل العرب ـ تتسم بسمات خاصة في نطقها لبعض الأصوات اللغوية ، وقد خصصنا بالذكر حروفا كثيرة تبدو فيها هذه السمات ، وبقي أن نشير إشارة سريعة إلى بعض حروف أخرى استكمالا لهذا الموضوع . فمن ذلك ما ذكروا من أن العيقة (وهي الساحة في البر أو البحر) ، إذا جاءت في شعر هذيل فهي بالعين ، أما عند بعض الشعراء من غير هذيل فهي بالغين (٧) ، وقد رويت هكذا بالعين في قول المتنخل : (٨) ...... " أنشأ في العيقة يرمى له "

وفي قول ساعدة بن جؤية

سان تجرم في البضيع ثمانيا ... يأوى بعيقات البحار ويجنب (٩)

وقوله ... ومشرب ثغر للرجال كأنهم ... بعيقاته كدا سباع خوامف (١٠)

ونحن إذا نظرنا مليا وجدنا أن الغين والعين كلاهما من الحروف المجهورة ولكن الغين مع هذا حرف رخو ، بينما العين حرف متوسط بين الشدة والرخاوة ، فلعله أقرب إلى استعمال هذيل ، وإذا كان في قول اللغويين من مأخذ ، فليس هو في نسبة نطق هذا اللفظ بالعين إلى هذيل ، بل

---

(١) سورة النساء ٤ آية ٦ (٢) الكشاف ٣٧٨/١ (٣) ديوان الهذليين ١٨٥/٢

(٤) اللسان (ورك) (٥) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ٥٠٨/٢

(٦) اللسان (ورك) (٧) معجم البلدان ٣١٨/٦ (٨) ديوان الهذليين ٦/٢

(٩) ديوان الهذليين ١٧٢/١ ، اللسان (سدا) ، تاج العروس (عيق) .

(١٠) ديوان الهذليين ٢٢٤/١

المأخذ منصب على تعميمهم حين نسبوا الفين إلى غير هذيل ، وتركوا ذلك على إطلاقه دون تخصيص قبيلة معينة أو قبائل بأعيانها ، ولكن مثل هذا كثير عندهم ، وليس غريبا عليهم .

ولعل من سمات هذيل أيضا ما ذكر من أن " متاة " في معنى " أرض موافقة لنازليها " إنما هي في لهجة هذيل " مفتاة " بالفاء [١] ، وإن طيئا تقول مقتاة بالقاف ، وقد روى ذلك من أبي عمرو [٢] ، ونحن إذا أردنا أن نختبر هذه الحقيقة في ضوء القوانين الصوتية ، ووازنا بين القاف والفاء ، ألفينا القاف مجهورة شديدة ، والفاء مهموسة رخوة [٣] ، ولهذا فإن اللغويين لم يجانبوا الحق حين نسبوا الفاء إلى هذيل ، فهي أقل بداوة ، وأكثر اتصالا بالحضر الحجازي من غيرها ، أما القاف فهي أشبه بطيىء لأن طيئا أكثر توغلا في البداوة ، وأشد بعدا عن الحضر في البيئة الحجازية .

ومن قبيل ذلك أيضا أن قول الله تعالى " فوكزه موسى فقضى عليه " [٤] قراءة ابن مسعود فيه " فلكزه " [٥] باللام بدل الواو ، فلعل هذا أثر من آثار لهجة قومه ، فيكون إبدال اللام من الواو في بعض ألفاظهم . وربما كان إيثار اللام هنا راجعا إلى أنه رغم اتحادها مع الواو في كثير من الصفات كالجهر والاستفالة ، والتوسط بين الشدة والرخاوة ... ، فإن نسبة وضوحها الصوتي أقوى من الواو حتى لقد عدها المحدثون من علماء الأصوات من أوضح الأصوات الساكنة في السمع [٦] .

* * *

ومن العلاقة المشار إليها بين بعض الأصوات الساكنة ، وموقف العرب منها بعامة ، وموقف هذيل بخاصة ، ما نقله الرواة من أن ريح الشمال أو ريح الجنوب (على خلاف بين الرواة) اسمها (يُسع) بضم الياء عند بعض الحجازيين ، وأما عند غيرهم فاسمها (نسع " أو " مسع " [٧] بكسر النون والميم .

---

(١) التمام ص١٧ . شرح أشعار الهذليين (فراج) ٢ / ٥٩٣ ــ تاج العروس (قنى) . المخصص ١٠ / ١٥٥ . (٢) التمام ص١٧ (٣) الارتشاف ص٨ .
(٤) سورة القصص ٢٨ آية ١٥ (٥) البحر المحيط ٧ / ١٠٧ .
(٦) د . أنيس ، الأصوات اللغوية ص ٥٣
(٧) اللسان ، تاج العروس (يسع) ــ الصحاح (مسع) .

والصلة بين الياء ، وبين النون والميم تتضح في أنها جميعا تتحد في أكثر الصفات ، فهي من الحروف المجهورة ، وتشترك أيضا في أنها من الحروف التي قال عنها القدامى إنها متوسطة بين الشدة والرخاوة ، ومن الحروف المنخفضة أو المستفلة في تعبير القراء ٠ ولكنها تختلف في أن النون من الحروف التي سماها قدماؤنا بالحروف الذلقية ، والتي لاحظ المحدثون ـ كما أشرنا ـ أنها من أرضح الأصوات الساكنة في السمع(١) ، فليس بدعا أن نجدها تخلف الياء أحيانا كما رأينا في (يسع ونسع) ولهذا نرجح أن أصل هذا اللفظ عند بعض البدو في الجزيرة العربية ومن بينهم هذيل الحجازية البدوية هو (نسع) بالنون أولا ، ثم استبدل بها بعضهم الميم إما عن طريق التقارب بينهما في الصفات ـ كما سبق ـ وإن كان المخرجان مختلفين أو غير متقاربين ، أو عن طريق الخطأ أول الأمر ثم صار هذا الخطأ بمرور الوقت لهجة من اللهجات ومع هذا فإنا نرى من أمثلة وجود النون والميم في اللهجات العربية : انتقع لونه وامتقع ، وقد ذكر القدامى أن النون فيهما هي الأصل ، وأن ميم امتقع بدل من نونها(٢) ، كما ذكر بعضهم ذلك في شأن (نسع ومسع)(٣) وهذا ما رجحته بعد طول نظر ٠

وإذا كان الرواة قد نسبوا هذين اللفظين معا (نسع ومسع) إلى اللهجات العربية ، فيما عدا بعض الحجازيين ، فإن هؤلاء الرواة قد نسبوهما معا أيضا إلى هذيل(٤) ٠ ولكنا مع ذلك نجد أن كلمة " نسع " بالنون هي اللفظ الشائع في اللهجة الهذلية ، وهو الذي جاءنا كثيرا في أشعارهم وشواهدهم ، وقد استفاضت به الرواية في المراجع المختلفة ، ومن شعرهم في ذلك قول المتنخل الهذلي :

قد حال بين دريسيه مؤوبة ... نسع لها بعضاه الأرض تهزيز(٥)

وقول قيس بن خويلد :

ويلمها لقحة إما تأوبهم ... نسع شآمية فيها الأعاصير(٦)

---

(١) الأصوات اللغوية ص٥٣ (٢) اللسان (نقع) (٣) تاج العروس (نسع) ٠
(٤) المرجع السابق ، المادة نفسها ٠ (٥) ديوان الهذليين ٢/ ١٦ ـ الصحاح (مسع ٠ سمط اللآلي ٢/ ٧٢٤ ـ ابن سيده المحكم ١/ ٣٣١ ٠ المنصف ٢/ ٦٠ (٦) شرح أشعار الهذليين (فراج) ٢/ ٦٠٧ ـ تاج العروس (نسع) واللسان (نسع) ٠

ومع ذلك فلا يبعد أن يكون بعض البطون الهذلية قد نطقتها " مسعا " بالميم كما روى ذلك بعض الرواة [١] ، وإن كان معظم الروايات التى وصلتنا من شعر الهذليين لا تؤيد هذا الاحتمال .

ومن قبيل ذلك أيضا ما أشاروا إليه من العلاقة بين الطاء والتاء ، فقد رووا أن ابن مسعود قال : " لا غلت فى الإسلام " يشيرون بذلك إلى الطاء فى غلط [٢] وإلى أن التاء بدل منها فى لفظ ابن مسعود ، وأغلب الظن أن الغلت فى حديث ابن مسعود مرده إلى الغلث بالثاء ، لا إلى الغلط بالطاء ، والغلث هو الشوائب التى تشوب الشىء فتحط من قيمته ، فالتاء صوت مجهور آثره الهذليون أو بعضهم على الثاء المهموسة ، ولعل هذا إلى الحق أقرب ، وذلك ما نجد له نظيرا فى اللهجات الحديثة إذ تجد العامة عندنا يقولون عن غلث الحبوب غلت ، فهى لهجة مشهورة فى بلادنا .

وإذا كان هذا هو ما انتهينا إليه بشأن هذا اللفظ ، وما يحمله من معنى وذلك فى ضوء اللهجات الحديثة ، فإنا نستطيع - بعد هذا - أن نلمح صلة ما بين التاء والطاء فى شعر الهذليين ، إذ نجد عندهم نطق التاء طاء أحيانا فى مثل قول ساعدة ابن جؤية :

بأصدقَ بأساً من خليلِ ثمينةٍ   وأمضَى إذا ما أفلطَ القائمَ اليدُ [٣]

فأغلب الظن أن الفعل " أفلط " المذكور فى البيت هو نفسه " أفلت " ، ولا فرق بينهما معنى ولفظا إلا فى قلب التاء طاء . ورغم ما درج عليه شراح شعر هذيل من إضفاء معنى خاص على هذه المادة هو معنى " المفاجأة " [٤] وجعله لغة خاصة بهذيل [٥] ، فإننا - حتى مع هذا - نلمح ارتباطه القوى بمعنى الافلات ، إذ فيه هو الآخر مفاجأة وسرعة .

وينسب ابن فارس، وابن منظور نطق التاء طاء فى هذا اللفظ إلى تميم ويصفان ذلك بأنه لـ هجة قبيحة ، ونحن لا يهمنا هذا الوصف ، والتعقيب عليه ، قدر ما يهمنا أن نقرر أن نسبة هذه اللهجة إلى تميم أمر غير مستبعد

---

(١) سمط اللآلى ١/ ١٥٧ (٢) الفائق ٢/ ١٧٩ - تاج العروس (غلت) .
(٣) ديوان الهذليين ١/ ٢٤٠ - اللسان (فلط ، ثمن ، خلل) - مقاييس اللغة (ثمن) ١/ ٣٨٤ (٤) ديوان الهذليين ١/ ٢٤٠ ، ٢/ ١٢ ، ٢٦ - اللسان ، القاموس ، تاج العروس (فلط) .
(٥) اللسان (فلط) .

بل هي أشبه بهذه البيئات البدوية كقبائل تميم وجيرانها ، ومن المحتمل أن يكون الهذليون ـ أو بعضهم ـ قد تلقوها من جيرانهم هؤلاء ، كما تلقوا بعض الألفاظ الأخرى منهم ، ومن غيرهم من المجاورين لهم .

وقد أدرك ابن منظور أن لفظ " أفلط " الموجود بالبيت السابق لا يخرج عن معنى الإفلات المعهود ، حين يقول " أفلطني الرجل إفلاطا مثل أفلتني " ، كما يقول في تعقيبه على البيت نفسه إن الشاعر " أراد أفلت القائم اليد ... " (١) . ونجد في حواشي معجم مقاييس اللغة لابن فارس أن " أفلط مثل أفلت وزنا ومعنى " (٢) أي أن المعنى كما نرى هو " الإفلات " ، وذلك يزكي هذا الإبدال الذي أشرت إليه .

وليست هذه الظاهرة غريبة على اللغات السامية ، فالتاء في بعض الأفعال العربية مثل " قتل " نجدها في هذا الفعل في اللغة العبرية طاء إذ أن هذا الفعل هو وجميع تصريفاته تحمل هذه الطاء وكذلك مصدره .

((القلب))

القلب ـ في رأيي ـ نوع من الإبدال ، ولكنه ليس إبدال حرف بحرف آخر يحل محله ، بل هو إبدال مكاني ، يحل فيه كل من الحرفين مكان الآخر وهذا النوع من الإبدال المكاني أو القلب هو مظهر من مظاهر اختلاف اللهجات في الجزيرة العربية ، وقد صورته كتب النحو واللغة غير منسوب غالبا إلى قبائل بأعيانها ، كقولهم : " طمس وطسم " (٣) ، " المدقس لغة في الدمقس " (٤) ، " بضت لثته وضبت " (٥) ، " هرجع لغة في هجرع " (٦) ، " بكل السويق ولبكه " (٧) وكذلك " البكيلة واللبيكة " (٨) . وقد عقد ابن سيده في كتابه المخصص فصلا خاصا في ذلك بعنوان " المقلوب " جمع فيه تحت هذا الاسم كثيرا من هذه الألفاظ ، دون أن ينسبها ـ غالبا ـ إلى قبائل معينة اشتهرت بها (٩) .

---

(١) المرجع السابق (المادة نفسها) (٢) مقاييس اللغة (ثمن) .
(٣) القالي ، الأمالي ١ / ٧٥ (٤) اللسان (مدقس) (٥) الضبي ، المفضليات ص ٦٨٤ .
(٦) اللسان (هجرع) (٧) المرجع السابق (بكل ، لبك) (٨) اللسان (لبك) .
(٩) المخصص جـ ١٤ ص ٢٧ ومابعدها .

ولكنا نجد هؤلاء اللغويين أحيانا ينسبون ذلك إلى لهجات معينة كقولهم ، " الجبذ لغة تميم في جذب الشيء أي مده "[١] و " صقع الإنسان بمعنى صعق "[٢] ، وكذلك " صاعقة وصاقعة "[٣] ، وهي " الصواعق والصواقع "[٤] . فهم ينسبون هذه الالفاظ : " جبذ ، وصقع ، وصاقعة ، وصواقع " إلى تميم . ومن ذلك ايضا " عميق ومعيق " إذ ينقل ابن منظور فيهما قول الفراء " لغة أهل الحجاز عميق ، وبنو تميم يقولون معيق "[٥] .

وإذا أردنا أن نلتمس صدى هذا في اللهجة الهذلية ، وفي شعر الهذليين ، فلعلنا لا نجد من ذلك شيئا ذا بال ، لانه ليس من المتوقع أن يصور ذلك شعرهم تصويرا واضحا حتى حال وجود هذه الظاهرة عند هذيل ، لأن هذا الشعر قد مر على ألسنة رواته وأقلام جامعيه في ظل الفصحى ، ثم ردت الكثير منه الى هذه الفصحى أقلام المحدثين ممن حققوا دواوين شعر هذيل ، وأولئك وهؤلاء لا يألفون مثل هذا القلب الذى أصبح ثابتا على الاسماع بعد هذا الالف الطويل لنطق الكلمات في ترتيبها المألوف .

وليس معنى هذا أن الشعر الهذلي يخلو من هذه الظاهرة خلوا تاما فاننا ، نجد شيئا من ذلك في قول ابي خراش :

يبادرُ جنحَ الليل فهو مُهابِذٌ يحُثُّ الجناحَ بالتبسُّطِ والقبضِ[٦]

" فمهابذ " هذه من " هبذ ، وهابذ " مقلوب " هذب ، وهاذَبَ " ، وكلاهما معناه الجد والإسراع[٧] .



وتعقيب الشارح لديوان الهذليين على البيت أن هذا اللفظ اصله من مُتَهذِب ولكنه قلبه[٨] ، وكم كنا نرجو أن يحدثنا لماذا قلبه ؟ الأنه لهجة قومه أو بعض قومه ، أم أنه فعل هذا تلاعبا بالالفاظ دون قصد أو غرض ؟ الحق أنهم كثيرا ما يطلقون أحكاما فردية كهذه دون أن يحاولوا ادخال الظاهرة التي يرولها في الاطار العام الذي ينتظمها ؛ ولو قد فعلوا لجاءت احكامهم أكثر دقة وتسديدا .

---

(١) التهذيب ، تاج العروس (جبذ) (٢) ابن القوطية ، الافعال ص٢٤٣ .
(٣) اللسان (صقع) (٤) المفضليات ص٧٨٤ (٥) اللسان (عمق) .
(٦) ديوان الهذليين ١٥٩/٢ . اللسان (هبذ) . المخصص ٢٨/١٤ .
(٧) القاموس المحيط (هبذ ، هذب) . (٨) ديوان الهذليين ١٥٩/٢ .

هذا وقد أطلقت اللغة على المرأة العجوز الفانية " شهربة وشهبرة " (١) ولكن اللفظ الأخير هو الذى تطالعنا به رواية ديوان الهذليين لبيت ساعدة ابن جؤية :

لها خفان قد ثلبا ورأس كرأس العود شهبرة نؤول (٢)

وقد أنشد السكرى شاهدا آخر يسانده هو قول الراجز :

رب عجوز من اناس شهبرة (٣)

وينسب اللغويون هذا الرجز لشاعر بدوى آخر من بنى ضبة (٤) ، وذلك طبعا مقلوب لفظ " شهربة " الذى رواه النحويون فى بيت من الرجز ساقوه شاهدا من شواهدهم منسوبا إلى رؤبة (٥) .

أم الحليس لعجوز شهربة ترضى من اللحم بعظم الرقبة (٦)

والى جانب هذا نجد لهذه الظاهرة أثرا فى قراءة ابن مسعود ، تلك القراءة التى درج البحث على اعتبارها مفتاحا هاما يساعدنا على فتح مغاليق هذه اللهجة الهذلية ، فتحدثنا المراجع أن ابن مسعود قرأ قول الله تعالى : " من كل فج عميق (٧) من كل فج معيق " (٨) بهذه اللهجة التى سبقت نسبتها عند اللغويين إلى تميم والتى نجد آثارة منها فى الشعر الهذلى ، والحسن البصرى الذى قال عن نفسه – كما روى عنه بعض الرواة – إنه قضى شطرا من عمره فى هذيل (٩) قرأ قوله تعالى " من الصواعق " (١٠) " من الصواقع " (١١) ، " الصاعقة " (١٢) الصاقعة (١٣) .

ونعود ثانية إلى قراءة ابن مسعود ، فقد قرأ قوله تعالى : " وقالوا هذه أنعام وحرث حجر " (١٤) ، " حرج " (١٥) بتقديم الراء قبل الجيم ، هكذا على القلب .

---

(١) القاموس (شهرب وشهبر) (٢) ديوان الهذليين ٢١٥/١ (٣) المرجع السابق ٢١٦/١ – اللسان (شهبر) (٤) المرجع السابق ، والمادة السابقة .

(٥) شرح شواهد ابن عقيل ص ٧٦ (٦) المرجع السابق والصفحة السابقة – حاشية الصبان على شرح الأشمونى للألفية ١٩٨/١ – شرح ابن عقيل للألفية ١٣٤/١ (٧) سورة الحج ٢٢ آية ٢٧ (٨) الكشاف ٦٠/٢ – البحر المحيط ٣٦٤/٦ (٩) تاج العروس (وضأ) .

(١٠) سورة البقرة ٢ آية ١٩ ، سورة الرعد ١٣ آية ١٣ (١١) مختصر شواذ القرآن ص ١٤٤ القراءات الشاذة ص ٢٤ ، ٢٥ (١٢) سورة البقرة ٢ آية ٥٥ (١٣) مختصر شواذ القرآن ص ١٤٤
(١٤) سورة الأنعام ٦ آية ١٣٨ (١٥) الكشاف ٣١٤/١

فلعل في مثل هذه الإشـارات ما يفيد وجود آثار هذا القلب فـــي بعض ألفاظ اللهجـة الهذلية ، ولعل بعض الروايات التي تفيد القلـــب في بعض الالفاظ مثل " بطيخ وطبيخ " وتنسـب ذلك لأهل الحجـــاز[1] إنما تعني نسبتها إلى بعض الحجازيين المجاورين للقبائل الشرقية كهذيـل • ولذلك فإن الرواية التي تنسب ذلك الى أهل المدينة خاصة ، هي عنـــدي أضعـف الروايـــات[2] •

---

(١) المزهر ٢/ ٩٧ (٢) أساس البلاغة (طبخ) •

الفصل الرابع

التخلُّص من بعض أعباء النطق

(الفصل الرابـــع)

التخلص من بعض أعباء النطـــق

(١)
الإدغـام والإظهـار

أكثر ما يطلق الإدغام عند اللغويين ، فعلى تداخل الحرفين المتماثلين في المضعف بحيث يصيران حرفا واحدا مشددا مثل رد ، شد ، وأكثـــر ما يطلق الإظهار (أو الفك) عندهم ، فعلى فك هذا الإدغام ، أى جعـل الحرف المشدد حرفين أولهما متحرك ، والثانى ساكن مثل اردد ، ولـم يردد • اشدد ، ولم يشدد •

والإدغام والإظهار لهجتان معروفتان عند القبائل العربية المشهـورة ، فلقد نسب الرواة أولهما (وهو الإدغام) إلى القبائل التميمية ، كما نسبوا الثانى (وهو الإظهار) إلى القبائل الحجازية ، فقد قالوا : الإدغـام تميمى والإظهار حجـازى[1] •

ولكن الإدغام مع هذا ليس قاصرا على تداخل الحرفين المتماثلين فحسب بل يشمل أيضا تداخل الحرفين المتقاربين فى مخارجهما كالتاء والطـاء فى " يتطوع "[2] إذ تصير بالادغام " يطوع " ، والتاء والذال فى يتذكـر إذ تصير بالإدغام " يذكر "[3] ، والتاء والصاد فى " يتصعد " حيـن تصير بالادغام " يصعد "[4] ، فسبب الإدغام إذن هو التجانس والمماثلـة بين الحروف ، أو التقارب بينهما كما نرى •

والإدغام والإظهار بمعناهما الواسع قد عنى بهما علماء القراءات أكثـر من عناية اللغويين لأن هؤلاء القراء كان جهدهم منصبا على ما ورد فى القرآن الكريم من قراءات لا شك انها تمثل كثيرا من اللهجات العربية ، وقد جـاء كثيرا فى هذه القراءات ألفاظ كثيرة يتمثل فيها الإدغام وأخرى على عكسها يبدو فيها الإظهار ، وقد نجد الإدغام والإظهار فى اللفظ الواحد تبعا لاختلاف القراءات أو اللهجات • وإنه ليتضح مما رواه الرواة وهو ما تقتضيه طبائـع

---

(١) المحتسب ١٥٣ ، الزمخشرى : الفائق ٣/ ١١١ • اللسان (جرر ، غصص) • تاج العروس (غصص) • الخزانة ٤/ ١٠٥ • مميزات لغات العرب ١٣ • شرح الشافية ٣/ ٢٤٤ (٢) الكشاف ١/ ٢٤٦ • شرح المفصل ٩/ ١٢٦ • الارتشاف ١٣ • التصريح ١/ ١٢٨ • (٣) البحر المحيط ٥/ ١١٧ •
(٤) المرجع السابق ١/ ٥٢٦ •

الأشياء ، أن الإدغام — فى عمومه — من سمات القبائل البدوية التى لا تتحرز فى نطقها ، ويصعب عليها تمييز الحروف المتشابهة خصوصا ما تجاور منها فنجد اختلاطا وتداخلا عندهم فى نطقها ، وقد أدرك القدامى ذلك فذكروا أن وجه الإدغام هو التخفيف ، وأنه ثقل الالتقاء بين المتجانسين على ألسنتهم فعمدوا بالإدغام الى ضرب من الخفة (١) ، كما ذكروا فى إدغام الحرفين المتقاربين أن سببه تقريب الاصوات بعضها من بعض (٢) ، وهذا كلام يصدق على القبائل البدوية ، ولكن القبائل الحضرية — كالحجازيين أو بعضهم — من شأنها ان تنطق الألفاظ فى أناة ، وتميز الحروف بعضها من بعض تمييزا يشتمى معه وجود الاظهار الذى يتحقق به فصل الحروف بعضها عن بعض ، ولهذا فإن من نسب الإظهار إلى قريش وحدها (٣) هو اكثر دقة ممن نسبه الى الحجازيين جميعا ، لأن قريشا قبيلة حضرية ، أما غيرها من قبائل الحجاز فأغلبهم من البدو .

والهذليون وهم يعيشون فى بادية الحجاز يجمعون خصائص البدو فى وسط الجزيرة العربية ، وخصائص الحضر من الحجازيين ، وإن كانوا أقرب ميلا إلى الإظهار فى المضعف وهذا يتفق وطبيعتهم الحجازية ، وقد ورد ذلك كثيرا فى أشعارهم ، ومن أمثلة هذا قول أبى ذؤيب :

فإنْ أعتذِرْ منها فإنّى مُكذَّبٌ ... وإن تعتذِرْ يُرْدَدْ عليها اعتذارُها (٤)

وقول أسامة بن الحارث :

عَصانى ولم يُرْدَدْ علىَّ بطاعةٍ ... لِمُكثٍ ولمْ تقبِضْ عليه الأشاجِعُ (٥)

وقول المتنخل : تَنْكَلُّ عن مُتَّسِقٍ ظَلْمُهُ ... فى ثغرةٍ الإ تُمدُّ لم يُفْلَلِ (٦)

وقول أبى خراش القردى :

ما لِدُبَيَّةَ مُنْذُ العامِ لم أرَهُ ... وسْطَ الشُّرُوبِ ولمْ يلمِمْ ولمْ يَطِفِ (٧)

وقول أبى جندب بن مرة القردى (أخى أبى خراش) :

فَفَرَّ زُهيرٌ خيفةً من عقابِنا ... فليتكَ لم تَفْرِرْ فتصبحَ نادما (٨)

---

(١) شرح المفصل ١٠/١٢١ (٢) المرجع السابق ١٠/ ١٢٤ .
(٣) تاج العروس ٢/ ٩٤ (٤) ديوان الهذليين ١/ ٢٢ (٥) المرجع السابق ٢/ ٢٠٠ .
(٦) المرجع السابق ٢/ ٥ (٧) المرجع السابق ٢/ ١٥٥ .
(٨) المرجع السابق ٣/ ٨٨ .

وقول مالك بن الحارث الكاهلى (وينسبه صاحب اللسان لأبى سهم الهذلى خطـأ) .

ومن تقلل حلوبته وينكـل　　　من الأعداء يخبقه القـراح (١)

وقول أبى كبير :

حملت به فى ليلة مزءودة　　　كرها وعقد نطاقها لم يحلل (٢)

وقد يمكن القول بأن ظروف الوزن دفعت شعراءهم إلى الإظهار فيما ورد فيه ذلك من شعرهم ، ولكن استفاضة ذلك عندهم تدفع احتمال وجود الضرورة ، فلم يبق إلا أنهم فعلوا ذلك فى حال الاختيار لان الإظهار فى مثل هذا من طبيعتهم ، فلم يخرجوا فيه على أصلهم الحجازى غالبا .

ومما يؤيد هذا أن قول الله سبحانه حكاية عن موسى " اشدد به أزرى "(٣) وجد هكذا بالإظهار فى مصحف ابن مسعود (٤) ، هذا وقد قرأ ابن مسعود قوله تعالى : " لا تضار والدة بولدها " (٥) ، " لا تضارر " هكذا بالفك أو الاظهار لا بالإدغام . (٦)

ومع ذلك فإنا نجد أن الإدغام فى بعض الحروف المتقاربة فى مخارجها قد روى عن ابن مسعود فى قراءته لبعض حروف القرآن الكريم ، كما روى الإظهار عنه فى بعض حروف أخرى . ومما ورد عنه الاظهار فيه قوله تعالى : "كأنما يصعد فى السماء " (٧) إذ قرأها "يتصعد " بالإظهار (٨) " وقوله سبحانه " ومن تطوع خيرا " (٩) إذ قرأها بعض القراء " يطوع " مدغما فى معنى " يتطوع " بينما قرأها ابن مسعود " يتطوع " بالإظهار (١٠) . وقوله تعالى " ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون " (١١) قرأه ابن مسعود " يتذكرون " بالإظهار (١٢) والآية الكوية " حتى إذا اداركوا فيها " (١٣) قرأها ابن مسعود والاعمش " تداركو " (١٤) ومثلها " فاداراتم فيها " (١٥) ، فقد قرأها ابن مسعود " فتدارأتم " (١٦) ، وكذلك قوله تعالى : " أعدت للكافرين " (١٧) قرأها

---

(١) ديوان الهذليين ٣/ ٨٢ (٢) المرجع السابق ٢/ ٩٢ ـ البحترى ، الحماسة ١٩ ـ الامالى ٢/ ٣٢٢ . سمط اللالى ، القسم الثانى ٩٦٣ ـ ابن هشام : المغنى ٦٥
(٣) سورة طه ٢٠ آية ٣٠ (٤) البحر المحيط ٦/ ٢٤٠ ـ مختصر شواذ القرآن ص ٨٧
(٥) سورة البقرة آية ٢٣٣ (٦) البحر المحيط ٢/ ٢١٣ ـ مختصر شواذ القرآن ص ١٣ .
(٧) سورة الأنعام ٦ آية ١٢٥ (٨) مختصر شواذ القرآن ص ٤١ . الكشاف ١/ ٥٢٦ .
(٩) سورة البقرة ٢ آية ١٥٨ (١٠) الكشاف ١/ ٢٤٨ ـ البحر المحيط ١/ ٤٥٨ .
(١١) سورة التوبة ٩ آية ١٢٦ ـ (١٢) البحر المحيط ٥/ ١١٧ (١٣) سورة الأعراف ٧ آية ٣٨ (١٤) البحر المحيط ٤/ ١٩٦ (١٥) سورة البقرة ٢ آية ٧٢ .
(١٦) مختصر شواذ القرآن ص ٨ (١٧) سورة البقرة ٢/ ٢٤ .

" أُعتدت "(١) ، كما روى عنه الإظهار في قراءته لقول الله سبحانه " فنعما هي "(٢) إذ قرأها " فنعم ماهي " بفك الإدغام خلافا لقراءة الجمهور من القراء(٣) ، ومثل ذلك في مصحفه " تتصدقوا " بتائين وهي عند غيره تصَّدقوا بالإدغام ، وتصدقوا بالحذف(٤)، وكل هذا بفك الإدغام عند ابن مسعود .

ولكن روى عنه الإدغام في قوله تعالى " فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون "(٥) فقد قرأها " ولا يسَّاءلون " بتشديد السين أي بإدغام التاء في السين(٦)، وقد جاء ذلك على لسان أبي ذؤيب في قوله :

ولكن خبروا قومي بلا ئي ... إذا ما اسَّاءلت عني الشعوب(٧)

وقول ساعدة بن جؤية :

فأشرعوا يزنيات محربة ... مثل الكواكب يسَّاقون بالسم(٨)

ومثله إدغام التاء في التاء في قول ساعدة نفسه :

فبيناهم يتَّابعون لينتموا ... يقذف تياف مستقل صخورها(٩)

والتاء في الشين في قول أبي خراش :

كأنهمُ يشَّبثون بطائر ... خفيف المشاش عظمهُ غير ذي نحض(١٠)

وهذا ما نجده عند ابن مسعود في قراءة قوله تعالى " إن البقر تشابه علينا "(١١) فقد قرأها " تشَّابه " بتشديد الشين أي تتشابه ، فأدغم تاء الفعل في الشين التالية لها (١٢).

ونجد مثل ذلك أيضا في قوله تعالى : " فلا جناح عليهما أن يصلحا "(١٣) فقد قرأه ابن مسعود والأعمش " إن اصَّالحا " أي " ان تصالحا " بادغام التاء في الصاد(١٤). وقول الله تعالى : " قالوا سحران تظاهرا "(١٥) قرأه طلحة بن مصرف والأعمش وعبد الله : " قالوا ساحر ان إظَّاهرا "(١٦)، وقد

(١) مختصر شواذ القرآن ص ٤ (٢) سورة البقرة ٢ / ٢٧١ (٣) مختصر شواذ القرآن ص١٧
(٤) البحر المحيط ٢ / ٣٤١ (٥) سورة المؤمنون ٢٣ آية ١٠١ (٦) البحر المحيط ٦ / ٤٢١
(٧) ديوان الهذليين ١ / ٩٨ ـ شرح أشعار الهذليين (فراج)١ / ١١١ .
(٨) ديوان الهذليين ١ / ٢٠٣ (٩) المرجع السابق ٢ / ٢١٥ .
(١٠) المرجع السابق ٢ / ١٥٩ (١١) سورة البقرة ٢ آية ٧٠ .
(١٢) مختصر شواذ القرآن ص ٦ (١٣) سورة النساء ٤ آية ١٢٨ .
(١٤) البحر المحيط ٣ / ٣٦٣ (١٥) سورة القصص ٢٨ آية ٤٨ .
(١٦) البحر المحيط ٧ / ١٢٤ ـ مختصر شواذ القرآن ص١١٣ .

صوبه ابن خالويه ، وذكر أن أصله تظاهرا ، ثم أدغم فلحقته ألف الوصل ، وذكر أنها كذلك فى حرف ابن مسعود ، وبه أخذ الأعمش وطلحه لأنهما كانا يتبعان قراءته [1] ، وكذلك الآية الكريمة : " ولا تقربوهن حتى يطهرن " [2] قرأها حمزة والكسائى يطّهرن ، وهكذا قرأها عاصم أيضا فى رواية أبى بكر بن عياش وجميعهم من تلاميذ ابن مسعود . هذا الى ما سبق توضيحه من أن قراءة أبى بكر بن عياش عن عاصم هى دائما قراءة عاصم عن زر بن حبيش عن ابن مسعود . قرأ هؤلاء جميعا " يطهرن " بتشديد الطاء والهاء وأصله " يتطهرن " ، هذا وقد قرأ ابن مسعود قوله تعالى : " ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه " [3] ، ومن ازكى فإنما يزّكى لنفسه " [4] بالإدغام . وقوله تعالى : " أو لم يعمركم ما يتذكر فيه من تذكر " [5] قرأه : " ما يذّكر فيه من اذكر " [6] بادغام التاء مع قلب الذال دالا ، واكثر من هذا ما نقل عن الفراء من أن ابن مسعود كان يدغم التاء من : " والصافات صفا ، فالزاجرات زجرا ، فالتاليات ذكرا " [7] فى الحرف التالى لها [8] وهو الصاد ثم الزاى ثم الذال فى هذه الآيات .

ولعل ورود بعض هذه الألفاظ مدغما فى قراءة ابن مسعود ، وبعض تلاميذه ما يزكى الاتجاه الذى لمسناه من أن هذيلا ، وإن كانت تميل الى الطابع الحجازى ، أى الاتجاه العام لمجموعة غرب الجزيرة العربية ، فإنها — مع هذا — لم تسلم من التأثر بالاتجاه الشرقى فى وسط الجزيرة ، وبعض المظاهر اللغوية التى كانت سائدة فيه ، ومن بينها إدغام بعض الحروف إدغاما يظهر واضحا عند هذه القبائل أكثر من وضوحه عند هذيل .

وفيما ورد فيه أحيانا من الشعر الهذلى

---

(١) مختصر شواذ القرآن ص١١٣ (٢) سورة البقرة ٢ آية ٢٢٢ .
(٣) سورة فاطر ٣٥ آية ١٨ . (٤) البحر المحيط ٧/ ٣٠٨ — مختصر شواذ القرآن ص١٢٣ (٥) سورة فاطر ٣٥ آية ٣٧ .
(٦) مختصر شواذ القرآن ص١٢٣ (٧) سورة الصافات ٣٧ الآيات ١، ٢، ٣
(٨) ابراز المعانى ص٤ .

الترخيم والقطع

(٢)
الترخيم والحذف

إذا كنا قد رأينا أن بعض العرب ، ولا سيما البادون منهم قد يلجئون الى التحلل من أعباء النطق بإدغام بعض الحروف المتماثلة أو المتقاربة بعضها فى بعض ، فإنا قد نرى هذا البعض منهم يتحلل من هذه الأعباء أحيانا بحذف بعض الحروف حين تأخذ من الكلمات وضعا معينا يجعلهم فى نطقها بحاجة إلى شىء من الأناة التى لا تساعدهم عليها بيئتهم ولهذا يحذفون بعض هذه الحروف حتى يسهل عليهم نطق هذه الكلمات فى سهولة ويسر ، أو حتى ينطقوها فى سرعة دون لجوء إلى التحرز أو الاحتياط الذى يأخذ به الحضريون أنفسهم ، ومن ذلك مثلا قولهم يا أبا الحكا يريدون يا أبا الحكم ، ولم يسم يريدون لم يسمع ، وهذا ما يسمونه بالقطعة فى لهجة طيىء[1] ، ونجد لذلك أثرا فى لهجة كثير من البلاد المصرية الان كالمحلة الكبرى وما حولها ، وفى إبيار وكثير من محافظتى البحيرة وبنى سويف .

القطعة

ومن هذا الحذف ما يسمونه الترخيم ، وهو حذف آخر المنادى أحيانا مثل : يا حار ، ويا مال ، ويا صاح أى يا حارث ويا مالك ويا صاحبى[2] ، وهذا النوع من الحذف نجد له أثرا فى لهجة هذيل ، وهو موجود فى أشعارهم ، ومن ذلك قول مالك بن خالد الخناعى الهذلى :

يا مى لا يعجز الأيام مجترىء ... فى حومة الموت رزام وفراس
يامى إن تفقدى قوما ولدتهم ... أو تخلسيهم فإن الدهر خلاس[3]

وقوله : أمال بن عوف إنما الغزو بيننا ... ثلاث ليال غير مغزاة أشهر[4]

وقول أبى المثلم الخناعى الهذلى يخاطب عامر بن العجلان :

أعام بن عجلان مقصورة ... بغيرى من شبع عرض[5]

وقول أبى ذؤيب القردى الهذلى :

أعاذل إن الرزء مثل ابن مالك ... زهير وأمثال ابن نضلة واقد
أعاذل أبقى للملامة حظها ... إذا راح عنى بالجلية عائدى[6]

---

(١) اللسان (قطع) (٢) الثعالبى : فقه اللغة ٥٠٦ ، ٥٠٧ .
(٣) ديوان الهذليين ٣ / ١ أو مابعدها ـ شرح ديوان الهذليين (فراج) ١ / ٢٢٦ .
الكتاب ١ / ٣٤٨ (٤) ديوان الهذليين ٣ / ٧ ـ البقية ص ١١ .
(٥) شرح اشعار الهذليين (فراج) ١ / ٣٠٦ . (٦) ديوان الهذليين ١ / ١٢٠ ومابعدها
شرح اشعار الهذليين (فراج) ١ / ١٩٠ .

وقول قيس بن عيزارة الصاهلى : " ياحاراني يابن أم عميـــد " (١)

أحــار بن قيسران قومك أصبحـــوا مقيمـين بين السـر وحتى الخشـارم (٢)

وقول عمرو ذى الكلب الكاهلى الهـذلى :

وهــل تركك لو قتلت غـزى مـــالى ؟ (٣)

وغير هذا كثير فى شعر أبى خراش (٤) ، وأمية بن أبى عائذ الهـذلى (٥) ، وسـلمى ابن المقمد (٦) ، وابن الميـال (٧) ، وابى المـورق (٨) ، وايـاس ابن سـهم (٩) والأبح ابن مرة (١٠) ، وأبى كـبير (١١) ، وغـيرهم من شـعراء هذيل .

ولا يمكن القـول بأن حاجتهم الى اسـتقامة الوزن الشـعرى هـى الـتى حملتهم عـلى هـذا الحـذف أو الترخـيم ~~، فإن كثرة الحـذف أو الترخـيم~~ ، فإن كثرة الحـذف بهذه الصـورة المستفيضة فى شـعرهم تمنع هـذا الاحتمــال . ثم إننـا ـ إلى جانب ما ذكـر فيـه من شـعر كثـير ـ نجـده أيضـا فى قراءة ابن مسـعود فى قـوله تعـالى : " ونـادوا يا مالك (١٢) إذ قـرأهـا : " يا مـال " (١٣) " ويروى الـرواة أن ابن عبـاس لم يُسِـغ هذه القـراءة ، تأسـيسا على أن أهـل النـار سـيكونون فـى شـغل عن هـذا الترخـيم (١٤) ، وأغلب الظـن أن هـذا القـول مدسـوس عليـه ، ولو صحت نسـبته إليه لما كان الحـق فى جانبـه ، لان هـذه لهجـة عربية ، وقراءة من القـراءات يقـرؤهـا ابن مسـعود ، وهـى لهجـة قومـه ، فلا شـأن لها بأهـل النـار وما سـيكونون فيـه . وإذا كان قد نسـب إلى ابن عباس عدم استحسـان الترخـيم فى هـذا الموطـن ، فقـد حسـنه غيره كابن جـنى ، وذكر أن علـة ذلك هى ضعـف أهـل النـار عن إتمام الاسـم (١٥) ، وتعـليق الطيـبى عـلى كلام ابن جـنى أن هـذا اعتذار منه لقراءة ابن مسـعود حيث ردها ابن عباس بقوله "ما أشـغل أهل النـار عن الترخـيم (١٦) .

---

(١) ديوان الهذليين ٣/٧٢ ـ شـرح أشعار الهذليين (فراج) ٢/٢٩٧ .

(٢) شرح أشعار الهذليين (فراج) ٢/٦٠١ (٣) ديوان الهذليين ٣/١١٤ ـ شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ١٣٣ (٤) ديوان الهذليين ٢/١٣٠ ، ١٣٦

(٥) شرح أشعار الهذليين (فراج) ٢/٢٩٣ (٦) المرجع السابق ٢/٧٩١

(٧) ديوان الهذليين ٢/٢٥٦ (٨) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ٢/٧٧٨

(٩) المرجع السابق ٢/٥٤٢ (١٠) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ٣٩٢ (تحقيق فراج) ٢/٦٦٧ (١١) ديوان الهذليين ٢/٨٥ ، ٨٩ ، ١٠٠ ، ١٠٤ ، ١١١ ابن السـيد البطليوسى : الاقتضاب ص ٦٢ ـ الخصائص ٢/٤٤٠ ـ تاج العروس ، الصحاح ، اللسان (حرف) ـ سمط اللآلى ٢/٧٢٢ (١٢) سورة الزخرف ٤٣ آية ٧٧ (١٣) مختصر شواذ القرآن ص ١٣٦ (١٤) المرجع السابق والصفحة السابقة (١٥) ابن جنى : المنصف ٢/١٨٦

(١٦) المرجع السـابق والصفحـة السـابقة .

والحق أنه لا وجه لهذا الجدال ، ولا لذلك الاعتراض ، ولا هذا الاعتذار ، فإنما هي لهجة كما ذكرنا ، وكما يذكر بعض المراجع عندما تعرض لهذه الآية الكريمة .

ويمكن أن نعد من أنواع الحذف للتخفيف حذف أحد المثلين في بعض الأدوات تخلصا من تضعيف حرف من حروفها ، وذلك في مثل "رب" فقد وردت في شعر الهذليين كثيرا "رُبَ" بالتخفيف ومن ذلك قول أبي كبير الهذلي ... رُبَ هيضل لجب لففت بهيضل (١) .

وقول أبي قلابة الهذلي اللحياني .. رب هامة تبكي عليك كريمة (٢) .

وليس لنا أن نتجه الى الضرورة فننسب اليها صنيع شعراء هذيل بشأن هذا اللفظ وتخفيف ما فيه من تضعيف ، فإن علماء اللغة والنحو الذين يفزعون كثيرا الى الشذوذ ، والى الضرورة ، يحلون بهما كثيرا مما يعترضهم من خلاف لقوى نطق به الشعر ، هؤلاء هم أنفسهم لم يقولوا بوجود الضرورة في هذه الأبيات وأمثالها ، وانما ساقوها مستدلين بها على وجود "رب" مخففة في لغة العرب ، وكثيرا ما نراهم يقولون إن في "رب" ثمان لغات ، هذه احداها ، هذا وقد قرئ القرآن الكريم في قوله تعالى " ربما يود الذين كفروا " (٣) بالتخفيف في "رب" وهذه هي القراءة المشهورة المعروفة لدينا (قراءة حفص) ، وبها قرأ عاصم ، وزرين حبيش (٤) ، وهذا يؤكد وجود الحذف للتخفيف ، لا للضرورة ، في هذا اللفظ في اللهجة الهذلية .

ومن هذا الباب حذف أحد المثلين في بعض الأفعال للتخفيف مثل أتقى واتخذ كثيرا ما نراهما عند هذيل تَقِي وتَخِذه فانه وان تكن الأولى قد وردت قليلا في شعر الهذليين بالتضعيف (٥) ، فلقد وردت كثيرا بالتخفيف ، ومن ذلك قول ساعدة بن جؤية :

يَتَقي به نفيانَ كلِّ عَشيّةٍ ... فالماءُ فوقَ متونه يتصبَّبُ (٦)

---

(١) ديوان الهذليين ٢/٨٩ ـ اللسان (هضل) ، ح ابن السيد البطليوسي .. الاقتضاب ٦٢

(٢) البقية ص ١٦ ـ شرح أشعار الهذليين (فراج) ٢/٧٢٠ .

(٣) سورة الحجر ١٥ آية ٣ . (٤) تاج العروس (رب)

(٥) ديوان الهذليين ٢/٢١٣ ـ أساس البلاغة ص ١٧٦ .

(٦) ديوان الهذليين ١/١٦٩ .

اذ تذكر المراجع ان قوله يَتَقى يريد به يتّقى وهى لهجة لهذيل(١)

وقد نجد البيت نفسه لساعدة فى نوادر ابى زيد بخلاف طفيف :

يَتَقِى به نفيان كل عشية ... فالماء فوق سراته يتصبب(٢)

ومن ذلك ايضا قول ساعدة نفسه :

ولو أنّ الذى يتَقَى عليه ... يضَحيان آشم به الوعول(٣)

وقوله : مدخاء كلهم اذا ما نوكروا ... يتَقى كما يتقى الطَّلِيّ الاجرب(٤)

ومن العوادى أن تَقَتْك ببغضة ... وتقاذف منها وأنك ترقب(٥)

ولعل الظن أن هذا التخفيف ليس من قبيل ما ألجأت إليه الضرورة ، فإنـــه يوجد حال الاختيار فى النثر ايضا ، فقد نسب سيبويه الى بعض العرب ـ ولعل منهم هذيلا ـ أنهم يقولون : " تقى الله رجل فعل خيرا "(٦) يريـــدون اتقى الله رجل فيحذفون ويخففون .

ومثل هذا نجده فى " تَجِه " بمعنى " اتجه " حيث يقول صخر الغى :

تَجِهْنَا غادِيَيْنِ فسـاءَلَتْنِى ... بواحدها وأسأل عن تَليدِى(٧)

وما يقال فى تقى وتجه يقال مثله فى تخذ ، فقد نص بعض علمـــاء العربية ، ومن بينهم أبو عمرو بن العلاء على أنها لهجة هذيل(٨) ، وقد نطـــق بها شعراؤهم ، ومن ذلك قول أبى جندب الهذلى فى بنى لحيان :

تخذت غران إثرهم دليلا ... وفروا فى الحجاز ليعجزونـــى(٩)

ثم ان قول الله تعالى : " لو شئت لاتخذت عليه أجرا "(١٠) قرأه بعض القراء السبعة " لتخذت " بالتخفيف ، ويقول أبو عبيدة : " هى مكتوبة هكـــذا وهى لغة هذيل "(١١) .

---

(١) المرجع نفسه والصفحة نفسها (٢) نوادر ابى زيد ص ٤ (٣) ديوان الهذليين ١/ ٢١٨

(٤) المرجع السابق ١/ ١٨٤ ، تاج العروس (مدخ) ، (٥) ديوان الهذليين ١/ ١٦٨ .

(٦) الكتاب ٢/ ٢٩٦ اللسان (وقى) ، (٧) ديوان الهذليين ٢/ ٦٧ (٨) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ٨٦ ، تحقيق فراج ١/ ٣٥٤ (٩) ديوان الهذليين ٣/ ٩٥ شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ٨٢ (١٠) سورة الكهف ١٨ آية ٧٧ .

(١١) إبراز المعانى ٣٨٦ .

ونحن إذا مانظرنا إلى المصحف وجدناها هكذا دون ألف ليتسع رسمها لتلك القراءة ، وقد قرأها كذلك عبدالله بن مسعود وآخرون بالحذف والتخفيف ، وهذا يؤكد الاتجاه إلى أنها لهجة هذلية ٠

* * * *

ومن وجوه حذف أحد المثلين للتخفيف حذف التاء من أول المضارع إذا سبقته تاء المضارعة مثل تشكي أي تتشكي في قول جنوب أخت عمرو ذي الكلب الهذلي :

وخرق تجاوزت مجهولـــه بوجناء حرف تشكى الكلالا (١)

وتوقى أي تتوقى في قول أبي ذؤيب :

توقى بأطراف القران وعينها كعين الحبارى أخطأتها الأجادل (٢)

وتكلف أي تتكلف في قول ساعدة بن جؤية :

ولقد نهيتك أن تكلف نائيا من دونه فوت عليك ومطلب (٣)

كما نجد تخير أي تتخير في شعر أبي ذؤيب (٤) وفي شعر أبي خراش (٥) ، وفي شعر إياس بن سهم (٦) ، وتوجس أي تتوجس في شعر عمرو بن الداخل السهمي (٧) ، وتبغى أي تتبغى في شعر ساعدة بن جؤية (٨) ، وتزلزل أي تتزلزل في شعر أبي ذؤيب (٩) ، وتلقى أي تتلقى في شعر أبي خراش (١٠) ، وتحدث أي تتحدث في شعر أمية بن أبي عائذ (١١) وتهاوى أي تتهاوى (١٢) ، وتطاول أي تتطاول (١٣) في شعره كذلك ، وتساقى أي تتساقى في شعر أبي صخر (١٤) ، وتزاور أي تتزاور في شعر عبدالله بن أبي ثعلب (١٥) وتوارث أي تتوارث في شعر بدر بن عامر (١٦) وتساقط أي تتساقط في شعر عبدالله بن مسلم ابن جندب (١٧) ، وهناك أمثلة لاحصر لها لمن ذكرنا ومن لم نذكر من الشعراء ٠

---

(١) معاهد التنصيص ٢ / ٢٣٧ (٢) ديوان الهذليين ١ / ٨٢ ، (٣) المرجع السابق ١ / ١٧٢ ، (٤) ديوان الهذليين ١ / ١٤٦ مقاييس اللغة ١ / ٨٤ ، (٥) ديوان الهذليين ٢ / ١٤٨ ، (٦) شرح أشعار الهذليين (فراج) ٢ / ٥٢٨ ٠
(٧) ديوان الهذليين ٣ / ١٩ ، (٨) ديوان الهذليين ١ / ٢٣٧ ـ الكتاب ٢ / ٣٥ ٠
(٩) ديوان الهذليين ١ / ١٢٢ ، (١٠) ديوان الهذليين ٢ / ١٦٧ ، (١١) شرح أشعار الهذليين (فراج) ٢ / ٥٣٩ ، (١٢) ديوان الهذليين ٢ / ١٧٩ ، شرح أشعار الهذليين (فراج) ٢ / ٥٠٨ ، (١٣) المرجع السابق (فراج) ٢ / ٤٩٦ ٠
(١٤) المرجع السابق (فراج) ٢ / ٩٤١ ، (١٥) التمام ص ١٥٨ ، (١٦) ديوان الهذليين ٢ / ٢٦٦ ، (١٧) البقية ص ٧٣ ٠

ومن ذلك ما ذكر من أن لفظ "تتوفاهم" في الآية الكريمة : "الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم"(١) موجود في مصحف ابن مسعود "توفاهم" بتاء واحدة(٢) . وهذا يؤيد الاتجاه إلى الحذف المشار إليه .

وإذا كان العرب أو بعض قبائلهم قد ألفوا التخفيف بالحذف في بعض أسماء القبائل المركبة من كلمتين مثل بني القين ، وبني الحارث، وبني الجهجم، حين حذفوا جزءا من صدرها فصارت : بلقين ، وبلحارث، وبلجهيم(٣) ، فإن لهذيل ما يشبه ذلك من التخفيف في ألفاظ قد تنفرد ببعضها ، وقد يشاركها فيها غيرها ، ولكنا نجدها كثيرا في شعر الهذليين فقد نجد عندهم من ذلك "م الآن" في موضع" من الآن" فيحذفون شطر حرف الجر ، ويجعلون من الكلمتين كلمة واحدة ، ومن ذلك قول أبي صخر الهذلي :

كأنهما م الان لم يتغيرا وقد مر للداريْن من بعدنا عصر(٤)

والى جانب ما ذكر فيه هذا البيت من مراجع، نجده عند ياقوت أيضا مع تغيير طفيف في روايته لا يؤثر في جوهر الشاهد فيه(٥) ، وكذلك الشأن عند البغدادي في خزانته .(٦)

ويذكر صاحب المنصف أن علة حذف النون في مثل ذلك إنما هي التقاء الساكنين؛(٧) وهذا التعليل لا يخرج بنا عن كوننا بصدد الحذف للتخفيف .

ومن هذا النوع من الحذف ايضا قول مليح بن الحكم الهذلي :

فلما دنت م الأرض عولي فوقها مراكب من قيس وبيض مدبج(٨)

وقول قيس بن عيزارة :

تقول ألا أعويتنا إن أسرتنا فيالك مرءا م الأمور الأشائم(٩)

وهذا النوع من الحذف ينسب أحيانا إلى بعض قبائل اليمن مثل خثعم وزبيد(١٠) والحق أنه مما تتسم به البيئة البدوية عموما ، ولعلنا كلما توغلنا في البادية كلما وجدناها أكثر وضوحا منها في هذيل .

---

(١) سورة النحل ١٦ آية ٢٨ (٢) البحر المحيط ٥/ ٤٨٦ (٣) إبراز المعاني ٣٨٢ .
(٤) شرح أشعار الهذليين (فراج) ٢/ ٩٥٦ ـ الخصائص ١/ ٣١٠ ـ الحصري : زهر الآداب ٣/ ٧٦٢ ـ الأمالي ١/ ١٤٦ ـ المنصف ٢/ ٢٢٩ ـ البقية ص ٩٣
(٥) معجم البلدان ٢/ ٣٤٢ (٦) الخزانة ٣/ ٢٣٤ (٧) المنصف ٢/ ٢٢٩ .
(٨) ديوان الهذليين ٣/ ٧٨ (٩) شرح أشعار الهذليين (فراج) ٢/ ٦٠١ .
(١٠) مميزات لغات العرب ص ٣٢ .

وهذا النمط من الحذف نجد له نظيرا في لهجتنا المصرية الحديثة، ولا سيما عند غير المثقفين . وإذا كانت النون قد حذفت هنا لالتقاء الساكنين تخفيفا ، فقد تحذف للسبب نفسه ، أي بغية التخفيف ، ولكن دون التقاء ساكنين كما في الحالة السابقة ، وأكثر ما يكون ذلك ، في نون الفعل المضارع من "كان" حال الجزم ، ومن أمثلة ما جاء في شعرهم من ذلك قول أبي ذؤيب :

وان أك نائيا عنه فإنـي　　فرحت بأنه غبن البياعـا[(١)]

وقوله ، عصاني الفؤاد فأسلمته　　ولم أك مما عناه ضريحـا[(٢)]

وقول أبي خراش : ولم يك مثلوج الفؤاد مهيجـا × ...[(٣)]

وقول صخر الغي : فإن تك قد سمعت دعاء داع × ...[(٤)]

ومن يك عقله ما قال صخـر× ...

وقول ساعدة بن جوية :

فإن يك يهاب أصـاب بسهمه　　حشاه فعناه الجوى والمحارف

فإن تك قسر أعقبت من جندب　　فقد علموا في الغزو كيف نحارف[(٥)]

وقول أبي الحنان الهذلي : فإن تك جمل قد بانت نواها × ...[(٦)]

وقول عمرو بن معمر الهذلي يرثي عبد الله ومصعبا ابني الزبير :

فإن يك عبد الله أودى بمصعب　　وأصبح عبد الله شلوا ملحبـا[(٧)]

وحين نطيل النظر في شعر الهذليين نجد عندهم من ذلك الشيء الكثير[(٨)]. وليس هذا مقصورا عليهم ، بل جاء عنهم وعن غيرهم ، حتى انه صار من سمات الفصحى، وقد سجله القرآن الكريم في قوله تعالى حكاية عن مريم : "ولم أك بغيا"[(٩)] وفي قوله سبحانه : "فإن يتوبوا يك خيرا لهم"[(١٠)] "ولم يك من المشركين"[(١١)] ولم يك شيئا"[(١٢)] ، "ألم يك نطفة من مني يمنى"[(١٣)] ، "وان يك كاذبا فعليه كذبه ، وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم"[(١٤)] ، "فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا"[(١٥)].

---

(١) شرح ديوان الهذليين (فراج) ١/ ٢٣٠ ــ ديوان أبي ذؤيب ص ٢٠٨ .
(٢) ديوان الهذليين ١/ ١٢٩ (٣) ديوان الهذليين ٢/ ١٥٨ (٤) المرجع السابق ٢/ ٢٢٤
(٥) المرجع السابق ١/ ٢٢٦، ٢٢٧ (٦) شرح أشعار الهذليين (فراج) ٢/ ٨٩٨ .
(٧) المؤتلف والمختلف ص ٢٢٦ (٨) ديوان الهذليين ١/ ٢٢٧ ، ١٢٨ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٨ ، ١٦٣ ، ٢٢٦ ــ ٢/ ٢٤٤ ــ شرح أشعار الهذليين (فراج) ١/ ١٥٦ ، ٢/ ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ .. (٩) سورة مريم ١٩ آية ٢٠ .
(١٠) سورة التوبة ٩ آية ٧٤ (١١) سورة النحل ١٦ آية ١٢٠ (١٢) سورة مريم ١٩ آية ٢٧
(١٣) سورة القيامة ٧٥ آية ٣٧ (١٤) سورة غافر ٤٠ آية ٢٨ (١٥) سورة غافر ٤٠ آية ٨٥ .

وإن كان قد ورد هذا اللفظ فى القرآن بإثبات النون فى قوله تعالى " ولم أكن بدعائك رب شقيا "(١) " فإن لم يكن له ولد "(٢) " إن يكن غنيا أو فقيرا "(٣) ... إلى غير ذلك من الآيات(٤) .

كما جاء أيضا فى بعض شعر هذيل كقول قيس بن عيزارة من بنى صاهلة :

سرى ثابت بزى ذميما ولم أكن   سلبت عليه شل منى الأصابع(٥)

فلم يكن حذف النون من هذا اللفظ هو كل ما عرف من الهذليين أو غيرهم دون وجود الأصل الذى هو إثباتها ، فالمقصود إذن هو تسجيل هذه الظاهرة لان وجودها على أى حال يعد من ظواهر الحذف الذى نحن بصدده .

وإذا كان نطق الكلمتين كلمة واحدة يتم عن طريق حذف آخر أولاهما مثل " ملآن م الأرض " فقد يتم ذلك بحذف أول ثانيتهما ، وذلك مثل " ويلمه ، ويلمها " ، وقد جاء ذلك كثيرا فى شعر هذيل ، ومنه قول المتنخل يرثى ولده أثيلة :

ويلمه رجلا تأتى به غبنا   إذا تجرد لا خال ولا بخل(٦)

وقول قيس بن خويلد :

ويلمها لقحة إما تأوبها   نسج شآمية فيها الأعاصير(٧)

وقول قيس بن عيزارة فى تأبط شرا :

فويل أم شعل جر شعل على الحصى × ...(٨)

وقول أبى ذؤيب : ويلم قتلى فويق القاع من عشر × ...(٩)

وقول سلمى بن المقعد : ويلم ساعدة بن زيد عاديا × ...(١٠)

---

(١) سورة مريم ١٩ آية ٤ (٢) النساء ٤ آية ١١ (٣) النساء ٤ آية ١٣٥ .
(٤) البقرة ٢ آية ١٩٦ ـ النساء ٤ آيات ١٢ ، ٣٨ ، ٨٥ ، ١٣٧ ، ١٧٦،١٦٨ ـ سورة الأنعام ٦ آيات ١٣١ ، ١٣٩ ، سورة الأعراف ٧ آيات ٢ ، ١١ ..
(٥) ديوان الهذليين ٣/ ٧٧ . (٦) اللسان (امم) ، الاقتضاب ص ٣٦٣ .
(٧) شرح أشعار الهذليين (فراج) ٢/ ٧٠٦ ـ أساس البلاغة ٤ ٢٥ ـ اللسان (نسج)
(٨) ديوان الهذليين ٣/ ٧٨ ، اللسان (بزز) .
(٩) ديوان الهذليين ١/ ٤٤ . (١٠) شرح أشعار الهذليين (فراج) ٢/ ٧٩٨ .

ومن الحذف الذى يلفت النظر عندهم حذف حروف مختلفة أحيانا ، وإدماجها حتى تصير الكلمات التى تقع على أجزائها هذا الحذف كأنهـا كلمة واحدة مثل : "أمن أجل أنك" إذ يحذفون الجار ، ثم اللام من "أجل" والهمزة من "أنك" ، ويختزلونها اختزالا فتصير "أجنك" ، ومثلها "أجنى" أى من أجل أنى ، ومن ذلك قول الهذلى (عمرو ابن أبى جمرة اخى بنى قُرَيم)[١] :

أجنى كلما ذكرت كليب أبيت كأننى أكوى بجمر[٢]

وقد جاء فى شرح السكرى لاشعار الهذليين أن قوله "أجنى" يريد به من أجل أنـى[٣] .

وفى حديث ابن مسعود ان امرأته قالت له : " .. أجنك من اصحاب محمد تقول هذا ؟ " تريد " من أجل انك "[٤] .

وهكذا نرى للحذف مجالا فى اللهجة الهذلية ، وربما كان مجاله أكثر رحابة وانفساحا عند غيرهم من المتوغلين فى البداوة من جزيرة العرب ، ولا يزال هذا الطابع يتمثل فى لهجاتنا العامية المنتشرة فى الريف المصرى ، وخاصة بين غير المثقفين من ابناء هذا الريف ، لأن هؤلاء لا يستطيعون التحكم فى عضلات النطق تحكما كاملا يتيح لهم نطق الكلمات كاملة بصورة تتضح فيها جميع حروفها متميزا بعضها عن بعض .

---

(١) شرح أشعار الهذليين (فراج) ٢/ ٨٠٠ (٢) شرح أشعار الهذليين (فراج) ٢/ ٨٠١
اللسان (جنن) . (٣) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١/ ٨٠١ .
(٤) اللسان (أجن ، جنن) ، النهاية ١/ ٢٢ .

الباب الثالث

الجنس والعدد وبعض ظواهر البنيه ممثله في الاشتقاق

الفصل الأول

الجنس: التذكير والتأنيث

(الفصـــــــــل الاول)

الجنـــس (التذكـــير والتأنيـــــث)

(١)

لا خلاف طبعا بين العـرب فى تذكير الأسـماء إذا كان المذكر حقيقيا كأعلام المذكرين العقـلاء ، كما أنـه لا خـلاف بينهم فى التأنيث إذا كـان المؤنث حقيقيا كأسـماء الأعـلام للإناث العاقلات ، ولكـن وقع الخـلاف بينهم إذا ما كان المؤنث مجـازيا غير حقيقى كالطريق والسوق وما يشـبههما ، فبعضهـم يقصد إلى التأنيث ، وبعضـهم يعمد إلى التذكير ، وقد ذكـر الرواة واللغويون من أمثلة هذا قولهم " أهـل الحجاز يؤنثون الطريق والسراط والسـبيل ، والسـوق والزقاق ، وتمـيم تذكر هـذا كله " (١) ، وقولهـم العنـق مؤنثـة فى الحجـاز مذكرة فى غيرهـم " (٢) وقول أبى زيد " أهـل تهامة يؤنثـون العضـد ، وبنـو تميم يذكرون " (٣) وعرضوا للجنس المميز واحدهُ بالتـاء فقالوا بأن أهـل الحجـاز يؤنثونه ، ويذكره التميميون (٤) ، وتطبيقا لذلك نجـد فى اللسـان " أهـل الحجـاز يؤنثـون النخـل ، وأهـل نجد يذكرون" (٥) ونجـد فى الأضداد " النخـل يؤنثـه أهـل الحجاز ، ويذكره سـائر الناس" (٦)

وتعميم الرواة فى قولهم " الحجاز وتميم ، وسائر الناس ... هو فى الحـق تعميم خاطئ ، ولكن قد نفيـد منه ــ على عمومه ــ معرفة موقـف الحجازيين بعامـة من هـذه الظاهـرة ، وبعـد هذا قد يفيدنا فى معرفة الاتجـاه العـام لهذيل باعتبارها قبيلة حجازية ، فربما كان الغالب عليهـا من هـذه الوجهـة أن تذكر أغلب ما ذكـره هؤلاء ، وان تؤنث معظـم ما أنثـوه ، وتلك هـى النظـرة الأولـى التى قد يتجـه إليها الباحث بادئ ذى بدء ، وإلا اذا أثبـت البحث عكـس هـذا ، ولكن من المحـتم ــ كما نقول دائما ــ أن يضع الباحث فى اعتباره موقف هذيل ومكانها بين القبائل الحجازية ولاسـيما قريش ، وبين قبائل وسـط الجزيرة العربية ، وما كان لهذا الموقـع المتوسط وذلك الجوار المزدوج من أثر فـى التذبذب أحيانا بين أولئـك وهؤلاء ، وذلك بصورة تتفـاوت فـى عمقهـا تبعـا ←

---

(١) اللسان (زقق) ــ المصباح (زق)

(٢) المصباح : الخاتمة ص ١٠٨٧ ، ١٠٨٨ (٣) العدوى ، فتح الجليل (هامش شرح بن عقيل للجرجاوى) ص ١٦٢ (٤) السيوطى ، التسهيل ص ٦٤ (٥) اللسان (نخل)

(٦) السجستانى : الأضداد ص ٧٥

لعمق المؤثرات الواقعة عليها ، ومدى تأثيرها فيها ، ولهذا نجد هنا أن بعض ما يؤنثه الحجازيون قد تجعله هذيل مذكرا ، وما يذكرونه قد تأتى به مؤنثا ، فقد روى أن ابن مسعود قرأ قوله تعالى : " قل هذه سبيلى "(١) " قل هذا سبيلى " على التذكير(٢) ، مخالفا بذلك الاتجاه العام الذى رووه عن الحجازيين من تأنيث السبيل والطريق ، وما إليهما مما سبقت إليه الإشارة ، وأغلب الظن أن اتجاهه هذا إنما هو اتجاه قبيلة من هذيل ، ومما يزكى هذا الاتجاه الذى نتجه إليه ، ما ذكره اللغويون من أن الطريق يذكر ويؤنث ، وأن الدليل على تذكيره هو قول الهذلى (صخر الغى) :

فلما جزمت به قربتى تيممت أطرقة أو خليفا(٣)

فهذا كجريب وأجربة ، وقفير وأقفرة(٤) ، ولهذا يقول صاحب المصباح أن : " جمع الطريق على لغة التذكير أطرقة "(٥) ، أى صيغة (أفعلة) فى جمع التكسير من جمع فعيل إذا كان مذكرا لا مؤنثا ، واستدلالهم على ذلك بشعر الهذليين له معناه فى تأكيد ما نحن بصدده . هذا وقد جاء الطريق فى شعر أبى ذؤيب مذكرا حين يقول :

فافتنهن من السواء وماؤه بثر وعارضه طريق مهيع(٦)

وقول مالك بن خالد الخناعى : " ولكن حمى ذاك الطريق المراقب "(٧) ولو قدر أى الطريق غير مذكر لقال " تلك " ولا تثريب عليه من حيث وزن الشعر وموسيقاه ، إذ الوزن فى الحالين واحد .

ولعل صنيع هذيل فى ذلك قد انعكس على الشافعى ، فهو الآخر يذكر " السبيل " حين يعرض له(٨) .

وكذلك قرأ ابن مسعود قوله تعالى : " قد بدت البغضاء "(٩) " قد بدا البغضاء "(١٠) .

---

(١) سورة يوسف ١٢ آية ١٠٨ (٢) البحر المحيط ٥/ ٣٥٣ .
(٣) ديوان الهذليين " القسم الثانى " ٧٦ . (٤) البكرى ، معجم ما استعجم ١٦٧
(٥) المصباح (طرق) . (٦) ديوان الهذليين ١/ ٥ ـ مقاييس اللغة (بثر) ١/ ١٩٦
تاج العروس (سوا) . اللسان (بثر ، سوا) ـ معجم البلدان (بثر والسواء)
٥/ ١٥٧ ـ الأضداد للأنبارى ص ٢٥٢ ـ الأضداد للسجستانى (عارضه بدلا من عانده) ص ١٤٠ (٧) ديوان الهذليين ٣/ ١٠ (٨) الرسالة ص ١١٢ .
(٩) سورة آل عمران ٣ آية ١١٨ (١٠) الكشاف ١/ ٣٤٥ ـ البحر المحيط ٣/ ٣٩

ويذكر أبو حيان أن علة ذلك هي أن الفاعل مؤنث مجازا ، أو على معنى البغض فهو يشير في تعليله الأول إلى الخلاف القائم بين العرب في التذكير والتأنيث حين يكون الفاعل مؤنثا تأنيثا مجازيا ، ولكنه في تعليله الثاني ، أي في تأويل البغضاء بمعنى البغض حتى يستقيم التذكير ، قد بعد بنا عن الجادة التي تسير عليها ، وهي أن ابن مسعود هذلي يصدر في كثير من حروفه أو قراءته عن لهجة قبيلته وأهله ، ونقول في كثير من حروفه لا في حروفه كلها ، لأنه قد يتأثر في شيء من ذلك ببعض من خالطهم من العرب ، ولا سيما قريشا التي عاش بين ظهرانيها ردحا من الزمن ، ثم إن بعضا من قراءة ابن مسعود قد يكون هدفه التفسير ، والقراءة في هذه الحال لا تصور لهجة من اللهجات ، ولكن ما بقي بعد هذا من حروفه أو قراءته ، وهو كثير ، يصور شيئا ذا بال من لهجة قومه هذيل .

ثم إنه بينما كان جمهور القراء يقرأ قول الله تعالى " كلتا الجنتين "[1] على التأنيث ، نجد الآية نفسها في مصحف ابن مسعود "كلا الجنتين" بصيغة التذكير[2] . واللغويون حينما صرحوا بأن السكين يذكر ويؤنث[3] ، لم يسعفهم في الاستدلال على التذكير إلا شاهد هذلي ، ورد في شعر أبي ذؤيب من الديوان ، وفي كتب اللغة[4] ، فمن حقنا أن نستأنس به في ذلك .

فيبدو أن هذيلا كانت تتجه أحيانا إلى التذكير فلا تؤنث حينذاك إلا إذا كان الاسم مؤنثا تأنيثا حقيقيا . وأكثر من هذا أن بعض الصيغ التي ذكر اللغويون أنه يستوي فيها المذكر والمؤنث في بعض الصفات ، كان لا يسعفهم في الاستشهاد عليها ، والاستدلال لها مثل الشعر الهذلي كما في قول أبي شهاب المازني :

صناع بإشفاها حصان بشكرها ... جواد بقوت البطن والعرق زاخر[5]

---

(١) سورة الكهف ١٨ آية ٣٣ (٢) البحر المحيط ٦/ ١٢٤ . (٣) المخصص ١٧/ ١٦ .
(٤) ديوان أبي ذؤيب (مخطوط) الشنقيطي ورقة ١٠٢ ـ ديوان الهذليين ١/ ١٥١ .
اللسان (سكن) . (٥) تاج العروس (جيد ، وزخر) . اللسان (زخر) .
العباب الزاخر (جود) . إصلاح المنطق ص ٤٨ ، ابن الأنباري "الأضداد" ص ٢٤٢ .

ومعنى هذا ان المؤنث، حتى إذا كان مؤنثا حقيقيا ، كان يوصف أحيانا بما يوصف به المذكر، وهذا تغليب لجانب الذكورة الذى أشرنا إليه .

ومن الاتجاه الى التذكير عندهم تذكير " العجز " فى قول أبى خراش :

بهيما غير أن العجْز منها تخال سراته لبنا حليبا (١)

هذا وقد يروون عكس ذلك عن هذيل فى بعض ألفاظ أخرى، فهم يذكرون أن هذيلا تؤنث " الإزار " (٢) ويسوقون لذلك شاهدا من الشعر الهذلى تواردوا على ذكره، هو قول أبى ذؤيب :

تبرأ من دم القتيل وبزّه وقد علقت دم القتيل إزارها (٣)

ولكن يبدو أن النحاة واللغويين لم يرووا ذلك عن هذيل أصالة، وإنما استنبطوه استنباطا عن طريق ذلك المثال من الشعر الهذلى، ثم راحوا بعد هذا يستشهدون به على صحة ما رووا . مع أنه يبدو أن الشاهد ليس نصا قاطعا فى تقرير ما ذهبوا إليه اذ أن فاعل الفعل " علق " ليس من الضرورى أن يكون هو لفظ " إزار " حتى يستدل على تأنيثه من تأنيث فعله، فقد يصح أن يكون فاعل " علق " هو الضمير العائد إلى المرأة المشار إليها فى البيت، وكلمة " إزار " هى أشبه ما تكون بما يسمونه " بدل اشتمال " ، وعلى هذا تكون الصلة معقودة بين " علقت " وبين ضمير المؤنث الغائب " هى " ولاصلة بينها وبين كلمة إزار فى نهاية البيت . وهذا الاحتمال فى التخريج يضعف الاستدلال بالبيت فى تقرير هذه الحقيقة العلمية ، بل إن ابن سيده هدم حجية البيت على أساسه (٤) ، ثم إننا نجد السكرى فى ثنايا شرحه لهذا البيت ينص على أنه يقال " إزار وإزارة تذكر وتؤنث " (٥) ، وهذا يلفت نظرنا إلى أن تأنيث هذا اللفظ عند من يؤنثونه قد يكون بالتاء ، أى عن طريق التأنيث اللفظى ، فوجوده مؤنثا بالتاء فى اللغة يزكى احتمال تذكيره فى البيت ، ويضعف احتمال تأنيثه فيه . وهذا مجرد استئناس نلفت النظر إليه بجانب ما ذكرتنا من دليل .

(١) ابن سيده ، المحكم ١ / ١٧٩ (٢) الصناعتين ٢٧٨ ـ مقاييس اللغة (تقم ، علق) (٣) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١ / ٧٧ ـ ديوان الهذليين القسم الأول ص٢٦ ـ اللسان ، تاج العروس (أزر) . مقاييس اللغة (علق) ، المخصص ١٧ / ١٥ ـ الصناعتين ٢٧٨ .

(٤) المخصص ١٧ / ١٦ . (٥) المرجع السابق والصفحة السابقة .

هذا وقد روى أبو عمرو الشيبانى "ويزه بالرفع"،[1] أى "ويزه إزارها، وقد علقت دمه"، وعلى هذا فالبيت لا شاهد فيه على ما ذهبوا إليه.

فيمكن الخروج من هذا كله بأن هناك اتجاها عند هذيل إلى معاملة المؤنث المجازى – فى بعض ألفاظه – معاملة المذكر.

(٤)

أما جمع التكسير ففيه هو الآخر التذكير والتأنيث معا عند هذيل، وإن كان الميل إلى التذكير أوضح.

ومن أمثلة التأنيث عندهم فى ذلك قول جنوب ترثى أخاها عمرا:

تمشى النسور إليه وهى لاهية ... مشى العذارى عليهن الجلابيب (٢)

وقول أسامة الهذلى: "مقلصة قد أهجرتها فحولها". (٣)

وقول أبى ذؤيب: "ولو كثرت فيها لدى البوارق". (٤)

ومن مظاهر التذكير (أو تجريد الفعل من علامة التأنيث) مع جمع التكسير قول أبى خراش:

أبى نسيانه فقرى إليه ... ومشهده إذا اريد الجلود (٥)

وقول أبى ذؤيب: "إذا بنى القباب على عكاظ". (٦)

وقول ساعدة بن جؤية: "فما برح الأسباب حتى وضعنه". (٧)

ومن أمثلة التذكير أيضا قراءة ابن مسعود قوله تعالى: "وإذ قالت الملائكة" (٨) "وإذ قال الملائكة" (٩)، ومن الممكن أن ترجع قراءة ابن مسعود جانب التذكير على جانب التأنيث فى هذا الشأن، إذا لم يكن فراره من التأنيث لدافع دينى قد يكون هو تحرجه من تأنيث الفعل مع الملائكة الذين نعى الله على المشركين أنهم جعلوهم إناثا فى بعض آى القرآن الكريم، ومع هذا فالقراءة سنة متبعة، وغير خاضعة للاستحسان أو للتقدير الشخصى غالبا، مما قد يستبعد معه هذا الاحتمال. وقد قرأ كذلك حمزة والكسائى، من كبار قراء الكوفة ومن تلاميذ ابن مسعود بها قول الله تعالى: "فنادته الملائكة" (١٠) "فناداه" بالتذكير (١١).

---

(١) [illegible] ص ٢٧٨ (٢) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ٢/ ٥٨٠ – ديوان الهذليين ٣/ ١٢٥ – العكبرى التبيان فى شرح الديوان ١/ ١٥٩ – تاج العروس (جليب) – مقاييس اللغة (جلب). (٣) تاج العروس (منح).

(٤) ديوان الهذليين ١/ ١٥٣ (٥) المرجع السابق ٢/ ١٦١ (٦) ديوان الهذليين ١/ ٩٨ – اللسان والصحاح (عكظ). تاج العروس (عكظ، وقول) أسواق العرب فى الجاهلية ص ٣٣٩ (٧) ديوان الهذليين ١/ ٢٠٩. تاج العروس مقاييس اللغة (جث). (٨) سورة آل عمران ٣ آية ص ٤٢.

(٩) البحر المحيط ٢/ ٤٥٥. (١٠) سورة آل عمران ٣ آية ص ٣٩ (١١) البيضاوى ٢/ ١٧ – البحر المحيط ٢/ ٢٤٦ – مختصر شواذ القرآن ص ٢٠.

فيمكن الاستئناس بهذا على أن هذيلا تميل إلى التذكير (أو تجريد النخل من علامة المؤنث) مع جمع التكسير، خصوصا إذا عرفنا أن كثيرا مما عامل فيه الهذليون جمع التكسير معاملة المؤنث يتراءى غالبا حينما يكون هذا الجمع جمعا لمؤنث كصيغة فواعل التي يغلب أن تكون جمعا لفاعلة مثل (بوارق) التي سبقت الإشارة إليها في قول أبي ذؤيب، وصوافق في قوله أيضا :

أخ لك مأمون السجيات خضرم ... إذا صفقته في الحروب الصوافق (١)

وعوائق في قوله كذلك :

ألا هل أتى أم الحويرث مرسل ... نعم خالد إن لم تعقه العوائق (١)

وكوادس في قوله : " ولم تحبسك عني الكوادس " (٣).

وسوابق في قول حذيفة بن أنس الهذلي :

لأدركهم شعث النواصي كأنهم ... سوابق حجاج توافي المجمرا (٤)

وكذلك الدوامع صفة للعيون، واللوامع صفة للبارقات في قول قيس بن العيزارة :

رجال ونسوان بأكناف رايسة ... إلى حشن تلك العيون الدوامع

سقى الله ذات الغمر وكلا وديمة ... وجادت عليها البارقات اللوامع (٥)

ومع هذا فالتأنيث ليس مطردا عندهم حتى مع هذه الصيغة، فلقد نجد في شعرهم ما يخرج على ذلك مثل قول أبي خراش :

فصار الفتى كالكهل ليس بقائل ... سوى العدل شيئا واستراح العواذل (٦)

وقول أبي ذؤيب :

فعدا يشرق متنه فبدا له ... أولى سوابقها قريبا توزع (٧)

(١) ديوان الهذليين ١٥٣/١ (٢) المرجع السابق ١٥١/١ (٣) المرجع السابق ٦/١ (مقاييس اللغة ١٦٥/٥) (٤) تاج العروس (جمر) (٥) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص ٢٢٩ (٥) شرح أشعار الهذليين ص ٢٤٩ معجم ما استعجم (حشن) (٦) ديوان الهذليين ١٥٠/٢ ـ البحر المحيط ٤٠٤/٤ (٧) شرح أشعار الهذليين (فرا) ٢٧/١ اللسان (شرق)

هذا ويروى اللغويون ذلك البيت من شعر الهذليين :

لو كان فى قلبى كقدر قلامة حبا لغيرك ما أتاها أرسلى[(١)]

وفى هذا البيت نجد مظهرا من مظاهر ميلهم إلى التذكير . فصيغة أفعل (أرسُل) هذه هى من جموع التكسير للمؤنث[(٢)]، ومع هذا جرد والفعل معها من علامة التأنيث .

ومما يزيد الأمر تأكيدا بشأن (أرسل) وكونها صيغة لجمع المؤنث أن علماء اللغة راحو يبررون ذلك جاهدين ، فيقول الزبيدى إن أرسل هو "جمع الرسول على أنه مؤنث بمعنى الرسالة" ويقول ابن جنى "كسر رسولا وهو مذكر على أرسل وهو من تكسير المؤنث كأتان وآتن وعناق وأعنق .. كما كان الرسول هنا إنما يراد به المرأة لانها فى غالب ما تستخدم فى هذا الباب" . وهذا يؤكد ما نذهب إليه من إيثار التذكير مع صيغة الجمع هى من صيغ التأنيث، بل ربما كانت جمعا للمؤنث فعلا إلى جانب الصيغة نفسها كما تدل على ذلك إشارة ابن جنى . وقد كان مجال القول ذا سعة يمكن الشاعر من قوله :

" أتتها ارسلى " بصيغة التأنيث دون أن يكون عليه بأس فى وزن أو لغة ، ولكنه ـ فى أغلب الظن ـ ميل فى قومه إلى هذا الصنيع .

بل إنا لنجد منهم ميلا إلى تذكير الفعل أحيانا مع جمع التكسير للأسماء التى تدل على مؤنث حقيقى ، ومن امثلة ذلك قول قيس بن عيزاره :" وقال نساء لوقتلت لساء نا[(٣)] ، وقول ابى ذؤيب " وقام بناتى بالنعال حواسر "[(٤)]

ولا يمكن القول بأن الضرورة الشعرية هى التى دفعت كلا من هذين الشاعرين الى ذلك لأن فى الامكان الحاق التاء بالفعل دون تأثير على وزن البيتين أو إخلال بالموسيقا فيهما . بل إن وجود التاء أدعى إلى استقامة الوزن دون علة أو زحاف .

---

(١) تاج العروس ، اللسان (رسل) ، الخصائص ٢/ ٤١٦ .
(٢) شرح ابن عقيل على الالفية ، وحاشية الخضرى على الشرح المذكور ٢/ ١٥٦ .
(٣) شرح أشعار الهذليين (فراج) مخطوط ٢٤٩ ـ ديوان الهذليين ٣/ ٧٨ ـ معجم ما استعجم ١/ ٤٢٤ .
(٤) ديوان الهذليين ١/ ١٢٢ ـ تاج العروس ، اللسان (حسر) .

وهكذا نرى فيما جاءنا من تراث الهذليين وأشعارهم مراوحة بين التذكير والتأنيث مع جمع التكسير • تلك الظاهرة التى قد نرى صورة منها عند غيرهم من أبناء العربية ، ونحس صداها فى قواعد النحاة التى ضمنوها كتبهم ، والتى كانت ــ كما نعلم ــ مترتبة على ما سبقها من جمع للشواهد العربية ،ومشافهة للأعراب فى بواديهم ، ولا شك أن من بين هؤلاء ، بل من أهمهم هذيل التى نجد علماء العربية يعتمدون عليها كثيرا فى إيراد شواهدهم • ولكن إلى جانب هذا الذى لمسناه قد رأينا أيضا أن الميل إلى التذكير فى هذا المجال واضح عند هؤلاء الهذليين •

وإذا كان هذا هو الشأن فى جمع التكسير ، فنحن لا نبعد كثيرا حين نلقى بالا إلى اسم الجنس الذى يفصل بينه وبين واحده بالتاء مثل نخلة ونخل ، ونعامة ونعام • فقد سبق أن رأينا ما رووا من اختلاف العرب فيه بين تذكير وتأنيث إذ نسبوا التأنيث فيه إلى الحجاز والتذكير لنجد وتميم[١] فما موقف هذيل فى هذا بين أولئك وهؤلاء ؟

يبدو أن الهذليين كانوا ينطقون أغلب مفردات هذا الجنس بصيغة التذكير، فشعرهم ناطق بهذا فى وضوح ، وإن كان النحاة واللغويون يسوقون بعض أبيات من الشعر الهذلى تشير الى تأنيث القليل من هذه الالفاظ "كالنحل" فقد روى مؤنثا فى بيت أبى ذؤيب :

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها   وحالفها فى بيت نوب عواسل[٢]

ومع هذا فرواية البيت فى ديوان الهذليين بلفظ " الدَّبْر " بدلا من النحل • وإن كان قد ورد النحل مؤنثا فعلا فى موضع آخر من الشعر الهذلى[٣].

ومن اسماء الاجناس التى ورد فيها التذكير " النخل " فى مثل قول أبى ذؤيب :

ياهَلْ أُريكَ حُمُولَ الحىِّ غَادِيَةً   كالنخل زينه ينع وإفضاح[٤]

---

(١) راجع أول صفحة من هذا الفصل (٢) ابن الأنبارى ،الأضداد ص ٨ ــ المخصص ٨/ ١٧٨ الإتقان ١/ ١٣٢ (٣) ديوان الهذليين ٢/ ١٦٦ •
(٤) ديوان الهذليين ،القسم الأول ص ٤٥ •

وإذا كان اللغويون والنحاة يروون "النخل زينها" بصيغة التأنيث في معرض الاستشهاد بالبيت على لفظ لغوي ، أو قاعدة نحوية ، فلعل هذا راجع إلى عدم اهتمامهم بالرواية الصحيحة للبيت ما دام يساير متطلبهم اللغوي [١] ، ومن عجب أن الزبيدي يتحدث في هذا الموطن عن النخل بصيغة التذكير فيقول : " أفضح النخل احمر واصفر " ثم يسوق البيت بصيغة التأنيث مخالفا بذلك روايته كما جاء في الديوان ، ومتعارضا مع منطق التذكير السابق عليه .

ويساند رواية هذا البيت في الديوان ما جاء من تذكير النخل في مواطن أخرى من شعر الهذليين أنفسهم ، فهذا أبو ذؤيب نفسه يقول [٢] :

كما زالَ نخلٌ بالعراقِ مُكَمَّمٌ ... أَمَرَّ لهُ من "ذي الفُراتِ" خَليجُ

ففي هذا البيت أكثر من شاهد على تذكيره ، فحين نسلم بأن تجريد الفعل معه من علامة التأنيث ليس دليلا قاطعا على التذكير ، نجد أن الوصف التابع له مذكر ، والضمير العائد عليه في "له" هو الآخر مذكر ، وهذا أمر قاطع تركن النفس إليه وترتاح له .

ثم إننا كثيرا ما نجد في شعرهم تذكير بعض أسماء الجنس غير ما ذكرنا مثل غاب ونعام وهضب وصفا وثمام : " غاب تشيمه ضرام مثقب " [٣] ، " يسمع بالنهى النعام الشوارد " [٤] ، " زف النعام إلى حفانه الروح " [٥] ، " فمشوا بآذان النعام المصلم " [٦] ، " الا النعام وحفانه " [٧] هضب الصفا المتزحلف الدلاص " [٨] ، " بثلاع تريم هامهم لم يقبر " [٩] ومثل هذا عندهم كثير .

---

(١) اللسان (حمل) ــ الصحاح تاج العروس (فضح) ــ شواهد كتاب سيبويه ص٢٣ (مجموعة)

(٢) ديوان الهذليين ١/٥٠

(٣) ديوان الهذليين ١/١٧٢ .

(٤) المرجع السابق ٢/٢٠٢

(٥) المرجع السابق ١/١٠٦ .

(٦) اللسان (مشش)

(٧) ديوان الهذليين ٢/١٩٦ ، اللسان (صفن ، لهق) ، الصحاح (حفف) .

(٨) ديوان الهذليين ٢/١٩١ ــ شرح أشعار الهذليين (فراج) ٢/٤٨٨ .

(٩) ديوان الهذليين ٢/١٠٢ .

ونظرا لان اللهجات العربية ممثلة فى الكتاب الكريم ، فإن اسم الجنس الذى هذا نوعه نجد فيه التذكير أحيانا ، والتأنيث أحيانا أخرى ، وقد ورد فيه لفظ البقر مذكرا فى قوله تعالى : " إن البقر تشابه علينا " (١)

ولكن لهجة التأنيث تبدو فى قراءة من قرءوا " ان البقر تشّابه " بلفظ المضارع مع تضعيف الشين أى تتشابه . وهنا نجد ابن مسعود يقروها " يشّابه " (٢) بياء المضارعة لا بالتاء أى بلفظ التذكير لا بالتأنيث وهذا يساند ما رأيناه فى الشعر الهذلى من الاتجاه الى التذكير الذى لمحناه فيما نحن بصدده .

---

(١) سورة البقرة ٢ آية ٧٠ . (٢) البحر المحيط ١/ ٢٥٤ .

الفصل الثانى

العدد: التثنية والجمع

الفصل الثاني
العدد (التثنية والجمع)

لم يرو — فيما نعلم — خلاف يذكر بين العرب فيما يتصل بتكوين المثنى ، وجمع الذكور العقلاء جمع مذكر سالما ، وذلك لأنهما مطردان لا شذوذ فيهما ، بل يسيران على نظام واحد ينضوي تحته أفراد كل من المجموعتين بصورة لا تكاد ترى فيها شيئا من الخلاف ، فالمفرد في كل منهما يضاف إليه زوائد معينة تجعل منه مثنى أو جمعا في شكل رتيب لا يتغير ولا يتحول .

إذن فالخلاف ، كل الخلاف ، إنما هو قائم في الجموع التي اصطلح علماء النحو واللغة على تسميتها بجموع التكسير ، فهي جموع شاذة في تكوينها ، وقد اختلف السماع — في كثير منها — بين قوم وقوم ، ومن قبيل إلى قبيل . وليس أغلب الضوابط التي وضعها النحاة بشأنها إلا ضوابط قصد من ورائها مجرد التيسير والتقريب ، ولهذا نجد كثيرا من الألفاظ المتشابهة أو المتماثلة في الوزن تخرج على ما تخضع له مثيلاتها من الكلمات ، ولعل في هذا مظهرا من مظاهر الحرية المطلقة التي وجد العرب فيها أنفسهم ، والتي كانت تتمثل في صعوبة خضوعهم ولا سيما البادون منهم ، لنظام معين رتيب في حياتهم ، ونزوعهم دائما إلى الانطلاق الذي ينعكس على نطقهم ، ويتراءى في اختلاف لهجاتهم . هذا إلى جانب الأثر الفعال للبيئات المختلفة التي يخضع لها العربي ، ويقع تحت سلطانها ، فتتأثر بها حياته ولهجته .

وإنا لنجد صورة من ذلك تنعكس على نظام هذا النوع من الجموع عند هذيل . فنجد بعضها متفقا مع الاتجاه العام الذي نقله إلينا علماء العربية بشأن هذه الجموع ، وبعضها يخرج على هذا النهج العام ، فينتحي ناحية أخرى تنفرد بها هذيل ، أو يشاركها فيها غيرها من القبائل المجاورة لها ، والتي تخضع معها لظروف ومؤثرات واحدة .

ومع هذا فهناك صورة أخرى من صور الخلاف تبدو في جمع المؤنث سواء كان بالألف والتاء ، وهو ما يسميه النحاة بجمع المؤنث السالم ، أو بصيغة أخرى غير صيغته ، وسنعرض لهذا الجمع بإيجاز ، ثم نشفعه بالحديث عن جموع التكسير .

(١)

جمـع المؤنـث

كثيرا ما يكون جمع المؤنث بالالف والتاء في نهايته مع المحافظة على بنيته ، وهو ما يسميه النحـاة جمع المؤنث السالم ، والى جانب ماغلب فيه استعمال هذا الجمع أصلا في اللغة ، نجده أيضا في غضون ماسماه النحاة جمعا للقلة من جموع التكسير فيما كان منتهيا بالتاء من أوزان الثلاثي ، وانما قد يجمع خصوصا إذا كان وصفا على وزن " فاعلة " بصيغة أخرى هي " فواعل " مثل شاعرة وشواعر ، وكافرة وكوافر ، وأمثلة " فواعل " هذه عند الهذليين كثيرة لاتحصى عدا[1]

غير أنه يبدو للوهلة الأولى أنه ليس في الأمر جديد مادام ذلك منتشرا في الأدب ، وفي اللغة العامة ، لاعند هذيل وحدها حتى إننا لنجد في القرآن الكريم : صواف ، وصافات ، ورواسي وراسيات ، كما نجد فيه كوافر ، وجوار وغواش وجواب ... ولكن الذي يلفت النظر هو كثرة وجود هذا الجمع في الشعر الهذلي بالصورة التي ألمحنا إليها ، بينما يقل الجمع في نظائرها بالالف والتاء عندهم إلى حد كبير .

فهل لظروف الوزن والقافية دخل في هذه المفاضلة ؟ أي أن القوالب الشعرية التي صبوا فيها اشعارهم ، والقوافي التي بنوا عليها قصائدهم أملت عليهم هذا الجمع الذي استقامت معه أوزانهم وقوافيهم في يسر لاتشوبه مشقة أو عنت ؟ الحق أن الضرورة هنا ليست بذات أثر كبير ؟ لأن المصادفة التي يمكن أن يقال إنها رجحت هذا الجانب ، كان من الممكن أيضا أن ترجح كفة الجانب الآخر ، أي الجمع بالألف والتاء في كثير من اوزانهم وقوافيهم . هذا إلى أن تحكم الوزن والقافية إذا جاز كثيرا على صغار الشعراء ، فمن الإجحاف أن نتهم كبارهم كأبي ذؤيب ، وساعدة ابن جؤية ، وأبي خراش ، وأبي كبير وغيرهم بأن قد كانوا عبيدا للوزن والقافية إلى الحد الذي يسوقنا إليه هذا الافتراض .

ومما يلفت النظر في هذا عدول الهذليين عن بعض ما آثرت الفصحى وآثر القرآن بعد جمعه بالألف والتاء " كالصافنات " فقلما وجدنا هذا اللفظ بهذا الجمع في شعرهم بينما كثيرا مانجد عندهم صوافن " في مثل قول أمية ابن أبي عائذ :

فظلت صوافن خوص العيون[2] . وقول ساعدة بن جؤية : ظلت صوافن بالأرزان طاوية[3] .

ومن امثلة ذلك عندهم جمع صالحة على "صواليح " في قول ساعدة بن جؤية :

مقت نساء بالحجاز صوالحا وأنا مقتنا كل سوداء عنكب[4] .

(١) ديوان الهذليين ١ / ١٢٢ ، ٢ / ١ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٤٥ ، ٩٨ ، ١٠٥ ، ١٦٧ . شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص٢٢٩ . (فراج) ١ / ٤٠ ، ٤٩١ . اللسان (رضع) تاج العروس (حسر ، حمر) . الشعر والشعراء ص٥٨ . (٢) ديوان الهذليين ٢ / ١٧٨ شرح اشعار الهذليين (فراج) ٢ / ٥٠١ . (٣) ديوان الهذليين ١ / ١٢٧ . الجمهرة (ج دم) تاج العروس (محق) اللسان (محق ، رزن) إصلاح المنطق ٣٠٩ . (٤) المحكم (عنكب) .

هذا وقد قرأ ابن مسعود قوله تعالى " فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله "[١] ، " فالصوالح قوانت حوافظ للغيب بما حفظ الله "[٢] ويؤيد أبو حيان نسبة هذه القراءة إلى ابن مسعود ، ثم يضيف إلى ذلك أنها وجدت هكذا في مصحفه[٣] .

وهكذا يمكن القول بالاتجاه إلى هذه الصيغة من صيغ الجمع ، وبروزها عند هذيل ، وإن كنا نجد ذلك بصورة ما — كما أشرنا — في الفصحى التي هي انطباع للهجة القرشية ، وما علقته من مختلف لهجات العربية ، ومن بينها أو من أهمها لهجة هذيل . ومع هذا فشيوع هذا الجمع (جمعا لفاعلة) في العربية عامة ، إنما هو مقصور على الأسماء ، أما الصفات فإنها — فيما أحسب — في هذيل أعم وأكثر .

وإذا كنا نجد هذا الجمع فاشيا في صيغة فاعل أو فاعلة وصفا للمؤنث فلقد نجده أيضا في صيغة فاعل وصفا للمذكر مثل " فارس وفوارس " عند الهذليين[٤] ، وغيرهم ، وإن كان قليلا كما قرر اللغويون والنحاة . ولكن يبدو أن هذيلا كانت أكثر اتجاها إلى هذا الجمع حتى في الحالة الأخيرة حتى أننا نجد في شعرها قوائد " جمعا لقائد ، وصفا للخيل في قول أسامة ابن الحارث :

فلاه عن الآلاف في كل مسكن إلى لحق الأوزار خيل قوائد[٥]

وإذا كان المألوف في جمع " غاز " ، " غزاة " ، فإنا نجده في بعض شعر الهذليين (غوازى) مثل قول ساعدة بن جؤية :

تقدم يوما في ثلاثة فتية بجرداء تصب للغوازي ثغورها[٦]

ثم إن كتب اللغة تحدثنا أن هذيلا تجمع العاجز من الرجال عواجز[٧] .

(١) سورة النساء آية ٣٤ (٢) ابن خالويه ، كتاب ليس ص٢٢ ، الكشاف ١/ ٣٩٥
(٣) البحر المحيط ٣/ ٢٤٠ (٤) أساس البلاغة (وصى) . (٥) ديوان الهذليين ٢/ ٢٠٣ (٦) المرجع السابق ٢/ ٢٠٥ (٧) تاج العروس(عجز) .

فاستنادا إلى هذه الرواية ، وإلى شعر الهذليين أنفسهم ، وقراءات ابن مسعود ومصحفه نستطيع القول بأن هذا الجمع قد احتل من اللهجة الهذلية مكانا مرموقا .

أما الجمع بالألف والتاء ، فقد وقع شئ من الخلاف فى بنيته وتكوينه من حيث تحريك بعض حروفه أو تسكينها دون مساس بالاتجاه العام فى هذا التكوين (وهذا الخلاف فى حقيقته خلاف صوتى وقع فى بعض الحركات) .

فقد ذكر اللغويون والنحاة أن ما كان من الأسماء الثلاثية المؤنثة على وزن فعْلة صحيح العين مثل زفرة ، وسجدة ، ولجنة وجفنة ، فإن عينه تفتح فى الجمع ، فتقول زفرات وسجدات ولجنات وجفنات (١) ولكنها يمتنع تحريكها ، ويلزم تسكينها إذا ما كانت حرف علة (واوا أكان أو ياء) مثل "بيضة ، وبيعة ، وجوزة ، وعورة ، وروضة " فإن المشهور فى جمعها "بيْضات ، وبيْعات ، وجوْزات ، وعوْرات ، وروْضات " (٢) وقد قرأ جمهور القراء "ثلاث عورات لكم (٣) بسكون الواو (٤) ، ويذكر أبو حيان أنها لغة أكثر العرب لا يحركون الواو والياء فى مثل هذا الجمع (٥) .

ولكن هؤلاء اللغويين والنحاة ينسبون فتح العين فى هذا إلى هذيل وقد استفاض هذا فى كتب اللغة والنحو والقراءات (٦) ، وبهذه اللهجة قرأ ابن أبى إسحاق الحضرمى ، والأعمش من تلاميذ ابن مسعود بالكوفة "ثلاث عوَرات لكم " (٧) بفتح الواو بدلا من سكونها " (٨) .

ويسوق النحاة واللغويون شاهدا لهذه اللهجة ينسبونه إلى هذيل هو قول شاعرهم :

---

(١) شرح المفصل ٥/٣٠ ـ البحر المحيط ٧/٥١٥ . (٢) تاج العروس (عور) ـ المصباح (بيض ، بيع) ـ المحتسب ١/٤٠ ـ البحر المحيط ٧/٥١٥ .

(٣) سورة النور ٢٤ آية ٥٨ . (٤) البحر المحيط ٦/٤٤٩ . (٥) المرجع السابق والصفحة السابقة .

(٦) البحر المحيط ٦/٤٤٩ ، ٤٧٢ ـ ٧/٥١٥ ـ السيوطى ، البهجة ص١٢٨ ـ المبرد ، المقتضب ص٤٧٢ ـ تاج العروس ، اللسان (عير) ، المصباح (عور) الارتشاف ص٢٣٦ ـ التسهيل ص٦ بيع ، روض) . شرح المفصل ٥/٥٠ ، المخصص ٧/٣١ ، شرح الشافية ٢/١٠٩ وما بعدها ـ شرح الكافية ٢/١٨٦ . مميزات لغات العرب ص٢٩ ـ حمودة ، القراءات واللهجات ص١٢٥ .

(٧) سورة النور ٢٤ آية ٥٨ .

(٨) مختصر شواذ القرآن ص١٠٣ ـ البحر المحيط ٦/٤٤٩ . شرح المفصل ٥/٣٠ ـ التصريح على التوضيح ٢/٣٠١ ـ الصبان على الأشمونى ٤/٧٥ ـ الخضرى على ابن عقيل ٢/١٥٢ .

أخو بيضات رائح متأوب — رفيق بمسح المنكبين سبوح (١)

وهذا الشاهد — وإن كان متواترا عند اللغويين فى كتبهم ومعاجمهم — لم أعثر عليه فيما بين أيدينا من دواوين شعر هذيل ، وهو الشاهد الوحيد الذى يستندون إليه ويتواردون جميعهم عليه ، ومع هذا فثمة بيت لشاعر هذلى هو أبو صخر لم يخرج عن مألوف الناس فيه . وذلك قوله :

أرادَ الشيبُ مِنِّى خَبْلَ نفسى — لأَنسَى ذكرَ بيضاتِ الحِجَالِ

ولا شك أن وجود هذا الشاهد المعارض يضعف من قوة استدلال اللغويين والنحاة بالشاهد الآخر إلى حد كبير ، خصوصا وأن الشاهد الأول شاهد لغوى لانكاد نعثر عليه فى أدب الهذليين وشعرهم ، ولا يعرف على وجه التحديد ، قائله ، أما الثانى ، فقد روى فى شرح أشعار الهذليين للسكرى منسوبا لصاحبه . (٢)

فنحن إذن بين أمرين اثنين ، إما أن نهدم هذه الفكرة من أساسها مفترضين أنها قامت على وهم تناقلوه ففشا فيهم ، وبنوا عليه حكما خاطئا لا أساس له ، أو نحسن الظن بهذا الإجماع أو ما يشبه الإجماع عند هؤلاء اللغويين والنحاة ، فلا نمارى فى صحة هذا البيت ، ونسبته إلى هذيل احتمالا لسقوطه من دواوينهم ، وعدم تنبه رواة الشعر الهذلى وجامعيه إلى ذلك . وقد يسعفنا فى هذا قصيدة لأبى ذؤيب من نفس البحر والقافية ، مطلعها :

إنى لعمرك يوم أنظر صاحبى — على أن أراه قافلا لشحيح (٣)

فيحتمل سقوط هذا البيت منها ، مع وجود إقواء فى القافية لم يسلم منه أبو ذؤيب فى هذه القصيدة ، ولا فى غيرها ، بل لم يأبه به فحول الشعراء فى العصر الجاهلى .

ولكن يبقى أمامنا شىء آخر ، هو وقوف هذين البيتين متعارضين وجها لوجه فى تراثنا الأدبى واللغوى ، فهل نحاول الوصول إلى وجه الحق فى الموضوع ،

---

(١) الخصائص ١٨٤/٣ — الارتشاف ص ٢٣٦ — المحتسب ٣٦/١ ، ٤٠ — شرح الشافية ١١١/٢

(٢) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ٩٦٢/٢

(٣) ديوان الهذليين ١١٤/١

فنقول بوجود ضرورة شعرية فى أحد هذين اللفظين ، ونفسح المجال للفظ الآخر؟ إننا حين نفعل ذلك : إما أن نعتبر الأصل بيْضات بالتسكين ، وبيَضات بالتحريك ضرورة شعرية ، وبهذا نهدم رأى النحويين من هذا الجانب أيضا ، وإما أن نعتبر بيضات هى الأصل عند الهذليين وأن استدلال اللغويين أصاب المحز ، وأن بيضات بالتسكين ضرورة لجأ إليها أبو صخر فخرج بها على الأصل عند قومه من هذيل . أو أنه علق هذا اللفظ هو وبعض قومه من جيرانهم يتسمون بالتسكين فيه كالحضريين من الحجازيين .

كل هذه احتمالات تفرض نفسها على الباحث أو الدارس، ولابد له من أن ينتهى فيها إلى رأى ولو على سبيل الترجيح فى ضوء ما عرضنا

والحق أنه يمكن الوصول إلى رأى فى الموضوع على أساس فكرة التوسط بين البدو الموغلين فى البداوة وبين الحضر ، تلك الظاهرة التى لمسناها فى هذيل ، ووجدنا صداها فى بعض مظاهر حياتها ولهجتها ، فلعل هذه الظاهرة موجودة بوضوح فى البدو الموغلين فى بداوتهم وسط الجزيرة العربية ، وهناك أثارة منها تبدو فى هذيل المجاورة لهم والتى تشاركهم بعض سماتهم ، ولكنها من جهة أخرى تجاور الحضر فتأخذ بعض خصائصهم ولهذا فاللغويون الذين ينسبون هذه الظاهرة إلى هذيل وحدها باعتبارها ظاهرة بارزة فيها دون غيرها [٢] يجافون الواقع خصوصا بعد أن رأينا ما فى ذلك من ضعف ، وبعد أن نرى أن بعضهم نسبها فعلا إلى تميم [٣] ، أو إلى المجموعة الشرقية من قبائل شبه الجزيرة العربية ، وقد جمع بعض المحدثين بين الروايتين فذكر أنها لهجة هذيل ، وبنى تميم [٤] .

ويبدو أن الطور الأول من أطوار النطق فى هذا الجمع كان فتح عينه صحيحة كانت أو معتلة ، ثم قوَّ أهل الحضر بعد هذا إلى التسكين فى المعتل

---

(١) ديوان الهذليين ، القسم الأول ١ / ١١٤ . (٢) انظر الحواشى ص ١٦٢ من هذا البحث
(٣) مختصر شواذ القرآن ص ١٠٣ . (٤) القراءات واللهجات ص ١٢٥ .

مسايرة لناموس التطور الذى خضع له هؤلاء الحضريون من الحجازيين ، أما غيرهم من البدو فى وسط الجزيرة فقد استجابوا لقانون الانسجام الذى تحقق لهم بالبقاء على التحريك ، كما أشار إلى ذلك القدامى أنفسهم حين قالوا إن الإتباع لغة هذيل ، والإسكان لغة غيرهم[١] . هذا إلى أن تحريك الواو والياء أظهر فى النطق من تسكينهما ، وهو أنسب شىء بالقياس إلى هذه البيئة البدوية .

وإذا كان قد روى عن ابن عباس شىء من ذلك حين نسب إليه فتح الواو فى عوَرات[٢] ، فإن هذه الرواية موضع نظر ، وأغلب الظن أن راويها واهم ، قد اختلط عليه الأمر بين عورات وعيرات ، فالأخيرة هى التى وردت فى حديث ابن عباس : " أجاز لها العيرات " جمع عير[٣] ، وقد ذكر اللغويون أن صيغة الجمع فى هذا اللفظ الأخير هى هكذا عند أكثر القبائل العربية ، وأنها وإن كانت لهجة هذيل ، فإن غيرهم من العرب نطق بها حتى أن سيبويه قال إنهم أجمعوا فيها على لغة هذيل[٤] ، والواقع أن وجود هذا اللفظ هكذا عند كثير من العرب من بدو وحضر ليؤكد ما ذهبنا إليه من أن الطور الأول فى هذا الجمع كان فتح عينه عند العرب ثم نزع الحضريون إلى الإسكان ، وأن هذا اللفظ من الألفاظ القليلة أو النادرة التى لم يلحقها التطور المذكور . فيذكر اللغويون أن التسكين فيها قليل[٥] أى أن السائد فيها هو الفتح ، ومنه الحديث الذى رواه صاحب النهاية " إنهم كانوا يترصدون عيرات قريش "[٦] ، أى إبلهم ودوابهم التى يتاجرون عليها . وكذلك حديث ابن عباس الذى سبقت إليه الإشارة .

ويذهب المبرد والزجاج إلى أن صيغة هذا الجمع (عيرات) بفتح العين لا بكسرها[٧] ، وهما فى هذا يريدان أن يتلاءما مع الاتجاه العام من وجهود

---

(١) الصبان على الأشمونى ٤/ ٧٥ ــ الخضرى على ابن عقيل ٢/ ١٥٢ .
(٢) البحر المحيط ٦/ ٤٤٩ . (٣) ابن الأثير ، النهاية ٣/ ١٤٣ .
(٤) المصباح (عور) ــ اللسان (عير) ــ التسهيل ص ٦ ــ المخصص ٧/ ١٣١ ــ الكتاب ٢/ ١٩٧ . النهاية ٣/ ١٤٣ . (٥) المخصص ٧/ ١٣١ . (٦) ابن الأثير ، النهاية ٣/ ١٤٣ .
(٧) الصبان على الأشمونى ٤/ ٧٦ .

الإتباع فى جمع أمثال هذه الألفاظ عند من يجمعونها كذلك ، أى أن قولهما هذا ربما كان من وحى ما رأياه فى جمع هذه الأسماء المعتلة العين مثل : بيضات وروضات وجوزات ، وغيرها مما سبقت إليه الإشارة . ولكنهما — فى الحق — لم يتنبها إلى أن هذه الأسماء هى نفسها مفتوحة الفاء فى روضة وبيضة وجوزة وأمثالها ، ولكنها مكسورتها فى نحو عير ، فلا يستقيم لهما مع هذا قياس .

(٢)

جمـــوع التكسيـــر

يذكر اللغويون والنحاة كثيرا من صيغ الجموع فى هذا النوع من الجمع فقد رووا لكل وزن من أوزان الثلاثى أو غيره صيغا مختلفة وصفوا بعضها بأنه من جموع القلة ، وبعضها الآخر بأنه من جموع الكثرة ، وسنشير إلى هذه الصيغ المختلفة ، وموقف هذيل منها وفاقا أو خلافا لتستبين لنا بعض الملاحظات على اللغة الهذلية فى هذا الموضوع على ضوء ما وصلنا عن جموع التكسير فى العربية مذكورا فى بطون الكتب وأمهات المراجع .

الثلاثـــى

وزن فَعْل : يذكر النحاة أن هذا الوزن جمعه فى القلة على " أَفْعُل " مثل " كلب وأكلب " ، " وكعب وأكعب " ، وأنه قد شذ عن العرب تكسيرهم إياه على أفعال " نحو " فرخ وأفراخ " ، ورأد وآراد " (والرأد أصل اللحيين) [(١)] ، وهذه الصيغة الأولى نجدها عند هذيل كما نجدها فى الفصحى ، ومن أمثلتها : " وجه وأوجه " فى شعر أبى ذؤيب [(٢)] . وسهم وأسهم ، وركب وأركب " فى شعر ساعدة ابن جؤية [(٣)] .

---

(١) شرح المفصل ٥/١٦ — المقتضب ص ٢٧٤ .

(٢) ديوان الهذليين : القسم الأول ص ١١٥ .

(٣) المرجع السابق ١/١٧٣ ، ٢/٢١٢ .

ولكنا نجد هاتين الصيغتين معا في قول مالك بن خالد الخناعي :

من فوقه أنسر سود وأغربة ودونه أعنز كلف وأتياس (١)

فإن فيه جمع نسر على أنسر ، وعنز على أعنز ، ولكن فيه أيضا جمع تيس على أتياس ، وهذه الصيغة الأخيرة التي وصفوها بالشذوذ نجدها في شعر كثير من الهذليين الآخرين (٢) ، وقد يتبادر إلى الذهن أن هناك تناقضا ملحوظا في وجود هاتين الصيغتين جنبا إلى جنب عند هؤلاء الهذليين ، وفي شعر شاعر واحد من شعرائهم أحيانا ، ولكنا مع إمعان النظر وطول الأناة نرى أنه ليس في الأمر تعارض أو تناقض ، وإنما لكل من هاتين الصيغتين - في الغالب - ميدانها الذي تختص به ، ولا تكاد تنازعها فيه أختها ، فبينا نجد أن صيغة أفعل تكون في جمع الأسماء الصحيحة مثل شهر وأشهر ، نجد أن صيغة " أفعال " تكون في الأسماء التي في وسطها أو في آخرها حرف علة (vowel) ، وذلك في مثل جمع ناب على أنياب ، وروح على أرواح ، وعام على أعوام في شعر أبي صخر وأبي ذؤيب (٣) .

وكذلك في الأسماء التي يكون وسطها أو آخرها واو أو ياء ساكنة وذلك مثل طود وأطواد ، وطور وأطوار ، وفيء وأفياء ، وريد وأرياد في شعر أبي صخر (٤) ولود وألواد ويوم وأيام في شعر أمية بن أبي عائذ (٥) وضيف على أضياف في شعر أبي العيال (٦) وأبي خراش (٧) وسيف وأسياف في شعر عبد مناف بن ربع (٨) ، وغير ذلك في شعر الهذليين كثير (٩) .

وهكذا نرى أن صيغة " أفعال " جمعا " لفعل " ذائعة في شعر الهذليين ذيوعا كبيرا ، ولكنها ليست غريبة على الفصحى ، بل هي مألوفة في الاستعمال اللغوي العام .

---

(١) ديوان الهذليين ٣/٢ - اللسان (تيس) . (٢) ديوان الهذليين ١/١٤١ - ٢/٤٠ ، ٤٨ ، ١٤٨ - ٣/٤٦ شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ٢/٩٤١ ، ٩٤٢ معجم البدان ٣/١٢٤ . (٣) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ٢/٩٥٤ ، ٩٦٤ - ديوان الهذليين ١/٧١ . (٤) " فراج " ٢/٩٢٧ ، ٩٢٩ ، ٩٤١ - معجم البلدان ٦/٤٠٤ . (٥) ديوان الهذليين ٢/١٧٤ ، ١٨٨ . (٦) ديوان الهذليين ٢/٢٤٤ . (٧) ديوان الهذليين ٢/١٤٨ . (٨) ديوان الهذليين ٢/٤٨ . (٩) شرح أشعار الهذليين (فراج) ١/٢٢٦ ، ٤٣٩ .

ومع هذا فقد نجد عند الهذليين خروجا قليلا على ذلك الاطراد ، فإنا نرى عندهم — كما نرى أيضا فى الاستعمال اللغوى المألوف — جمع فَعْل غير معتل على أفعال ، مثل ألف وآلاف[١] ، وخرت وأخرات[٢] . ولكنا بالنظر فى هذه الأسماء نجد فاءها فى الغالب حرفا حلقيا ، فلعل هذا كان صنيعهم فى بعض ما كان من هذا الوزن مبدوءا بحرف من حروف الحلق . وما دمنا قد رأينا كثرة ورود "أفعال" فى جمع فعل فيما اعتبره النحاة جمعا للقلة ، فليس ثمت محل لاعتباره شاذا فى اللغة[٣] ، وكل ما هنالك أنه استعمل غالبا فيما كان وسطه أو آخره حرف علة ، أو واوا ساكنة أو ياء ساكنة كما مر بنا ، وقلما خرج عن هذا الاعتبار .

وإذا كان من بين الصيغ التى قال النحاة واللغويون بشذوذها جمع فَعْل على أفعال فى القلة مثل "زند" على "أزناد"[٤] فإنا نجد أن الهذليين قد تخطوا ذلك إلى "آزاند" التى نجدها فى قول أبى ذؤيب : "كعالية الخطين وارى الأزاند"[٥] وأحسب أن هذا ليس من قبيل الضرورة يرتكبها الشاعر لتحقيق وزن أو قافية ، فهو أبعد من أن يدخل فى باب الضرورة الشعرية ولا سيما عند مثل أبى ذؤيب . ونظير هذا جمع "قوم" على "أقاوم" لا على "أقوام" فى قول أبى صخر "لا يغدرك فيه الأقاوم"[٦] و "قول" على "أقاول" ، فى قول أبى صخر أيضا "بعداوة ظهرت وزغر أقاول"[٧] .

ولا يبعد عن هذا كثيرا ما نجده فى أهاضب جمع هضْبة (أو لعلها جمع هضب قياسا على "زند" التى أشرنا إليها) ، وذلك فى قول عبد مناف ابن ربع الهذلى :

لعمرو أبى عمرو لقد ساقه المنا إلى جدث يوزى له بالأهاضب[٨]

---

(١) ديوان الهذليين ٢/ ٢٠٣ . (٢) المرجع السابق ٢/ ٣٣ .
(٣) شرح المفصل ٥/ ١٦ . (٤) شرح المفصل ٥/ ١٦ . (٥) تاج العروس (زند) ديوان الهذليين ١/ ١٢١ — اللسان (علا) . (٦) اللسان (قوم) .
(٧) أبوعمرو الشيبانى ، الجيم مجلد ٢/ ١٢٠ . معجم البلدان ٤/ ٢٩٣ .
(٨) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص ٦ . ديوان الهذليين ٢/ ٥١ — معجم البلدان ٦/ ١٥٩ .

وفى قول أبى صخر الهذلى :

فألحقن محبوكا كأن نشاصه   مناكب من عسروان بيض الأهاضب(١)

وقول حذيفة بن أنس :

وخلتم قتال القوم بضع مدامة   إذا أخرجوها من صدوع الأهاضب(٢)

وقد كان يصح أن يقال إن " أهاضب " ليست جمع هضبة ، وإنما هى جمع " أهضوبة " وهذا الجمع فى أصله " أهاضيب " مثل " أكذوبة وأكاذيب " ثم إنه تحت تأثير الضرورة صارت هكذا " أهاضب " ، أو أنها صارت لهجة ، ولكن لعل مما لا يساعد على هذا أن المعاجم لم تستعمل " أهضوبة " فى المعنى الذى نحن بصدده . هذا ويصرح صاحب اللسان أن هذا اللفظ جمع لهضبة(٣) ، كما يقرر السكرى ذلك فى شرحه لأشعار الهذليين(٤). ولعل الشأن فى هذه الصيغة الغريبة من صيغ الجمع ليس شأن الهذليين وحدهم وإنما يشاركهم فيها بعض جيرانهم مثل فهم وعدوان وغيرهما ، فهذا أبوعامر ابن الأخنس الفهمى يقول :

أقاوم لا يعدو عن الظل غيرهم   فذو البث فيهم والفقير مدعدع(٥)

وإذا كانت هذه الصيغة قد رأيناها غريبة غير معروفة فى مألوف اللغة فقد نجدها تمتد أحيانا فتشمل بعض الجموع الأخرى التى لا مفرد لها من لفظها مثل " أغنام " التى نجدها أحيانا " أغانم " عندهم ، وذلك فى قول أبى جندب الهذلى :

" أجمع منهم جاملا وأغانما "(٦)

ويحتمل أن تكون " أغانم " هذه " أغانيم " كما يرى ابن سيده فيما ينقل عنه صاحب اللسان ، وأن فيها حذفا ، كما يحتمل أن تكون كما هى دون حذف ، كما يرى ابن منظور نفسه(٧).

---

(١) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ٢/ ٩١٩ ـ معجم البلدان ٦/ ١٥٩ ،
(٢) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص٢٥٥ . (٣) اللسان (هضب) .
(٤) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص٢٢٦ . (٥) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ٢/ ٨٠٦ . (٦) ديوان الهذليين ٣/ ٨٩ ـ معجم ما استعجم ٢/ ٤٤٩ . (٧) اللسان (غنم) .

هذا هو شأن جمع القلة فى وزن "فعل" أما جمع الكثرة فيه، فقد ذكروا أنه يجيء على "فعال"، "وفعول" نحو كلب وكلاب وفلس وفلوس[(١)]. وصيغة فعول تلك التى ذكروها نجدها عند الهذليين كثيرا مثل كشح وكشوح[(٢)]، وسعد وسعود[(٣)]، وسفر (بطن الوادى) وسفور[(٤)]، وريد وريود[(٥)]، (والريد الحرف الناتيء من الجبل). وغير هذا كثيرا لا يقع تحت حصر، وقد ورد على لسان ابن مسعود فى هذا الجمع "خلوف" فى قوله "ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف"[(٦)]، وقد تضاف التاء إلى بعض ألفاظ هذا الجمع كقول ابن مسعود: "... إلا امرأة قد يئست من البعولة"[(٧)] فى جمع بعل.

أما الصيغة الأخرى التى يجمع فيها "فعل" على "فعال" فهى الأخرى أيضا كثيرة عند هذيل وغير هذيل، ومن أمثلتها فى شعر الهذليين: جمع جحش على جحاش فى قول أبى كبير "فاهتجن من فزع وطار جحاشها"[(٨)] ورهب على رهاب فى قول أبى ذؤيب "بيض رهاب ريشهن مقزع"[(٩)]، ومن ذلك أيضا دحل ودحال (الدحل هوة من الأرض فيها ضيق)، وهجل وهجال (الهجل ما اطمأن من الأرض)، ونجل ونجال (النجل النز يستخرج من البئر) وذلك فى شعر أمية ابن أبى عائذ[(١٠)]، وشعر عمرو ذى الكلب الهذلى[(١١)].

ولكنا قد نجد شيئا من الشذوذ أو الخروج عن مألوف ما عرفناه فى هذه الصيغة أيضا عند الهذليين فى أشعارهم، فقد يجمع عندهم "فَعْل" على فِعَل مثل حيد وحيد (والحيد كل نتوء فى قرن أو جبل)[(١٢)]، وذلك فى قول صخر الغى:

على سها طول الحيلة فقرنه ... له حيدا أشرافها كالرواجب[(١٣)]

وعلى "فُعُل" مثل "شَحْل وشُحُل" فى قول المتنخل: كالشحل البيض جلا لونها ×...[(١٤)] وقد أشار إلى هذا صاحب المخصص[(١٥)]

(١) شرح المفصل ٥/ ١٤. (٢) ديوان الهذليين ١/ ١٢١ ـ اللسان (علا).
(٣) شرح أشعار الهذليين (فراج) ٢/ ٩٧٦. (٤) المرجع السابق ٢/ ٩٤٩.
(٥) ديوان الهذليين ٢/ ١٠٨. (٦) ابن الأثير، النهاية ١/ ٣٤٩.
(٧) اللسان (نقل). (٨) ديوان الهذليين ٢/ ١١٥. (٩) المرجع السابق ١/ ١٤ ـ شرح أشعار الهذليين (فراج) ١/ ٣١. (١٠) شرح أشعار الهذليين (فراج) ٢/ ٤٩٩ ـ ديوان الهذليين ٢ ص ١٧٩ وما بعدها.
(١١) معجم البلدان (ضريحة) ٥/ ٤٣١. (١٢) اللسان (فرنس) الكتاب ٢/ ١٤٣ القاموس (حيد) ـ العباب الزاخر ١٨٣. (١٣) ديوان الهذليين ٢/ ٥٢.
(١٤) ديوان الهذليين ٢/ ١، المخصص ١٤/ ١١٤.
(١٥) المرجع السابق (الصفحة نفسها).

وعلى "فَعّل" مثل سخْل وسخّل (والسخل الضعيف) [١] في قول أبي كبير :

فلقد جمعت من الصحاب سرية ... خذبا لذات غيمر وخش سخل [٢]

وزن فَعَل :

إذا كان الاتجاه العام في جمع المفرد الثلاثي الذي على وزن "فَعَل" أن يكون على وزن "أفعال" [٣] ، وذلك فيما عدّه النحاة من جموع القلة فإنا نجد ذلك شائعا في شعر هذيل [٤] كجمل وأجمال ، نسى وأنساء ، وشز وأوشاز ، وغير هذا كثير . وإن كنا نجد أن صيغة هذا الجمع تأتى عندهم في أحيان قليلة على وزن "أفْعُل" كما في شعر خويلد أبو معقل :

إلى معشر لا يختنون نساءهم ... وأكل الجراد فيهم غيرا أفنُد [٥]

وشعر صخر الغي :

أصخر بن عبد الله هل ينفعننى ... إليك ارتجاعى أفنُدى وتسلى [٦]

فلفظ "أفنُد" في كلا البيتين مفرده "فنَد" وهو الحمق .

ونجد في كتب النحو أمثلة لهذا الجمع كأجبل وأزمن ، ومنه في شعر هذيل قول جنوب ترثى أخاهما عمرا :

أتيح له نمرا أجبل ... فنالا لعمرك منه مفالا [٧]

ويذكر الجوهرى من أمثلة هذا الجمع "جدث وأجدث" مستشهدا ببيت المتنخل الهذلى :

عرفت بأجدث فنعاف عرق ... علامات كتحبير النماط [٨]

والحق أن الجوهرى وأهم في هذا الاستشهاد الذى يوحى بأن لفظ أجدث في البيت جمع جدث والواقع غير هذا ، فأجدث اسم موضع قد يستأنس به من بعيد على وجود ذلك الجمع ، ولكنه – مع هذا – اسم مكان لا ينبغى أن يعمد إليه قاصدا الاستشهاد به .

---

(١) القاموس (سخل) (٢) ديوان الهذليين ٢/٩٠ (٣) المبرد : المقتضب ص٤٧٨ – شرح المفصل ٥/١٤ (٤) شرح أشعار الهذليين (فراج) ١/٣٥ ، ٦٣ ، ١٤٠ ... ٢/٥٣٨ ... ديوان الهذليين ١/٥١ ، ١٢٨ ، ... ، ٢ ، ٩ ، ٦ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ... ٣/٧٩ (٥) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص١١٥ – (تحقيق فراج) ١/٣٨٧ (٦) المقتضب ص٤٧٨ (٧) شرح أشعار الهذليين (فراج) ٢/٥٨٣ – ديوان الهذليين ٣/١٢١ (٨) ديوان الهذليين ٢/١٨ الصحاح (جدث)

هذا هو شأن جمع القلة في وزن (فَعَل)، أما جمع الكثرة فيه فانه قد جاء في كتب النحو على (فِعال وفُعول) كجمال وأُسود[١] وألفاظ الجمع في هاتين الصيغتين شأنها شأن غيرها معظمها سائد في اللغة عامة لا عند هذيل خاصة، ومن أمثلتها في شعر هذيل : نماط في جمع نمط[٢]، ونقال في جمع نقل[٣]، "وأسود في جمع أسد"[٤]. ولكننا نجد أن من العرب من يجمع أسد على "أُسْد" ووثن على "وُثْن" أو "أُثن" بإبدال الواو المضمومة همزة، ولذلك فإن قوله تعالى : "إن يدعون من دونه إلا إناثا"[٥] قرئ "إلا أُثنا"[٦] ويبدو أن هذا من نمط هذيل أحيانا في ذلك الوزن من أوزان الثلاثي، فقد جاء في شعرهم كثيرا مثل قول أبي ذؤيب : ألفيت أغلب من أسد المسد[٧] : "كأن محرّبا من أُسْد ترج"[٨]. وقول البريق : "وما إن شابك من أسد ترج"[٩] ... وقول ساعدة بن جؤية : "فما خادر من أسد حلية جنه × ..."[١٠] ومثل هذا في شعرهم كثير.

ومن ذلك أيضا جمع خشب على خُشْب في قول مالك بن خالد الخناعي :

"بذات اللظى خشب تجر إلى خشب"[١١]

وجمع ولد على وُلْد في شعر البريق الهذلي[١٢]، وفي مواطن كثيرة من الشعر الهذلي . وبهذا قرأ حمزة والكسائي من تلاميذ ابن مسعود : "مالا وولدا"[١٣]، "قل إن كان للرحمن وُلْد"[١٤]

---

(١) شرح المفصل ٥/ ١٧ ــ المقتضب ٤٧٨ . (٢) شرح أشعار الهذليين (فراج) ٢/ ٤٩ ــ اللسان (نمط) . (٣) شرح أشعار الهذليين (فراج) ــ تاج العروس نقل . (٤) ديوان الهذليين ٣/ ٧٤ ١٠٩ ــ شرح أشعار الهذليين (فراج) ١/ ٣٣٦ . (٥) سورة النساء ٤ آية ١١٧ . (٦) الكشاف ١/ ٢٢٩ .
(٧) ديوان الهذليين ١/ ١١٠ . الاقتضاب ٤٠١ . العباب الزاخر (سدد) .
(٨) ديوان الهذليين ١/ ٩٧ . أساس البلاغة (قبب) . تاج العروس (حرب)
(٩) ديوان الهذليين ٣/ ٦٣ ــ اللسان (شبك) . (١٠) ديوان الهذليين ١/ ٢٣٨
(١١) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ١٦١ ــ ديوان الهذليين ٣/ ١٦ .
(١٢) شرح أشعار الهذليين (فراج) ٢/ ٧٥٤ ــ البقية ص٢٣ ــ ديوان الهذليين ٢/ ١٢٣ ــ الشيباني ــ الجيم ص٢٢٥ . (١٣) البيضاوي ٣/ ١٦٧ .
(١٤) المرجع السابق ٤/ ١٣٤ .

ولهذا يمكن القول بأن ذلك من نهج هذيل أحيانا فى هذا الوزن من أوزان الاسم الثلاثى ، ومن ذلك ما يذكره بعض المراجع أن هذيلا وبعض جيرانها من خزاعة وكنانة يجمعون عسلا على " عُسْل " (١) ، وقد رويت هكذا فى شعر هذيل (٢) .

وزن فَعِل :

يذكر النحاة أن هذا الوزن يجمع على أفعال مثل كبد وأكباد (وهى إحدى صيغ جموع القلة التى مرت بنا) ، وأنهم لا يكادون يتجاوزون هذه الصيغة إلى صيغ جموع الكثرة ، فقلما نجد فى جمعه " فُعُول " مثل "نمر ونمور " (٣) .

ومن أمثلة هذا الجمع فى الشعر الهذلى : عقب وأعقاب فى شعر ساعدة بن جؤية (٤) ووعل وأوعال فى شعره أيضا (٥) ، وكبد وأكباد فى شعر أبى ذؤيب (٦) ورحم وأرحام فى شعر عبد مناف بن ربع (٧) .

أما صيغة فعول تلك الصيغة النادرة فى هذا الوزن فإننا نجدها عند الهذليين فى شعر أبى ذؤيب وساعدة بن جؤية (٨) وغيرهما من شعراء هذيل .

ومع هذا فهناك – عند الهذليين – ما هو أشد ندرة من الصيغة السابقة وهو جمع نمر على " نُمُر " (ولعلها وأنها صيغة أصلية هى " فُعُل " فى جمع " فَعِل " كما وجدناها فى جمع " فَعَل " وقد مرت بنا ، وهذه الصيغة نجدها فى قول أبى جندب الهذلى : " لبسنا للكماة جلود نُمُر " (٩) .

فالشعر الهذلى يكاد يتسق مع خلاف يسير – مع ما جاء عن جموع التكسير خاصا بهذا الوزن من أوزان الثلاثى ، ولعل مرد هذا أن هذا الوزن ضيق محدود ولهذا لم يوجد فيه للخلاف مجال يذكر .

---

(١) معجم البلدان (عرام) ١٥٧/٦ – Rabin: Ancient west Arabia, 79

(٢) شرح أشعار الهذليين (قراج) ١٤٩/١ (٣) شرح المفصل ١٨/٥

(٤) ديوان الهذليين ٢٤٣/١ ، أساس البلاغة واللسان (ج ذ م)

(٥) ديوان الهذليين ١٩٣/١ (٦) ديوان الهذليين ٦٧/١ ، اللسان (عكف ، شفف)

(٧) ديوان الهذليين ٤٦/٢ (٨) ديوان الهذليين ٢١٨/١ ، ١٧٦/٢

(٩) سمط اللآلى ٧٩٩/٢

وزن فَعُل

يذكر النحاة أن جمعه يأتي على أَفعال ، مثل عجز وأعجاز ، وعضد وأعضاد ، وقالوا إن العرب لم يتجاوزوه إلى غيره ، فاقتصروا فيه على أدنى العدد لقلته ، وإن كانوا قد قالوا " رجل ورجال " وسبع وسباع " وهذا قليل[١] .

وقد جاء على الصيغة الأولى عند الهذليين " عضد وأعضاد " في شعر ساعدة بن جؤية[٢] وغيره من شعراء هذيل . أما الصيغة الثانية الموسومة بقلتها ، فمنها في شعر الهذليين : (رجل ورجال)[٣] سبع وسباع[٤] وضبع وضباع[٥] . ولكن ورد في شعر الهذليين صيغة نادرة في جمع ضبع على ضُبْع في قول حبيب الأعلم :

فأكون صيدهم بهـا وأصير للضبع السواغب[٦]

وقوله : تراها الضبع أعظمهن رأسا جراهمة لها حرة وثيل[٧]

ويحتمل أن تكون "ضُبع على فُعُل" ، وسكن لضرورة الوزن ، وسواء كان هذا أو ذاك فهي صيغة نادرة .

وقد وردت في شعر الهذليين صيغة أخرى يمكن اعتبارها إحدى الصيغ النادرة في هذا الجمع ، تلك هي صيغة " أفاعل " فقد جاء في شعرهم " أراجل " على لسان أبي ذؤيب :

أهم بنيه صيفهم وشتاؤهم وقالوا تعد واغزو وسط الأراجل[٨]

وقد رووه أيضا على لسان شاعر آخر هو سلمى بن المقعد الهذلي[٩] .

ويذكر بعض علماء اللغة أن هذا الجمع هو جمع " رجل " ويستشهدون لذلك بالبيت السابق من شعر أبي ذؤيب[١٠] .

ولكن سبق أن عرفنا أن هذيلا قد تجمع " فَعْلا " على أفاعل " مثل زند و أزاند ، فيبدو أن هذا من ذاك ، أي أن أراجل في هذا البيت ليست

---

(١) شرح المفصل ٥/ ١٨ . (٢) ديوان الهذليين ١/ ١٧٩ .
(٣) ديوان الهذليين ٣/ ١١٦ . (٤) المرجع السابق ١/ ٢٢٤ ، ٢/ ١٥٦ ، ٣/ ٣١
(٥) المرجع السابق ٢/ ١٥٠ . (٦) ديوان الهذليين ٢/ ٧٩ .
(٧) ديوان الهذليين ٢/ ٨٧ . (٨) شرح أشعار الهذليين (فراج) ١/ ٢٤٥ .
ديوان الهذليين ١/ ٨٣ ـ اللسان (رجل) . (٩) معجم البلدان ٣/ ٢٢٦ .
(١٠) اللسان ، الصحاح (رجل) .

جمعا لرجُل ، وإنما هي جمع لرَجْل (بفتح الراء وسكون الجيم) ، بمعنى المشاة أو الرجالة ، ولا سيما في الحرب ، وقد ورد هكذا بلفظه ومعناه في أشعارهم ، وفسره السكري هذا التفسير في شرحه لأشعار هذيل[١] ، وقد عقب بعض اللغويين على البيت بأن الأراجل هنا جمع أرجال ، وأرجال جمع راجل مثل صاحب وأصحاب وأصاحيب ، إلا أنه حذف الياء من الأراجيل لضرورة الشعر ، وساق دليلا على ذلك هو قول أبي المثلم الهذلي :

يا صخر ورا دماء قد تمانعه سوم الأراجيل حتى ماؤه طحل[٢]

ومع ما في هذا التعقيب ـ فيما يبدو ـ من تمحل في القياس ، وأن النفس لا ترتاح إلى " أرجال " هذه جمعا لراجل ، فإننا مع هذا لا نستطيع أن نرفض هذا الرأي جملة ، فإن " أفاعل وأفاعيل " موجودتان جنبا إلى جنب في الشعر الهذلي ، حتى لقد أدى وجودهما معا إلى اختلاف في الرواية أحيانا ، حتى فيما جاء على هذا الوزن من أسماء الأماكن مثل " أعاجيل " و " أعاجل " في بيت المعطل الهذلي :

سددت عليه الدرب ثم قريته بغاثا أتاه من أعاجيل خصفا

فقد وردت به الرواية في ديوان الهذليين " أعاجيل " بينما هو في شرح السكري أعاجل[٣] ، فيحتمل لكثرة وجود الصيغتين معا في شعر الهذليين أن يكون " أراجل " ، " أراجيل " جمعين متقاربين للفظ واحد هو " رجل " وقد جاء أحدهما على لسان بعض بطون هذيل ، والآخر على لسان بطون أخرى من بطونها ، وليس في الأمر خلاف كبير أكثر من إشباع الكسرة أو عدم إشباعها فليست هناك هوة كبيرة تمنع من احتمال وجودهما معا عند قبيلة متعددة الأطراف كهذه القبيلة . وقد يكون اللفظان لفظا واحدا في الأصل هو " أراجيل " ثم حذفت ياؤه للضرورة فيما جاء فيه هذا الحذف من أشعارهم .

---

(١) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١ / ١٦١ .

(٢) ديوان الهذليين ٢ / ٢٣٣ . (٣) ديوان الهذليين ٣ / ٥٢ .

وزن فِعْل : يذكر النحويون أنه يجمع في القلة على أفعال ، وفي الكثرة على "فُعُول وفِعال" ، وفعول فيه أكثر ، وذلك "مثل حمل وأحمال وحمول" ، "وعدل وأعدال وعدول" ، "وبئر وآبار وبئار" ، "وذئب وذئاب" ويجتزئون بأفعال عن فعول وفعال فقالوا خمس وأخماس ، وشبر وأشبار ، وستر وأستار (١).

وهذه الصيغة الأخيرة "أفعال" نجد لها مُثُلا كثيرة عند هذيل منها "مسح وأمساح" (٢) "ولهب وألهاب" (٣) ، "وقطع وأقطاع" (٤) ، "وفند وأفناد" (٥) إلى آخر ما هنالك من أمثلة لا تحصر .

ولكن نجد في شعر هذيل — فيما يختص بهذه الصيغة — شيئا من الشذوذ في جمع "حقد" فقد جمع عندهم "حقائد" على وزن "فعائل" وهذا لا نكاد نجد له نظيرا فيما قرأناه من شعر لغير هذيل ، وذلك في قول أبي صخر الهذلي :

وعد إلى قوم تجيش صدورهم   بغشي لا يخفون حمل الحقائد (٦)

وقد عد اللغويون في معاجمهم هذا الجمع أحد الجموع التي ساقوها جمعا "للحقد" (٧) وإن كان الأولى أن يكون جمعا لحقيدة " مثل حفيظة وحفائظ ، وضغينة وضغائن ، وعقيدة وعقائد ، وعلى هذا ينبغي إخراج "حقائد" هذه مما نحن بصدده ، من جمع فِعْل إلى جمع "فعيلة" ، وهذا ما لاحظه بعض اللغويين أنفسهم (٨) .

أما الصيغة المشهورة في جمع الكثرة وهي صيغة "فعول" ، فمما جاء منها في شعر الهذليين جمع سِب وهو الحبل على سُبُوب (٩) ، ولهم (وهو الوعل المسن على لهوم) (١٠) ، وحِدْج (وهو الهودج) على حدوج (١١) وكذلك لِف على لفوف (١٢) (وهي الجماعات) — وقد تجد في هذه الصيغة ما يوهم أحيانا

---

(١) شرح المفصل ١٩/٥ . (٢) تاج العروس (مسح) . (٣) ديوان الهذليين ٧٥/١ ، ٢١٢ ، اللسان (ضيف) . (٤) ديوان الهذليين ١٤٠/١ — المحكم ٨٨/١ . (٥) ديوان الهذليين ٢٠١/١ — معجم البلدان (كبكب) ٢١٣/٧ — صحيح الأخبار ٣٦/١ . (٦) تاج العروس ، المحكم (حقد) .

(٧) القاموس وتاج العروس (حقد) . (٨) ابن سيده : المحكم (الحاء والقاف والدال) ٢٩٥/٢ . (٩) ديوان الهذليين ١٨١/١ — سمط اللآلي ٨٩٥/٢ — تاج العروس (لط) . اللسان (لهف) . (١٠) تاج العروس (قرهب) — المخصص ٣٩/٨ . ديوان الهذليين ٥٣/٢ — شرح أشعار الهذليين (فراج) ٢٤٨/١ .

(١١) ديوان الهذليين ٥٠/١ .

(١٢) ديوان الهذليين ٣٨/٣ .

بالشذوذ عنها فى بعض ألفاظ الجمع مثل "مَطِىّ" فى قول أبى ذؤيب : "لقد لاقى المطى بنجد عفر"(١) ، وقول ساعدة بن جؤية فيما يذكر الزبيدى .. "إذا ما غزا منهم مطى وعاوع"(٢) .

فقد ذكر بعض علماء اللغة أن المطى هم الرجال بلغة هذيل وأن الواحد "مطو"(٣) ، وهكذا فسر فى ديوان الهذليين ، فيكون على هذا جمعا (لِفعْل) ولكن يغلب على الظن أنه جمع "مطية" فيكون فى معنى الركائب والمطايا ويكون من باب الجنس الذى يميز بينه وبين واحده بالتاء . وعلى هذا يمكن استبعاد التفسير السابق وما بنى عليه من كون هذه الكلمة جمعا "لمطو" ، ويؤيد ما نذهب إليه فى هذا الشأن قول أبى ذؤيب نفسه :

وكنت كرقراق السراب إذا جرى لقوم وقد بات المطى بهم تخدى

فالمطى هنا نص فيما يركب ، ولعلها استعملت فى غير هذا الموضع مجازا على الرجال والرفاق فى السفر أو فى الحرب .

أما الصيغة الثانية من صيغ الكثرة "فِعال" فإنا نجد من أمثلتها فى شعر هذيل : قطع وقطاع(٤) ، وجذل وجذال(٥) وزق وزقاق(٦) ، ومنا نجد صيغة غريبة فى جمع "زِف" فقد كان المفروض فى جمعها "زفاف" مثل سابقتها "زق وزقاق" ومثل غيرها مما هو على وزنها ، ومضعفها كظل وظلال ، ولكنا - مع هذا - نجد جمعها فى شعرهم "زفازف"(٧)

تلك أهم الجموع فى هذا الوزن (فِعْل) ما ألف منها ، وما ذكرناه غير مألوف ، ولكنا نجد عند هؤلاء الهذليين صيغا أخرى فى هذا الوزن من أوزان الاسم الثلاثى ، فنجد "فِعل وأفعُل" مثل "شبل وأشبل"(٨) ، "وقطع أقطع"(٩) ، كما نرى "فِعل وأفعل" مثل "جِرو وأجر"(١٠) .

---

(١) ديوان الهذليين ١/ ١٢ - شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١/ ١٠٤ .
(٢) تاج العروس (وعع) . (٣) المرجع السابق والمادة نفسها . (٤) ديوان الهذليين ٢/ ٢٠٦ . (٥) المرجع السابق ٣/ ٤٧ . (٦) المرجع السابق ١/ ٢٤ .
(٧) المرجع السابق ١/ ٢٢٥ . (٨) المرجع السابق ١/ ٢٣٨ .
(٩) المرجع السابق ١/ ٧ . (١٠) المرجع السابق ٣/ ٤ .

وإذا كنا قد رأينا عند الهذليين إغرابا فى جمع "فُعْل" على "أفاعل" "وأفاعيل" فى مثل أراجل وأراجيل ، فلقد نجد "أفاعيل" هذه فى جمع "فِعْل" أيضا ، فقد جمع قدح على أقاديح فى قول أبى ذؤيب :

أمَّا أولاتُ الذُّرَا منها فعاصية تحول بين مناقيها الأقاديح(١)

وبينما نجد اللغويين فى معاجمهم يعدونها جمع "قِدْح"(٢) نجدها فى شرح ديوان الهذليين جمع "أقدُح" أى جمع الجمع(٣) وذلك لما وجده فيها من خروج على المألوف ، وأياما كان الأمر فهى صيغة شاذة نادرة .

وزن فِعَـــــل :

يجمع - فى اللغة السائدة - جمع قلة على أفعال مثل عِنَب وأعناب ، ضِلَع وأضلاع(٤) . وجمع كثرة على فُعول مثل ضُلوع ، والأخيرة نجدها فى قول أبى ذؤيـــــب :

نحط عليها والضلوع كأنها من الخوف أمثال السهام النواصل(٥)

كما نجدها فى شعر ساعدة بن جؤية(٦) وقيس بن عيزارة(٧) وعمرو بن الداخل(٨) وغيرهم من شعراء هذيل .

وإذا كان المشهور فى جمع القلة أضلاع - كما مر - ، فإن من شعراء هذيل من قال "أضلع" كقول أبى ذؤيب : " ... فاشتملت عليه الأضلع "(٩) ، بل إن منهم من زاد الأمر إغرابا فقال "أضالع" مثل قول أبى صخر :

" فذلك يبدى ما تجن الأضالـــع "(١٠)

هذا ويلاحظ أن ذلك الجمع من جموع الثلاثى قليل سواء فى شعر الهذليين أو فى اللغة عامــــة .

---

(١) المحكم (ق . د . ح) . ديوان الهذليين ١/ ١٠٨ . (٢) القاموس (قدح)
(٣) ديوان الهذليين ١/ ١٠٨ (٤) شرح المفصل ٥/ ١٩ .
(٥) ديوان الهذليين ١/ ١٤٣ . (٦) المرجع السابق ١/ ٢٣٦ .
(٧) المرجع السابق ٣/ ٧٣ . (٨) المرجع السابق ٣/ ١٠٤ .
(٩) المرجع السابق ١/ ٩ . (١٠) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ٢/ ٩٣٥ .

وزن فِيَعل :

يذكر النحاة أن هذا الوزن يجمع جمع قلة على أفعال مثل "إبل وآبال" "وإطل (الخاصرة) وآطال " ، وأن العرب لم يجمعوه جمع كثرة بل اجتزءوا فيه بجمع القلة ، وأنه مع هذا قليل في كلامهم (١) ، ويبدو أن المسألة لا تقف عند حد القلة بل تتجاوزها إلى الندرة ، فلا يكاد يعثر الباحث في كلام العرب على غير الأمثلة التي ذكروها ، وقد تصفحت دواوين الهذليين وآثارهم الأدبية على سعتها وما ورد في كتب اللغة والنحو من إشارات حول هذه اللهجة الهذلية ، فلم أعثر على أثر لهذه الصيغة من صيغ الجمع عندهم ، وهذه النتيجة السلبية ليست بذات خطر كبير ، ولكن لها قيمتها من حيث كونها حكما أسجله تعبيرا عن حقيقة أرجحها بعد أن تمخض عنها البحث ، وطول النظر .

وزن فُعْل :

يجيء في جمع القلة على أفعال نحو ، قفل وأقفال وبرد وأبراد (٢) ، ومن ذلك في الشعر الهذلي " قرب وأقراب " وهي الخواصر " جمع خاصرة " في قول أبي ذؤيب :
" فبداله أقراب هذا رائغا " . (٣)
وقول أبي خراش : " علج أقب مسير الأقراب " ، (٤) وعرف وأعراف في شعر المتنخل (٥) وعرض وأعراض في شعر البريق (٦) ، وهدب وأهداب في شعر أبي ذؤيب (٧) ، وخرص وأخراص (وهي عيدان يخرج بها العسل أو يصلح بها ما أخذمنه) في شعر ساعدة بن جؤية (٨) .

أما جمع الكثرة فيه فهو على "فِعال" "وفُعول" ، وفِعال فيه أكثر (٩) ، ومن أمثلة " فعال " عُرض وعِراض في قول أبي ذؤيب : كأنه في عراض الشام مصباح (١٠) ، ومهر على مِهار في شعره أيضا (١١) ، وقرط على قراط في شعر المتنخل (١٢) .

وبعض هذه الألفاظ يبدو مألوفا في جمعه هذا ، وبعضه يبدو غير مألوف رغم قياسيته ولكن لعل عدم الإلف راجع إلى عدم الاستعمال الكثير لكل ألفاظ اللغة على قدم المساواة بينهما .

---

(١) شرح المفصل ٥/١٩ . (٢) المرجع السابق والصفحة السابقة . (٣) ديوان الهذليين ١/٩٨ شرح أشعار الهذليين (فراج) ١/٥٤ . (٤) ديوان الهذليين ٢/١٦٩ ـ تاج العروس (وحد) . (٥) ديوان الهذليين ٢/٢٣ . (٦) المرجع السابق ٣/٦٠ . (٧) ديوان الهذليين ١/١١٢ ـ شرح أشعار الهذليين (فراج) ١/١٦٩ ـ معجم البلدان ١/٥٠ . (٨) ديوان الهزليين ١/١٨٠ ، ٢٠٨ . (٩) شرح المفصل ٥/١٩ (١٠) ديوان الهذليين ١/٣٠ ـ شرح أشعار الهذليين (فراج) ١/٨٣ . (١٢) ديوان الهذليين ٢/٢٧ .

ولكن هناك ملاحظة جديرة بالنظر هي أن جل ما ألفيته من هذا الوزن مضعفا وجدت جمعه في الكثرة على هذه الصيغة "فعال" ، ولا أكاد أجد منه شيئا على "فعول" إلا نادرا ومن أمثلة جمعه على فعال غير ما ذكر "قف وقفاف" في شعر ساعدة بن جؤية (١) ، وفي شعر مالك بن خالد الخناعي (٢) ، وزج (طرف الرمح) وزجاج في شعر ساعدة أيضا (٣) ، "وجذ على جذاذ" في شعر المعطل (٤) ، "وجل على جلال" في شعر أمية بن أبي عائذ (٥) ، حتى "السم" الذي يجمع كثيرا في مألوف اللغة على "سموم" ، نراه يجمع أكثر ما يجمع عندهم على "سمام" (٦) .

أما الصيغة الأخرى من صيغ الكثرة "فعول" فلم أجد فيها من هذا المضعف إلا "دف ودفوف" وذلك في شعر أمية بن أبي عائذ (٧) .

ومن غير المضعف "برد وبرود" (٨) ، "وسوق وسؤق" (٩) ، وغنم وغنوم" (١٠)

وإذا كان المشهور في اللغة ، والمألوف عند النحاة جمع "فلك على فلك" أي كون هذا اللفظ مفردا وجمعا على السواء (١١) ، فقد حكى ابن سيده جمعه مع هذا – على صيغة "فعول" التي نحن الآن بصددها أي حكى جمعه على "فلوك" ووضح ذلك بشاهد هذلي نسبه إلى أحد شعرائهم :

جوافل في السراب كما استقلت فلوك البحر زال بها الشرير (١٢)

فإذا صح هذا كان ذلك اللفظ أحد الجموع التي جاءت قياسية في شعر هذيل وإن كانت غير مألوفة في الاستعمال اللغوي الفصيح .

=========================

(١) ديوان الهذليين ١ / ١٩٩ . (٢) المرجع السابق ٣ / ٨١ .

(٣) المرجع السابق ١ / ٢٣ . (٤) المرجع السابق ٣ / ٤٥ – اللسان (سحن) .

(٥) ديوان الهذليين ٢ / ١٨١ – اللسان (دخل) . (٨) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ٢٨٢ . (٩) ديوان الهذليين ١ / ٦٦ .

(١٠) المرجع السابق ٢ / ٢٢٨ – اللسان (غنم) . (١١) المخصص ١٠ / ١٨

(١٢) المرجع السابق ١٠ / ١٨ .

وزن فَعَل :

يجمع على "فُعلان" مثل نغر ونغران (طائر كالبلبل)(١)، وهذه الصيغة من صيغ الجمع قليلة الدوران في اللغة في عمومها ، وأمثلتها على درجة من القلة بحيث لا تجدها في الشعر الهذلي إلا نادرا ، ومن هذا النادر ما جاء من جمع صرد على صردان في شعر عبيد الله بن عبد الله بن عتبة :

غراب وظبي أعضب القرن ناديا بصرم وصردان العشي تصيح (٢)

وزن فُعُل :

يجمع على أفعال نحو عنق وأعناق ، وأذن وآذان ، وقد ذكر النحاة أنهم لم يجاوزوا هذه الصيغة إلى غيرها لقلتها(٣) ، ومن أمثلة ذلك عند الهذليين ـ كما هو في اللغة السائدة ـ أذن وآذان(٤) ، وعنق وأعناق(٥) وكذلك جمع قذف على أقذاف (وقد فسروا القذف بأنه ناحية الجبل ولعلهم يعنون جانبه أو سفحه) ، وذلك في قول المتنخل :

أو في يبيت على أقذاف شاهقة جلس يزل بها الخطاف والحجل (٦)

وهذا إذا ما غضضنا النظر عن احتمال كون المفرد "قَذَف" بفتحتين وبضمتين كما ذكر علماء اللغة(٧) ، وإلا أمكن إلحاقه بجمع "فَعَل" وصيغة الجمع فيهما واحدة ، وهذا يضعف الاستدلال به جمعا "لفُعُل" . ومع هذا فالرأي أن "قُذُف" بضمتين هي أشبه اللفظين بهذيل ، وذلك في ضوء ما ذكرنا بشأن "الأصوات القصيرة" في هذا البحث .

وهذه الصيغة ـ كما سبق القول في بعض الصيغ الأخرى ـ ضيقة محدودة ، فمجال الخلاف فيها ـ هو الآخر ـ ضيق محدود .

---

(١) شرح ابن عقيل على الألفية وحاشية الخضري على هذا الشرح ٢/ ١٥٥ .
(٢) الأمالي ٢/ ١٥٦ ـ سمط اللآلي ٢/ ٧٨ . (٣) شرح المفصل ٥/ ٢٠ .
(٤) ديوان الهذليين ٢/ ٨٠ ـ اللسان (جلس) . (٥) اللسان (زقف) ـ المرزباني : الموشح ص٨٧ . (٦) ديوان الهذليين ٢/ ٣٦ .
(٧) المرجع السابق والصفحة السابقة ـ القاموس (قذف) .

وزن فُعْلَـــة :

جمعه في القلة بالألف والتاء مثل "جفنه وجفنات"، ومن أمثلته في الشعـــر الهذلي : "عيقة وعيقات" في قول أبي ذؤيـــب :

" يلوى بعيقات البحار ويجنب "(١)

"وثبرة وثبرات" في شعره أيضا (٢) (وهي ـ كما فسرت في ديوان الهذليين نقارفي الحجارة متراصة مثل الصهاريج) .

وقد سبق الحديث عما عساه أن يكون في هذا الجمع من خلاف في البنية بين هذيل وغيرها إذا كان معتل الآخر بالواو أو بالياء كروضات وبيضات .

ويجمع هذا الوزن في الكثرة على "فِعَال" مثل "جفان وصحاف"، ومـــن أمثلته في شعر هذيل "طخفة وطخاف" (وهي الرقيق من السحاب) في شعـــر صخر الغي (٣) ، "وربطة ورباط" في شعر المتنخل (٤) "وقطرة وقطار" في شعـــر ساعدة بن جؤية (٥) ، "وسبحة وسباح" في شعر مالك بن خالد الخناعي (٦) "وحـــرة وحرار" في شعر أبي خراش (٧) .

ويذكر النحاة أن ذلك هو الوزن القياسي في جمع فعلة " سواء كان صحيح العين أو معتلها " (٨) ونجد مصداق هذا في كثرته صحيحا ومعتلا في الشعـــر الهذلـــي .

ومع ذلك فقد نجد عند الهذليين خروجا عليه ، فيجمعون أحيانا حلقـــة على حَلَق في قول أبي ذؤيب :

والدهر لا يبقى على حدثانه مستشعر حلق الحديد مقنع (٩)

ومن شـواذ هذا الجمع عندهم جمع حلبة على حلائب (وهي الجماعات) فـــي شعر مالك بن خالد الخناعي :

لإلدك أصحابي فلا تزدهيهم بسابة إذ مدت عليك الحلائب (١٠)

---

(١) ديوان الهذليين ١/ ١٧٢ . (٢) المرجع السابق ١/ ١٤٨ .
(٣) المرجع السابق ٢/ ٥٢ . (٤) المرجع السابق ٢/ ١٩ .
(٥) المرجع السابق ١/ ٢٢٧ . (٦) المرجع السابق ٣/ ٦ .
(٧) المرجع السابق ٢/ ١٧١ . (٨) شرح المفصل ٥/ ٢١ .
(٩) ديوان الهذليين ١/ ١٥ . (١٠) المرجع السابق ٣/ ٩ .

وقول حبيب الأعلم :

أغرى أبا وهب ليصطلهم ومدوا بالحلائب[1]

فنجد في بعض صيغ هذا الوزن شذوذا عن السائد المألوف .

وزن فِعْلـــة :

يجمع في القلة بالألف والتاء نحو سدرة وسدرات وكسرة وكسرات ، وفي الكثرة على "فِعَل" مثل سدر ، وكسر .

والمعتل اللام يجمع على "فعل" مثل لحية ولحى ولا يكادون يجمعونه بالألف والتاء . والمعتل العين يجمع بالصيغتين معا فيقال قيمة وقيمات وقيم ؛ وكذلك الشأن في المضعف ، عدة وعدات وعدد[2] .

وهاتان الصيغتان ممثلتان في شعر الهذليين ؛ فيقال حقبة وحقب[3] ودِيمة ودِيَم[4] ، ولمة ولمم[5] وصرمة وصرم[6] ، وقصدة وقصد (أي كسر)[7] .

ولكننا نجد في شعر هذيل صيغا أخرى خارجة على هذا الوزن ، منها ما هو مألوف في اللغة ، وهذا في جمع فعلة على فعل مثل ذروة وذرى في شعر صخر الغي[8] .

كما نجد خروجا أشد من ذلك في الصحيح والمضعف معا يتراءى ذا في جمع فِعلة على فِعال خلافا للمتعارف المألوف من جمعهما في القلة بالألف والتاء ؛ وفي الكثرة على وزن "فعل" ومن ذلك جمع لقحة على لقاح في قول أبي خراش :

غَذِيٌّ لِقاحٍ لا يَزالُ كَأَنَّهُ جَمِيتٌ بِدَنْيِ مطْمُه غيرُ ذِي حَجْمِ[9]

وجمع حِلة على حلال في قول عمرو ذي الكلب :

بِفِتيانٍ عَمارِطَ من هُذَيلٍ هُمُ يَنْفُونَ آنَاسَ الحِلالِ[10]

---

(١) ديوان الهذليين ٢/ ٧٨ . (٢) شرح المفصل ٥/ ٢٣ .
(٣) ديوان الهذليين ٢/ ٢٤٢ ـ اللسان (كمكم) . (٤) ديوان الهذليين ٣/ ١٤ .
(٥) المرجع السابق ٣/ ١٥ . (٦) المرجع السابق ١/ ٢٧ .
(٧) المرجع السابق ٢/ ٦٠ . (٨) المرجع السابق ٢/ ٦١ .
(٩) المرجع السابق ٢/ ١٢٨ . (١٠) المرجع السابق ٣/ ١١٥ ـ اللسان (أنس) .

ومن فُعْلــة :

يجمع جمع قلة بالألف والتاء مثل حجرة وحجرات ، ويجمع جمع كثرة على " فُعَل " مثل حجر[١] ، فمن جمعه بالألف والتاء : رجمة ورجمات في شعر أبي ذؤيب[٢] . ومن امثلة جمعه على " فعل " حزنة وحزن في شعر ساعدة ابن جوية[٣] (والحزن الجبال الغلاظ) ، وجحمة وجحم (وهي حر النار) وقحمة وقحم (وهي عظام الأمور) في شعره أيضاً[٤] ، وصحرة وصحر (أي صحراء وصحارى) في شعر أبي ذؤيب[٥] ، وربدة وربد (آثار سوداء في الشيء) في شعره أيضاً[٦] وشعر مالك بن خالد الخناعي[٧] ، وشعر صخر الغي[٨] ، وجنادة بن عامر[٩] .

ومن المضعف جمّة وجمم في شعر ساعدة بن جوية[١٠] وإلى جانب " فعل " نجد في المضعف " فعال " فنجد قبسة وقباب[١١] وجمة وجمام[١٢] (وهي ما اجتمع من الماء) .

وقد تخرج فُعْلة عما هو مألوف في جمعها فتجمع في شعر الهذليين على فعائل جمعا نادرا كجمع عصبة على عصائب في مثل قول مالك بن خالد الخناعي :

كأنا ببطن الشعب غربان غيلة ومن فوقنا منهم رجال عصائب[١٣]

تلك أهم الملاحظات على جموع التكسير ممثلة في الشعر الهذلي ، وذلك في أهم أوزان الثلاثي ، أما أوزان غير الثلاثي فهي موضوع دراستنا في المبحث الثاني من مباحث هذا الفصل .

---

(١) شرح المفصل ٥/ ٢٣ . (٢) ديوان الهذليين ١/ ١٦٩ .
(٣) المرجع السابق ١/ ٢٠٨ . (٤) المرجع السابق ١/ ١٩١ ، ١٩٢ .
(٥) المرجع السابق ١/ ٩٢ - الصحاح (يرع) - اللسان (يرع ، سبى) - مقاييس اللغة (صحر) . (٦) ديوان الهذليين ١/ ٩٦ . (٧) المرجع السابق ٣/ ١٦ .
(٨) المرجع السابق ٢/ ٦٠ . (٩) المرجع السابق ٣/ ٣٠ .
(١٠) المرجع السابق ١/ ١٢٩ . (١١) المرجع السابق ١/ ٧٣ ، ١٨ .
(١٢) المرجع السابق ٢/ ٢٠٢ . (١٣) المرجع السابق ٣/ ١٢ .

جموع غير الثلاثـــي

جمع الرباعـــي

يجمع الرباعي الذي جميع حروفه أصلية ، إسما كان أو صفة ، مجردا من التاء ، أو غير مجرد منها على وزن " فعالل " كثعالب ومكارم ، ويستعمل هذا للكثير والقليل معا ، وقد جاء بعضه على مفاعل كمساجد .

وجاءت صيغة " فعالل " هذه كثيرا في شعر الهذليين مثل حوشب وحواشب (منتفخات الجنوب) في شعر حبيب الأعلم[1]، وجنجن وجناجن (وهي عظام الصدر) في شعر المعطل[2] وجندع وجنادع (إسم علم لشخص وقبيلة) في شعر البريق[3]، وسلجم وسلاجم (والسلاجم الطوال) في شعر عمرو بن الداخل[4]، وحنتم وحناتم (أى سحب سود) في شعر أبي ذؤيب[5] ، وحنظب وحناظب (حشرة تشبه الخنفساء) ، وجأنب وجآنب (والجأنب القصير أو الضخم الغليظ) في شعر حذيفة بن أنس[6] ، وجندب وجنادب في شعر أمية بن أبي عائذ[7] ، وفي حديث ابن مسعود أنه "كان يصلي الظهر والجنادب تنقز من الرمضاء "[8].

ومن صيغ " مفاعل " التي جاءت عليها بعض جموع الرباعي : " مسحنة ومساحن " (وهي الرحى) في شعر المعطل[9] ، ومشوذ ومشاوذ (عمائم) في شعر قيس بن عيزارة[10] ، ومذنب ومذانب في شعر حذيفة بن أنس[11]، وملاث وملاوث (أى ملاجئ يلجأ إليهم) ، ومقنب ومقانب (أى جماعات) في شعر أبي ذؤيب[12].

---

(١) ديوان الهذليين ٢/ ٨٠ . (٢) المرجع السابق ٣/ ٤٨ .
(٣) المرجع السابق ٣/ ٥٤ . (٤) المرجع السابق ٣/ ١٠٣ ، الصحاح (عقر).
(٥) ديوان الهذليين ١/ ٥١ ـ اللسان (حنتم) . التصحيف والتحريف ص ٩٦ .
(٦) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ٢٢٥ ، ٢٢٦ .
(٧) ديوان الهذليين ٢/ ١٠٥ . (٨) ابن الأثير : النهاية ١/ ٢١٣ .
(٩) ديوان الهذليين ٣/ ٤٥ . اللسان (سحن) .
(١٠) ديوان الهذليين ٣/ ٧٤ . (١١) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ٢٢٥ .
(١٢) ديوان الهذليين ١/ ٤٤ ، ١١٣ .

وإذا كانت صيغة " فعالل " هي الصيغة الغالبة في هذا الجمع عند الهذليين وغيرهم ، فإنا نجد – مع هذا – في شعر الهذليين " فعاليل " ، ومن ذلك ما روى من لفظ " ملاويث " بدلا من " ملاوث " في شعر أبي ذؤيب[١] ، ومنه أيضا خلاجيم وعلاجيم (طوال) جمع خلجم وعلجم في قول أبي ذؤيب نفسه :

إذا ما الخلاجيم العلاجيم نكّلوا وطال عليهم حميها وسعارها[٢]

علاجيمه غرقي رواء كأنما قيان شروب رجعهن نشيج[٣]

وإن كانت رواية الديوان في البيت الثاني " ضفادعه " بدلا من " علاجيمه "[٤] فيكون إذن سائرا في الاتجاه المعتاد في هذا الجمع ولا خروج فيه ؛

هذا وقد وجد " فعالل " وفعاليل " معا في شعر ساعدة بن جؤية : " فخر وألقت كل نعل شراذما "[٥] ، " ولم يبق من شرها إلا شراذيم "[٦] فلعل الضرورة دفعته الى حذف الياء في " شراذم " أو إشباع الكسرة في " شراذيم " . وإن كانت الصيغتان قد وجدتا معا في أشعار قومه ، ولكن صيغة " فعالل " – فيما يبدو – هي الصيغة الغالبة في هذا الجمع فليس غريبا أن يعتبرها النحاة أصلا في جمع الرباعي .

جمع الخماسي

المشهور في جمع الخماسي أنه يرد إلى الرباعي فيجمع جمعه ، فيقال سفرجل وسفارج ، وشمرول وشمارد .

وهذا المسلك نجده عند شعراء هذيل غالبا ، فهم يقولون : غرنيق (طائر من طيور الماء طويل العنق) وغرانق ، وذلك في شعر جنادة ابن عامر[٧] ، وعمروط وعمارط (وهم الذين لا يتركون شيئا إلا أخذوه) في شعر عمرو ذي الكلب[٨] ، وبطريق وبطارق ، وعطبول (امرأة فتية جميلة)

(١) تاج العروس (لوث) ؛ (٢) ديوان الهذليين ١/ ٣٢ ، كتاب الصناعتين ص ٢٦٠ .
(٣) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ص ٢٣٣ . (٤) ديوان الهذليين ١/ ٥٥ .
(٥) ديوان الهذليين ٢/ ٢١٨ – تاج العروس (شرذم) .
(٦) المرجع السابق والمادة السابقة . (٧) ديوان الهذليين ٣/ ٣٠ .
(٨) المرجع السابق ٣/ ١١٥ = اللسان وتاج العروس (أنس) .

ومطابل ، في شعر أبي ذؤيب[١] ، وصحصاح وصحاصح (ما استوى من الأرض) في شعر المتنخل[٢] ، ووعواع ووعاوع (أول من يغيث من المقاتلين) في شعر أبي كبير[٣] . وقد جاء اللفظ الأخير (وعاوع) في بعض المعاجم اللغوية[٤] مطابقا له في الشعر الهذلي ، ولكن من اللغويين من يقول بأن أصله "وعاويع" فحذف الياء للضرورة[٥]، ويقارب هذا ما يقوله ابن منظور بشأن بطارق وبطاريق في بيت أبي ذؤيب الذي سبقت إليه الإشارة[٦] ، والحق أنه لا داعي لهذا القول ، فإن المعروف عند النحاة هو جمع الخماسي جمع الرباعي ، وقد وجد أمثال هذا بالحذف في ألفاظ كثيرة ، كما وجد الإشباع في بعض ألفاظ أخرى .

فإذا كان المشهور في جمع الخماسي – كما رأيناه هو صيغة "فعالل" كجمع الرباعي سواء بسواء ، فإن بعض ألفاظ الخماسي يخرج – مع هذا – عن ذلك الاتجاه العام ، فنجده في شعر الهذليين – وربما عند غيرهم أيضا على "فعاليل" ، ومن أمثال هذا جراميز (أي أعضاء الجسم) وبلاعيم ، في شعر أمية ابن أبي عائذ[٧] ، ومناجيج (أي الطوال الأعناق) في شعر ساعدة بن جؤية[٨] ، وبليح ابن الحكم[٩]، وشماريخ في شعر مالك بن خالد الخناعي[١٠].

جمع أسماء من أربعة أحرف ، ثالثها حرف مد زائد

وزن فَعَال :

يجمع على "أفعلة" كزمان وأزمنة ، وقد يجمع أيضا على فُعُول[١١] . ولكنا نجد عند الهذليين ، وفي ألفاظ اللغة ما يخرج على هذا فنجد جمع "فَعَال" على "فِعَال" مثل جواد وجياد[١٢] ، كما نجد جمع "فعال" على فعائل مثل شمال وشمائل[١٣].

---

(١) ديوان الهذليين ١/ ١٤١ ، ١٥٣ – اللسان (بطرق) . (٢) ديوان الهذليين ٢/ ٢٨ . (٣) المرجع السابق ٢/ ١١ . (٤) القاموس (وعوع) . (٥) المخصص (وعع) (٦) اللسان (بطرق) . (٧) ديوان الهذليين ٢/ ١٧٤ – مقاييس اللغة (سيد) – ديوان الهذليين ٢/ ١٨٣ . (٨) المرجع السابق ٢/ ٢١٩ .
(٩) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ٣/ ١٠٠١ . (١٠) ديوان الهذليين ٣/ ١١ . (١١) شرح المفصل ٥/ ٤١ . (١٢) ديوان الهذليين ٢/ ٢٨ .
(١٣) المرجع السابق ٢/ ١٤٩ .

وإذا كان المألوف في جمع "فَعال" صفة كجبان هو "جبناء"، فإنه وجد فيه عند الهذليين "أجبان" وذلك في شعر أبي قلابة الهذلي "اللحياني": إذ لا يقارع أطراف الظباة إذا استوقدن إلا كماة غير أجبان[1]

وزن فِعَال

يجمع في القلة على أفعلة كحمار وأحمرة، وفي الكثرة على فُعُل مثل حمر، وقد يجمع[2] على فعائل أيضا. ومن أمثلة جمعه على "أفعلة" سقاء وأسقية في شعر أبي ذؤيب[3]، وشفاء وأشفية في شعر العجلان ابن خويلد[4].

ومن جمعه على "فُعُل" إزار وأزر في شعر أبي ذؤيب[5] ولجام ولجم في شعر ساعدة بن جؤية[6].

ومن أمثلة جمعه على فعائل شمال وشمائل في شعر المتنخل[7]، وأبي خراش[8]. وقد يخرج على هذه الأوزان فيجمع على "أفعل" كذراع وأذرع[9]، ولسان وألسن[10]، وذلك عند الهذليين، وفي واقع اللغة عامة.

وزن فُعال

يجمع في القلة على أفعلة، وفي الكثرة على "فِعلان"[11]. ومن أمثلة أفعلة جمع غراب على أغربة في قول مالك بن خالد الخناعي:

من فوقه أنسر سود وأغربة[12]" ورغاء على أرغية في شعره أيضا[13]، وقد يشذ عن هذا فنراه في شعر هؤلاء الهذليين على "أفعل" مثل "كراع، وأكرع" في شعر أبو ذؤيب[14].

ومن أمثلة "فِعلان" جمع غراب على غربان في شعر مالك بن خالد الخناعي[15]، وعقاب على عقبان في شعر أبي ذؤيب[16] وساعدة ابن

---

(١) ديوان الهذليين ٣/ ٣٩. (٢) شرح المفصل ٥/ ٤١. (٣) المرجع السابق ١/ ٤٢. (٤) المرجع السابق ٣/ ١١٢. (٥) المرجع السابق ١/ ١٥٠.
(٦) المرجع السابق ١/ ٢٠٣. (٧) المرجع السابق ٢/ ٣٢. (٨) المرجع السابق ٢/ ١٢٠. (٩) المرجع السابق ١/ ١٠. (١٠) المرجع السابق ٢/ ٢٦٠.
(١١) شرح المفصل ٥/ ٤١. (١٢) ديوان الهذليين ٣/ ٢.
(١٣) المرجع السابق ٣/ ١٢. (١٤) المرجع السابق ١/ ٧. تاج العروس (حصب). (١٥) المرجع السابق ٣/ ١٢.
(١٦) ديوان الهذليين ١/ ٣٨، ١٠٤.

جؤية[١] ، وأبى خراش[٢] .

وزن فَعيل

يجمع في القلة على " أفعلة " مثل كثيب وأكثبة . وقد يجمع على " فِعْلة " كصبى وصبية . وعلى أفعال كيمين وأيمان . وفى الكثرة على " فُعُل " و " فُعْلان " مثل كثيب وكثبان وكثب . وما عدا ذلك فقد اعتبره النحويون من الشواذ[٣] .

ومن أمثلة جمعه على أفعلة ، عقيق وأعقة في شعر أبى خراش[٤] ، وطريق وأطرقة في شعر صخر الغى[٥] ، ومسيل وأمسلة في شعر أبى ذؤيب[٦] وإذا كان لفظ (مَريع) " أى خصيب " يجمع في مألوف اللغة على أمراع " كأفعال " فإنه يجمع في شعر الهذليين جمعا غريبا هو " أمرُع " على " أفعُل " كما جاء في شعر أبى ذؤيب[٧] ، وقد بلغ من غرابة هذا الجمع أن أنكره ابن برى أصلا ، وقال بأنه جمع مرْع وهو الكلأ[٨] .

ومن أمثلة هذا الجمع في الكثرة على " فُعُل " مسيل ومسل ، وقضيب وقضب في شعر صخر الغى[٩] وصبير وصبر (وهو الغيم الأبيض) في شعر ساعدة بن جؤية[١٠] ، وسحيل وسحل (الثياب البيض) في شعر المتنخل[١١] .

ومما خرج على المألوف في صيغ هذا الجمع جمع " فعيل " على " فعائل " مثل أصيل وأصائل في قول أبى ذؤيب :

لعمرى لأنت البيت أكرم أهله   وأقعد في أفيائه بالأصائل[١٢]

وسنين على سنائن (أى الرياح) في قول المعطل :

أبينا الدّيان غير بيض كأنها   فضول رجاع زفزفتها السنائن[١٣]

---

(١) ديوان الهذليين ١/ ٢٢٦ . (٢) المرجع السابق ٢/ ١٣٣ .
(٣) شرح المفصل ٥/ ٤١ . (٤) ديوان الهذليين ٢/ ١٦٥ .
(٥) المرجع السابق ٢/ ٧٦ ــ مقاييس اللغة ، اللسان (جزم) .
(٦) المرجع السابق ١/ ١٠١ . (٧) ديوان الهذليين ١/ ٤ . الصحاح اللسان (مرع) . التصحيف والتحريف ص ٨٠ . (٨) اللسان (مرع) .
(٩) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ٢٤ . ديوان الهذليين ٢/ ٢٢٨ ، ٢٣٨ .
(١٠) المرجع السابق ٢/ ٢٢٢ ــ اللسان (صبر) . (١١) المرجع السابق ٢/ ١٠ .
(١٢) ديوان الهذليين ١/ ١٤١ ــ المبرد : الكامل ٣/ ٢٨ . اللسان وتاج العروس (أصل) . إصلاح المنطق ص ٣٥٤ .
(١٣) ديوان الهذليين ٣/ ٤٧ .

وهذه الصيغة من صيغ الجمع إنما هي في مألوف اللغة جمع " فعيلة " لا جمع " فعيل " .

هذا شأن " فعيل " حينما يكون اسما ، أما فعيل صفة فقد خرج على المألوف في جمعه غليظ وغلظاء " في قراءة ابن مسعود : " أذلة على المؤمنين غلظاء على الكافرين "[1] بدلا من " أعزة على الكافرين "[2] في قراءة جمهور القراء ، والجمع المستعمل لهذا اللفظ في القرآن " غلاظ " وهو الاستعمال المألوف في الفصحى بشأن هذا الجمع .

وزن فَعول

مجراه في التكسير عندهم مجرى فعيل . فهو في القلة على " أفعلة " كأعمدة ، وفي الكثرة على " فُعُل " كعمد[3] . وأمثلته في جمع القلة كثيرة في شعر الهذليين . ومن أمثلته في الكثرة عندهم : بكور وبكر (ما بكّر من النخل) في شعر المتنخل[4] ، وعَجول وعجل (وهي التي أكل السبع ولدها أو ماتت) في شعر أبي المثلم[5] . وقد نجد عند الهذليين خروجا على المألوف في هذا الجمع إذ يجمعون أحيانا وزن " فَعول " على أفعُل ، مثل رسول وأرسل[6] . كما نجد جمع " فَعول " أحيانا أخرى " فعائل " مثل جَدود وجدائد (وهي الأتن التي خف لبنها) في شعر أبي ذؤيب[7] ، وأسامة بن الحارث[8] وأبي خراش[9] .

وزن فاعل (صفة)

الأصل فيه أن يجمع بالواو والنون ، ومؤنثه بالألف والتاء . وقد ذكر النحاة أنه يجمع جمع تكسير على " فُعَّل " مثل بازل وبزّل ، وقد ذكروا إلى جانب هذا صيغا أخرى[10] . وليس هناك من خلاف يستحق التنبيه

---

(١) البحر المحيط ٣/ ٥١١ . (٢) سورة المائدة آية ٥٤ .
(٣) شرح المفصل ٥/ ٤١ . (٤) ديوان الهذليين ٢/ ٣ .
(٥) المرجع السابق ٢/ ٢٣٤ . (٦) المرجع السابق ٢/ ٩٩ .
(٧) المرجع السابق ١/ ٤ ـ شرح أشعار الهذليين (فراج) ١/ ١١ ـ السجستاني : الأضداد ص٩١ . (٨) ديوان الهذليين ٢/ ٢٠٤ .
(٩) المرجع السابق ٢/ ١١٧ . (١٠) شرح المفصل ٥/ ٥٤ .

عليه بين ما جاء لنا في شعر الهذليين وما نص عليه النحاة في كتبهم ، غير أننا قد سبق أن رأينا في الجمع بالألف والتاء أن الهذليين قد يعدلون عنه في جمع " فاعلة " إلى " فواعل " في كثير من أشعارهم ، وهنا نرى أنهم قد يعدلون عن الجمع بالواو والنون في جمع " فاعل " ومن بعض جموع التكسير في هذا الوزن نفسه إلى صيغة " فُعَّل " ، وقد نجد من هذا شاهد وشهّد في شعر أبي ذؤيب(١) ، وباد وبدّى(٢) في قراءة طلحة(٣) بن مصرف من تلاميذ بن مسعود ، وغاز وغزّى(٤) وقد رويت عن ابن مسعود نفسه(٥) ، ومثل هذا مانجده في قوله تعالى : " مستكبرين به سامرا تهجرون "(٦) ، فقد قرأها ابن مسعود " سُمَّرا " بالجمع على صيغة فُعَّل(٧) ، وكذلك قوله سبحانه : " أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين "(٨) ، فقد قرأها أيضا " خُيَّفا " بهذه الصيغة نفسها .(٩)

فلعل في هذا كله ما يشير إلى اتجاه هذيل إلى هذه الصيغة من صيغ الجمع في بعض الألفاظ التي طابق وزنها وزن " فاعل " وكانت صفة من الصفات .

بقيت إشارة سريعة هي أنه إذا كان من المعروف أن وزن " فاعل " من صيغ جمعه المألوفة " فواعل " مثل جانح (أي مائل بجناحه) وجوانح ، فإنا ـ مع هذا ـ نجد في شعر الهذليين " أجناح " بدلا من جوانح ، وذلك نحو قول أبي ذؤيب :

فمر بالطير منه فاحم كدر ... فيه الظباء وفيه العصم أجناح(١٠)

فصيغة أفعال في هذا المقام هي من صيغ الجمع الغريبة التي نجدها أحيانا في الشعر الهذلي .

---

(١) ديوان الهذليين ١/ ١٥٣ . (٢) سورة الأحزاب ٣٣ آية ٢٠ .
(٣) مختصر شواذ القرآن ص١١٨ . (٤) سورة آل عمران ٣ آية ١٥٦ .
(٥) مختصر شواذ القرآن ص١١٨ . (٦) سورة المؤمنون ٢٣ آية ٦٧ .
(٧) ابن جني : المحتسب ٥٥٤ . (٨) سورة البقرة ٢ آية ١١٤ .
(٩) الأمالي ١/ ٢١٠ . (١٠) ديوان الهذليين ١/ ٤٨ .

وأغرب من هذا أن هذه الصيغة نفسها قد جاءت في شعرهم جمعا لوزن " فُعْلى " صفة "كحبلى " فمألوف الجمع فيها " حبالى " ، بينما وجدت عند أبي جندب الهذلي " أحبال " في قوله :

إذا معشر يوما بغوني بغيتهم بمسقطة الأحْبال فقماء قنطر(١)

وعند ساعدة بن جؤية في قوله :

ذا جرأة تسقط الأحبال رهبته مهما يكن من مسام مكره يسم(٢)

جمع الرباعي المبدوء بهمزة في أوله — أفعل أفاعل

يجمع على صيغة واحدة هي "أفاعل " مثل أبكم وأباكم ، وأصبع وأصابع(٣) ومن ذلك في شعر الهذليين أيمر وأيامر في شعر عمرو بن الداخل(٤) وأجدل (الصقر) وأجادل في شعر أبي ذؤيب(٥) ، وأبرق وأبارق (جبال) في شعر ساعدة بن جؤية(٦) ، وأبجل وأباجل (عرق في الرجل) في شعر أبي خراش(٧) ، وأشجع وأشاجع (أصول الأصابع) في شعر أسامة ابن الحارث(٨) ، وأزمل وأزامل (الأصوات المختلطة) في شعر أبي قلابة(٩)

وقد وجد هذا الأخير في شعر عبد مناف بن ربع الهذلي بإشباع كسرة الميم " أزاميل "(١٠) وقد نرى الإشباع أيضا في مثل "أناجيج " من قول أبي ذؤيب :

بغاية إنما يبغي الصحاب من الفتيان في مثله الشم الأناجيج(١١)

وقد سبق أن أشرنا إلى أن مثل هذا قد يحدث عن ضرورة شعرية أو لعله من قبيل الخلاف بين لهجات البطون المختلفة في داخل القبيلة التي تشغل حيزا كبيرا من أرض الجزيرة ، يتعرض فيه بعض بطونها لما قد لا تتعرض له البطون الأخرى من مؤثرات .

(١) ديوان الهذليين ٣/ ٩٣ . (٢) المرجع السابق ١/ ٢٠٢ . اللسان وتاج العروس (حبل) . (٣) شرح المفصل ٥/ ٦٢ . (٤) ديوان الهذليين ٣/ ١٠٦ . (٥) المرجع السابق ١/ ٨٢ ، ١٤٢ .
(٦) المرجع السابق ١/ ١٧٠ . (٧) المرجع السابق ٢/ ١٢٣ .
(٨) المرجع السابق ٢/ ٢٠٠ . (٩) المرجع السابق ٣/ ٣٣ .
(١٠) ديوان الهذليين ٢/ ٤ . (١١) المرجع السابق ١/ ١١٣ . اللسان (بغي) .

وإذا كان هذا الذى نقوله يمكن أن يقال فيما سبق أن عرضنا له من صيغ مشابهة وقع فيها الاختلاس والإشباع، فإنه يقال أيضا فى مالم نعرض له من صيغ مثل "مطافل" "ومطافيل" فى جمع "مطفل" فقد جاء الإشباع عند أبى ذؤيب[١]، كما روى الاختلاس فى شعر أبى كبير[٢]، وشعر مليح الهذلى[٣]، وفى شعر أبى ذؤيب أيضا[٤]، ومثل مطاعم ومطاعيم، فقد روى الإشباع فى شعر ساعدة بن العجلان[٥]، وشعر أبى ذؤيب[٦] والاختلاس فى شعر أبى المثلم[٧].

ولكنى، مع ذلك، أميل إلى القول بالضرورة فى بعض هذا، على الأقل فيما وقع فيه الاختلاس والإشباع على لسان شاعر واحد من شعرائهم •

وإذا كنا نجد ظاهرة الإشباع فى صيغة أفاعل ونظائرها مما وقع فيه ذلك، فإنا نجد، مع هذا، صيغة أشد غرابة، وبعدا عن مألوف اللغة فى هذا النوع من الجمع، تلك هى جمع "أفْعَل" على "أفعال" فقد جاء فى شعر أبى ذؤيب "أجلاح" فى جمع أُجلح (نوع من الهوادج):

إلا تكن ظعنا تبنى هوادجها فإنهن حسان الزى أجلاح[٨]

وهكذا نرى فى جموع التكسير فى شعر هذيل شيئا من الشذوذ، وأنه قد يجيء الجمع عندهم أحيانا على غير مفرده المستعمل • ونحن لم نقصد إلى عرض بعض صيغ جموع التكسير إلا لبيان موقف الشعر الهذلى، وما يسانده أحيانا من آثار هذلية أخرى، مما عرضه النحويون فى هذا الشأن وليس القصد من ذلك هو دراسة هذه الجموع فى شكل رتيب مستوعب، لأننا لسنا بصدد لغة نقعد قواعدها، ونوضح أصولها • وإنما هى ظواهر خاصة نوضحها فى شيء من القصد والإيجاز •

كيف؟

---

(١) ديوان الهذليين ١/ ١٤١ • الصحاح (طفل) • اللسان (بكر) • ابن الأنبارى الأضداد ص١٠٨ • مسالك الأبصار ١/ ٣٨٦ •

(٢) ديوان الهذليين ٢/ ١٠٩ • (٣) ابن سيده : المحكم ٢/ ٢٩٢ •

(٤) ديوان الهذليين ١/ ١٤٠ • المخصص ١٦/ ١٦١ • الخصائص ٣/ ١٢٣ • مسالك الأبصار ١/ ٣٥٦ • (٥) ديوان الهذليين ٣/ ١١١ •

(٦) المرجع السابق ١/ ١٥٠ • (٧) المرجع السابق ٢/ ٢٢٨ •

(٨) المرجع السابق ١/ ٤٧ •

الفصل الثالث

بعض ظواهر البنية ممثلة في الاشتقاق

الفصل الثالث
بعض ظواهر البنية ممثلة في الاشتقاق

قد تتغير بنية الكلمات من طريق التغاير في الاشتقاق من لهجة إلى أخرى داخل اللغة الواحدة ، وقد يتناول هذا التغيير المصادر ، والأفعال المختلفة ، والمشتقات الأخرى إن قليلا أو كثيرا ، ولكنه ـ مهما يكن الأمر ـ من الظواهر الجديرة بأن يتتبعها الدارس ، ويسجلها في شيء من العناية ، لما لها من أثر في تمييز اللهجات بعضها عن بعض وما يتبع ذلك من آثار أخرى لها أهميتها في الدراسات اللغوية • وقد أفردت لهذه الظواهر هذا الفصل من فصول البحث •

(١)

المصدر

المعلوم أن المصدر ـ شأنه شأن غيره ـ لا يختلف في لغة الهذليين اختلافا جوهريا عنه في اللغة العربية عامة ، ولكنا ـ مع هذا ـ نجد شيئا من الخلاف يلفت النظر أحيانا •

ومن ذلك ما نراه من الاتجاه إلى صياغة بعض المصادر على وزن "فُعول" فقد تتفق هذيل في بعض هذا مع الاتجاه العام للغة ، مثل صياغة "فَعَل" اللازم "وفَعُل" على "فعول" ومن ذلك قولهم : "بدا بدوا" ، و "مثل مثولا" كما في قول أبي خراش :

يقربه النهض النجيح لما يرى فمنه بدو مرة ومثول[١]

ومثل ذلك "عكف عكوفا" ، وهجع هجوعا" ، "ورجع رجوعا" ، و "طلع طلوعا" في شعر أبي ذويب[٢] ، "وغبر غبورا" ، و "همر همورا" ، و "فتر فتورا" في شعر ساعدة ابن جوية[٣] .

---

(١) ديوان الهذليين ٢/ ١٢٣ • الأمالي ١/ ٥٧ ، ٥٨ • ابن السكيت : الأضداد ص١٨١ • الأصمعي : الأضداد ص٣١ • الجمهرة (تلم) •
(٢) ديوان الهذليين ١/ ٨٦ ، ١٠٠ ـ اللسان (غور) • الهمداني : الألفاظ الكتابية ص٢٨٦ ـ العيني : الشواهد الكبرى (على هامش الخزانة) ١/ ١١٥ • (٣) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ٣/ ١١٨٠ ، ١١٨١ ، ١١٨٢ •

ولكن إذا كان الاتجاه العام في اللغة قد يؤثر أحيانا "فَعالا" على "فُعول" في هذا النوع من المصادر كقولهم "صلح صلاحا"، وكل كلالا"، فإنا نجد عند هذيل ميلا إلى "فُعول" مثل "صُلوح، كُلول" ونجد هذا في قول ساعدة بن جؤية :

ألا قالت أمامة إذ رأتني لشانئك الضراعة والكلول[١]

وقول عون بن عبد الله بن عتبة :

وكيف بأطرا في إذا ما شتمتني وما بعد شتم الوالدين صلوح[٢]

فالصلوح هو الصلاح[٣]، والأخير هو السائد في اللغة .

وصيغة "فُعول" هذه مألوفة في باب "قعد يقعد قعودا" ولهذا ينضوي تحتها لفظ "صلوح" على أساس أنه مصدر قياسي، وإن كان غير مألوف في الاستعمال اللغوي . أما لفظ "كلول" فرغم وجوده في المعاجم اللغوية[٤] التي هي انعكاس لكل ما وصلنا، أو لأكثر ما وصلنا من تراث عربي، فإنه - مع ذلك - لا يساير قواعد النحاة، وما وضعوه في باب المصدر من مقاييس، هذا إلى جانب بعده عن المألوف في الاستعمال اللغوي .

وإذا كان المشهور في الفعل "جبر" أن مصدره "جبر" فإنه - مع هذا - في شعر الهذليين "جبور"، وذلك في قول أبي ذؤيب : "لكل أناس عثرة وجبور"[٥]. ولكن النحاة واللغويين يقولون بأن هذا الفعل يأتي لازما ومتعديا، ويسوقون لذلك شاهدا خاصا هو قول الراجز "جبر الدين الإله فجبر" وعلى هذا يمكن أن يكون المصدر "جبورا" مصدرا للفعل "جبر" اللازم دون المتعدي، وبهذا يتسق مع ما وضعه النحاة من قواعد، وإن كان لا يزال بعد هذا غريبا غير مألوف . وما يقال في

---

(١) ديوان الهذليين ١/ ٢١١ ، (٢) تاج العروس (طرف) . اللسان (مثل) (طرف) . (٣) القاموس (صلح) . (٤) المرجع السابق (كلل) .

(٥) ديوان الهذليين ١/ ١٣٨ . شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١/ ٦٦- الصحاح (قيص) . تاج العروس (قيص . قيض) . اللسان (قيص، قيض) الجمهرة (جبر) . المخصص ١٣/ ٤٣ - ابن السكيت : الأضداد ص١٧ ، الأصمعي : الأضداد ص١٤ .

"جبر" يقال مثله في "همر" فالمصدر عندهم فيه "همور" كما في شعر ساعدة بن جؤية (١).

وما يقال في "جبور" و "همور" يقال مثله في "طمور" من طمر في شعر أبي ذؤيب (٢)، وإذا كان المعروف أن مصدر الفعل "عثر" بمعنى زل وأخطأ هو "عثر"، "عثار" وإلى جانبهما يوجد في معاجم اللغة "عثير" (٣)، فإنا نجد فيه عند الهذليين "عثورا" على وزن "فعول" وذلك في قول أبي ذؤيب:

لا يبعدن الله لبك إذا غزا ... فسافر والأحلام جم عثورها (٤)

والعثور أكثر ما يستعمل في مألوف اللغة إنما يستعمل في العثور على الشيء.

ولعل من هذا أيضا لفظ "فروج" مصدرا للفعل "فرج" في قول أبي ذؤيب: "وللشر بعد القارعات فروج" (٥) أي تفرج وانكشاف، فهذا أولى من اعتباره جمع تكسير، وأكثر استقامة مع السياق، وإن كان اللغويون يتأرجحون فيه بين المصدر والجمع، وكذلك شأنهم في لفظ "وعوث" حين يقول صخر الغي في أبي المثلم:

يحرض قومه كي يقتلوني ... على المزني إذا كثر الوعوث

فهم يعتبرون أحيانا أن "الوعوث" الخلط والشر (٦)، وأحيانا أخرى يقولون بأن "الوعث" هو فساد الأمر واختلاطه، والجمع "وعوث" (٧).

ومن ذلك أيضا أننا نجد عندهم "نصورا" مصدرا للفعل "نصر" في قول أبي ذؤيب: "فتلك الجوازي عقبها ونصورها" (٨)، "وصنوعا" مصدرا للفعل "صنع" في قوله: "كواهية الأخرات رث صنوعها" (٩). وإذا كان الزبيدي ينقل إلينا قول ابن سيده: "صنوعها لا أعرف له واحدا" (١٠)، فإن هذا وهم منه حين عدل عن المصدر إلى افتراض الجمع

---

(١) ديوان الهذليين ٢١٧/٢. (٢) المرجع السابق ١٥٦/١ ــ الأساس الجمهرة (جبر). (٣) القاموس (عثر). (٤) ديوان الهذليين ١٥٧/١.
(٥) تاج العروس (فرج). (٦) ديوان الهذليين ٢٢٣/٢. المحكم وتاج العروس (وعث). (٧) اللسان (وعث). (٨) ديوان الهذليين ١٥٨/١. ابن سيده، المحكم (عقب). (٩) ديوان الهذليين ٨٦/١ ــ تاج العروس (صنع). المحكم ١٧٤/١. معجم البلدان (كوساء) ٢٩٤/٧.
(١٠) تاج العروس (صنع).

الذى لا يعرف له مفرد . والحق أنه مصدر كما يفهم من سياق البيت ، وهو ما نبه إليه السكرى فى شرح أشعار الهذليين .

وإذا كان هذا شأن صيغة " فُعول " مصدرا فى هذا النوع من الفعل فإنه من الغريب أن نجد ، إلى جانبها ، فى حالات نادرة صيغة مفعول فى مكان المصدر " لفَعُل " اللازم ، فنرى لفظ " مجلود " مكان " جلد " فى قول قيس بن عيزارة :

وأبيك إن الحارث بن خويلد لأخو مدافعة له مجلود (١)

وعلى هذا فقد ذكر اللغويون ذلك المصدر إلى جانب المصادر التى ذكروها لهذا الفعل ، فقالوا : " جلد جلادة وجلودة وجلدا ومجلودا "(٢) ، وإن كان غير مألوف فى الاستعمال اللغوى ، والنحاة لا يأبهون بذكره لشذوذه عندهم ، وعدم استقامته مع قواعدهم ، ولكنه ــ كما نرى ــ حقيقة لغوية تشير إليها ، وهذا ما نجده أيضا من جعل " الميسور " مصدرا(٣) فى معنى اليسر(٤) وقد صورته لنا قراءة ابن مسعود فى قوله تعالى " وإن كان ذا عسرة فنظرة إلى ميسرة "(٥) ، فقد قرأها " إلى ميسوره " بإضافة المصدر " ميسور " على وزن مفعول إلى الضمير العائد على الغريم(٦) (أى المدين) .

وهكذا نجد أن الهذليين قد يؤثرون أحيانا صياغة مصدر الثلاثى " فَعُل " " وفَعَل " لازما ومتعديا على وزن " فُعول " ، وهم فى بعض هذا يوافقون الاتجاه العام للغة ، ويخالفونه فى بعض آخر حتى إنك لتجد أن مصدرا كمصدر الفعل " نبح " يذكر فيه اللغويون " نبحا ونبيحا ونباحا "(٧) ولما اعترضهم لفظ " نُبوح " فى شعر هذيل فسروه بأنه ضجة القوم وأصوات كلابهم(٨) ، فكأنهم قد لمحوا فيه معنى " النباح " ولكنهم فروا من اعتباره مصدرا لأنه لا يتفق مع المقاييس النحوية ، مع أنه يحتمل أن يكون ــ على الأقل فى أصله ــ مصدرا للفعل " نبح " ، وهو فى هذا يتفق والتنسيق

---

(١) ديوان الهذليين ٣/ ٧٣ . (٢) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص ٢٥٤ . القاموس، تاج العروس (جلد) . (٣) القاموس، وتاج العروس (اليسر) . المصباح (يسر) . (٤) المصباح (يسر) . (٥) سورة البقرة ٢ آية ٢٨٠ .
(٦) البحر المحيط ٢/ ٣٤٠ . (٧) القاموس (نبح) .
(٨) ديوان الهذليين ١/ ٧٠ . الصحاح (نبح) . اللسان (قطع) . تاج العروس (نبح) .

الذى نلمسه عند هذيل أحيانا فى نظائره من المصادر .

ولعل من مظاهر ميل هذيل إلى هذه الصيغة من صيغ المصدر أن الآية الكريمة : " أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم "(١) قرأها ابن مسعود الهذلى ، والأعمش الكوفى من تلاميذه : " الرفوث "(٢) مكان " الرفث " عند جمهور القراء . هذا وقد نجد عندهم فى بعض المصادر " فعيلا " فى موضع " فَعْل " أو " فَعَل " فمصدر الفعل " وهج " نجده فى اللغة " وهَجا " و " وهجانا " ، و " وهْجا "(٣) ، وإذا وجدنا إلى جانبهما " وهيجا " ألفينا الشاهد عليه من الشعر الهذلى(٤) ، ومثل هذا نجده فى " أَرَجٍ " ، " أريج " فالأخيرة منهما نراها فى شعر أبى ذؤيب(٥) .

وإذا وجدنا فى معاجم اللغة أن مصدر الفعل " هبر " بمعنى (قطع) إنما هو " هَبْر " ، " وهبير " رأينا أن ثانيهما يسجله الشعر الهذلى ، وأن علماء اللغة يفزعون إليه ، فيستمدون منه الشاهد المطلوب(٦) ، وإذا كان مشى المقيد هو فى اللغة " رسف " و " رسيف " فإن الأخير منهما ماثل فى شعر صخر الغى(٧) ، وكذلك الشأن فى " نمت ونميت " (وهو صوت شبيه بالزجر) وذلك فى شعر الراعى الهذلى(٨) .

ولهذا فنحن حين نقرر أن كثيرا من المصادر التى جاءت على " فعيل " فى الشعر الهذلى تتفق مع الاتجاه العام ، وما وضعه له النحاة من مقاييس مثل : " قب الأسد قبيبا " سمع صوت أنيابه فى شعر أبى ذؤيب(٩) ، وغير ذلك من مصادر مألوفة فى الشعر الهذلى ، فإنا مع هذا لا نستطيع أن نوائم بين كل ما جاء عند الهذليين من ذلك ، وبين القالب اللغوى المألوف .

---

(١) سورة البقرة ٢ آية ١٨٧ . (٢) الكشاف ١/ ٢٥٤ . البحر المحيط ٢/ ٤٨ ، ٨٨ .
(٣) القاموس ، الأساس (وهج) . (٤) اللسان (قطع) تاج العروس (وهج) .
(٥) ديوان الهذليين ١/ ٥٦ . الصحاح اللسان (بول) . المصباح (أرج) .
الجواليقى : المعرب ص ٥١ . (٦) تاج العروس (هبر) ، اللسان (سقط ، هبر) . مقاييس اللغة ، الصحاح (سرط) .
(٧) ديوان الهذليين ٢/ ٧٠ . الجمهرة (رسف) . معجم البلدان (عمق) ٦/ ٢٢٠ .
(٨) الجمهرة (ت ن ٥) . (٩) ديوان الهذليين ١/ ١٧ . تاج العروس (قبب) .

وقد تتأثر هذيل في صيغة بعض المصادر بالاتجاه الذي سبق أن لمسناه من الملاءمة بين الحركات الثلاث، وبين الألف والواو والياء أي بين أصوات اللين قصيرها وطويلها، أو ما عبر عنه (برجشتراسر) بالحركات المقصورة والممدودة[١]، فقد نجد عندهم أحيانا "القال" في مكان "القول" و"الحاب" في مكان "الحوب"، ولهذا فإن قول الله تعالى: "ذلك عيسى بن مريم قول الحق"[٢] نجد قراءة ابن مسعود فيه: "قالُ الحق"[٣] ومثلها "قالُ الله"[٤]. وقوله سبحانه: "إنه كان حوبا كبيرا"[٥] قرأه الحسن: "حابا كبيرا"[٦]. ثم إننا نجد عندهم "الغار" في موضع "الغيرة" وذلك في قول أبي ذؤيب:

لهن نشيج بالنشيل كأنها ضرائر حرمى تفاحش غارها[٧]

ويقول اللغويون إن الغار لغة في الغيرة[٨]، وهانحن نرى أن الأولى تجد مكانها في الشعر الهذلي، وإذا كان بعض اللغويين قد فسر الغار بالصخب[٩] فهذا التفسير إنما هو - فيما أحسب - من باب التفسير باللازم، إذ يلزم من غيرة الضرائر هذا الصخب المشار إليه، ولكن الأصل هو أن الغار والغيرة شيء واحد، أو هما لغتان مختلفتان في لفظ واحد، وهكذا قال اللغويون أنفسهم.

هذا ما نجده في الشعر الهذلي، وفي بعض آثار الهذليين الأخرى أحيانا كقراءة ابن مسعود بشأن هذه الصيغة من صيغ المصدر. ومع هذا نرى أن أبا حيان حينما يريد أن ينسب هذه اللغة إلى أصحابها يقول إن هذا لغة تميم وغيرهم ممن يشابهونهم ويجاورونهم في وسط الجزيرة العربية، وهانحن قد رأينا آثارة من هذا عند هذيل في شعرهم وغير شعرهم. ولعل قراءة الحسن البصري التي سبقت الإشارة إليها تزكي هذه النسبة، فهناك من الروايات ما يفيد أن الحسن كان هذليا في هذيل، وأنه قد انعكس على نطقه بعض ألفاظهم[١٠]، وإذا صح هذا، فإننا نرجع

---

(١) مذكرات لطلبة كلية الآداب بعنوان "تطور النحو" ص ٣٤، ٣٨.
(٢) سورة مريم ١٩ آية ٣٤. (٣) البحر المحيط ٦/ ١٨١. مختصر شواذ القرآن ص ٨٤. اللسان (قول). (٤) مختصر شواذ القرآن ص ٨٤. تاج العروس (قول). (٥) سورة النساء ٤ آية ٢. (٦) البحر المحيط ٣/ ١٦١.
(٧) ديوان الهذليين ١/ ٢٧. الأساس (فحش). الاقتضاب ص ٤٦١، ١٧٨. الصحاح (غور). تاج العروس (ضر، غور). اللسان (غور، حرم، ضرر). (٨) اللسان (غور) الاقتضاب ص ٤٦١.
(٩) المرجع السابق والمادة السابقة. (١٠) تاج العروس (وخأ).

أن "حابا" تلك التي نسبت إلى الحسن قد حلت محل المصدر "حُوْبا" فذلك يساير الاتجاه الذي أشرنا إليه في أصوات اللين . أما "حُوبـا" بالضم والواو، وهي الاسم المرادف للإثم والذنب فلا يمكن أن تفسير "حابا" لأنها ليست مصدرا من جهة حتى يحل محلها مصدر، ولأن الملاءمة بين أصوات اللين متوافرة بين الضمة والواو فيها ،ولهذا نجدها هي الأخرى في الشعر الهذلي [(١)]، أي أن قراءة الجمهور "حوبا" بالاسم، وقراءة الحسن "حابا" بالمصدر .

وقد تجنح هذيل في تكوين بعض المصادر إلى "فِعال" مثل "طِلاب" في معنى طلب الشيء أو المطالبة به، وذلك في قول أبي ذؤيب : "تمنيتك من طلابك أم عمرو"[(٢)] وقوله:

" .. فما أدري أشفة طلابها "[(٣)]

وإذا كان هذا المصدر، في مقاييس النحاة ، غالبا ما يكون مصدرا للفعل الذي على وزن (فاعل) وفيه معنى المشاركة "كقاتل قتالا" أو على "فَعَل" اللازم، ودل على امتناع "كأبى إباء، ونفر نفارا"[(٤)] ، فإنه عند الهذليين ــ كما نرى ــ ليس قاصرا على ذلك ،فإذا كان الظاهر القريب المأخذ أن "طلابا" مصدر للفعل (طالب) ، فإنه يحتمل ــ في ترجيح ــ أن يكون هنا مصدرا للفعل (طلب) ، وليس هذا غريبا عليهم، فإنا نجد في شعرهم أيضا "السباء" في معنى "السبي" كقول أبي ذؤيب في الخمر :

فلا تشتري إلا بربح سباؤها بنات المخاض شومها وحضارها[(٥)]

والمِراح في معنى المرح كما في قوله "ويجد حينا في المراح ويشمع"[(٦)] والحِباب في موضع الحب كما في قوله أيضـا :

فقلت لقلبي يا لك الخير إنما يدليك للموت الجديد حبابها[(٧)]

---

(١) ديوان الهذليين ١/ ١٨ . المفضليات ص٦٢١ . تاج العروس(فجر) .
(٢) ديوان الهذليين ١/ ١٨ . شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١/ ١٧٠ . تاج العروس (شلل) . المخصص(أذ) ١٤/ ٥٦ . الصحاح(أذ) . اللسان (أوذ) ، (شلل) . شرح المفصل ٣/ ٢٦ ، ٩/ ٣١ .
(٣) ديوان الهذليين ١/ ٧١ . المرزباني ،الموشح ص٨٨ . المغني ١/ ١٠ ، ٣٩ .
(٤) حاشية الخضري على ابن عقيل ٢/ ٢٩، ٣٠ . (٥) ديوان الهذليين ١/ ٢٥ . الجمهرة (شوم) . اللسان والصحاح (شيم) . (٦) ديوان الهذليين ١/ ٥ . اللسان (شمع) . (٧) ديوان أبي ذؤيب ورقة ٤٢ . ديوان الهذليين ١/ ٧٢ . شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١/ ٤٤ . تاج العروس(جد)، (الحب) .

وقول صخر الغي : "عاودني من حبابها زود "(١)

فالحباب هو الحب كما في شرح السكري لأشعار الهذليين(٢)، كما ينقل ابن سيده من قول السكري نفسه تعقيبا على هذا البيت(٣)، ولست أريد القول بأن لفظ (الحباب) هو وحده المستعمل في الشعر الهذلي فإن لفظ الحب موجود هو الآخر في أشعارهم(٤). ولعل هذا مما حمل بعض اللغويين على الرجوع بهذه الصيغة من صيغ المصدر إلى وضعها المألوف في اللغة، وانضوائها تحت المقاييس التي وضعوها، فإنهم في تصريحهم بأن هذه لغة هذيل، فإنهم قالوا إنه مصدر (فاعل فعالا) أي (طالبت طلابا وحاببت حبابا)(٥)، وقد دفعهم إلى هذا أيضا ميلهم إلى القياس، والفهم لذلك المصدر على هذا الوضع الذي ذكروا، ولكني أرجح أن هذا المصدر بوضعه هذا كثيرا ما يخرج على هذه المقاييس المرسومة غير أنه ربما أفاد أحيانا معنى المتابعة والاستمرار، فالطلاب قد يكون معناه الطلب المستمر الحثيث، والحباب معناه الحب الملح.

وليس هذا المصدر قاصرا عندهم على فعل خاص من وزن خاص، فقد نجد "كفاتا" مصدرا للفعل الثلاثي المتعدي (كفت يكفت) كما في قول أبي ذؤيب :

ومو قعها ضخم إذا هي أرسلت ولو كفتت كانت يسيرا كفاتها(٦)

وللفعل الثلاثي المتعدي أيضا (صقل يصقل صقلا) فنجده "صقالا" كقول عمرو بن الداخل :

تمناني وأبيض مشرفيا أشاح الصدر أخلص بالصقال(٧)

وقد نراه مصدرا للفعل الثلاثي اللازم (جرى يجري جريا) فنجده (جراء) في قول أبي ذؤيب :

يقربه للمستضيف إذا دعا جراء وشد كالحريق ضريح(٨)

---

(١) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١/ ٢٥٤ . ديوان الهذليين ٢/ ٥٧ الشعر والشعراء ص ١٥٨ . تاج العروس (الحب) والرواية فيه (الزؤد) .

(٢) شرح أشعار الهذليين (فراج) ١/ ٢٥٤ . (٣) المخصص ١/ ٢٤٣ .

(٤) شرح أشعار الهذليين ١/ ٢٥٤ . ديوان الهذليين ١/ ٥٨ . الخصائص ٢/ ٤١٦ . اللسان، تاج العروس (رسل) .

(٥) المصباح (حب) . (٦) ديوان الهذليين ٢/ ١٦٣ . شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١/ ١٢٤ . (٧) ديوان الهذليين ٣/ ١١٢ .

(٨) تاج العروس (جرى) .

ويجعل الزبيدى الجراء خاصا بالفرس ، وينقل ذلك عن الليث من قدامى اللغويين [١] ، ولا أدرى ما سر هذا التخصيص ؟ ولا أعلم له وجها ، إلا أن يكونوا قد لمحوا ما أشرنا إليه من احتمال وجود معنى المتابعة والاستمرار والجد المتصل فى هذه الصيغة من صيغ المصدر فخصوا بذلك الفرس لأنه أشبه به . وإن كان هذا لا يمنع من أن يكون ذلك الجري والشد للرجل على قدميه ، كما هو دأب كثير من الهذليين الذين اشتهروا بذلك مما جعل ابن منظور يقول فى تعقيبه على هذا البيت : " أراد جرى هذا الرجل إلى الحرب ، ولا يعنى فرسا لأن هذيلا إنما هم عراجلة رجالة " [٢]. ينظر لسر ١

هذا ، وقد نجده أيضا مصدرا للفعل الثلاثى المتعدى (غاره يغوره) أى نفعه وأفاده ، وذلك فى مثل قول أبى ذؤيب :

" وما حل البختى عام غياره " . [٣]

ومصدرا للفعل الثلاثى اللازم (غار يغور) أى ذهب وغاب ، وهذا فى قوله :

هل الدهر إلا ليلة ونهارها وإلا طلوع الشمس ثم غيارها [٤]

ويكون كذلك فى الفعل الثلاثى المتعدى " عاد المريض يعوده " فيقولون " عيادا " كما فى قول أبى ذؤيب :

ألا ليت شعرى هل تنظر خالد عيادى على الهجران أم هو يائس [٥].

وقول المعطل : " وما لمت نفسى فى عياد خويلد " [٦] ، وقد روى : " فى دواء خويلد " أى فى علاجه [٧] ، وهذا أيضا مصدر من الوزن نفسه فهو يساير موضوعنا . والمشهور فى مصدر الفعل " عاد " إنما هو " عيادة " ، ولعل هذا ما حمل بعض اللغويين على القول بأن حذف التاء ضرورة ألجئ إليها [٨] ، وإن كان بعضهم قد ذكر " عيادة وعيادا " مصدرين

---

١) تاج العروس (جرى) ((٢)) اللسان (جرا) . (٣) ديوان الهذليين ١/ ١٥٤ شرح ديوان أبى ذؤيب (مخطوط الشنقيطى) ورقة ١٣٠ ، (تيمور) ص ١٩٠ . الصحاح (غير) . اللسان (وثق ، حمل) . تاج العروس (وثق) . (٤) ديوان الهذليين ١/ ٢١ . الصحاح ، اللسان ، مقاييس اللغة (غور) . الاقتضاب ص١٧٨ الألفاظ الكتابية ص ٢٨٦ . العينى : الشواهد الكبرى (هامش الخزانة) ٣/ ١١٥ الجرجاوى : شرح شواهد ابن عقيل ص ٢٢١ . (٥) ديوان الهذليين ١/ ١٦١ . المحكم ورقة ٢٠٧ شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١/ ٢١٧ . اللسان (بشر ، بصر ، روض ، شنع ، بسل) . (٦) المحكم (عود) . المخصص ٥/ ٨٦ . (٦) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١/ ٤٠٣ . ديوان الهذليين ٣/ ٤٣ . معجم ما استعجم (الخلداة) ص ٩٦٢ . (٧) شرح أشعار الهذليين (فراج) ١/ ٤٠٣ .
(٨) المحكم ١/ ٢٢١ . المخصص ٥/ ٨٦ . اللسان (بصر ، روض) .
والمخطوط ١ ورقة ٧٠

لهذا الفعل "(١) . ومثله في شعرهم " حياط أي " حياطة " في قول المتنخل :

واحفظ منصبي وأصون عرضي وبعض القوم ليس بذي حياط(٢)

و " خياط " أي " خياطة " في قولـــه :

كأن على صحاصحه ملاء منشرة نزعن من الخياط (٣)

والذي دفع إلى القول بأن حذف التاء ضرورة إنما هو فهمهم لهذا المصدر منتهيا بالتاء ، وعدم إلفهم له مجردا منها ، وقد فاتهم أنه بصورته تلــــك إنما هو مصدر لمجموعة من الأفعال من بينها هذا الفعل ، ولو قد نظروا في تراث الهذليين نظرة شاملة فاحصة ، قائمة على جمع الأشباه والنظائـــر لوصلوا إلى الحكم الصحيح في الموضوع .

وكذلك نجد أن الفعل الثلاثي المتعدي : " شاب الشيء يشوبه " مصدره عندهم " شياب " (٤) ، " وصاب يصوب " مصدره " صياب " (٥)، وقد ضبط هذا الأخير بضم أوله في بعض معاجم اللغة(٦) ، والحق أن الكســـر أشبه به مثل نظائره مما ذكرنا من مصادر ، هذا إلى أن الكسر ثابت فـــي أغلب ما ذكر فيه من مراجـــع .

ومن أمثلة ما نجده عندهم من هذا النوع مصدر الفعل " زاط " أي أحدث صياحا وجلبة ، إذ هو عندهم " زياط "(٧) ، وفي رواية الديـــوان وبعض معاجم اللغة " هياط " (٨) وفي اللسان " لغاط " (٩) ، والمصـــدر فيها جميعا واحد في وزنه ومعناه . وكذلك نجد مصدر " فلط " عندهـــم " فلاط " أي مفاجأة(١٠) .

وربما كان أكثر بعدا عن المألوف أن نجد الفعل " خضخض " مصاحبا في شعر الهذليين للمصدر " خياض "(١١) الذي اعتبره الزبيدي مصدرا لذلك

---

(١) المخصص ٥/ ٨٦ . (٢) ديوان الهذليين ٢/ ٢٢ .

(٣) المرجع السابق ٢/ ٢٨ ، تاج العروس (ريط) . (٤) ديوان الهذليين ١/ ٨٠ تاج العروس (شوب) . (٥) ديوان الهذليين ١/ ٧٦ . تاج العـــروس (نفر ، قتر) . اللسان (درر ، قتر) . (٦) تاج العروس (نفـــر) .

(٧) مجالس ثعلب : القسم الأول ص ١٢١ . اللسان (وعي) ، مقاييس اللغــــة (خمش) . (٨) ديوان الهذليين ٢/ ٢٥ . الأساس (هيط) . المحكم (وعي) . (٩) اللسان (لغط) . (١٠) ابن الأثير : النهاية ٣/ ٢١٣ . اللسان (فجأ) . (١١) ديوان الهذليين ٢/ ٧٥ . الصحاح (صفن) . اللسان (خوض ، خضض ، عطف ، جمم ، وبر ، صفن) . تاج العــــروس (خاض ، صفن ، جمم) .

الفعل في شعر الهذليين [١] ، رغم أن مصدره المألوف " خضخضة " ، وشتان بينهما ، ومع هذا فلعل " الخياض " مصدر الفعل (خاض) فهو من مادة هذا الفعل ، وإن كان يخالفه في بنيته ، فلعله من قبيل ما سماه النحاة " النائب عن المصدر " ، وقد نجد لذلك نظائر في اللغة كاغتسلت غسلا ... ، وفي القرآن الكريم في قوله تعالى : " والله أنبتكم من الأرض نباتا " [٢] ، " وأنبتها نباتا حسنا " [٣] ، " وتبتل إليه تبتيلا " [٤] ، " فإني أعذبه عذابا " [٥] . ثم إننا نجد أن قول الله تعالى : " ونزل الملائكة تنزيلا " [٦] رويت قراءة ابن مسعود فيه " إنزالا " [٧] ، كما روي عكس هذا في قراءته ، أي : " وأنزل .. تنزيلا " [٨] فيكون المصدر فيهما شأنه شأن نظائرهما فيما سبق من آيات .

وقد لجأت إلى هذا التخريج في المصدر الأخير لما يبدو فيه من شذوذ ظاهر ، ومع هذا فلا يبعد أن يكون مصدرا لهذا الفعل جاء في شعر الهذليين مسايرا لانطلاقهم في أمثال هذه الصيغ التي لا ضابط لها في الواقع إلا السماع ، وقد رأينا عندهم شيئا كثيرا من ذلك في جموع التكسير ، وعلى هذا يأخذ المصدر معنى عاما يشمل كل ما كان مصدرا وأصلا لا يختص باشتقاق معين ، بل هو أصل لمجموعة من الأفعال والمشتقات تتفق مادتها ويختلف بناؤها .

وإذا كان لقائل أن يقول إن جميع المصادر التي سبقت الإشارة إليها في الشعر الهذلي هي من قبيل ما أشرت إليه أخيرا من وجود النائب عن المصدر ، أو المصدر الجاري على غير فعله ، فالجواب على هذا هو أن ما ذكره اللغويون من ذلك قليل لا يحتمل التوسع الكثير الذي يكاد يكون في ذاته قاعدة لا مجرد استثناء . ومع هذا لو سلمنا جدلا بمثل ذلك القول

---

(١) تاج العروس (خضض) . (٢) سورة نوح ٧١ آية ١٧ .
(٣) سورة آل عمران ٣ آية ٣٧ . (٤) سورة المزمل ٧٣ آية ٨ .
(٥) سورة المائدة ٥ آية ١١٥ . (٦) سورة الفرقان ٢٥ آية ٢٥ .
(٧) ابن خالويه : كتاب ليس ص ٤١ . (٨) المخصص ١٤ / ١٨٦ .
الكتاب ٢ / ٢٤٤ . شرح المفصل ١ / ١١١ .

فإنه يبقى أمامنا شيء آخر هو إصرار الهذليين على اختيار هذه المصادر بأعيانها ، وفي هذا على أي حال دليل واضح على أن هذيلا تلتزم أحيانا مجموعات خاصة من المصادر ينضوي تحتها أخلاط من الأفعال تلتقي في بعضها مع الاتجاه العام في اللغة ، وتختلف عن هذا النهج في بعضها الآخر .

(٢)

ـ المشتقات ـ
((صيغة فعيل))

المعروف أن هذيلا لا تختلف لهجتها اختلافا كبيرا في مشتقاتها عن نظائرها من اللهجات العربية ، أو عن اللغة الفصحى ذاتها ، ولكننا ـ مع ذلك ـ نجد ظواهر من الخلاف ينبغي أن ينظر إليها في شيء من التحفظ والاحتراز مما عساه أن يخالطها ويغشيها من آثار الضرورة الشعرية التي يرتكبها الشعراء لتستقيم لهم موسيقى الشعر وقوافيه ، وبعد هذا التحفظ والاحتياط ، قد نجد من هذه الظواهر ما هو جدير بالدراسة .

فعيل وصفا :

ولعل من هذه الظواهر إيثارهم لصيغة "فعيل" وصفا كما أسلفناه إيثارهم إياها بعض الأحيان في المصدر . فنحن إذا ألفينا أن المشهور في بعض الأوصاف صيغة "فَعْل" مثل "نذل" وسمح ، وسمج " فإننا كثيرا ما نجدها عند هذيل "نذيل ، سميح ، سميج "(١) . كما تنبئنا بذلك كتب النحو واللغة، ونحن إذا نظرنا في الشعر الهذلي وجدنا مصداق هذا في قول أبي ذؤيب :

فإن تصرمي حبلي وإن تتبدلي   خليلا فمنهم صالح وسميج (٢)

وقول أبي خراش :

منيبا وقد أمسى تقدم وردها   أقيدر محموز القطاع نذيل (٣)

---

(١) اللسان (سمج ، ليث) . تاج العروس (سمج) . المخصص ٣/ ١٤ . الكتاب ٢/ ٢٢٤ . (٢) ديوان الهذليين ١/ ٦٠ . المقتضب ص ٤٦٤ ـ تاج العروس (سمج) . الصحاح والأساس (سمج) . الجمهرة (ج س م) . المخصص ٣/ ٩٤ . أدب الكاتب ص ٥٧٤ . (٣) ديوان الهذليين ٢/ ١٢٠ . شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ٣/ ١١٤٢ . تاج العروس (حمز) . الجمهرة (ن ز ل ، ق ط ع) .

ومثل هذا "تحيس" بدلا من "تحس" في قول ساعدة بن جؤية : "والشيب داء نحيس لا دواء له" (١) ، "وجديب" بدلا من "جدب" في قول معقل بن خويلد "ولا ينميوني الكلأ الجديب" (٢) ، "ولميد" في موضع "لمد" (وهو الجهد والصدمة تصيب الصدر من ثقل الحمل) (٣) وذلك في قول قيس بن عيزارة : "كمد كأنى في الفؤاد لميد" (٤) ، وقول ساعدة بن العجلان : "..كظيما مثلما زفر اللهيف" (٥) ، ومن ذلك أيضا "بريح" مكان "برح" في قول أبي ذؤيب : "يدافع عني قولا بريحا" (٦) فتعقيب السكري على هذا : "يقال بريح وبرح مثل سميح وسمح" (٧) ، فشأنهما شأن ما سبقهما من إيثار فعيل في موضع "فعل" ، وليس الأمر مقصورا على هذا ، بل قد تحل "فعيل" عندهم محل بعض الصيغ الثلاثية الأخرى مثل "فَعِل" ، فإننا نجد لفظ "وهيج" في موضع "وهج" كما في قول عمرو ابن الداخل الهذلي :

كأن عداءها إرنان ثكلى خلال ضلوعها وجد وهيج (٨)

ولهيف في موضع "لهف" كما في قول أبي ذؤيب : "..شفيت النفس لو يشفي اللهيف" (٩) ، وقول ساعدة بن جؤية : "صب اللهيف لها السبوب بطغية" (١٠) . وكذلك نرى لفظ "بهيج" بدلا من "بهج" في قول أبي ذؤيب :

فذلك سقيا أم عمرو وإنني بما بذلت من سيبها لبهيج (١١)

"ولقيف" مكان "لقف" (وهو الحوض الذي تخر من أسفله) وفعله "لقف فهو لقف" ، وذلك في قول أبي ذؤيب نفسه : "كما يتهدم الحوض اللقيف" (١٢) ، وكذلك نجد مثله في شعر صخر الغي (١٣) ، ومن يقرأ

---

(١) اللسان (قحم) . (٢) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص ١٢٠ .
(٣) القاموس (لمد) . (٤) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ٢/ ٥٦٧ .
ديوان الهذليين ٣/ ٧٢ . (٥) المرجع السابق ٣/ ١٠٨ .
(٦) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١/ ٢٠١ . ديوان الهذليين ١/ ١٣٤ .
اللسان (ترن) . مقاييس اللغة (بنو) . (٧) شرح أشعار الهذليين (فراج) ١/ ٢٠١ .
(٨) المرجع السابق ٢/ ٦١٧ ، ديوان الهذليين ٣/ ١٠٢ .
(٩) المرجع السابق ١/ ١٠٤ . (١٠) المرجع السابق ١/ ١٨١ . شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ٣/ ١١١١ - سمط اللآلي ٢/ ٨٩٥ . اللسان (طغى)، (لهف) ، (لطط) ، (بنا) . تاج العروس (لط) ، (جنب) . الصحاح (لطط ، سبب ، جنب) . (١١) ديوان أبي ذؤيب ص ١٢٥ . ديوان الهذليين ١/ ٥٦ . تاج العروس (بهج) . (١٢) ديوان الهذليين ١/ ١٠٢ . الصحاح (لزم) . اللسان (لقف ، لزم) . (١٣) ديوان الهذليين ٢/ ٧٢ .

دواوين شعر هذيل يرى من أمثال ذلك ما ليس بالقليل .

وأكثر من هذا أن صيغة " فعيل " هذه قد تجاوزت الأوصاف الثلاثية إلى بعض الأسماء الثلاثية ، مثل الأذن (عضو السمع) ، فهي عندهم " أذين " في قول أبي العيال الهذلي :

أو كالنعامة إذ غدت من بيتها ليصاغ قرناها بغير اذين[١]

وكذلك عندهم الشعر المجتمع ، والليف " فليل "[٢] ، والكلام الخفي " نسيف "[٣] والعروس " هَدِيّ "[٤] والحُلو " طليل "[٥] ، والثوب الخَلِق البالي " حشيف "[٦] ، والحوض " نضيم "[٧] والخمار " نصيف "[٨] .

فعيل في معنى اسم الفاعل :

إذا كنا نجد صيغة " فعيل " في معنى يقارب اسم الفاعل موجودة كثيرا في الفصحى ، وماثلة في كتب النحو العربي تحت عنوان : " الصفة المشبهة باسم الفاعل " وذلك في ألفاظ مألوف فيها هذه الصيغة ، فإننا نجد - إلى جانب هذا - عند الهذليين ألفاظا أخرى غير مألوف في صيغتها " فعيل " ، ولكن سجلتها أشعارهم ، ومن ذلك قولهم : داء نجيس بمعنى ناجس (أي داء عياء) وذلك في قول ساعدة بن جؤية :

والشيب داء نجيس لا دواء له[٩] ففي شرح ديوان الهذليين[١٠] ، وفي معاجم اللغة[١١] أن النجيس والناجس واحد ، ولكنا نجد لفظ " ناجس " في قول أبي ذؤيب : " وداء قد اعيا بالأطباء ناجس "[١٢] ، فاللفظان

---

(١) ديوان الهذليين ٢ / ٢٦٨ . (٢) المرجع السابق ٢/ ٢٥٨ ، اللسان ، تاج العروس (فلل) . الروض الأنف ٢/ ١١٧ ، (٣) ديوان الهذليين ١/ ١٠٢ ، اللسان (نسف ، ضمم) ، الصحاح (نسف) .
(٤) ديوان الهذليين ١/ ٦٥ ، تاج العروس (عوى) ، الاقتضاب ص ٩٣ ،
(٥) تاج العروس (طلل) . (٦) ديوان الهذليين ١/ ١٠٣ ، ٢/ ٦٣ ، ٣/ ٣ ، اللسان (حشف ، سوم) ، تاج العروس (تاج ، حشف ، سوم) ، الأمالي ١/ ٣٧ ، الفائق ١/ ٢٦٢ ، سمط اللآلي ١/ ١٥٦ . (٧) ديوان الهذليين ١/ ١٢٠ . (٨) المرجع السابق ١/ ١٠٣ . (٩) ديوان الهذليين ١/ ١٩١ ، تاج العروس ، أساس البلاغة (نجس) . (١٠) ديوان الهذليين ١/ ١٩١ ، (١١) القاموس ، الأساس (نجس) . (١٢) ديوان الهذليين ١/ ١٦١ ، الجمهرة (ن س ن) ،

موجودان معا في الشعر الهذلي ، فهل يمكن اعتبارهما كلاهما من لهجة هذيل ، تبعا لاختلاف بطونها ، وتنوع المؤثرات التي يتعرض لها كل من هذه البطون ؟ أم أن لتأثير الوزن والقافية دخل في وجود "نجيس" هنا ، وناجس "هناك ؟ ، والحق أنه لا ينبغي أن نساير اللغويين في قولهم بأن النجيس والناجس واحد ، لأن هذا كلام فيه تجوز وتسمح ، فيما أظن ، فلفظ نجيس قد يكون صيغة مبالغة على وزن "فعيل" وليس مساويا لناجس تمام المساواة .

ومما ذكره اللغويون كذلك "صويب" بمعنى "صائب" في قول ساعدة أيضا : "وقد خلهم سهم صويب معرد "[1] ، وقد فسر الزبيدى لفظ صويب بأنه صائب قاصد "[2] ، وفي شرح أشعار الهذليين أن صويبا وصائبا واحد ، وقويما وقائما واحد[3] ، ومثل هذا نجده في سنيح "بمعنى "سانح " في قول أبي ذؤيب : زجرت لها طير السنيح "[4]، وقوله "أزجي لحب الإياب السنيحا "[5] ، "ولبيج " أى نازل أو بارك حول البيوت[6] ، وذلك في قول أبي ذؤيب :

كأن ثقال المزن بين تضارع وشابة برك من جذام لبيج[7]

وقد يكون "لبيج "بمعنى "ملبوج "أي مضروب به الأرض حيثما يبرك ، فيكون "فعيل " هنا بمعنى "مفعول " ، ولعل من قبيل هذا ما جاء على "فعيل" وفيه معنى فاعل ما ذكره اللغويون في قول أبي ذؤيب :

فإن بني لحيان إما ذكرتهم ثناهم إذا أخنى اللئام ظهير[8]

من أن لفظ (ظهير) في هذا البيت بمعنى "ظاهر " ، وقد فسر هكذا في ديوان الهذليين[9] ، وفي معاجم اللغة[10] ، خلافا لظهير في معنى معين ، فإن هذه الصيغة مألوفة فيه ، وهو موجود في شعر الهذليين[11]

---

(١) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ٣/ ١١٧٠ ، ديوان الهذليين ٢٤١/١ ، تاج العروس(عرد) ، القاموس(صوب) ، (٢) تاج العروس (عرد) ، (٣) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ٣/ ١١٧٠ ،
(٤) ديوان الهذليين ١/ ٧٠ ، اللسان (هوى) ، (٥) ديوان الهذليين ١/ ١٣٦ ،
(٦) كتاب الجيم ، والقاموس (لبج)(٧) ديوان الهذليين ١/ ٥٥ ، تاج العروس(برك) ، (لبيج) ، (٨) ديوان الهذليين ١/ ١٣١ ، تاج العروس(ظهر) ، (٩) ديوان الهذليين ١/ ١٣١ ،
(١٠) تاج العروس(ظهر) ، (١١) البقية ص٦٨ ،

وغيرهم ، وإذا كانت في البيت السابق رواية أخرى هي " طهير " بالطاء بدلا من " ظهير " فإن هذا لا يخرج بنا عما نحن فيه ، لأن معنى " طهير " في هذه الرواية " طاهر " أي أن اللفظ في الحالين " فعيل " في موضع " فاعل "

ولكن معنى البيت لا يمنع من أن تكون هذه الصيغة قد قصد بها إلى المبالغة ، فيكون لفظ " ظهير " معناه شديد الظهور ، و " طهير " معناه " طهور " لا مجرد طاهر . والمهم هو أن وجود هذه الصيغة في مثل هذه الألفاظ غير مألوف حتى لقد دفع ذلك ابن جني إلى القول بأن العرب قد استغنوا في بعض أفعال بوزن " فاعل " عن " فعيل " ، وذكر الفعل (طهر) ، من بين هذه الأفعال ، أي أن فيه لفظ " طاهر " وليس فيه " طهير " فتصدى له من يرد عليه من اللغويين أنفسهم بأن لفظ " طهير " قد جاء في شعر أبي ذؤيب مستشهدا بهذا البيت الذي سقناه[1] ، وفي البيت ، في بعض المعاجم اللغوية تصحيف في كلمة " تناهم " إذ قدمت فيها النون على التاء فصارت " تتاهم "[2] ولكن هذا التصحيف في البيت لا يؤثر على موطن الشاهد فيه .

ومن أمثلة هذا أيضا " عقيد " في معنى " معاقد "[3] ، وذلك في قول أبي خراش " كم من عقيد وجار حل عندهم "[4] ، " وقميرا " بدلا من " مقامر " كما في قول أبي المثلم " خاض القداح قمير طامح خصل "[5] ، و " مكيث " في موضع " متمكث " (أي ذو تمكث وبطء) في قول صخر الغي " أجيب فلا ألف ولا مكيث "[6] ، وقول أبي المثلم " فإني عن تفقركم مكيث "[7] " وصريخ " مكان (صارخ أو مغيث)[8] في قول أبي ذؤيب :

وقال تعلموا ألا صريخ فأسمعه ولا منجي قريب[9]

---

(١) تاج العروس (طهر) . (٢) اللسان ، تاج العروس (طهر) .
(٣) تاج العروس (عقد) . (٤) ديوان الهذليين ٢/ ٢٦٨ ؛ تاج العروس (عقد ، حلف) . اللسان (خلف) . (٥) ديوان الهذليين ٢/ ٢٣٣ ؛
(٦) المرجع السابق ٢/ ٢٢٤ ؛ (٧) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص ١٩ . ديوان الهذليين ٢/ ٢٢٤ ؛ مقاييس اللغة واللسان (تفر) . الاقتضاب ص ٤٥٢ .
(٨) القاموس (صرخ) . (٩) ديوان الهذليين ١/ ٦٦ .

" وصيم " قد تكون فى معنى " مصمم " فى قول الهذلى (١) (ساعدة بن جؤية) (٢) :

فورك لينا لا يتمثم نصلــــــه — إذا صاب أوساط العظام صميم

وخليف فى معنى " مخالف " (٣) أو " متخلف " (٤) كقول أبى ذؤيـب :

تواعدنا عكاظ لننزلـــــــه — ولم تعلم إذن أنى خليف (٥)

وقوله : وأمسلة مدافعها خليف " (٦) وقول صخر الغى " تيممت أطرقة أو خليفا " (٧) وقد فسر الخليف فى قول صخر بأنه الطريق وراء الجبـــل ، أو خلف واد ، ففيـــه هو الآخر معنى التخلف ، ومن ذلك أيضا " حليف " فى معنى " محالف " (٨) ، كقول أبى ذؤيب " أخان العهد أم أثم الحليف " (٩) ، وقد فسره بعضهم بمعـنى الحالف لا الحليف (١٠) ، والأول أنسب ، وإن كانا متقاربين ، غير أنه علـــى المعنى الأول ربما استقام " الحليف " صيغة للمبالغة " (أى الكثير الحلف) أى أنه يحلف كثيرا ثم يخون ، فهى إذن فى معنى " حـــلاف " لا بمعـنى " حالف " ، وصيغة فعيل ــ كما نعلم ــ هى من صيغ المبالغة المعروفة .

فعيل صيغة للمبالغة :

إذا كنا نجد فى شعر الهذليـين من صيغ المبالغة المشهورة " فَعّـالا وفَعُـولا وفَعِيـلا " مثـل خراج ، وولوج (١١) ، وطلوب (١٢) ، وسبوح (١٣) ، وخرّيق (١٤) فإنا نجدهم مع هذا يتوسعـون فى تطبيق (فعيل) صيغة للمبالغة ، كمـــا توسعوا فيها فيمـا عدا ذلك فنلمسهـا عندهـم فى ألفاظ لم نألفها كثيرا فـــى

---

(١) الاقتضاب ص ٤٧٥ . (٢) ديوان الهذليين ١ / ٢٣٠ . (٣) ديوان الهذليين ١ / ٩٩ . (٤) اللسان (خلف) . (٥) ديوان الهذليين ١ / ٩٩ . ديـــوان أبى ذؤيب (مخطوط تيمـور) ص ١٦٨ (مخطوط الشنقيطى) ورقة ١١٥ . والرواية (تواعدنا الربيق) ، وكذلك تاج العروس (خلف) . (٦) ديوان الهذليـــين ١ / ١٠١ . شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١ / ١٩٦ (٧) شرح أشعـــار الهذليين (تحقيق فراج) ١ / ٣٠٠ . ديوان الهذليين ٢ / ٧٦ . اللســـان تاج العروس (خلف) . معجم ما استعجم (أطرقا) ١ / ١٦٧ . (٨) اللســان تاج العروس (حلف) . (٩) ديوان الهذليين ١ / ٩٩ . تاج العروس واللســـان (حلف) . (١٠) ديوان الهذليين ١ / ٩٩ . اللســان (حلـــف) . (١١) ديوان الهذليـين ٢ / ١٩٢ . اللســان (لحص ، حيـــص) . تـاج العـروس والصحـاح (لحص) . الجمهرة (حصل) . الكتـــاب ٢ / ٤٩ . إصـلاح المنطـق ص ٣٦ . شـرح المفصل ٤ / ١١٥ . (١٢) ديـوان الهذليـين ١ / ٩٥ . (١٣) الخصائص ٣ / ١٨٤ . شرح المفصل ٥ / ٣٠ . شرح التصريح ٢ / ٢٩٣ . (١٤) اللســـان (خشف) . الصحـاح (خرق) .

الفصحى ، أو فيما ألفناه في الاستعمال اللغوى ، وذلك كاستعمالهم لفظ "طليب" للمبالغة في معنى "طلوب" أي كثير الطلب كقول مليح الهذلي "ولم ينقلب منكم طليب بطائل" [(١)] ، وقد سبقت الإشارة إلى استعمال "طلوب" وذلك في بيت أبي ذؤيب .

فألقى غمده وهوى إليهم كما تنقض خائنة طلوب [(٢)]

فلعلهم استعملوا مع المؤنث "طلوب" ومع المذكر "طليب" ، وإذا لم يكن هذا من صنيع القافية وحكمها على الشعراء ومن صيغة "فعيل" هذه "عريف" أي كثير المعرفة في قول أبي ذؤيب ..

فلما خر عند الحوض طافوا به وأبانه منهم عريف [(٣)]

وثبيت (أي ثابت جدا) في قول عمرو بن هميل اللحياني ....

ألا من مبلغ الكمي عني رسولا أصلها عندي ثبيت [(٤)]

ونهيك أي كثير النهك كقول أبي ذؤيب : ...

فلو نبزوا بأبي ماعز نهيك السلاح حديد البصر [(٥)]

ونجيح (أي عظيم النجح) في قول أبي خراش: "يقربه النهض النجيح لما يرى [(٦)] وقول أبي ذؤيب "ينهض في الغزو نهضا نجيحا " [(٧)] وقول أبي المثلم:

يا صخر ثم سعى إخوانهم بهم سعيا ونجيحا فما طلوا ولا خطلوا [(٨)]

ومثل ذلك استعمال "ثجيج" في معنى ثجاج ، وهذا في قول أبي ذؤيب:

سقى أم عمرو كل آخر ليلة حنا تم سود ماؤهن ثجيج [(٩)]

وقد سبق لنا أن ذكرنا أنه يحتمل أن يكون منها "حليف" أي كثير الحلف أو "حلاف" ، وظهير " (أي شديد الظهور" ، وطهير (أي طهور) [(١٠)] .

---

(١) تاج العروس (طلب) . (٢) ديوان الهذليين ٩٥/١ . (٣) المرجع السابق ١٠٣/١
(٤) اللسان (رضض) . (٥) المرجع السابق (نهك) . (٦) شرح أشعار الهذليين (فراج) ١١٩٤/٣ . ديوان الهذليين ١٢٣/٢ . الأمالي ٥٧/١ ، ٥٨ . الجمهرة (ثلم) . اللسان (مثل) . الأصمعي ، الأضداد ص ٣١ . ابن السكيت ، الأضداد ص ١٨١ . تاج العروس (نجح ، مثل) . (٧) ديوان الهذليين ١٣٤/١ . (٨) المرجع السابق ٢٣١/٢
(٩) ديوان الهذليين ٥١/١ . شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١٢٨/١ . اللسان حنتم تاج العروس (ثج) . (١٠) أنظر ص ٢٠٩ ، ٢١٠ من البحث .

فعيل في معنى مفعول

هذه الصيغة مألوفة في اللغة ـ كما هو معلوم ـ يستوي في ذلك الهذليون وغيرهم ، ومن تطبيقاتها المألوفة التي سجلها شعر هذيل (وغيرها) فطيم[١] ، ومريج[٢] ، وجريح[٣] ، وقريح (أي جريح)[٤] ...

ومن غير المألوف كثيرا في هذه الصيغة ، وسجلته أشعار الهذليين ثم تناقلته من بعدهم معاجم اللغة قولهم "كشيف" بمعنى "مكشوف" كقول صخر الغي :

"يكشف للخال ريطا كشيفا"[٥] ، وبعيج (أي مبعوج ، وهو مبقور البطن) كقول أبي ذؤيب : "ويطني بالكرام بعيج"[٦] ، وقول عمرو ابن الداخل : "كأن ظباتها عقر" بعيج "[٧] ، وقوله " وحق له سجير لو بعيج "[٨] و"فليج" أي "مفلوج" في قول سلمى ابن المقعد القرمي :

لظلت عليه أم شبل كأنها إذا شبعت منه فليج معدد[٩]

ولحيم أي "قتيل"[١٠] في قول ساعدة بن جؤية :

فقالوا عهدنا القوم قد حصروا به فلا ريب أن قد كان ثم لحيم[١١]

وهذه رواية البيت في الديوان ، وقد ورد في كتب اللغة ، وانفرد كل منها بتصرف قليل في شطره الأول لا يؤثر على موضع الشاهد منه[١٢] . ومن ذلك أيضا "رديد" (أي مكتنز بعضه مردود على بعض) كقول أبي خراش : "كناز اللحم فائله رديد"[١٣] . " وحجيج" بمعنى "محجوج" (أي سبر الطبيب شجة في رأسه) وذلك في قول أبي ذؤيب :

---

(١) اللسان (حتر) . (٢) الأمالي ٢ / ٣١٢ . التنبيه ص١٩٢ . السمط ٣ / ٩٥٧ .
(٣) تاج العروس (جمل) . (٤) ديوان الهذليين ١ / ٦٨ ، ١٢٩ ، ٢١٢ ـ شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص١٩٦ . (٥) ديوان الهذليين ٢ / ٦٨ . اللسان (كشف) والرواية فيه "يرفع" بدلا من "يكشف" . (٦) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص٢٦٣ . الصحاح (بعج) . الجمهرة (بعج) . سمط اللآلي ٢ / ٩٤٦ . الاقتضاب ص٤٦٤ . المحكم (ع و ل) وتاج العروس (والرواية فيهما ويطني للكرام) . (٧) ديوان الهذليين ٣ / ١٠٣ . الصحاح (عقر) . التنبيه ٣ / ١٢٦ (٨) ديوان الهذليين ٣ / ١٠٠ . (٩) الأصمعي : ما تفرد به بعض أئمة اللغة ص١٧ . (١٠) مقاييس اللغة (لحم) . اللسان (لحم ، حصر) . تاج العروس (حصر) . سيرة ابن هشام ٢ / ١٨٩ . (١١) ديوان الهذليين ١ / ٢٣٢ . (١٢) اللسان (حدق ، لحم) ، تاج العروس (عصب) . مقاييس اللغة (لحم) . (١٣) ديوان الهذليين ٢ / ١٦٢ ، تاج العروس (ردد)

وصب عليها الطيب حتى كأنما أسِيٌّ على أم الدماغ حجيج[1]

وضريح أى بحيد كطويح ، فهو الاخر كما صرح الزبيدى فعيل بمعنى مفعول[2] وهذا فى قول أبى ذؤيب :

عصانى الفؤاد فأسلمته ولم أك مما عناه ضريحا[3]

وقوله :

سأبعث نوحا بالرجيع حواسرا وهل أنا مما مسهن ضريح[4]

وقوله :

يقربه للمستضيف إذا دعا جراء وشد كالحريق ضريج[5]

ومن ذلك أيضا " فريج " بمعنى مكشوف ظاهر كقول أبى ذؤيب يصف درة :

بكفى رُقاحى يريد نماءها ليبرزها للبيع فهى فريج[6]

وسحاب جنيب (أى مجتوب) أصابته "الجنوب"[7] ، فى قول أبى خراش : " غداة تخالنا نجوا جنيبا "[8] ، وسيف خشيب (أى مخشوب) أحكم صنعه[9] ، كما فى قوله أيضا " حسام الحد مذروبا خشيبا "[10] ، ونقيب أى " منقوب " فى قول أبى ذؤيب :

أرقت لذكره من غير نوب كما يهتاج موشى نقيب[11]

ورواية الديوان ثقيب[12] ، والمصدر ــ وزنا ومعنى ــ فى كلتيهما واحد .

وإذا قلنا سحج الشيء بالشيء فهو مسحوج وسحيج " فما أسرع ما يستشهد اللغويون لسحيج من الشعر الهذلى[13] ، وكذلك الشأن فى ثوب عريد أى مشقوق[14] ، وفرس " مشيق " (أى مشوق ضامر)[15] ،

= تاج العروس (ردد) . (١) الشيبانى : الجيم ص ٦٥ . اللسان (أسا) . المخصص ١٣/ ١٨٦ . مقاييس اللغة (حج) . (٢) تاج العروس (ضرح) ، (حج) .
(٣) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١/ ١٦٦ . ديوان الهذليين ١/ ٢٩ .
(٤) ديوان الهذليين ١/ ١٦٥ . (٥) تاج العروس ، اللسان (جرى) .
(٦) ديوان الهذليين ١/ ٥٦ . تاج العروس (فرج) . المخصص ١٢/ ٢٧٠ .
(٧) القاموس (جنب) . (٨) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ٣/ ١٢٠٧ . ديوان الهذليين ٢/ ١٣٤ . (٩) الأساس (خشب) . (١٠) ديوان الهذليين ٢/ ١٣٥ . شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ٣/ ١٢٠٧ . تاج اللغة (حسم) . الصحاح (رهق) . اللسان (حسم ، رهق) . (١١) تاج العروس (نقب) . (١٢) ديوان الهذليين ١/ ٩٢ . (١٣) ديوان الهذليين ١/ ٥٧ . تاج العروس (سحج) . (١٤) ديوان الهذليين ٣/ ١٠٩ . تاج العروس (عبق ، شحط) . (١٥) ديوان الهذليين ١/ ٨٧ . شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١/ ١٨٠ . تاج العروس (طفف) ، (مشق) . اللسان (طفف) .

وقطيل (أي قطول مقطوع) (١) ، ورديع (أي أصابه رداع) (٢) .

وليس الأمر وقفا على ماذكرنا ، بل إن الباحث في الشعر الهذلي ليجد فيه من أمثال ذلك الشيء الكثير . وهذا يجعلنا نميل إلى القول باتجاه هذيل ، بصورة واضحة ، إلى صيغة " فعيل " في كثير من كلامها .

فعيل وفعال :

قد نجد في اللفظ الواحد من ألفاظ اللغة أحيانا صيغة " فعيل " و " فعال " كطويل وطوال ، وكبير وكبار (٣) . وفي هذا مايدل على أن بعض العرب كان يستعمل قديما إحدى الصيغتين ، وبعضهم كان يستعمل الصيغة الأخرى . وقد رأينا موقف الهذليين من " فعيل " بمعنى " فاعل " و " مفعول " ، وفعيل صيغة للمبالغة ، فما موقفهم من " فعيل وفعال " ؟

الواقع أننا نجد في شعر الهذليين أحيانا " فعال " في معنى " فعيل " " كحباب مكان حبيب " في قول معقل بن حبيب الهذلي : ((لأقطع دابر العيش الحباب))(٤) . وقول المتنخل : " إني من العيش الحباب ليائس (٥) . وخفاف " مكان " خفيف " في قول مالك ابن خالد الخناعي :

فضاربهم قوم كرام أعزة بكل خفاف النصل ذي ربد عضب (٦)

وقد تأتي " فعال " بفتح الفاء أيضا بمعنى " فعيل " مثل " ثقال " أي ثقيل " أو " ثقيلة " في شعر أبي قلابة (٧) .

ولكن هذا — فيما يبدو — في شعرهم قليل ، فهم لايزالون يؤثرون فعيلا حتى في هذا المجال أي مكان " فعال " ، وفعال " في بعض ألفاظهم ، ومن ذلك " جزيف بمعنى جزاف " في قول صخر الغي :

فأقبل منه طوال الـــذرا كأن عليهن بيعا جزيفا (٨)

وقد يمكن اعتبار " فعيل " هنا مكان " فعال " بكسر الفاء أو " فعال " بفتحها فإن لفظ " جزاف " روى فيه اللغويون هذه الأوزان الثلاث

---

(١) ديوان الهذليين ٢١٥/١ ، العباب الزاخر (جنأ) . (٢) تاج العروس (ردع ، أسى)
(٣) ديوان الهذليين ٢٢٨/١ ، ٨٤/٢٦ ، ١٧٥ . الصحاح (زمخر) ، واللسان (زمخر ، شرى) مقاييس اللغة ٣٣٤/١ تاج العروس (رفد) . حماسة البحتري صفحة ٦٦ ، شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص ٢٨ . (تحقيق فراج) ٤٩٧/٢
(٤) اللسان (دبر) ، (سيف) . تاج العروس (حبر) . (٥) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١١٦٨/٣ ، (مخطوط) ص ٢٨١ . (٦) ديوان الهذليين ١٦/٣ .
(٧) المراجع السابق ٣٢/٣ . (٨) المراجع السابق ٦٩/٢ . اللسان (جزف ، بيع) . تاج العروس (جزف) .

وقد تحل "فعيل" عند هم أحيانا محل "فَعال" أيضا في "قريح" مكان "قَراح" فالقريح هو الخالص من الشوائب كالقَراح[1]، وذلك في قول أبي ذؤيب يصف درة :

بكفي رقاحي يريد نماءها   فيبرزها للبيع فهي قريح[2]

وقوله : وإن غلاما نيل في عهد كاهل   لطرف كنصل السمهري قريح[3]

هذا مع أن لفظ "قريح" لا يستعمل في اللغة المألوفة لدينا في هذا المعنى ، فنحن نقول : " ماء قراح " ولا نقول قريح ، وإنما نستعمل اللفظ الأخير مرادفا للفظ (جريح) خلافا لما نراه في الشعر الهذلي ، فقد استعمل فيه اللفظ المذكور بهذين المعنيين .

(٣)

ـ الفعـــل ـ

إذا كنا قد وجدنا شيئا من الغرابة في استعمال المصدر، وبعض المشتقات أحيانا في الشعر الهذلي ، فإنا لنجد مثل هذا أيضا في استعمالهم للفعل ، فقد نرى بعض أفعال تختلف في صيغتها واستعمالها عنها فيما هو مألوف في اللغة ، وقد نجد أفعالا أخرى تتفق وزنا وصياغة مع نظائرها في اللغة المألوفة ، ولكنها تغايرها من حيث المعنى قليلا أو كثيرا ... وهكذا نرى أن حلول بعض الأفعال محل بعضها الآخر أمر مألوف عندهم . ونستبين ذلك في وضوح إذا تناولنا بعض الصيغ بالبحث في ضوء من شعر الهذليين ، وماعساه أن يكون هنالك مما يلقي الضوء على الموضوع غير هذا الشعر كالقراءات ، وما يرويه اللغويون في هذا من لغـات .

---

(١) القاموس (قرح) .   (٢) تاج العروس (رقح) .

(٣) المرجع السابق (قرح) .

صيغ الثلاثـــي :

تأتي هذه الصيغ وغيرها ــ في أغلب الأمر ــ طبيعية على نحو ما هي في الفصحى . ولكننا قد نجدها تحل محل أوزان أخرى تؤدي معناها ، وتستعمل استعمالها ، فقد تحل " فَعَل " محل " فَعَّل " مثل " بَشَر " في موضع " بشَّر " ، وقد قرأ به عبدالله بن مسعود في رواية عنه ، وطلحة وابن وثاب " وَتبشُر المؤمنين " [١] فالفعل هنا مضارع بشر المخفف [٢] .

وقد تحل " فَعَل " محل " تفعَّل " مثل " ردَى " مكان " تردى " كما في قول ابن مسعود " من نصر قومه على غير الحق فهو كالبعير الذي ردى " يعني أنه وقع في الإثم كالبعير إذا تردى في البئر [٣] .

وقد تأتي في موضع " أفْعل " مثل " شب " مكان أشب كقول جنوب أخت عمرو ذي الكلب ترثيه :

شبت هذيل وفهم بيننا إرة ما إن تبوخ وما يرتد صاليها [٤]

كما نجد هذا عند بعض الشعراء الاخرين من هذيل [٥] . ومثل ذلك " جلى " بمعنى " أجلى " إذا صح ما أوردته المعاجم من قول ابي ذؤيب يصف النحل والعاسل (أو مشتار العسل) : " فلما جلاها بالأيام تحيزت " [٦] .
والرواية في دواوين شعر الهذليين " اجتلاها " [٧] ، وهي تخرج بنا عما نحن بصدده .

وكذلك نجد " لحد " مكان " ألحد " كما في قراءة ابن مسعود :
" لسان الذي يَلحدون إليه أعجمي " [٨] بفتح ياء المضارعة من " لحد " [٩] .
وحدق في مكان " أحدق " كما في قول ساعدة بن جؤية الهذلي ،

وقالوا تركنا القوم قد حدقوا به فلا ريب أن قد كان ثم لحيم [١٠]

---

(١) سورة الإسراء ١٧ آية ٩ . (٢) البحر المحيط ٦/ ١٣ .
(٣) ابن الأثير : " النهاية " ٢/ ٧٧ . اللسان (ردى) . (٤) شرح اشعار الهذليين (مخطوط) ص ٢١٣ . ديوان الهذليين ٣/ ١٢٦ . (٥) ديوان الهذليين ٢/ ٢١٥ (٦) اللسان (جلا) ، (أوم) مقاييس اللغة ، الصحاح (أيم) . الاقتضاب ص ٤٠٣ . شرح المفصل ٥/ ٤ . المنصف ١/ ٢٦٢ .
(٧) ديوان الهذليين ١/ ٧٩ . شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١/ ٥٣ .
(٨) سورة النحل ١٦ آيه ١٠٣ . (٩) البحر المحيط ٦/ ١٥٢ .
(١٠) ديوان الهذليين ١/ ٢٣٢ .

ورواية هذا البيت فى الديوان " حصروابه " بفتح الصاد وكسرها [١] ، وهو هكذا فى الأصل ، وفى اللسان قد " عصبوا به " [٢] وهو فى جميع الروايات ثلاثى بمعنى الرباعى " أحاط وأحدق " .

وقد نجد " فعل " بمعنى افتعل " مثل " تخذ " مكان " اتخذ " و " تقى " مكان أتقى .. ونلمس هذا فى قراءة ابن مسعود " لتخذت عليه أجرا [٣] بدلا من لاتخذت [٤] كما مر بنا . وقول أبى جندب الهذلى " تخذت غران أثرهم دليلا " [٥] ، وقول ساعدة بن جؤية : " تبقى به نفيان كل عشية " [٦] ، وقوله " ولو أن الذى يتّقى عليه " [٧] ، وقوله :

" يتْقى كما يتقى الطلى الأجرب " [٨] وقوله

" ومن العوادى أن تقتك ببغضة " [٩] .

وقد نجد " فعل " فى موضع " تفاعل " كقول صخر الغى " تجهنا غاديين وسايلتنى " [١٠] أى تواجهنا وتقابلنا وهكذا فسرها اللغويون ، وإن كان قد سبق لى تفسيرها بمعنى اتجه فتكون فعل فى مكان افتعل ، ومهما يكن من أمر معناها نص اللغويون والرواة على أن ذلك لهجة لهذيل [١١] .

<u>وزن أفعل :</u>

كثيرا ما تأتى صيغة أفعل عند هذيل فى ألفاظ تتفق مع اللغة المألوفة مثل " أنبح " الكلاب أى جعلها تنبح [١٢] وغير هذا الفعل مما ألفناه وعرفناه .

ولكن قد تحل هذه الصيغة محل " فعّل " مضعف العين مثل أصات " فهى عندهم فى معنى " صوت " كما فى قول أبى ذؤيب فى القوس :

وبكر كلما مست أصاتت [١٣] ، ومثلها " أخرب " بمعنى " خرّب " كما فى قول ساعدة ابن جؤية :

---

(١) الجمهرة (حلم) . (٢) اللسان (لحم) .

(٣) البحر المحيط ١٥٢/٦ (٤) سورة الكهف ١٨٧ آية ٧٧

(٥) ديوان الهذليين ٩٠/٣ معجم ما استعجم (غران) ٩٩٢/٢ . التصريح ٢٥٢/١ . شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ٨٦ . (تحقيق فراج) ٣٥٤/١ .

(٦) ديوان الهذليين ٦٩/١ انوادر أبى زيد ص ٤

(٧) ديوان الهذليين ٢١٨/١ (٨) المجمع السابق ص ١٨٤/١ . تاج العروس (بذخ

(٩) ديوان الهذليين ١٦٨/١ . السمط ٨٥١/٢ (١٠) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ٢٩٣/١ ديوان الهذليين ٦٧/٢ (والرواية فيه فسالتنى) . معجم البلدان (سبلل) . (١١) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ٨٦ ، (تحقيق فراج) ٣٥٤/١ ، إبراز المعانى ص ٣٨٦

(١٢) تاج العروس (نبح) . (١٣) ديوان الهذليين ٩٠/١ . تاج العروس (بكر) .

لتكشف عن ذى متون نـير كالريط لا هِفّ ولا هو مُخْوِبُ (١)

" أزاه " مكان " زيد " فى قول أبى خراش:

وقد يأتيك بالأخبار من لا تجهز بالحذاء ولا تُزِيـد (٢)

وآرق " فى موضع أرق " كقول ساعدة بن العجلان :

تغدو فتطعم ناهضا فى عشها صبحا ويؤرقها إذا لم يشبع (٣)

" وأعشاه " أى أطعمه طعام العشاء فى موضع " عشاه " وذلك فى قول أبى ذؤيب:

فأعشيته من بعد ما راث عشيه بسهم كسير الثابرية لهوق (٤)

" وأغشاها " مكان " غشاها " فى قول أبى ذؤيب: ويُغْشيها الأمان ربابها "(٥)

" وأضاف " مكان " ضيّف " (أى لجأ إلى الشئ ورجع إليه) (٦)، فى قول المعطل الهذلى : " تُضيف إلى صوته الغيلم " (٧)، ونجد هذا الفعل نفسه مستعملا فى شعر أبى ذؤيب (٨)، وشعر ساعدة بن جؤية (٩).

ومثل ذلك " أدنس " أى " دنّس " فى قول أبى خراش :

وإنى لأثوى الجوع حتى يملنى فيذهب لم يُدْنس ثيابى ولا جرمى

وهكذا ضبطه فى شرح أشعار الهذليين (١٠)، وإن كان قد ضبط فى الديوان المطبوع " لم يدنس ". ومن ذلك أيضا " أبدّ " أى " بدد " قسم وفرق " كما فى قول أبى ذؤيب :

فأبدهن حتوفهن فهارب بذمائه أو بارك متجعجع (١١)

وأجْمع " أى جمّع " فى قول أبى ذؤيب :

فكأنها بالجزع جزع ينابع وأولات ذى العرجاء نهب مُجْمَع (١٢)

وإذا كنا نجد فى كتب اللغة أن " أثام وذم " بمعنى " فإنا نجدها بالهمز فى قول أبى جندب الهذلى : " لعلك لست بالثأر المنيم (١٣) ، وقول الأبحّ بن مرة الهذلى : " لأنت بصرعو الثأر المنيم (١٤) . وكذلك كتاب منمّل ونمّل " أى متقارب"

(١) ديوان الهذليين ١ / ١٧٨ . (٢) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ٣ / ١٢٣٩ . (٣) ديوان الهذليين ٣ / ١٠٧ . (٤) المراجع السابق ١ / ٩١ . اللسان (ثبر ، عشا ، لهق) . (٥) اللسان (وصل ، ألف) . (٦) انظر القاموس (الضيف) . اللسان (ضيف) . (٧) ديوان الهذليين ٣ / ٥٦ . (٨) المرجع السابق / ٩٩ . (٩) المرجع السابق ٢ / ٢١٠ . اللسان (ضيف) (١٠) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ٣ / ١١٩٩ . ديوان الهذليين ٢ / ١٢٧ .

(١١) المرجع السابق ١ / ٩ المفضليات ص ٣٤ ، ٧٦٨ ، أبو هلال العسكرى : المعجم " باب الذال ص ٨٣ " . اللسان (جمع) الحيوان ٦ / ٦٤ " مقاييس اللغة (جمع) كتاب البرص ١٦ .

(١٢) ديوان الهذليين ١ / ٦ تاج العروس (بيع) . مقاييس اللغة (عرج) . اللسان (بيع) . المخصص ١٦ / ٤٥ . (١٣) تاج العروس (ثأر) (١٤) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ورقة ٢٩٢ " معجم البلدان (المربع) ٨ / ١٣ .

الخط ، والأول في قول أبي الميال الهذلي :

والمرء عموا فائتـه بنصيحـة ... مني يلوح بها الكتب المُنْمَل (١)

* * * *

وقد تأتي " أفعل " في معنى " فعَل " مثل " أسمى " في مكان " سعى " كقول أبي خراش : أبلغ عليا أطال الله ذلهم ... أن البكير الذي أسعوا به هَمِل (٢)

وهذه الصيغة غريبة مادامت الهمزة هنا لغير التعدية ، ولهذا فسر بعض اللغويين " أسعوا به " بمعنى " طلبوه " (٣) ، ولكن الطلب لا يخرج في معناه عن السعي ولذلك فإن " أُسعوا " لا تعدو أن تكون " سعوا " وهذا يوائم ما ذكر في ديوان الهذليين تعقيبا على البيت من أن " سعيت وأسعيت سواء " (٤) ، وقد فسر ابن جني " أسعوا " بمعنى اهتموا ، والاهتمام سعي أيضا ، ولكنه سعي حثيث فلعل زيادة البناء هنا لا تخلو من زيادة في المعنى تجعله غير قاصر على معنى السعي المجرد .

ومن قبيل " أفعل " في معنى " فعل " " أطاف " في معنى " طاف " كقول أبي خراش : تُطيف عليه الطير وهو ملحَّب (٥) و " أُجاز " مكان " جاز الطريق وقطعه " كقول أمية بن أبي عائذ :

أجاز إلينا على بعده ... مهاوي خرق مهاب مُهَال (٦)

وقول المتنخل : " أجزت بفتية بيض كرام " (٧) ، وقول أبي ذؤيب :

" أجاز إليها لجة بعد لجة (٨) ، وقول ساعدة بن جؤية : أجزت بمخشوب صقيل وضالة (٩)

، ومن ذلك ألظ " بالشيء مثل (لظ " به أي لزمه ، ومنه حديث ابن مسعود : " ألظوا بياذا الجلال والإكرام ، أي الزموا ذلك (١٠) .

---

(١) ديوان الهذليين ٢ / ٢٥٢ ، اللسان ، تاج العروس (نمل) . (٢) ديوان الهذليين ٢ / ١٦٧ ، شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ٣ / ١٢٣٩ ، اللسان (سعى) . المخصص ٦ / ١٦١ " (٣) القاموس (سعى) . (٤) ديوان الهذليين ٢ / ١٦٧ .

(٥) اللسان (طوف) . (٦) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ٢ / ٢٩٣ ، ديوان الهذليين ٢ / ١٧٢ ، مقاييس اللغة ، اللسان ، تاج اللغة (هول) . الصحاح وتاج العروس (هوب) . (٧) اللسان (سبط) . (٨) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١ / ١٣٤ ، ديوان الهذليين ١ / ٥٦ ، المفضليات ص ٤٩ ، حياة الحيوان ٢ / ٢٥٦ . (٩) ديوان الهذليين ١ / ٢٢٥ . (١٠) تاج العروس (لظ) .

"وأنال" في معنى "حلف" كقول ساعدة بن جؤية "يغيلان بالله المجيد لقد ثوى"(١)، وقول فاسل بن غزية الجربي الهذلي "وقد أنال أمور القوم وسطهم"(٢) . "وأفرم" بمعنى "ملأ"، كما في قول البريق :

وقوم حلول لهم سامر شهدت وشعبهم مُفرَم(٣)

فقد شرح هذا اللفظ في الديوان بمعنى (مملوء)، وقد صرح اللغويين بأن هذه لغة هذيل(٤) . وكذلك "أرعى" بمعنى "رعى" في قول مليح بن الحكم :

"أرعيت فيهم وما أرعوا ولا قصدوا"(٥)، وأرزمت "الناقة أى حنت، وذلك في شعر أبي ذؤيب(٦)، وألاح بمعنى لاح في شعره أيضا(٧)، وأنشأت الناقة أى لقحت، إذ تحدثنا المعاجم اللغوية أن هذه لهجة هذلية(٨) . وإذا كنا نجد في قراءة جمهور القراء "أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده"(٩)، "قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد"(١٠)، "إنه هو يبدئ ويعيد"(١١) فإنا نجد في قراءتهم أيضا "الله يبدأ الخلق ثم يعيده"(١٢)، وهنا نجد ابن مسعود (وبعض تلاميذه كطلحة) يحرص على أن تكون قراءة هذه الآية أيضا "يبدئ"(١٣)، من "أبدأ" على عكس قراءة الجمهور فيها، ولعل في هذا دليلا على إيثار هذيل لاستعمال "أبدأ" الرباعي مكان الوزن الثلاثي من هذا الفصل .

وزن فعَّل

مر بنا أن بعض الأفعال التي على وزن "أفعل" تأتي مكان "فعَّل" والآن نجد عكس هذا أى أن بعضها هو مألوف على وزن (أفعل) نجده عند الهذليين "فعل" ومن امثلة هذا "فسَّد" مكان "أفسد" في قول أبي جندب الهذلي :

---

(١) ديوان الهذليين ٢/ ٢٢٧ . اللسان (نيل) . تاج العروس (نول) .
(٢) معجم البلدان (الليث) ٧/ ٣٤٦ . (٣) ديوان الهذليين ٣/ ٥٥ . تاج العروس واللسان (فرم) . البقية ص٤٣ والرواية فيها "أولى بهجة" بدلا من "لهم سامر"
(٤) تاج العروس، اللسان، الصحاح (فرم) . المخصص ١٠/ ١٢ . (٥) شرح أشعار الهذليين (فراج) ٣/ ١٠١٦ . (٦) ديوان الهذليين ١/ ١٤٥ . الأمالي ١/ ١١ .
(٧) ديوان الهذليين ١/ ١٢٩ . شرح أشعار الهذليين (فراج) ١/ ١٦٧ .
(٨) الشيباني "الجيم ٣/ ٢٧٤ . تاج العروس، اللسان، العباب الزاخر (نشأ) .
(٩) سورة العنكبوت ٢٩ آية ١٩ . (١٠) سورة سبأ ٣٤ آية ٤٩ . (١١) سورة البروج ٨٥ آية ١٣ . (١٢) سورة الروم ٣٠ آية ١١ . (١٣) البحر المحيط ٧/ ١٦٥ .

وقلت لهم قد أدركتكم كتيبة   مفسّدة الأدبار مالم تخفر [١]

"وركّس" مكان "أركس" كما في قوله تعالى : "كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها" [٢]، إذ قرأها أبن مسعود "ركسوا" [٣] ، وكذلك "غزّاه" مكان "أغزاه" أى جعله يغزو فالغالب فيه الهمز [٤] ، ولكنا نجده بالتضعيف "فعّل" في قول المعطل :

لعمرك ماغزّوت دبنى بن غالب   لوتر ولكن إنما كنت موزعا [٥]

وصيغة التضعيف هذه في اللفظ المذكور نجد صداها في بعض المعاجم اللغوية [٦] .

* * *

وقد تأتى "فعّل" مكان "فَعَل" مثل "نكّل" في معنى نَكَل" كما في قول أبى ذؤيب "إذا ماالخلاجيم الصلاجيم نكلوا" [٧] ، إلا إذا اعتبروا نكّلوا بمعنى نكلوا نكلا شديدا كما قيل في "رفّعوا" أى رفعوا رفعا شديدا ، وبذلك قرأابن مسعود [٨] : "لاترفّعوا أصواتكم فوق صوت النبى" [٩] ، ومن ذلك قول الأعلم الهذلى :

رفّعت عينى بالحجاز إلى أناس بالمناقب [١٠]

وقول صخرالغى : يرفّع للخال ريطا كشيفا" [١١] ، ومع هذا فإن من اللغويين من يجعل "رفع ورفّع" سوا [١٢] ، ومهما يكن الأمر ، فإنه يبدو من قراءة ابن مسعود ومن شعر هذيل أن صيغة التضعيف في هذا الفعل لغة هذلية .

وقد نجد ايضا "أوب" مكان "آب" وهزّز" مكان هزه كما في قول المتنخل :

قد حال دون دريسيه مؤوبة   نسع لها بعضاه الأرض تهزيز [١٣]

وفتّر" من الأمر فترفيه ، كقول ساعدة بن جؤية :

أخيل برقامتى حاب له زجل   متى يفتّر من توماضه خلجا [١٤]

وقد نجد أحيانا "مشّى" بدلا من "مشى" كقول المتنخل : "يمشى بيننا حانوت خمر" [١٥]

(١) ديوان الهذليين ٣ / ٩٤ ، تاج العروس(قصد) ، (٢) سورة النساء ٤ آية ٩١
(٣) المحتسب ص ٢١٣ ، (٤) أنظر الأساس(غ زو) ، المصباح (غزا) ، (٥) ديوان الهذليين ٣ / ٤٢ ، (٦) القاموس ، تاج العروس(غزو) ، (٧) ديوان الهذليين ١ / ٣٢ كتاب الصناعتين ص ٢٦ ، (٨) الكشاف ٣ / ١١٨ ، (٩) الى سورة الحجرات ٤٩ آية ٢ ، (١٠) ديوان الهذليين ٢ / ٨١ ، شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ٩٨ الكشاف ٣ / ١١٨ ، (١١) القاموس (رفع) ، (١٢) اللسان (كشف) ، ديوان الهذليين ١ / ٦٨ (يكشف بدلا من يرفع) ، (١٣) ديوان الهذليين ٢ / ١٦ ، اللسان (هزز) تاج العروس(مسع) ، السمط ٢ / ٧٢٤ ، الأمالى ١ / ٣٨ ، ٢ / ٨٧ ، الصحاح (مسع) ، (١٤) ديوان الهذليين ٢ / ٢٠٩ ، اللسان (ومض) ، المخصص ٩ / ١٠٩ ، صحيح الأخبار ٢ / ٩٦ ، (١٥) ديوان الهذليين ٣ / ٢٣ ، المخصص ١١ / ٩٠ .

وكذلك يجئ " فعّل " مكان " تفعّل " مثل " قنّب و تقنّب " فحين تذكر المعاجم أن قنبوا وتقنبوا بمعنى اجتمعوا على الصد و نجد شاهدهم على وجود الفعل "قنّب" مستمدا من الشعر الهذلي في قول حذيفة بن أنس (وينسبه الزمخشري لساعدة ابن جويه) (١) :

ألا هل لقيس والحوادث تعجب   وأصحاب قيس يوم ساروا وقنّبوا (٢)

وزن فاعل :

كثيرا ما يأتي هذا الوزن من أوزان الفعل في الشعر الهذلي مطابقا لوضعه في مألوف اللغة مثل : " عاود ، واثب ، سابق ، وافي ... " (٣) ، لكنه قد ينحرف أحيانا عن هذا الوضع المألوف مثل "ناصف" بمعنى " أنصف "في قول الهذلي :
" لم يعطني الحق ولم يناصف " (٤)

هذا إذا لم يكن الفعل هنا من " ناصفه " أي قاسمه المال مناصفة بينهما ولكن روح المعنى توحي بأنه من الإنصاف .

ومن ذلك " ناصح "بمعنى " نصح " في رثاء عمرو بن معمر الهذلي في رثاء عبد الله ابن الزبير، وأخيه مصعب : " ولكنني ناصحت في الله مصعبا " (٥)

ومن ذلك أيضا " حارف " في حديث ابن مسعود : "تبقى عليه من الذنوب بقية فيحارف بها عند الموت" أي يشدد عليه لتمحص ذنوبه (٦) .

هذا وقد روى بعض اللغويين من ألفاظ اللغة " عاررت أو عاريت " بمعنى (تمكثت أو تلبثت أو انصرفت قليلا) ، ونسب ذلك إلى الشعر الهذلي في قول أبي خراش :

فعاريت شيئا والرداء كأنما   يزعزعه ورد من الموم ماهن (٧)

وإذا كانت الرواية في ديوان الهذليين " فعدّيت شيئا " (٨) ، فلعله وقع تحريف من نساخ الديوان في اللفظ " عاريت" فجعلوه " عدّيت" ويرجح ذلك أن المعنى يستقيم مع التمكث الذي يعبر عنه اللفظ في رواية اللغويين ، إذ المقصود من البيت ـ كما نفهمه في ضوء ما سبق ـ أن أعداءه هدءوا من روعه حتى يسكن إليهم تمهيدا للإيقاع به ، فتريث في مشيه حتى يوهمهم بأنه قد أطمأن إليهم ، وخدعه صنيعهم . أما لفظ " عدّيت" فلا معنى له في هذا المقام ، ولا يستقيم به السياق .

---

(١) الأساس (قنب) . (٢) ديوان الهذليين ٢٣/٣ . (٣) المرجع السابق ٦٥/٣ ، ٢٢ اللسان (صرف) . (٤) البكري : معجم ما استعجم (قنان) ١٠٩٧/٣ .
(٥) المؤتلف والمختلف ص٢٢٦ . (٦) اللسان (حرف) . (٧) تاج العروس (عر)
(٨) ديوان الهذليين ١٤٤/٢ . شرح ديوان الهذليين (مخطوط الشنقيطي) ص٧١

وزن تفاعـــــل :

قد نجده فى الشعر الهذلى فى معنى المشاركة مثل (تواعد) كقول أبى ذؤيـب :

تواعدنا الربيق لننزلنـه " (١) أو فى معنى " التزايد " مثل " تفاحـش " (أى تزايد فى القبح والفحش) كقول أبى ذؤيب أيضا " ضرائر حرمى تفاحش غارها " (٢) وكثيرا ما يأتى هذا فى أفعال مألوفة فى اللغة ، ولكن من الأفعال ما يأتى عند الهذليين على هذا الوزن ، ولكن فيه بعدا عن المألوف ، مثل " تشانّ " أى " بلى " ، ففى حديث عبد الله بن مسعود فى صفة القرآن " لا يتفه ولا يتشان " أى لا يبلى (٣) .

ومما هو غير مألوف فى هذا الوزن من أسماء الفاعلين " متماحل " ، وقد فسره اللغويون بالطويل المضطرب الخَلق (٤) ، أو الفاحش الطول (٥) ، ونجده فى قول أبى ذؤيـــب :

وأشعث بوشى شفينا أحاحـه غداتئذ ذى جودة متماحـل (٦)

" ومتمائن " بمعنى قديم ، كقول مالك بن خالد (٧) (أو المعطل الهذلى) (٨) .

رويد عليا جد ما ثدى أمهـم إلينا ولكن بغضهم متمائـن .

ويروى متماين (٩) بالياء فى موضع الهمز أى " مغشوش " (من المين والغش) وأصله " تمايثوا " أى تكاذبوا " (كذّب بعضهم بعضا) ، وإذا كان هذا اللفظ فى كلتا الروايتين غير مألوف لدينا ، فإنا نجد لهذا أثره فى ميل بعض القائمين بالدراسات اللغوية والأدبية إلى ما جاء فى اللسان من رواية ابن كيسان " ... ولكن بعضهم متيامن " (١٠) أى ذاهب إلى اليمين والحق أنه لا ينبغى أن نحكم الذوق فيما ثبت من مرويات اللغة وإن كان غير مألوف لدينا .

---

(١) ديوان الهذليين ١٥٣/١ ، (٢) المرجع السابق ٢٧/١ ، الصحاح (غور) اللسان (غور ، حرم ، ضرر) ، تاج العروس (ضر ، غور) ، الأساس (فحش) الاقتضاب ص ١٧٨ ، (٣) اللسان (تفه) ، (٤) اللسان ، القاموس (محل)

(٥) الأساس (فحل) ، (٦) ديوان الهذليين ٨٣/١ ، الصحاح (جرد ، محل) اللسان تاج العروس (بوش) ، (٧) شرح أشعار الهذليين ٤٤٤/١ (تحقيق فراج) .

(٨) اللسان (مأن) " والرواية فيه " ودهم " بدل بغضهم " .

(٩) ديوان الهذليين ٤٦/٣ ، الكتاب ١٢٣/١ ، المخصص ٨٩/١٤ ، معجم ما استعجم ٧٣٨/٣ .

(١٠) انظر ديوان الهذليين ٤٦/٣ (حاشية ٣) .

ومما جاء في هذا الوزن في معنى المشاركة أيضا " تهايج " في قول ابن مسعود " يتهارجون تهارج البهائم " أي يتسافدون (١) ، فكأنه من الهرج في معنى الخلط أو التخليط . وقد جاء من ذلك شيء في معنى التكلف والادعاء ، لكنه غريب في استعماله مثل " تماجم " أي تكلف العجمة والعي ، وعدم القدرة على القول كما في حديث ابن مسعود " ما كنا نتماجم أن ملكا ينطق على لسان عمر " (٢) .

ومما هو شبيه بذلك في استعمالهم ، ولكنه إلى الطبع أقرب ، تحالت المرأة أظهرت حلاوة وعجبا ، وذلك في قول أبي ذؤيب :

إذا ما تحالى مثلها لا أطورها (٣)

وهذا المعنى نجده في لهجتنا الحديثة ، منتشرا بين أهل الريف عندنا .

وقد يأتي " تفاعل " مكان " تفعل " مثل " تزايل ، تزيل " وكلاهما في معنى تباين (٤) ، ونجد الثانية منهما في قول أبي ذؤيب

إلى ظُعُن كالدوم فيها تزايل " (٥) .

وزن تفعل :

تأتي افعال هذا الوزن في الشعر الهذلي أحيانا في معنى أفعال تكون في الغالب على أوزان أخرى ، ومن هذه الأفعال ما هو غريب في وضعه ومنها ما هو معروف في الفصحى ، ومنها ما هو موجود الآن في اللهجات الحديثة .

ومن ذلك ما جاء في هذا الشعر على " تفعل " مكان " افتعل " مثل " تعذر " بمعنى اعتذر " ومنه " التعذر " أي الاعتذار في قول أبي ذؤيب :

فإنك منها والتعذر بعدما لججت وشطت من فطيمة دارها (٦)

وهذا الفعل مما ينطق به بعض العامة الآن في مصر ، إذ يقولون ، فلان "تعذر" لفلان عما فعله أي اعتذر منه .

---

(١) الفائق ٣ / ٢٠٢ . (٢) المرجع السابق ٢ / ١١٩ . (٣) ديوان الهذليين ١ / ١٥٥ . اللسان ، الصحاح (حلا) . (٤) الأساس ، اللسان (زيل) . (٥) ديوان الهذليين ١ / ٥١ . اللسان ، تاج العروس (زيل) . (٦) ديوان الهذليين ١ / ٢٦ تاج العروس (عذر) .

ومن ذلك أيضا " تنظر " أي " انتظر " في قول أبي ذؤيب أيضا :

ألا ليت شعري هل تنظر خالد عيادي على الهجران أم هو يائس(١)

وتنقص " بمعنى " انتقص " في قول أبي صخر الهذلي :

قالت أثيلة قد تنقصك البلى ونكست في أطمار أشعث ناحل(٢)

وتشكى " بمعنى " اشتكى " في قول جنوب أخت عمرو ذي الكلب :

بوجناء حرف تشكى الكلالا (٣)" وتخير " أي " اختار " كقول أبي ذؤيب :

تخير من لبن الآركات (٤) ، " وتلبث " بمعنى " لبث " كقول معقل بن خويلد " دعوت بني سهم فلم يتلبثوا " (٥) ، و" تلهب " أي " التهب " كقول ساعدة ابن جؤية :

فرق من الخطي اغمض حده مثل الشهاب رفعته يتلهب (٦)

و " تبغي " في معنى " ابتغى " أو في معنى الثلاثي " بغى " في قول ساعدة ابن جؤية :

ولكنما أهلي بواد أنيسه سباع تبغي الناس مثنى وموحد (٧)

ومما هو من هذا الوزن في معنى الثلاثي أيضا " توثب " أي " وثب " ، ومن ذلك ما يسوقه اللغويون من حديث هذيل " أيتوثب أبو بكر على وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم "(٨) .

ولعل في بعض هذه الأفعال معنى يزيد قوة وتأكيدا على معنى الفعل الذي يناظره ، فربما كان " التلهب " أقوى من " الالتهاب " ، والتبغي أشد من الابتغاء ، إلى ما يلمح فيه من معنى البغي ، والتوثب أقوى من الوثب ، وأشد إيغالا في التعبير عن الظلم ، ولكن الذي يهمنا أن في بعض هذه الأفعال ــ كما ذكرنا ــ شيئا من غرابة في الاستعمال .

---

(١) ديوان الهذليين ١/ ١٦٠ ، شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج)١/ ٢١٣ ، المخصص ٥/ ٨٦ ، اللسان (بسل ، يشر ، بصر ، روض) ، المحكم (ش ن ع) ، (عود) . (٢) البحتري : ديوان الحماسة ص٢٠٧ . (٣) ديوان الهذليين ٣/ ٢٣ : كتاب الصناعتين ص١٠٦ . (٤) ديوان الهذليين ١/ ١٤٦ . مقاييس اللغة (أرك) . (٥) ديوان الهذليين ٣/ ٧١ . (٦) المرجع السابق ١/ ١٨٤ . (٧) ديوان الهذليين ١/ ٢٣٧ . المخصص ١٧/ ١٢٤ . اللسان ، الصحاح ، تاج العروس (بغى) ، شرح المفصل (والرواية فيه " ذئاب " مكان " سباع ") ٨/ ٥٧ . وكذلك المغني ٢/ ١٦٢ .

(٨) تاج العروس ، اللسان (وثب) .

وهناك غير هذا أفعال كثيرة خرجت عن أوزان نظائرها التى تقابلها أو تقاربها فى معناها ، وقد كتب لبعضها البقاء إلى الآن ، وبعضها اكتفى بأن يظل قابعا فى بطون المراجع ، أو أن يتطور فى الاستعمال بعض التطور كما سبقت الإشارة . فإذا كنا قد ألفنا فى الفصحى وجود " تغنى " من الفعل "غنى " فإننا لم نألف " تغرد " من " غرد " ، ولكنا نجده فى الشعر الهذلى فى قول ساعدة ابن جؤية :

بأوب يدى صناجة عند مدمن   غوى إذا ما ينتشى يتغرد (١)

ونجد — إلى جانب ما ذكرناه — " تنقذ " مكان " أنقذ " أو " استنقذ " وإن كان قد استعمل تجوزا فى " التلقف " والاختطاف " (٢) ، كما نجد " تجرم " بمعنى انصرم ومضى (٣) ، وتقضى بمعنى انقضى (٤) وتبدل فى معنى " استبدل " (٥) ، وتروح " بمعنى " روح " ، والأخيرة رواية السكرى (٦) وهذا يؤكد التناظر بينهما .

وزن استفعل :

تأتى أفعال كثيرة على هذا الوزن فى الشعر الهذلى متفقة من حيث صيغتها ومعناها مع وضعها فى مألوف اللغة مثل : استبدل (٧) ، واستمسع (٨) واستمات (٩) ، واستحكم (أى صار محكما) (١٠) ، واستحر (أى اشتد) (١١) ، واستدار (أى دار) (١٢) ، واستكره (أى أكره) (١٣) ، واستفاق بمعنى " أفاق " (١٤) واستبل " بمعنى " أبل " (١٥) ، وغير هذا كثير .

---

(١) ديوان الهذليين ١/ ٢٣٦ . (٢) ديوان الهذليين ١/ ١٥٧ " ديوان أبى ذؤيب (مخطوط الشنقيطى) ورقة ١٣٣ . (مخطوط تيمور) صفحة ١٩٥ . اللسان (غنم) . (٣) اللسان (جرم ، حير ، غيق) ، تاج العروس (يضع . حار) . (٤) اللسان (حير) ، (٥) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١/ ٢١٢ . تاج العروس (بدل) ! اللسان (خور) . طبقات فحول الشعراء ص ٦٦ . ديوان الهذليين ٣ / ٦٤ . (٦) المرجع السابق ٣/ ٧٣ .
(٧) المرجع السابق ٢/ ١١ (٨) المرجع السابق ٣/ ٤ (٩) المرجع السابق ٢/ ٨٣ .
(١٠) اللسان (زمع) . ديوان الهذليين ١/ ١٤٨ .
(١١) المرجع نفسه ٣ / ٢٧ (١٢) المرجع نفسه ٣ / ٦٣ .
(١٣) المرجع نفسه ١/ ١٧ . (١٤) المرجع نفسه ١/ ٢٣٤ .
(١٥) المرجع السابق ١/ ١٢٩ .

وقد نجد الفعل من هذه الأفعال غريبا في معناه ، لكنه مألوف من حيث القالب الذى صب فيه ، مثل استبثاث الشيء يستبيثه (أى استخرجه)(١) فرغم ما في معناه من غرابة ، نجد أن صيغته تفيد الطلب كما هو شأنها في مألوف اللغة .

ولكن قد نجد في بعض الأفعال التي من هذا الوزن شيئا من الغرابة في قالبها واستعمالها ، ومن قبيل هذا ما نجده من أن الفعل " استبشر " معناه " بشر " في قول ساعدة بن جؤية :

فبينا تنوح استبشروها بحبها علي حين أن كل المرام تروم(٢)

وقد استشهد صاحب اللسان بهذا البيت على أن " استبشر " تكون في معنى " بشّر " . وفي موضع آخر من الديوان نجد قول ساعدة أيضا :

فبينا تنوح استبشروها بحبها صحيحا وقد فت العظام فتورها(٣)

والرواية الأخرى للبيت " فبينا تنوح أبشروها بحبها "(٤) ، وعلى هذا الرواية تكون " أبشر " هي التي اخذت معنى (بشر) ، والامر في الحالين بعيد عن المألوف .

ومن ذلك أيضا " المستأخذ " الذى به أُخُذ من الرمد (أو به رمد شديد) وذلك في قول أبي ذؤيب :

يرمي الغيوب بعينيه ومطرفه مغض كما كسف المستأخذ الرمد(٥)

" والمستوبد " في قول ساعدة بن جؤية :

هو الطرف لم تحشش مطى بمثله ولا أنس مستوبد الدار خائف(٦)

وقد فسره القاموس(٧) بالجاهل بالمكان أو السيء الحال ، ولعل المعنى الأول أشبه بالبيت وأنسب ، وإن كان اللفظ في نفسه غير مألوف .

---

(١) تاج العروس (باث) . (٢) ديوان الهذليين ١/ ٢٣٣ .
(٣) ديوان الهذليين ٢/ ٢١٨ . اللسان (بشر) . (٤) ديوان الهذليين ٢/ ٢١٨ . شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ٣/ ١١٨١ .
(٥) ديوان الهذليين ١/ ١٢٥ . اللسان (كسف ، اخذ) . تاج العروس (أخذ) ، (غيب) . (٦) ديوان الهذليين ١/ ٢٢٣ .
(٧) القاموس (وبد) .

ومن هذا القبيل (المستوعف) وهو الفرس السابق (١) كقول أبي كبير :

ولقد أجزت الخرق يركد علجه   فوق الإكام إدامة المستوعف (٢)

والمستخلف في قول أبي كبير أيضـــا :

عجلت يداك لغيرهم بمرشة   كالمط وسط مزادة المستخلف (٣)

وقد فسر في الديوان بأنه المستقي لأصحابه (٤) ولكن المعاجم تجعل المستخلف والخالف السقاء (٥) ، وسواء صح هذا المعنى أو ذاك فإن لفظ المستخلف هنا في غير معناه ووضعه المألوف . ومن ذلك ~~المستبدر~~ " المستبدر " (أي المســــرع الماضي) (٦) كقول المتنخل :

مستبدرا يزعب قدامــــه   يرمي بعم السمر الأطول (٧)

وقد جاء في القامــــوس "مستبذرا " بالذال ، وذكر أن معناه " المسرع الماضي " وقد روي البيت نفسه في شرح القاموس هكذا بالذال لا بالدال (٨) على سبيل الاستشهاد ، وهو أقرب إلى أن يكون تصحيفا ، لأن " مستبدرا " بالدال معناه في أغلب الظن ــ مبادر أي أنه مشتق من المبادرة ، وهذا يتفق والمعنى الــذى ذكرتــه المعاجــم من أنه المسرع الماضي " . أما لفظ مستبذر " فهو جــه بعيد ، إلا أن يكون من معنى التبذير كما في اللسان . ومن المعنى الأول (أي معـــنى المبادرة " يستبدر " بمعنى يبدر في قول المتنخل :

" كأن الدمع يستبدر من منخــــل " (٩) .

ومن الأفعال الأخرى التي جاءت على هذا الوزن : " استراب به " إذا رأى منه ما يريبه اذ ينسب بعض اللغويين ذلك الى هذيين (١٠) ، " واستجمــع " بمعنى اجتمع في قول أبي ذؤيب : " واستجمع الطفل منه رشوحا " (١١) .

واستوقد " بمعنى توقد كقول أبي قلابـــة :

إذ لا يقارع أطراف الظباة إذا استوقدن إلا كماة غير أجبــــــان (١٢)

---

(١) القاموس (وعف) . (٢) ديوان الهذليين ٢ / ١٠٦ . (٣) المرجع السابق ٢ / ١٠٩ .

(٤) المرجع السابق ٢ / ١١٠ . (٥) القاموس ، تاج العروس (خلف) .

(٦) تاج العروس (بحر) . (٧) ديوان الهذليين ٢ / ٨ ، تاج العروس (بذر) .

(٨) تاج العروس (بحر) . (٩) ديوان الهذليين ٢ / ٢ . (١٠) تاج العروس (رأب) .

(١١) ديوان الهذليين ١ / ١٣٢ . (١٢) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فـــراج) ٢ / ٧١٢ ديوان الهذليين ٣ / ٣٩ .

" واستحار " الشيء بالشيء أي " تحير " (إذا تردد واعتلا) ، كما في قول أبي ذؤيب : " واستحار شبابها " [١] ، وقول ساعدة بن جؤية :
" إلى فضلات مستحير جمومها " [٢] ، ولكن يبدو أن استعمال الفعل " استحار " واسم الفاعل " مستحير " هنا مجاز وأصله من " حار يحور " أي " رجع يرجع " ويستعمل الفعل " استحار " على سبيل الحقيقة لا المجاز في قول خالد بن زهير مخاطبا أبا ذؤيب [٣] :

لعلك إما أم عمرو تبدلت سواك خليلا شاتمي تستحيرها

أي تسترجعها وتطلب رجوعها ، وتفسيره في ديوان الهذليين تستعطفها وليس هذا بالتفسير اللغوي الدقيق ، وإنما الاستعطاف هو السبيل إلى استرجاعها . ومن يرى الأخذ بالرواية الأخرى لهذا اللفظ " تستخيرها " [٤] بالخاء لا بالحاء تخرج به طبعا عن هذا المعنى الذي نحن بصدده .

ومن الأفعال الغريبة من هذا النوع في استعمالها ما نراه في قول أبي ذؤيب : رآها الفؤاد فاستضل ضلاله " [٥] أي فضل ضلالا بعيدا ويفسر ذلك صاحب الصحاح بقوله " يعني طلب منه أن يضل فضل . [٦] أي استضله الهوى إلى أي حد كبير ، فكأنما الذي وقع تحت تأثير الاضلال أو الاستضلال ليس الشخص المدله نفسه بل الضلال المنسوب إليه ، كما يقال " جن جنونه " وهذا مبالغة في تفخيم الضلال الذي وقع فيه . ولكن التعبير على أي حال غير مألوف .

وزن افتعل :

كثيرا ما تأتي الأفعال في هذا الوزن على مثل حالها في الفصحى أو فيما ألفناه من ألفاظ اللغة مثل " ازدار من زار " [٧] ، " واصطان من صان " [٨] واحتدم أي اشتد " [٩] " والتمس الشيء أي طلبه " [١٠] ، واعتسر الصعاب أي ركبها " [١١] .

---

١) ديوان الهذليين ١/٧٧ . الصحاح ، أساس البلاغة (حير)
٢) ديوان الهذليين ١/٢٠١ . اللسان (جحم ، شور) . ٣) ديوان الهذليين ١/١٤١
٤) شرح ديوان أبي ذؤيب (مخطوط الشنقيطي) ورقة ١٣٣ (مخطوط تيمور) ص ١٩٤ . اللسان (خور)
٥) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١/١٤١ . اللسان (ضلل ، وتوف) . الصحاح (ضلل) . معجم ما استعجم ص ١١٠١ . ٦) الصحاح (ضلل) . ٧) تاج العروس (زور) . اللسان (زور ، عدل) . ٨) اللسان (صون) . تاج العروس (صان) . ٩) اللسان (محق) . ١٠) تاج العروس (صاب ، مس) . ١١) ديوان الهذليين ٢/٢٥٣

وقد نجد أفعالا ربما كانت غرابتها لعدم كثرة دورانها على الأقلام ، والألسنة مثل " اشتجر " إذا وضع يده تحت " شجره " ، كقول أبي ذؤيب :

نام الخلي وبت الليل مشتجرا كأن عيني فيها الصاب مذبوح(١)

" واضطمر " بمعنى " ضمر " في قوله أيضا :

تريع الغزاة وما أن يزيغ مضطمرا طرتاه طليحا (٢)

ولكنا نجد أفعالا لا تأتي غرابتها من ألفاظها أو من عدم استعمال هذه الألفاظ استعمالا كافيا ، بل يرجع ذلك إلى صياغتها ، ومجيئها في هذا الوزن على غير معناها المتعارف ، كقولهم " اعترف " مكان " عرف(٣) " في قول أبي ذؤيب :

مرته النعامى فلم يعترف خلاف النعامى من الشام ريحا(٤)

ونجد هذا الفعل في حديث لابن مسعود : " فيقال لهم هل تعرفون ربكم ، فيقولون ، إذا اعترف لنا عرفناه (٥) ، ويفسر ابن الأثير ذلك بقوله " أي إذا وصف نفسه بصفة نحققه بها عرفناه . وهذا نفسه تفسير ابن منظور لهذا الفعل (٦) ، ويؤخذ من هذا التفسير أن اعترف هنا بمعنى " عرف نفسه " هذا إذا لم يكن هناك استعمال مجازي في الفعل ، فيكون الاعتراف الذي هو في معنى الاقرار مستعملا هنا على سبيل المجاز .

ومن ذلك أيضا " اقترى " أي تتبع واستقرأ (٧) ، كما في قول أبي ذؤيب :

تأبط خافة فيها مساب فأضحى يقترى مسدا بشيق(٨)

ومن ذلك " اختل " إليه ، أي احتاج (وهو من الخلة أي الحاجة) ، ومنه

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ١٠٤ الصحاح (صوت) ، تاج العروس اللسان مقاييس اللغة (شجر) ، شرح المفصل ١٠ / ١٢٤ ، شرح الشافية ١ / ٢٠٩ .
(٢) ديوان الهذليين ١ / ١٣٤ ، الكتاب ١ / ٢٣٨ ، الخصائص ٢ / ٤١٣ ، واللسان (ضمر) : " بعيد الغزاة فما إن يزال " ، اللسان ، الصحاح (عرف) شرح ديوان أبي ذؤيب (تيمور) ص ١٨٣ . (٤) ديوان الهذليين ١ / ١٣٢ شرح ديوان أبي ذؤيب (شنقيطي) ورقة ١٢٦ ، (تيمور) ص ١٨٣ ـ الصحاح (عرف) ، المحكم (عذر) ، اللسان (عرف ، نعم) ، الجمهرة (ع ر ن) ، الكامل ٣ / ٢٦ ، ذيل الأمالي ص ٦ ، (٥) النهاية ٣ / ٨٦ ، (٦) اللسان (عرف) ، (٧) القاموس (القرية) ، تاج العروس (الشيق) ، (٨) ديوان الهذليين ١ / ٨٨ ، اللسان (جوف ، زهق) ، تاج العروس (سأب) ، (مسد) (الشيق) ، الصحاح (سأب وخوف) ، المخصص ١٩ / ١ (والرواية في تاج العروس (فأصبح) ، وفي اللسان والصحاح والمخصص (فأضحى) .

قول ابن مسعود : " عليكم بالعلم فإن أحدكم لا يدرى متى يختل إليه "(١) أى متى يحتاج الناس ما عنده . ومن هذه الأفعال (اجتلى) بمعنى " أجلى " ، وقد رويت هكذا فى بيت أبى ذؤيب :

فلما اجتلاها بالأيام تحيزت ثباتا عليها ذلها واكتئابها (٢)

وكذلك " التمع الشئ " بمعنى اختلسه واختطفه ، ويوجد فى معاجم اللغة لازما " التمع به وعليه " ، ومتعديا كما مر (٣) ، وهو هكذا فى حديث ابن مسعود حين رأى رجلا شاخصا ببصره إلى السماء فى الصلاة فقال : " مايدرى هذا لعل بصره سيلتمع قبل أن يرجع إليه " (٤) .

وإذا كنا قد ألفنا الفعل " افتن " بمعنى صار مفتنا " ، فإنا لم نألفه فى معنى آخر ، ولو كان مشتقا من المعنى السابق ، ولكنا نجد ذلك فيما رواه اللغويون من قول أبى ذؤيب :

فافتن بعد تمام الظم ناجية مثل الهراوة ثنيا بكرها أبد (٥)

وقوله :

فافتنهن من السواء وماؤه بثر وعارضه طريق مهيع (٦)

فقد فسره الضبى بقوله " افتنهن فرقهن يطردهن فنونا من الطرد " (٧) ، وفى رواية فاحتطهن " من الحط " ، وفى رواية أخرى " فاحتثهن " من الحث . وكلها صيغ ليست من الإلف بمكان .

وإذا كنا نجد الفعل " اختفى " معناه المألوف " ضد ظهر " فإنا قد نجده عند اللغويين بمعنى استخرج وأظهر (٨) ونجد ذلك فى قول أبى ذؤيب :

ومدعس فيه الأنيض اختفيته بجرداء ينتاب الثميل حمارها (٩)

ومن قبيل ذلك أيضا " أطّعم " أى صار ذا طعم فى حديث ابن مسعود " كرجرجة الماء لا تطّعم " (١٠) ، وقد روى لا تُطعم من " أطعم " أى أعطى طعما (١١) ، والفعل فى كلا الأمرين غريب فى معناه واستعماله .

---

(١) اللسان ، تاج العروس (خلل) . الفائق ١/٣٦٧ ، البيان والتبيين ٢/٣١٧ . المخصص ١٢/٣٢٣ . النهاية ١/٣٥٣ . (٢) تاج العروس " أيم " . شرح المفصل ٨/٥ والرواية فيه " ثباتا " ، " واكسارها " (٣) القاموس ، تاج العروس " لمع " .

(٤) اللسان (لمع) ، الفائق ٢/٤٧٦ . النهاية ٤/٦٧ . (٥) المفضليات ص ٨٦١ . اللسان (فنن) . الصحاح (أبد) والرواية فى اللسان " الورد " بدل " الظم " .

(٦) ديوان الهذليين ١/٥ . مقاييس اللغة (بثر) معجم ما استعجم (السواد) ص ٧٦٣ . (معجم البلدان (البثر) . (٧) المفضليات ص ٨٦١ . (٨) الأساس ، القاموس (خفى) . الأمالى ١/٢٠٨ . (٩) ديوان الهذليين ١/٤١ . تاج العروس (ثمل ، دعس) . اللسان (انض ، ثمل ، وكف) . الأصمعى : الأضداد ص ٢٨ .

(١٠ ، ١١) اللسان (طعم) .

ومن مظاهر وجود "افتعل" فى أفعال اشتهرت فيها صياغة أخرى ، وجود "انتجى" مكان "تناجى" فى قراءة ابن مسعود وتلاميذه ، فقد قرأ جمهور القراء "ويتناجون بالإثم والعدوان" (١) وقرأ حمزة وطلحة والأعمش ويحيى ابن وثاب "وينتجون" (٢) ، وقرأ جمهور القراء أيضا "إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان" (٣) ، وقرأ عبد الله بن مسعود "إذا انتجيتم فلا تنتجوا" (٤) ، ومما يؤكد أن هذه لغة عبد الله — إلى جانب قراءته وقراءة تلاميذه — قول الله تعالى "ما يكون من نجوى ثلاثة ..." (٥) ، إذ يضيف إليه ابن مسعود فى الآية قوله "إذا انتجوا" وهى هكذا فى مصحفه (٦) .

<u>وزن انفعـــل</u>

أغلب ما يكون هذا الوزن فى المطاوع مثل انكسر وانفتح ، وأفعاله هذا شأنها عند الهذليين وغيرهم من حيث معناها واستعمالها ، ولكن هذه المطاوعة قد نجدها عندهم فى أفعال مألوف فيها هذه الصيغة ، مثل "اندمل" فى قول أمية بن أبى عائذ :

خيال لزينب قد هاج لى   نكاسا من الحب بعد اندمال (٧)

وقد تكون غير مألوفة فى مثل "انضاع" ، فنحن نجد "ضاع الشىء" بمعنى تحرك وبدا وظهر (٨) ، "وضاعه" أى حركه (٩) ، والمطاوع المشهور فيه "تضوع" فيقال "تضوع المسك" أى تحرك فانتشرت رائحته (١٠) ، "وتضوع الصبى والفرخ" أى تحرك وتلوى ، أو بسط جناحيه إلى أمه لتزقه (١١) . ولكنا نجد "انضاع" فى هذا المعنى مناظرا للفعل "ضاع يضوع" إذا تحرك (١٢) ، أو للفعل

---

(١) سورة المجادلة ٥٨ آية ٨ . (٢) البحر المحيط ٨/ ٢٣٦ . (٣) سورة المجادلة ٥٨ آية ٩ . (٤) البحر المحيط ٨/ ٢١٣ . الكشاف ٣/ ١٦٩ . (٥) سورة المجادلة آية ٧ . (٦) الكشاف ٣/ ١٦٩ . (٧) اللسان (نكس) .
(٨) السجستانى : الأضداد ص ٣٣٨ . (٩) القاموس (ضاع) .
(١٠) المرجع السابق والمادة نفسها . (١١) المرجع السابق والمادة السابقة .
(١٢) مقاييس اللغة (ضـــوع) .

ومن مظاهر وجود " افتعل " في أفعال اشتهرت فيها صيغة أخرى ، وجود " انتجى " مكان " تناجى " في قراءة ابن مسعود وتلاميذه ، فقد قرأ جمهور القراء " ويتناجون بالإثم والعدوان " (١) وقرأ حمزة وطلحة والأعمش ويحيى ابن وثاب " وينتجون " (٢) ، وقد قرأ جمهور القراء أيضا " إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان " (٣) ، وقرأ عبد الله بن مسعود " إذا انتجيتم فلا تنتجوا " (٤) ، ومما يؤكد أن هذه لغة عبد الله - إلى جانب قراءة تلامذته وقراءة تلاميذه - قول الله تعالى " ما يكون من نجوى ثلاثة ... " (٥) ، إذ يضيف إليه ابن مسعود في الآية قوله " إذا انتجوا " وهي هكذا في مصحفه (٦) .

وزن انفعل

أغلب ما يكون هذا الوزن في المطاوع مثل انكسر وانفتح ، وأفعاله هذا شأنها عند الهذليين وغيرهم من حيث معناها واستعمالها ، ولكن هذه المطاوعة قد نجدها عندهم في أفعال مألوف فيها هذه الصيغة ، مثل " اندمل " في قول أمية بن أبي عائذ :

خيال الزينب قد هاج لى نكاسا من الحب بعد اندمال (٧)

وقد تكون غير مألوفة في مثل " انضاع " ، فنحن نجد " ضاع الشيء " بمعنى تحرك وبدا وظهر (٨) ، " وضاعه " أي حركه (٩) ، والمطاوع المشهور فيه " تضوع " فيقال " تضوع المسك " أي تحرك فانتشرت رائحته (١٠) ، " وتضوع الصبي والفرخ " أي تحرك وتلوى ، أو بسط جناحيه إلى أمه لتزقه (١١) . ولكننا نجد " انضاع " في هذا المعنى مناظرا للفعل " ضاع يضوع " إذا تحرك (١٢) ، أو للفعل

---

(١) سورة المجادلة ٥٨ آية ٨ . (٢) البحر المحيط ٨/ ٢٣٦ . (٣) سورة المجادلة ٥٨ آية ٩ . (٤) البحر المحيط ٨/ ٢١٢ . الكشاف ٣/ ١٦٩ . (٥) سورة المجادلة آية ٧ . (٦) الكشاف ٣/ ١٦٩ . (٧) اللسان (نكس) .
(٨) السجستاني : الأضداد ص ٢٣٨ . (٩) القاموس (ضاع) .
(١٠) المرجع السابق والمادة نفسها . (١١) المرجع السابق والمادة السابقة .
(١٢) مقاييس اللغة (ضوع) .

" تضوع يتضوع " في المعنى نفسه[١]، وإذا ذكر الفعلان جنبا إلى جنب نجد شاهدهم على وجود " انضاع " هو هذا البيت من الشعر الهذلي :

فريخان ينضاعان في الفجر كلما أحسا دوى الريح أو صوت ناعب

وهذا البيت ينسبه اللغويون إلى أبي ذؤيب[٢]، وهو في ديوان الهذليين منسوب لصخر الغي[٣].

ومما هو غريب في ذلك " انشام " الشيء أي دخل فيه[٤]، كما في قول أبي خراش :

فهيجها وانشام نقعا كأنه إذا لفها ثم استمر سحيل[٥]

وإذا كنا نجد في لهجتنا الحديثة " انباع " الشيء بمعنى " بيع "، فإننا لا نكاد نجد هذا اللفظ معبرا عن هذا المعنى أو أي معنى آخر يقاربه أو يجافيه، ولكنا نجده في الشعر الهذلي في معنى متصل بهذا المعنى وذلك في قول صخر الغي :

لفاتح البيع يوم رؤيتها وكان قبل انبياعه لكد[٦]

فإنه وإن كان قد فسر السكري البيع والانبياع هنا بمعنى الانبساط، فإن من اللغويين من جعل الانبياع المسامحة في البيع، فيقال انباع لي إذا سامح في البيع[٧] أي انباع الشيء على يده أو برضاه ومسامحته، فالانبياع عندنا لا يبعد أن يكون على معناه في اللغة العربية الحديثة كما أشرنا .

والمألوف في صيغة المطاوعة هذه أن تجيء عادة على البناء للمعلوم (أو البناء للفاعل)، ولا تأتي على البناء للمجهول (أو البناء للمفعول)، لأن معناها في الواقع يغني عن صيغة البناء للمجهول " فانكسر يغني عن كسر "، وانفتح يسد مسد فتح " ولهذا لا نجد البناء للمجهول في صيغة المطاوعة نفسها

---

(١) المحكم، اللسان (ضوع)، تاج العروس (ضيع) .
(٢) مقاييس اللغة، اللسان، المحكم (ضوع) . تاج العروس (ضيع) . السجستاني الأضداد (ضاع) الأمالي ٢/ ٣٢٢ . (٣) ديوان الهذليين، القسم الثاني ص٥٦ . وانظر السمط ٢/ ٦٦٥ . (٤) القاموس (الشيمة)، ديوان الهذليين ٢/ ١١٩ . (٥) المرجع السابق والصفحة السابقة .
(٦) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص١٣ . اللسان (بوع) . تاج العروس (لكد) . (٧) المرجع السابق والمادة السابقة .

فيما ألفنا من ألفاظ اللغة . ولكنا مع هذا نجد " انخسف " مبنيا للمجهول في لفظ ابن مسعود ، فالآية الكريمة " لولا أن من الله علينا لخسف بنا "(١) نجدها في قراءة ابن مسعود وطلحة والأعمش " لا نخسف بنا "(٢) على البناء للمفعول في المطاوع لا في الفعل الثلاثي المجرد كما هو في قراءة جمهور القراء .

هذه أهم الملاحظات التي ألفيناها في آثار الهذليين من شعر ونثر وقراءات بشأن بعض صيغ الأفعال وما فيها من غرابة أحيانا ، أو خروج عن المألوف ، وقد نجد بعض ملاحظات عابرة على بعض أفعال أخرى في صيغ غير ما مرينا من ذلك أن الفعل " افرنقع " بمعنى تفرق ، ذلك الفعل الذي أصبح الآن من الألفاظ الغريبة على السمع والذوق نجده في قراءة ابن مسعود ، فقول الله تعالى ، " حتى إذا فزع عن قلوبهم "(٣) ، نجده في قراءته " افرنقع عن قلوبهم "(٤) .

ومما نلاحظه أن صيغة "افعالّ" التي كثيرا ما تدل على التدرج شيئا فشيئا مثل " اخضارّ واحمارّ " نجدها في كلام ابن مسعود تدل - عندي وما اشتق منها - على المبالغة ، ففي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه " أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم في ظل الكعبة ، فاستيقظ محمارّاً وجهه ، وروى فاحمارّ وجهه حتى صار كأنه الصرف "(٥) ، ثم نجد أن قول الله تعالى " فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه "(٦) قرأه ابن مسعود ينقاض بالضاد معجمة ، أي يسقط بسرعة(٧) ، فالصيغة بوضعها هذا تدل على المبالغة في الانقضاض .

وهكذا نجد أن لبعض الأفعال عند الهذليين وضعا خاصا من حيث معناها وصياغتها إذا قورنت بنظائرها في اللغة .

---

(١) سورة القصص ٢٨ آية ٨٢ . (٢) البحر المحيط ٧/ ١٢٤ . مختصر شواذ القرآن ص١١٤ . تاج العروس، الصحاح (خسف) . (٣) سورة سبأ ٣٤ آية ٢٣ .
(٤) البحر المحيط ٧/ ١٧٨ . مختصر شواذ القرآن ص١٢١ .
(٥) الفائق ص٢٠ . اللسان (صرف) . (٦) سورة الكهف ١٨ آية ٧٧ .
(٧) مختصر شواذ القرآن ص ٨١ .

الباب الرابع

بعض الظواهر النحوية والتركيبية

الفصل الأول

التعدى واللـــزوم

((الفصل الاول))

ـ التعدى واللزوم ـ

من مظاهر اختلاف اللهجات بعضها عن بعض أن منها ما يستعمل أفعالا خاصة استعمال اللازم ، ومنها ما يجعل هذه الأفعال نفسها متعدية وقد يصعد بعضها إلى صيغ لم نلف أفعالها عند اللغويين إلا لازمة فنراها متعدية وأفعال لم نجدها إلا متعدية فإذا بها لازمة ، وقد نجد هذا اللازم ثلاثيا في لهجة ، ثم نراه رباعيا من مادته في لهجة أخرى . وقد تختلف أيضا في طريقة تعدية الفعل إلى مفعوله ، فيتعدى بنفسه عند قوم ، ويتعدى بالهمز أو التضعيف عند آخرين . وقد يغلب استعمال الهمز أو التضعيف ، فتتسم بهذا أو ذاك هذه القبيلة أو تلك ، فيصير من خصائصها التي تميزها عن غيرها . إلى غير ذلك من الظواهر التي لمسنا بعضها خاصا بهذيل ، وسنعرض لذلك بالدراسة في هذا الفصل .

أفعال لازمة ثلاثية في هذيل ونظائرها عنه غيرها رباعية بالهمز :

نجد من بين هذه الأفعال " جد يجد " بمعنى اجتهد ، و " أجد يجد " في هذا المعنى أيضا ، فقد جاءا معا في اللغة ، وإن كان المشهور أولهما ، ومن المسلم به طبعا أن يكون أحدهما قد سمع في قبيلة أو مجموعة من القبائل والثاني قد سمع في قبيلة أو مجموعة أخرى ، وفي هذا يروى الأصمعي أن " جد يجد " لغة هذيل[1] ، والأصمعي ، فوق أنه من كبار رواة اللغة ، هو من أهم رواة الشعر الهذلي ، والمتصلين بالهذليين في باديتهم ، وينقل القالي في أماليه ـ وهو الآخر من المهتمين بالتراث الهذلي ـ رواية الأصمعي من أن هذيلا تقول " جَدَدت في الأمر "[2] ، وهذا الفعل " جد " مجردا من الهمز هو المألوف في الاستعمال الآن ، وقد جاء به الشعر الهذلي في مثل قول أبي ذؤيب :

---

(١) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١ / ١٤ . ديوان أبي ذؤيب (هيور) ص ١٢

(٢) الأمالي ٢ / ٢٥٥ .

فلبث حينا يعتلجن بروضــة   فيجد حينا فى العلاج ويشمع(١)

وإذا زيد فى أوله الهمزة نصب بعدها الاسم كقول أبى ذؤيب نفسه :

أجد بها أمرا وأيقن أنــه   لها أو لأخرى كالطحين ترابها(٢)

وقول أبى المورق :   (وأجدوه)

تركت العاذ مقليا ذميما   إلى سَرِف وأجدت الذهابا(٣)

ومن قبيل هذا الفعل " لحد وألحد " ولكن الثانى هو المألوف فى الفصحى وعليه قوله تعالى " لسان الذى يلحدون إليه أعجمى "(٤) ، وقراءة ابن مسعود وابن وثاب والأعمش وطلحة وآخرين من تلاميذ ابن مسعود بالكوفة : " يَلحدون " من " لحد "(٥) ، فلعلها هى الأخرى من كلام هذيل .

أفعال متعدية ثلاثية فى هذيل وغير ثلاثية فيما ألفنا :

من هذه الأفعال " حذاه " فعلا " و " أحذاه " ، والهذليون يستعملونه فى أشعارهم مجردا من الهمز ، وذلك فى مثل قول أبى خراش :

حذانى بعد ما خذمت نعالى   دبية إنه نعم الخليــل(٦)

وقول المتنخــل :

حلو ومر كعطف القدح مرته   بكل إنى حذاه الليل ينتعل(٧)

وقول بدر بن عمار يرد على أبى العيال :

وتأمل السّبت الذى أحذوكم   فانظر بمثل إمامه فاحذونى(٨)

ومن ذلك أيضا " ركس " ، و " أركس " ، وقد قرأه ابن مسعود مجردا من الهمز فى بعض الروايات، فقرأ " ركسوا "(٩) مكان " أركسوا " فى قوله تعالى : "كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها "(١٠) ، و " ركسهم " بدل " أركسهم "(١١) فى قوله تعالى

---

(١) ديوان الهذليين ١/ ٥ ـ شرح أشعار الهذليين (فراج) ١/ ١٤ . المحكم (علج)
(٢) ديوان الهذليين ١/ ٧٨ . (٣) شرح اشعار الهذليين (تحقيق فراج) ٢/ ٢٧٨ ؛ التبقية ص ٢٩ . (٤) سورة النحل ١٦ آية ١٠٣ . (٥) البحر المحيط ٤/ ٢٠٤ ؛ ٥/ ٥٣٦ . (٦) ديوان الهذليين ٢/ ١٤٠ ؛ اللسان (حذا) .
(٧) ديوان الهذليين ٢/ ٣٥ . (٨) المرجع السابق ٢/ ٢٦٣ .
(٩) البحر المحيط ٣/ ٣١٦ . (١٠) سورة النساء ٤ آية ٩١ .
(١١) البحر المحيط ٣/ ١١٣ .

" والله أركسهم بما كسبوا " (١) .

وإذا كان المألوف في اللغة " أسَرَّ " الشيء بمعنى أخفاه ، فإننا نجد في قراءة ابن مسعود " سرّ " من غير همز ، وذلك في قوله تعالى " ليعلم ما يخفين من زينتهن " (٢) ، فقد قرأها ابن مسعود " ليعلم ما سُرَّ من زينتهن " (٣) .

وإذا كان جمهور القراء قد قرأ " أفرأيتم " من " الات " (٤) كما قرأ بعضهم " التاءتم " من " آلت " فإن ابن مسعود وطلحة والأعمش من الكوفيين قد قرءوا " لتاءتم " من " لات " (٥) ، وهذا يحمل على الظن بأنها لهجة هذلية . هذا ويسوق صاحب الكشاف أنها لغة أسد وأهل الحجاز (٦) ، ولعل المعنيّ بهذا من أهل الحجاز من كانوا أقرب إلى البداوة منهم ، وهذيل حجازية فيها بداوة كما هو معلوم .

وكذلك نجد في اللغة " صاب وأصاب " وكلاهما يستعمل متعديا ، ولكن أكثر ما يستعمل صاب في اللغة المألوفة ، فإنما هو في الغيث والمطر فيقال " صابه المطر " أي " مُطر " وفيما عدا ذلك فالمشهور أصاب ، ولكننا – مع هذا – نجد أن " صاب " مجردا من الهمز يستعمل عند الهذليين في كثير من الأحيان متعديا بمعنى " أصاب " وهذا ما نجده الآن في لهجتنا العربية الحديثة (أي في العامية عندنا) ومنه في شعر الهذليين قول ساعدة بن جؤية :

فورك لينًا لا يتمثم نصله ... إذا صاب أوساط العظام صميم (٧)

وقول البريق الهذلي :

إذا الرجل الشيهان صابت قذاله ... أذاع به مجلوزها والمقلل (٨)

---

(١) سورة النساء ٤/ ٨٨ . (٢) سورة النور ٢٤ آية ٣١ . (٣) مختصر شواذ القرآن ص١٠١ . (٤) سورة الطور ٥٢ آية ٢١ . (٥) البحر المحيط ٨/ ١٢٩ .
(٦) الكشاف ٣/ ١٢٨ . (٧) ديوان الهذليين ١/ ٢٣٠ . اللسان (ثمم) ، تاج العروس (ورك) . الاقتضاب ص٣١٥ . (٨) ديوان الهذليين ٣/ ٦٤ .

ومن أمثلة ذلك " تخذ واتخذ " و " تقى واتقى " و " تجه وواجه " .
والثلاثى منها لهجة لهذيل سبقت الإشارة إليها ، والأمثلة على تعديتها كثيرة فى الشعر الهذلى (١) ، وفيما نسبه الرواة إلى هذيل من لهجات (٢) وما أسندوه إلى ابن مسعود من قراءات .

وكذلك " ثلج فؤاده وأثلجه " والأولى فى قول أبى خراش :

ولم يَكُ مَثلوجَ الفؤاد مهيجا أضاع الشبابَ فى الرَّبِيلة والخَفْضِ (٣)

آفعال ثلاثية اشتهرت هذيل بتعديتها وهى فى الفصحى لازمة :

وإذا كنا نجد عند الهذليين — وغيرهم — كثيرا من الأفعال الثلاثية المألوف تعديتها ، فإنا نجد عندهم بعض أفعال متعدية لم يألفها النحاة .

فمن المألوف لغة أن الفعل " سعد " لازم والمتعدى منه " أسعد " بالهمز ، فيقال مثلا " أسعده الله " ولكن هذيلا تقول " سعده " دون همز (٤) ، وهذا الاستعمال مألوف فى اللهجة العربية الحديثة ولا سيما عند غير المثقفين فى بلادنا ، ولكنه غريب على الفصحى — فيما يروى الرواة — ولكن غرابته عندهم لا تسلبه — فيما ندرى — فصاحته ، فقد جاء به قول الله تعالى " وأما الذين سعدوا ففى الجنة " (٥) ، فهو من " سعد " ولو جاء من " أسعد " لكان " أسعدوا " كما هو معلوم ، وكذلك قرىء " شقوا " بالبناء للمفعول مما يدل على أن هذين الفعلين يتعديان ، ومن ذلك قولهم " مسعود " من " سعد " الثلاثي المتعدى " وبه سمى بعض الهذليين أنفسهم ، كما سمى به غيرهم من العرب ، ولا سيما من جاورهم كثقيف ، ومنهم عروة بن مسعود الثقفى .

---

(١) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ٨٦ ، (تحقيق فراج) ١ / ٣٥٤ . ديوان الهذليين ٣ / ٩٠ . اللسان (ضحا) . مقاييس اللغة (بقض) . السمط ٢ / ٨٥١ . التصريح ١ / ٢٥٢ . (٢) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص ٨٦ ، تحقيق فراج (١ / ٣٥٤) . (٣) ديوان الهذليين ٢ / ١٥٨ ، مقاييس اللغة ، اللسان ، الأساس ، تاج العروس (ربل) . الكامل ٢ / ١٣٦ .
(٤) البحر المحيط ٥ / ١٥١ . (٥) سورة هود ١١ آية ١٠٨ .

هذا وقد نقل أبوحيان عن بعض علماء اللغة كالجوهري قوله " سَعِدَ فهو سعيد ، وسُعِدَ فهو مسعود " ،كما نقل عن القشيري أنه جاء في اللغة سعده الله فهو مسعود ، وأسعده فهو مسعد "[1] ، وإن كان صاحبا الصحاح والقاموس يقران لفظ " مسعود " دون " مُسْعَد "[2] . ولم يكن ذلك الفعل خافيا على بيئة النحو واللغة بالكوفة ، فهي أكثر البيئات العربية تأسيا بقراءة ابن مسعود ، أو أشدها تأثرا بالهذليين عن طريق ابن مسعود ، فلفظ " سعدوا " بالبناء للمفعول هو قراءته ، وقراءة طلحة بن مصرف وابن وثاب والأعمش ، وكثيرين من تلاميذه الآخرين بالكوفة ، ومن أخذوا عنهم ، ومن بينهم حفص بن سليمان[3] ، القارئ المصري المعروف صاحب القراءة المشهورة التي كتبت بها المصاحف في مصر .

فلا غرو إذن أن نجد الفراء الكوفي يحكي أن هذيلا تقول " سعده الله بمعنى أسعده " ثم إن الكسائي ، وهو أحد القراء السبعة ، ورأس المدرسة الكوفية في النحو كان يقرأ هذه القراءة . وكان علي بن سليمان الأخفش يتعجب من قراءة الكسائي " سعدوا " مع علمه بالعربية ، وينكر أبو حيان على الأخفش هذا التعجب الذي لا مبرر له في الواقع ما دامت هذه القراءة راجعة إلى ابن مسعود وتلاميذه من الكوفيين[4] .

وعلى مثال الفعل " سعد " في معنى " أسعد " نجد فعلا آخر هو " جبر " بمعنى " أجبر " ، ويذكر الزبيدي أنهما لغتان جيدتان " جبرته وأجبرته " غير أن النحويين استحبوا أن يجعلوا جبرت لجبر العظم بعد كسره، وجبر الفقير بعد فاقته ، وأن يكون الإجبار مقصورا على الإكراه[5] ، ثم ينقل عن اللحياني أن " جبره " لغة تميم وحدها ، وإن عامة العرب يقولون أجبره ، وأغلب الظن أنها ــ هي الأخرى ــ لهجة هذلية مثل " سعد " ولاسيما وأن الزبيدي ينقل من الأزهري أن الشافعي كان يقول " جبره السلطان "[6] .

---

(١) البحر المحيط ٥/ ٢٥١ . (٢) الصحاح والقاموس (سعد) .
(٣) البحر المحيط ٥/ ٢٦٤ . (٤) المرجع السابق والصفحة السابقة .
(٥) تاج العروس (جبر) . (٦) المرجع السابق والمادة السابقة .

ويبدو أن هذه ليست من لهجة قريش رهط الشافعي ، فلعلها من آثار هذيل ، وقد كان للشافعي بهم من الصلة ما أسلفنا .

وإذا كان المشهور في الفعل " نأى " هو أنه يتعدى بحرف الجر ، ولا يتعدى بنفسه إلا بعد زيادة الهمز في أوله ، فإنا مع ذلك نجد هذا الفعل (نأى) يتعدى بنفسه في الشعر الهذلي ومن ذلك قول الداخل بن حرام أحد بني سهم بن معاوية(١) ، (أو هو عمرو بن الداخل كما في ديوان الهذليين)(٢) :



تذكَّرَ أمَّ عبدِ اللهِ لمَّا   نأتْهُ والنَّوى منها لَجُوجُ

وقد يقال إن المقصود " نأت عنه " ، ولكن الفعل مذكور في المعاجم اللغوية لازما ومتعديا(٣) ، ومع هذا ما دام منصبا على المفعول دون واسطة فينبغي ألا نفر من الظاهر إلى التأويل مادام المعنى مستقرا مع هذا الظاهر القريب .

وكذلك يمكن التطرق إلى بعض الأفعال الأخرى مثل "جار" الذي يتعدى بالحرف في اللغة الفصحى ، ولكنه يتعدى بنفسه في قول خالد بن زهير يرد على أبي ذويب (وقد نسبه صاحب اللسان خطأ لأبي ذويب) .

فإنَّ التي فينا زعمتَ ومثلَها   لَفيكَ ولكنِّي أراكَ تجورُها (٤)

ومن تعقيب صاحب اللسان على هذا البيت " إنما أراد تجور عنها فحذف وعدى " ، ولعل هذا راجع إلى تأثر اللغويين بما ألفوا ، ونظرتهم إلى كل ظاهرة مخالفة نظرة فردية في ضوء المعايير اللغوية العامة التي ارتضوها ولم يحاولوا معها أن يتلمسوا أثر اللهجات المختلفة في هذا الشأن .

وكذلك الفعل "غار" ومعناه في الفصحى ذهب وتلاشى ، مثل غار الماء في الأرض ، وغارت الشمس أي غابت ، فهو بهذا المعنى فعل لازم في الفصحى ، ولكنا نجد له في الشعر الهذلي معنى طريفا ، فهو يستعمل متعديا في معنى "نفع وأفاد" فيقال "غار الرجل يغوره ويغيره نفعه"(٥)

---

(١) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ٢٦٣ ، (تحقيق فراج) ٢/ ٧١١ .
(٢) ديوان الهذليين ٣/ ٩٨ . (٣) القاموس(نأى) . (٤) ديوان الهذليين ١/ ١٥٧ . اللسان (جور) . (٥) مقاييس اللغة ، واللسان ، وتاج العروس(غير) .

وقد جاء " يغير " في شعر عبد مناف بن ربع الهذلي :

ماذا يغير ابنتي ربع عويلهما لاترقدان ولا بؤسى لمن رقدا (١)

ومثل " غار " نجد الفعل " سار " وأكثر مايستعمل في اللغة لازما والمتعدي منه "أسار " " وسير " ، ولكنه هو نفسه يتعدى أيضا إلى المفعول في الشعر الهذلي ، كقول ساعدة بن جؤية :

ميمة نجد الشرى لاتريمه وكان طريقا لاتزال تسيرها (٢)

وقول خالد بن زهير :

فلا تجزعن من سنة أنت سرتها وأول راض سنة من يسيرها (٣)

وبهذا البيت يستدل اللغويون على وجود هذا الفعل متعديا في اللغة (٤) بل إن من اللغويين من ذهب إلى ماهو أبعد من هذا ، فلم يكتف بأن جعل الفعل (سار) متعديا إلى المفعول بجانب الفعل " سيّر " ، بل قال إن التضعيف في هذا الفعل الأخير في مثل قوله تعالى :

" وهو الذي يسيركم في البر والبحر " إنما هو للمبالغة لاللتعدية (٥) .

* * *

ومن ذلك أننا نجد في معاجم اللغة " عشي يعشى " ، " عشا يعشو " وهو فعل لازم ، والمتعدي منه " أعشى " ، ولكن " عشا " جاء متعديا في شعر هذيل ، في قول ساعدة بن جؤية : " شهابي الذي أعشوا الطريق بضوئه " (٦) وإن كان يحتمل أن يكون "الطريق " هنا ظرفا لمعمول هذا الفعل ، وغير منصب عليه الحدث ، ولكن المعنى يكون أكثر استقامة واتساقا مع تسلط الفعل عليه ، فهو حينما قال : " أعشو الطريق " كأنه قال " أبصر الطريق " ولكنه نوع معين من الإبصار . وقد أدرك اللغويون هذا ، ولكنهم لم يألفوا تعدية مثل هذا الفعل ، ولهذا فسر صاحب اللسان " أعشوالطريق " بمعنى أقصد إليه ، واستشهد ببيت ساعدة هذا (٧)

(١) مقاييس اللغة ، اللسان ، تاج العروس (غير) . ديوان الهذليين ٢ / ٣٨ الأمالي ١ / ٥٨ .

(٢) ديوان الهذليين ٢ / ٢١٢ . معجم البلدان (نجد الشرى) ٨ / ٥٧ .

(٣) ديوان الهذليين ١ / ١٥٧ . الصحاح (سير ، سنن) . الجمهرة (ر س ى) .

(٤) الصحاح (سير) .

(٥) انظر ابن هشام ، المغني ٢ / ١٠٧ ومابعدها .

(٦) ديوان الهذليين ١ / ٢٣٨ .

(٧) اللسان (عشا) .

وسواء أكان هذا الفعل معبرا عن المعنى العام في هذه المادة ، أو عن معنى خاص بهذيل متصل بهذا المعنى العام ، فهو في الحالين متعد كما نرى .

وإذا كنا نجد الفعل " سرح " لازما فيما ألفنا ، متعديا فيما روته كتب اللغة ، فإنا نلمس تعديته هذه عند الهذليين ، في قول أبي ذؤيب :

وكان مثلين ألا يسرحوا نعما حيث استرادت مواشيهم وتسريح (١)

وتلك رواية البيت في ديوان الهذليين ، وروايته في اللسان لا تختلف عنها اختلافا ذا بال ، وثم رواية أخرى للبيت :

وكان سيان ألا يسرحوا نعما أو يسرحوه بها واغبرت السوح (٢)

والتعدي واضح في هذه الرواية ، في شطري البيت جميعا .

والفعل " شب " في مثل " شبت النار " ورد في المعاجم اللغوية لازما ومتعديا ، والمشهور فيه اللزوم ، ولكنا نجد مثاله متعديا عند هذيل — أحيانا — في قول جنوب أخت عمرو ذي الكلب ترثيه :

شب هذيلٌ وفهمٌ بيننا إرَةً ما إن تبوخُ وما يرتدّ صاليها (٣)

وقول ساعدة بن جؤية :

عنْشٌ عدوٌّ لا يزالُ مشمّراً برجْلٍ إذا ما الحربُ شبّ سعيرُها (٤)

ومن قبيل ما ذكرنا من أفعال الفعل " جن " فقد يأتي لازما وذلك هو المشهور فيه وقد نزل به القرآن الكريم في قوله تعالى : " فلما جن عليه الليل رأى كوكبا " (٥) ، ومنه قول الهذلي (٦) (حبيب الأعلم) (٧) :

دلجي إذا ما الليل جن على المقرنة الحباحب

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ١٠٨ . تاج العروس (سرح) . (٢) أساس البلاغة (سوح) . (٣) ديوان الهذليين ٣ / ١٢٦ (٤) ديوان الهذليين ٣ / ٢١٥ تاج العروس (عنشس) . (٥) سورة الأنعام ١٦ آية ٧٦ .
(٦) الصحاح (حبب) ، اللسان (قرن) . الفائق ٢ / ٢٢٦ .
(٧) ديوان الهذليين ٢ / ٨٢ .

ولكنه كثيرا ما يأتي عند الهذليين متعديا مثل "أجن" ونجد ذلك الثلاثي المتعدى منه في هذا البيت من شعر هذيل :

من المربعين ومن آزل   إذا جنه الليل كالناحط[1]

ذلك البيت الذى نسبه الزبيدى لأبي سهم الهذلي[2] ، والصحيح نسبته لمالك ابن الحارث كما في ديوان الهذليين[3] . وكذلك نجده في قول مالك بن خالد الخناعي :

فزال بذى دوران منكم جماجم   وعام إذا ما جنه الليل صاحب[4]

وفي قول البريق : " . . .   وقد جنه السدف الأدهم " .[5]

ومن هذا الضرب من المتعدى في اللغة ثلاثيا وغير ثلاثي " نكر وأنكر " وهما موجودان معا عند هذيل ، ولكن يبدو من استقراء شعرهم ، وتفهم ما حوى من معان أنهم يستعملونه في الأغلب الأعم ، نكر إذا شابها معنى الخوف والتوجس مثل قول أبي ذؤيب يصف الحمر :

فنكرنه فنفرن وامترست به   هوجاء هادية وهاد جرشع[6]

وهذا هو المعنى الذى تحمله الآية الكريمة " فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة " .[7] أما " أنكر " فهو أقرب إلى معنى الإنكار الخالص الذى قد يغلب فيه العجب والدهش على التوجس والخوف ، وذلك في مثل قول أبي خراش :

رفوني وقالوا يا خويلد لا ترع   فقلت وأنكرت الوجوه هم هم[8]

وقول أبي كبير :

وصحوت عن ذكر الغواني وانتهى   عمرى وأنكرت الغداة تقتلى[9]

---

(١) مقاييس اللغة (أزل) . اللسان (ربع ، نحط ، همع) . الصحاح (ربع ، نحط) . تاج العروس (نحط ، أزل ، ربع) . إصلاح المنطق ص ٢٤١ . الأمالي ١/ ١٤٣ . السمط ١/ ٣١٢ . (٢) تاج العروس (نحط ، ازل ، ربع) .
(٣) ديوان الهذليين ٢/ ١٦٦ . (٤) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١/ ٤٦٥ .
(٥) ديوان الهذليين ٣/ ٥٦ . شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ٢/ ٨٣٦ . ابن الأنباري ، الأضداد ص ١٨ . السجستاني ، الأضداد ص ٨٦ .
(٦) ديوان الهذليين ١/ ٨ . مقاييس اللغة (مرس) . اللسان (جرشع ، مرس) . الصحاح (جرشع) . البحر المحيط ٥/ ٢٤٢ . (٧) سورة هود ١١ آية ٧٠ .
(٨) ديوان الهذليين ٢/ ١٤٤ . المخصص ١٥/ ٣ ، ١٦/ ٣١ . الخصائص ١/ ٤٢٧ . تاج العروس (رفأ ، راع) . اللسان (رفأ ، روع) . البحر المحيط ٣/ ٣٠١ . الدميري : حياة الحيوان ١/ ٤٢٨ . (٩) ديوان الهذليين ٢/ ٨٦ .

ومن هذا القبيل من الأفعال الثلاثية التي اشتهرت بتعد يتهـا هذيل وربما كانت في الفصحى لازمة ، الفعل ، نفذ " ، فالمعروف أنه فعل لازم ، ولكنا مع ذلك نجد في اللغة " نفذهم وأنفذهم " ، وكلاهما بمعنى جاوزهم وتخلفهم[1] نحو متعد في صيغتيه هاتين ، وبالأولى جاءنا حديث ابن مسعود " إنكم مجموعون في صعيد واحد ينفُذكم البصر "[2] ، وقد رواه بعض اللغويين بالدال " ينفدُكم " أى يستوعبكم من نفد الشيء وأنفدته[3] ، وعلى هذه الرواية يكون الفعل المتعدى هنا " نفد ينفد " ، هذا الفعل الذى كثيرا ما نراه لازمـا في مألوف اللغة ، ولكنه متعد هنا كما ترى . أما " نفذ " بالذال فقد جـاء متعديا بالهمز في شعر الهذليين (عند أبى ذؤيب)[4]

فإذا كان المألوف عند النحاة هو عدم التعدى في صيغة " فَعِل " كحصر وفرح ، وفي صيغة " فَعُل " كظرف وكرم ، فإنا نجد ذلك عند هذيل كثيرا ، ومنه امر وييئس في قول ابن مسعود :

" ... إلا امرأة يئست من البعولة "[5] ، " كما نقول في الجاهلية أَمِر بنو فلان أى كثروا "[6] ، وبهج في قول الهذلية ترثى أخاهـا :

بهجت جيادك واسترحن من الـوغـى "[7]

وقدم وحدث في قول ابن مسعود " ... فأخذنى ما قدم وماحدث "[8]

ومع هذا فمن الغريب تعدية " فَعُل " بضم العين أحيانا ، مع أنها ليست متعدية عند النحاة ، وقد روى من ذلك تعدية الفعل " رحب " في عبـارة نسبت لنصر بن سيار منها قولـه :

" أرحبكم الدخول في طـاعة ابن الكرمانى " أى وسعكم[9] ، ويأبى النحويون تعدية هذا الفعل قائلين بشذوذه[10] ، مستندين إلى عـدم حجية نصر هذا[11] ، قائلين بتضمين هذا الفعل معنى (وسع)[12] .

---

(١) ، (٢) ، (٣) تاج العروس (نفذ) . (٤) ديوان الهذليين ١/ ٨ . الجمهرة (صعم) . (٥) اللسان (بعل) . (٦) المرجع السابق (أمر) . النهاية ١/ ٥٠ . (٧) التبيان ٢/ ٢٧٧ . (٨) اللسان (قدم) . تاج العروس (حدث) . (٩) اللسان (رحب ، كرم) . تاج العروس (رحب) . السيوطى . الهمع ٢/ ٨١ . (١٠) القاموس (رحب) . (١١) الأزهرى : التهذيب (رحب) . شرح الشافية ١/ ٧٥ . (١٢) الهمع ٢/ ٨١ . شرح الشافية ١/ ٧٥ .

ولكن بعض اللغويين يحكي عن هذيل تعديتها[1] ، غير أنه يجعل ذلك قاصرا على ما إذا كانت قابلة للتعدى بمعناها كقوله : " ولم تُبطر العين فيها كلابا "[2] .

وكذلك شأن " فَعِل " فقد رأينا فيها تعدية الفعل " نَفِد " فى حديث ابن مسعود ، ونجد مثله " سَرِف " بمعنى أغفل وجهل " وهذا فى قول ساعدة بن جؤية :

" حلف امرئ بر سرفت يمينه "[3]

وألم (كفرح) نجد الاسم الذى يليه منصوبا فى الشعر الهذلى فى مثل قول صخر الغى .

" يألم قرنا أرومه نقد "[4] ، وقد يقال إن الاسم بعده منصوب على ما يسميه النحاة " نزع الخافض " أى " يألم من قرن " ، ولكن ظاهرة النصب بعد هذا الفعل وغيره من أفعال لم يعرف نصب الاسم بعدها ، هذه الظاهرة نفسها تلفت النظر .

أفعال غير ثلاثية لازمة فى الفصحى متعدية فى هذيل :

ثمت أفعال تستعمل فى الفصحى لازمة فى معنى من المعانى ، وتستعمل عند الهذليين متعدية فى هذا المعنى نفسه أو معنى آخر يقاربه .

ومن ذلك الفعل " غرّد " ، فهو لازم فيما ألفنا فى الفصحى ، ولكنه يتعدى إلى المفعول فى هذا البيت من شعر هذيل :

يغرد ركبا فوق خوص سواهم بها كل منجاب القميص شمردل[5]

وفى تعقيب الزبيدى على هذا البيت أن فيه دلالة على أن " يغرد " يتعدى كتعدى " يغنى " ولكنه يعود فيقول " ويجوز أن يكون على حذف الجار وإيصال الفعل "[6] ، وسواء صح هذا أو ذاك ، فهذا الاستعمال غريب غير مألوف فى اللغة .

---

(١) القاموس (رحب) . (٢) المخصص ١٥ / ١٩ . تاج العروس (رحب) . شرح الشافية ١ / ٧٥ . (٣) ديوان الهذليين ١ / ١٧١ . (٤) ديوان الهذليين ٢ / ٦٢ . اللسان (أرم) . تاج العروس (أرم ، نقد) . الجمهرة (ن ق ر) .
(٥) تاج العروس (غرد) . (٦) نفس المرجع والمادة .

والفعل (فرط) نجده في المألوف مشهوراً فيه التعدي بحرف الجر ، ولكنا نراه في الشعر الهذلي منصباً على المفعول دون واسطة ، مثل قول أبي صخر الهذلي :

ذلك يزي فلن أفرطه   أخاف أن ينجزوا الذي وعدوا(١)

وإذا وجدنا في اللغة " جنأ وأجنأ " (٢) فعلين لازمين بمعنى مال عليه وعطف ، فإنا نجد " أجنأ " متعدية في الشعر الهذلي (بمعنى أمال وحنى) ، ومن ذلك قول ساعدة بن جؤية (وقد أخطأ صاحب الجمهرة في نسبته لأبي ذؤيب) :

إذا ما زار مُجْنَأةً عليها   ثقالُ الصخرِ والخشبُ القطيلُ(٣)

وقول أسامة الهذلي : " فمد ذراعيه وأجنأ صلبه " (٤) ، وقول عمرو ذي الكلب : " وأسمر مجنأً من جلد ثور " (٥) ، وقول صخر الغي :

أني سيفمي عني وعيدهم   بيض رهاب ومجنأ أجرد(٦)

وكذلك الفعل " انتحى " لازم في مألوفنا ، ولكنه متعد في بيت أنشده السكري لبعض الهذليين (ولعله لأبي ذؤيب من قصيدة في الديوان على وزنه وقافيته)(٧) :

فهذب عنها ما يلي البطن وانتحى   طريدة متن بين عجب وكاهل(٨)

وفي قول أبي قلابة :

يئست من الحذية أم عمرو   غداة إذ انتحوني بالجناب(٩)

وكذلك في قول ساعدة بن جؤية :

تحملن من ذات السليم كأنما   سفائن يم تنتحيها دبورها(١٠)

---

(١) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١/ ٢٥٩ . (٢) النهاية ١/ ١١٥ .
(٣) ديوان الهذليين ١/ ٢١٥ ، السمط ١/ ٣٤ ، ٥٠ ، تاج العروس (جنأ ، قطل) . الجمهرة (ط ق ل) . العباب الزاخر ورقة ٢٠ (جنأ)
(٤) اللسان (عطف) ، تاج العروس (لكد) . (٥) ديوان الهذليين ٣/ ١١٦ .
(٦) ديوان الهذليين ٢/ ٥٩ . (٧) ديوان الهذليين ١/ ٨٢ . (٨) تاج العروس (هذب) . (٩) اللسان (حذا) . معجم ما استعجم (الحذية) ١/ ٤٢٩ . معجم البلدان (الاحث) ١/ ١٣٣ . (١٠) ديوان الهذليين ٢/ ٢١١ .

ومثل ذلك الفعل " اختل " بمعنى " فسد " ، فهو لازم في الفصحى ، ولكنه جاء متعديا في قول أبي خراش :

فأهوى لهما في الجو فاختل قلبها   صيود لحبات القلوب قتول (١)

والفعل " ترامى " رغم أنه لازم أيضا ، جاء متعديا في قول أبي ذؤيب :

فلما تراماه الشباب وغيه   وفي النفس منه فتنة وفجورها (٢)

ومن ذلك أيضا الفعل " افتتن " الذي يأتي لازما ، ولكنه قد عدي في الشعر الهذلي في قول أبي ذؤيب :

فافتنهن من السواء وماؤه   بثر وعارضه طريق مهيع (٣)

وقوله أيضا " فافتتن بعد تمام الظمء " ناجية " (٤) .

وفي قول ساعدة بن جؤية : فافتنها في فضاء الأرض يأفرها (٥)

ومن هذا القبيل " انشام " في الشيء " وتشيم " دخل فيه (٦) ، وكلاهما منصب على المفعول في الشعر الهذلي ، دون واسطة ، كقول أبي خراش :

فهيجها وانشام نقعا كأنه   إذا لفها ثم استمر ملحيل (٧)

وقول ساعدة بن جؤية :

أفمنك لا برق كأن وميضه   غاب تشيمه ضرام مثقب (٨)

وإذا كان الفعل " استبشر " يأتي في المادة لازما ، فإنا نجده في الشعر الهذلي متعديا في معنى بشّر ، كما في قول ساعدة بن جؤية :

"فبينما تنوح استبشروها بحبها " (٩)

وكذلك نجد الفعل " حاول " منصبا على المفعول دون واسطة كقول أبي ذؤيب :

رويت ولم يفرم نديمي وحاولت   بني عمها أسماء أن يفعلوا فعلي (١٠)

وأمثلة هذه الأفعال كثيرة في تراث الهذليين .

---

(١) ديوان الهذليين ١٢٣/٢ ، سمط اللآلي ٢١٦/١ ، (٢) ديوان الهذليين ١٥٥/١
(٣) ديوان الهذليين ٥/١ ، مقاييس اللغة (بشر) ، (٤) المفضليات ٨٦١ ، اللسان (فتن) ، الصحاح (أبد) ، (٥) ديوان الهذليين
(٦) القاموس (الشيمة) (٧) ديوان الهذليين ١١٩/٢ ، (٨) الأساس (شيم) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١١٠٣/٣ ، (٩) الصاغاني ، ما تفرد به بعض أئمة اللغة ورقة ١٩ ، (١٠) ديوان الهذليين ٣٩/١ .

أفعال تعدى في الفصحى بنفسها وبالهمز في هذيل :

من المعلوم أن هذيلا تتفق في طريقة تعدية أكثر الأفعال ، مع مسلك الفصحى في ذلك ، فأغلب ما عدى من الأفعال في الفصحى بنفسه كان كذا عند هذيل ، وأغلب ما عدى من هذه الأفعال في الفصحى بالهمز أو بالتضعيف عدى فيها كذلك .

وليس هذا الاتفاق محل بحثنا الآن ، فهو شيء واضح في غير ما حاجة إلى بحث أو إثبات . ولكن الجدير بالبحث أن هناك أفعالا تختلف عن اللغة العامة اختلافا واضحا في نظام تعديها ، فتتعدى في الأولى ثلاثية مجردة ، بينما نجد نظائرها في الثانية يلازمها الهمز في أولها باعتباره جزءا من بنية الفعل فيها . وتذكر كتب اللغة ومعاجمها من هذا أفعالا كثيرة .

ومن أهم هذه الأفعال " راب " في الفصحى " وأراب " عند هذيل(١) وهذا الفعل شأنه شأن الفعل " راب " ، فهو يتعدى للمفعول ، فيقال " أرابه " أى أثار في نفسه الشك أو رأى منه ما يكره ، أما " أراب " في الفصحى فهو فعل لازم معناه " صار صاحب " ريبة "(٢). وقد تواردت كتب اللغة على إيراد الشاهد لذلك من الشعر الهذلي وهو قول خالد بن زهير يتحدث عن أبي ذؤيب : " كأنني أريته بريب "(٣) . ولكن النسخة المطبوعة من ديوان الهذليين ، ومخطوط الشنقيطي الذى هو أصل لهذا الديوان المطبوع نجد الرواية فيهما قد جاءت هكذا . "كأنني قد ريته بريب "(٤) ، وتعليق الشنقيطي عليها أن المعلوم في هذا أريته ، وهذا يضعف من شأن هذه الرواية ، إذ لم يكن الشنقيطي متأثرا بما ساد عند اللغويين من نسبة "أراب" إلى هذيل ، وروايتهم لهذا الشاهد بهذه الصورة .

---

(١) اللسان (راب) . الصحاح (ريب) .
المصباح (ريب) . شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص٣ (تحقيق فراج) ص٤
ديوان أبي ذؤيب (مخطوط) تيمور ص ٣ . (٢) الصحاح (ريب) .
(٣) الصحاح (ريب) . اللسان (راب . أتى . بزز) . تاج العروس (بز ، أتور . ريب) . الجمهرة (برى) . المخصص ١٢/ ٣٠٣ ، ١٤/ ٢٨ .
إصلاح المنطق ص ١٦٠ . المفضليات ص ٥٠٤ . مجالس ثعلب " القسم الأول ص ١٦٣ . (٤) ديوان الهذليين ١/ ١٦٥ .

ومهما يكن من أمر اتجاه اللغويين إلى تطويع الشواهد لما يريدون، فإن الفصل " أراب " يتسق – مع هذا – والنهج الذى نهجته هذيل فى بعض الأفعال الاخرى، وإذا كان هذا هو شأن اللغويين، فإنه يمكن أن نقول مايكاد يماثله فى رواية الشعر ونسخه، إذ يجوز أن يتصرف الراوية أو الناسخ لأغراض من بينها اتساق الرواية مع ماألفه فى الفصحى، ولا يدرى أن أمانة النقل واجبة، وأنه قد يتمخض عنها فى المستقبل أحكام علمية يترتب خطؤها أو صحتها على الدقة والأمانة اللازمة فى الرواية الأدبية، فمن المحتمل أن يكون قد حدث هنا تصرف فى الرواية من هذا القبيل، ولاسيما أن ابن هشام صاحب السيرة [1]، والسهيلى صاحب الروض الأنف [2]، وهما لا يهتمان فى هذا المقام بالاستشهاد اللغوى قد ذكرا هذا البيت بلفظ " أراب " بالهمز، فأتفقا بهذا مع اللغويين فى روايتهم، هذا ويروى ثعلب فى مجالسه " أراب " [3]، كما يروى صاحب الأمالى ذلك البيت أيضا بالرواية نفسها [4]، وذلك دون قصد منهما إلى الاستشهاد الذى قد يثير الشبهة أحيانا، ثم إن القالى يعد من مشاهير من كتبوا فى الشعر الهذلى واتهموا فيه النظر [5]، فهو إذن من أدرى الناس به. هذا ويقرر السكرى راوية ديوان هذيل وشارح أشعارهم أن هذه لغة لهم [6]، وكلام السكرى له وزنه فى هذا المجال، ثم نجد فى اللسان أن عيسى بن عمر سمع هذيلا تقول: " أرابنى أمره " [7]، وهذه الرواية – إن صحت – تعتمد على المشافهة، وهى طريق هام يعضد الشاهد الشعرى ويزيده قوة وتمكينا. هذا إلى أن " أراب " هى الرواية الواردة فى الأصل فى ديوان أبى ذؤيب [8]، وهذا كله يمحو كل شك حول ذلك الفصل.

---

(١) سيرة ابن هشام ١ / ١٩٠، ٢ / ٣٠. (٢) الروض الأنف ٢ / ٣٠.

(٣) مجالس ثعلب : القسم الأول ص ١٦٣.

(٤) القالى : الأمالى ٢ / ٢٠٤.

(٥) المرجع السابق ١ / ٢٦٧.

(٦) شرح أشعار الهذليين مخطوط ص ٢٠، ديوان أبى ذؤيب (مخطوط تيمور ص ٣) (مخطوط الشنقيطى ورقة ٢)

(٧) اللسان : (راب).

(٨) ديوان أبى ذؤيب (مخطوط الشنقيطى ورقة ٢) (مخطوط تيمور ص ٣).

ومن بين هذه الأفعال أيضا أنه يقال "ربع" الرجل فهو "مربوع" وأربع ، فهو "مُرْبِع"(١) (إذا تركته الحمى ثلاثة أيام ثم جاءته فى اليوم الرابع) ، ويبدو أن الأخيرة منهما هذلية ، فالشاهد عليها عند اللغويين لشاعر هذلي هو قوله :

من المربعين ومن آزل   إذا جنه الليل كالناحط

وبعض المراجع تنسب هذا البيت لهذلي على التعميم دون تخصيص بشاعر معين من شعرائهم (٢) ، وتلك عادة اللغويين أحيانا حين يغم عليهم اسم الشاعر القائل أو حين لا يتعلق الغرض — فى نظرهم — بذكر هذا الشاعر ، وفى بعض المراجع أنه أسامة الهذلي (٣) ، وفى بعضها أسامة بن حبيب الهذلي (٤) بينما ينسبه بعضها لأبى سهم الهذلي (٥) ، ولكنه فى ديوان الهذليين منسوب لأسامة بن الحارث الهذلي (٦) ، ومع هذا فكل هذه المراجع تدور فى فلك واحد من حيث نسبة هذا البيت إلى هذلي .

ومن هذا القبيل من الأفعال "رجع وأرجع" ، فإن الفعل رجع ، وإن كان يستعمل لازما فإنه — مع هذا — يتعدى بنفسه فى الفصحى ، وبها جاء القرآن الكريم "فإن رجعك الله"(٧) ، ولكن هذيلا تعديه بالهمزة "أرجع"(٨) ، فتقول "أرجعه غيره"(٩) ، وأرجعته أنا "(١٠) ، وشاهد اللغويين على ذلك قول أبى ذؤيب "فعيث فى الكنانة يُرجع"(١١) . هذا وينبه الضبي فى تعليقه على البيت إلى أن "هذه لغة هذيل" (١٢) ، وكذلك الشأن فى ديوان أبى ذؤيب (١٣) ، وفى ديوان الهذليين (١٤) ، وفى شرح أشعار الهذليين للسكرى ، إذ يقرر السكرى أيضا أنها لغة هذلية (١٥) .

---

(١) الصحاح واللسان وتاج العروس (ربع) . (٢) الأمالى ١/ ١٤٣ . السمط ١/ ٣٩٢ . إصلاح المنطق ص٢٩١ . (٣) تاج العروس (آزل ، ربع) . الصحاح (ربع ، نحط) . (٤) مقاييس اللغة (أزل) . (٥) تاج العروس (نحط) .
(٦) ديوان الهذليين ٢/ ١٩٦ . (٧) سورة التوبة ٩ آية ٨٣ . (٨) اللسان المصباح (رجع) . الخضرى على ابن عقيل ١/ ١٤٠ . (٩) الصحاح (رجع) .
(١٠) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١/ ٢٣ . ديوان أبى ذؤيب ص٢٢ . اللسان (رجع) . (١١) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١/ ٢٣ . المفضليات ص٨٦٨ . ديوان أبى ذؤيب ص٢٢ . الصحاح (رجع) . مقاييس اللغة (رجع ، عيث) . تاج العروس (عيث) . (١٢) المفضليات ص ٨٦٩ .
(١٣) ديوان أبى ذؤيب ص٢٢ . (١٤) ديوان الهذليين ١/ ٩ . (١٥) شرح أشعار الهذليين (فراج) ١/ ٢٣ .

ومن ذلك "كرى" الأمر أعاده مرارا (أى أطال فيه) وكذلك "أكرى بالهمز"[(١)] ، وقد جاءت الثانية على لسان ابن مسعود فى قوله "كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكرينا الحديث " أى أطلناه وأخرناه[(٢)].

وكذلك الفعل (هجر) يذكر اللغويون أن له مقابلا عند هذيل هو "أهجر" وهو متعد لمفعوله أيضا[(٣)] ، خلافا "لأهجر" فى اللغة الفصحى فهو لازم ، ومن معانيه : أهجر قال هُجرا[(٤)] ، ويستدل اللغويون على وجود أهجر متعديا فى اللهجة الهذلية ببيت ينسبونه لأسامة الهذلى :

كأنى أصاديها على غير مانع مقلصة قد أهجرتها فحولها[(٥)]

وهذا الفعل وإن كان يبدو غريبا ، فإنه لا غرابة فى نسبته إلى مثل هذيل وقد رأينا صنيعها فى بعض الأفعال الأخرى ، ولكن نقطة الضعف فيه هى عدم العثور على هذا البيت فى شعر أسامة بن الحارث ، أو أسامة ابن حبيب ، أو غيرهما من الشعراء الذين قرأنا أشعارهم فى دواوين هذيل ، ولو قد وجدنا قصيدة من قصائدهم تتفق مع هذا البيت وزنا وقافية لقلنا باحتمال سقوطه منها ، ومع هذا ، فيحتمل أن جامعى شعر هذيل — وهم لم يستوعبوا كل أشعارهم — قد سقط منهم هذا البيت فيما فاتهم من ذلك وذلك الاحتمال قد يمنع من رفض هذا البيت وأمثاله أو القول بأنها من المصنوع المنتحل .

ومن هذا النوع من الأفعال "حم" الله له كذا إذا اقضاه ، و"أحمه" أيضا ، وهذا الأخير نجده فى شعر الهذليين ، وشاهد اللغويين على وجوده فى اللغة هو قول شاعرهم عمرو ذو الكلب الهذلى :

أحم الله ذلك من لقاء أحاد أحاد فى الشهر الحلال[(٦)]

ومن ذلك أيضا " لام " ، وألام[(٧)] ونجد الثانية عند هذيل فى قول معقل ابن خويلد الهذلى :

حمدت الله ان أمسى ربيع بدار الذل ملحيا ملاما[(٨)]

(١) اللسان (كرا) . (٢) المرجع السابق والمادة السابقة . الفائق ٢/ ٤٠٨ .
(٣) اللسان (هجر) . (٤) المصباح (هجر) . (٥) اللسان (منع، هجر) . المحكم ، تاج العروس(منع) . (٦) اللسان (حمم) . الجمهرة (أحد ، حدو) . سمط اللآلى ٢/ ٧٤٨ . (٧) اللسان (لوم) .
(٨) الصحاح ، تاج العروس، اللسان (لوم) .

فلفظ " مُلام " هو اسم المفعول من " ألام " ويقابله " ملوم " اسم المفعـــول من " لام " في اللغة الفصحى ، والأول نجده في لهجة غير المثقفين الآن في بلاد نـــــا .

وكذلك " دان وأدان " ونجد الثانية في قول أبي ذؤيب :

أدان وأنبأه الأولو ن بأن المدان المليّ الوفي (١)

ولفظ " المُدان " اسم المفعول من " أدان " ، يقابل " المدين " فـــي اللغة المألوفة ، وهو اسم المفعول من " دان " ، والأول نجده هو الآخـــر في اللهجات العربية الحديثة عند غير المثقفين في ريفنا المصري .

ومن هذا " راث وأراث " ، والأخيرة في شعر معقل بن خويلد الهذلي

لعمرك لليأس غير المريث خير من الطامع الكاذب (٢)

ومراه حقه (أي جحده) إذ نجده في قراءة ابن مسعود " أمرى " ، فقولــه تعالى " أفتمارونه على ما يرى " (٣) قراءة عبد الله فيه " أفتُمْرونه " (٤) مضارع " أمرى " بالهمز .

ولاق " الدواة وألاقها " والثانية في شعر عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود :

إذا نحن جهزنا إليكم صحيفة ألقنا الدوايا بالدموع السواجم (٥)

و " قزه وأقزه " (أي أقزعه وأزعجه) ، والأخيرة في قول أبي ذؤيب :

والدهر لا يبقى على حدثانه شبب أقزته الكلاب مروع (٦)

" وألفه وآلفه " والثانية في قول أمية بن أبي عائـــذ :

ألفت تحل بها وتؤلف خيمــة إلف الحمامة مدخل القرماص (٧)

وقول أبي ذؤيـــب :

توصل بالركبان حينا وتؤلف الجوار ويعطيها الأمان ربابها (٨)

---

(١) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١ / ٩٩ ، ديوان الهذليين ١ / ٦٥ ، الاقتضاب ص ٣٧٦ ، مقاييس اللغة (دين) ، تاج العروس (أول) ، الصحاح (دين) ، العباب الزاخر ورقة ٢٨٨ ، (٢) تاج العروس (ريث ، لذم) .
(٣) سورة النجم ٥٣ آية ١٢ ، (٤) مختصر شواذ القرآن ص ١٤٦ ، (٥) ابن الأنباري الأضداد ص ٢٢٨ ، (٦) اللسان ، تاج العروس (قزز) ، ديوان الهذليين ١ / ١٠ ، الأمالي ٢ / ٣٢٢ ، (٧) ديوان الهذليين ٢ / ١٩١ .
(٨) تاج العروس (ريب ، وحل) .

وإذا أطال الباحث النظر في شعر الهذليين وجد أفعالا كثيرة من هذا النمط الذى عرضنا له ، ومن ذلك أننا نجد الفعل " جمع " في معنى ضم أشياء متفرقة بعضها إلى بعض يتعدى بنفسه في الفصحى ، ولا يقال " أجمع " في هذا المعنى ، بل في معنى لا يكاد يقاربه مثل أجمع الأمر وأجمع عليه ، والأمر مجمع أو مجمع عليه ، وجمعوا رأيهم وأجمعوا رأيهم . ولكنا نجد عند الهذليين " أجمع " في مكان جمع في بعض الأحيان حتى في جمع المتفرقات من الماديات ، واسم المفعول منه مُجمَع ، ونجد ذلك في قول ابى ذويب :

فكأنها بالجزع جزع ينابع وأولات ذى العرجاء نهب مجمع (١)

وفي الفصحى " ذراه يذروه " متعديا بنفسه ، وعليه قوله تعالى : تذروه الرياح ")(٢) ، ولكن ابن مسعود يعديه بالهمز في قراءته لهذه الآية الكريمة " تُذريه الرياح " (٣) من أذرى رباعيا .

ويذكر اللغويون أن أماز الشيء لغة في " مازه " ، ونجد هذا الفعل رباعيا بالهمز في قراءة ابن مسعود ، فقد قرأ قول الله تعالى : " ليميز الله الخبيث من الطيب "(٤) " ليُميز " بضم أول المضارع من أماز (٥) .

وثمة أيضا " سحته وأسحته " ويذكر أبو حيان أن الأولى لغة الحجاز ، والثانية لغة تميم (٦) ، ولسنا الآن بصدد التعرض لهذا التعميم في الأحكام ، وإنما يعنينا أن نقول إن هذيلا وإن كانت حجازية تحمل في سماتها كثيرا من خصائص الحجازيين ، فإنها - مع ذلك - بحكم بيئتها وكونها في مركز وسط بين قبائل شرق الجزيرة وغربها ، تحمل شيئا من خصائص بعض القبائل الشرقية ، ولعل من ذلك " اسحت " التي يروى أبو حيان أنها لغة تميم ، والتي قرأ بها كثير من الكوفيين ، ومن بينهم طلحة والأعمش والكسائي (٧) ، وأثر ابن مسعود فيهم واضح معروف .

(١) ديوان الهذليين ١ / ٦ ، اللسان وتاج العروس (نبع) ، الاقتضاب ص١٨٧ ، الجمهرة (ب ع ن ، ج ع م) ، مقاييس اللغة (عبي) .
(٢) سورة الكهف ١٨ آية ٤٥ ، (٣) البحر المحيط ٦ / ١٣٣ ، (٤) سورة الأنفال ٨ آية ٣٧ ، (٥) ما تفرد به بعض أئمة اللغة ورقة ٢ .
(٦) البحر المحيط ٦ / ٢٤٤ ، الضباع ، إرشاد المريد ص٢٤٧ .
(٧) البحر المحيط ٦ / ٢٥٤ .

وكذلك " نشره وأنشره " ، والأخيرة أكثر ذيوعا في الفصحى في معنى الاحياء والبعث ، وهذا شأنها في الذيوع عند الهذليين أيضا في مثل قول أبي ذؤيب :

لو كان مدحة حي أنشرت أحدا   أحيا أبوتك الشم الأماديح [١]

ورواية ابن فارس وابن دريد والجوهري فيه " لو كان مدحة حي منشرا أحدا [٢] .

وهو في كلتا الروايتين من " أنشر " ، وكذلك نجد هذا اللفظ " أنشرت " في شرح أشعار الهذليين [٣] ، وإن كان قد ذكر انه يروى " نشرت " بالتضعيف ، وهذه أضعف الروايات لتعارضها مع المتعارف عليه ، والمشهور فيها عند الهذليين في أشعارهم ، وفي قراءات القرآن الكريم ، فيذكر أبوحيان بشأن لفظ يسيركم في قوله تعالى " هو الذي يسيركم في البر والبحر " [٤] ، أن بعض القراء قرءوه " ينشركم " من النشر والبث ، وقرأ الحسن " ينشركم " من الإنشار أي الإحياء ، وهي قراءة عبد الله [٥] ، هذا ، وقول الله سبحانه " وانظر إلى العظام كيف ننشزها " [٦] قرأها الكوفيون ننشرها من الإنشار [٧] ، وهذا سير منهم في الاتجاه الذي أشرنا اليه .

ومثل " نشر وأنشر " بعث وأبعث " ففي قوله تعالى " يا ويلنا من بعثنا " [٨] ، نجد قراءة ابن مسعود " أبعثنا " [٩] .

وإذا نظرنا إلى الفعل " سلك " وجدناه يتعدى لمفعول واحد مثل " سلكت الطريق " ويتعدى في الفصحى لمفعولين مثل " سلكته الطريق " أو يتعدى للمفعول الأول بنفسه ، وللثاني بحرف الجر مثل قوله تعالى " ما سلككم في سقر " [١٠] ، كذلك سلكناه في قلوب المجرمين " [١١] ، ولكنه حينما يتعدى – غالبا – عند هذيل ، سواء للمفعولين ، أو للمفعول الأول

~~(١) المرجع السابق ٦ / ٢٥٤~~ . ... ؛ (٢) ديوان الهذليين ١ / ١١٣ . الصحاح (آبا) . اللسان ، تاج العروس (أبى ، نشر) . التبيان ١ / ٢٢٧ . (٣) الصحاح ومقاييس اللغة (مدح) . الجمهرة (حدم) .

(٣) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١ / ١٢٧ . (٤) سورة يونس ١٠ آية ٢٢ .

(٥) البحر المحيط ٥ / ١٣٧ . (٦) سورة البقرة ٢ آية ١٥٩ .

(٧) اللسان (نشز) . (٨) سورة يس ٣٦ آية ٥٢ . (٩) مختصر شواذ القرآن ص ١٢٥ . (١٠) سورة المدثر ٧٤ آية ٤٢ .

(١١) سورة الشعراء ٣٦ آية ٢٠٠ .

بنفسه ، وللثاني بحرف الجر نجده رباعيا مبدوءا بالهمز كقول أمية ابن أبي عائذ :

فأسلكها مرصدا حافظا　　به ابن الدجى لاصقا كالطحال (١)

وقول ساعدة بن العجلان :

هم سلكوا الطريق وأسلكوكم　　على شماء مسلكها بعيد (٢)

وقول عبد مناف بن ربع الهذلي :

هم منعوكم من حنين ومائه　　وهم أسلكوكم أنف عاذ المطاحل (٣)

وقوله : حتى إذا أسلكوهم في قتائدة　　شلا كما تطرد الجمالة الشردا (٤)

وجدير بالنظر ما نراه من وجود الجار بعد " أسلك " في البيت الأخير ، وعدم وجوده في البيت السابق عليه ، وذلك لأن صاحب البيتين شاعر واحد ، ومن الأمور البعيدة أن نجد وضعين مختلفين للفظ واحد في بطن واحد من بطون قبيلة من القبائل ، وأبعد منه أن نجد ذلك على لسان شاعر واحد من شعرائها ، ولهذا فإنا نرجح أن الشاعر قد ارتكب الضرورة في أحد البيتين ، فإما أنه حذف حرف الجر من البيت الأول ، وعدى الفعل للمفعول الثاني بدونه ، فكأنه يريد أن يقول " أسلكوكم في أنف عاذ " وإما أنه أقحم حرف الجر في البيت الثاني ، فكأنه قال " أسلكوكم قتائدة " . هذا إذا لم يكن للمعنى أثر في توجيه الشاعر هذه الوجهة في كل من البيتين ، " فقتائدة " في البيت الثاني ثنية ضيقة (٥) ، يتناسب معها التعبير بفي ، فكأنه يريد أن يقول أدخلوكم في قتائدة ، وأقحموكم فيها . وذلك خلافا لأنف عاذ " (في البيت الأول) ، فهو واد منبسط ، لا يستقيم معه ما استقام من معنى مع وجود الجار في البيت الثاني ، ويحتمل أن يكون تعدى هذا الفعل للمفعول الثاني هو بحرف الجر دائما ، ولكن هذا الجار

---

(١) ديوان الهذليين ٢/ ١٨٣ . المخصص ١٣/ ٢٥٠ . (٢) ديوان الهذليين ٣/ ١١٠ . شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١/ ٣٣٦ . (٣) ديوان الهذليين ٢/ ٤٤ . تاج العروس (طحل) . معجم ما استعجم ٣/ ٩١٠ . معجم البلدان ٨٣/٨ . (٤) ديوان الهذليين ٢/ ٤٢ . اللسان (سلك ، جمل ، إذا) . الصحاح (سلك ، عضد ، جمل ، شرد) . تاج العروس (إذا ، جمل ، قتد) . الاقتضاب ص٤٠٢ . البحر المحيط ٨/ ٣٥٢ . الخزانة ٣/ ١٧٠ . المقاصد النحوية (هامش الخزانة) ٣/ ١٧١ .
(٥) الاقتضاب ص٤٠٢ .

يذكر أحيانا ، ويحذف أحيانا أخرى حين يوجد لذلك داع كضرورة الشعر هذا إلى جانب ما عساه أن يكون لاختلاف البطون من أثر في الموضوع .

والمهم — فيما نحن الان بصدده — وجود أسلكت مكان سلكت في الشعر الهذلي ، وينقل إلينا ابن دريد احتجاج أبي عبيدة على وجود أسلكت في اللغة بذلك البيت السابق والأخير من شعر عبد مناف بن ربع الهذلي[١] ، كما استشهد صاحب اللسان[٢] ، وغيره من أصحاب المعاجم بذلك البيت لهذا الغرض، وهذا الاحتجاج له قيمته في نسبة هذا اللفظ إليهم . ويؤكد هذا أيضا قراءة مسلم بن جندب الهذلي " نُسلكه عذابا صعدا "[٣] بدلا من " نَسلكه "[٤] وعليه قراءة بعض التابعين (ولعلهم من تلاميذ ابن مسعود) . " فإنه يُسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا "[٥] بضم حرف المضارعة من " أسلك " . وقراءة جمهور القراء " يَسلك " بالفتح[٦] .

وهكذا نرى ان اللغة الفصحى حين تتجه الى تعدية كثير من الافعال الثلاثية المجردة فانه قد يقابلها في بعض هذه الافعال في اللهجة الهذلية افعال رباعية مبدوءة بالهمزة ، وهذه الهمزة ، كما رأينا ، ليست مزيدة لتعدية الفعل في هذه اللهجة ، بل هي أصل في بنية الفعل عندهم لا ينفصل عنه .



إيثار تعدية بعض الأفعال أحيانا بالهمز بدلا من التضعيف عند هذيل :

إذا كنا قد رأينا طرفا من إيثار هذيل للهمز تبدأ به بعض أفعالها المتعدية في مقابل أفعال ثلاثية متعدية من مادتها دون وجود هذه الهمزة فيها ، فإنا سنرى الآن وجها آخر لإيثار الهمز ، وهو أنه حين تعمد اللغة الفصحى — أحيانا إلى تعدية الفعل بالتضعيف ، نرى أن هذيلا قد تجنح إلى الهمز في هذه الأفعال مكان هذا التضعيف الذي أشرنا إليه ، وإنما لنجد في الشعر الهذلي ، وفي قراءة ابن مسعود وتلاميذه ، وفي بعض مرويات اللغة مصداق ما نقول .

---

(١) الجمهرة (س ك ل) . (٢) اللسان (سلك) . (٣) شواذ ابن خالويه ص ١٦١ .
(٤) سورة الجن ٧٢ آية ١٧ . (٥) البحر المحيط ٨/ ١٢٥ . (٦) سورة الجن ٧٢ آية ٢٧ .

فحين نجد أن الفعل " زود " بالتضعيف من التزويد هو المألـــوف في اللغة ، فإنا نجد عند هذيل " أزاد " متعديا بالهمز في قول أبـي خـراش :

وقد يأتيك بالاخبار من لا   تجهز بالحذاء ولا تزيـــد (١)

وحين نجد في الفصحى " بدد " في معنى (فرق ، ووزع) نجد فـــي المعنى نفسـه ـ تقريبا ـ في الشعر الهذلي " أبد " ، وذلك فـــي مثل قول أبي ذؤيـب :.

فأبدهن حتوفهن فهارب   بذمائه أو بارك متجعجـع (٢)

وكذلك عندما يعدّون الفعل " أرِقَ " نراهم يؤثرون في تعديته الهمــز على التضعيف أحيانا ، فيقولون " آرقـه " في معنى " أرقـه " ومثال هذا قول أبي جندب :

تغدو فتطعم ناهضا في عشها   صبحا ويؤرقها إذا لم يشبع (٣)

وإذا كان في اللغة " أفرهت الناقة " فهي " مُفْرِهٌ " ، وفرّهـــت " فهي " مفرّهة " (٤) ، (أى تنتج الفره) فإنا نجد اللغويين يستمـدون شاهدهم على الهمز من الشعر الهذلي ، هو قول أبي ذؤيب :

ومفرهة عنس قدرت لساقها   فخرت كما تتايع الريح بالقفل (٥)

وقد نجد في شعر هذيل " أصات " بمعنى صوت " أى أحدث صوتـــا وذلك في قول أبي ذؤيـب :

وبكر كلما مست أصاتت   ترنم نغم ذى الشرع العتيـق (٦)

---

(١) ديوان الهذليين ٢/ ١٧٠ • (٢) ديوان الهذليين ١/ ٦ • اللســان (ذمى) • مقاييس اللغة (بد) • تاج العروس (بدد) • الصحـــاح (جعجع) • الفائق ١/ ١٧١ • (٣) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص ٧٦ • (٤) تاج العروس (فـره) • (٥) ديوان الهذلييـــن ١/ ٣٨ • اصلاح المنطق ص ٦٠ • تاج العروس (فره ، تيع) • اللسان (قفل) • (٦) ديوان الهذليين ١/ ٦٠ •

وقد نجدها " صات " على ثلاثة أحرف في قول أبي خراش :

يحابح إذا الشعراء صاتت بجنبه كما طاف قدح المستفيض الموشم (١)

ولكن الدافع إلى هذا قد يكون هو الضرورة أو التخفيف لوجود همزتين متجاورتين يثقل النطق بهما معا ، والحذف تخفيف كثيرا ما تتسم به هذيل .

وإذا وجدنا في اللغة غشاه وأغشاه " فإنا نجد الثانية في قول أبي ذؤيب :

توصل بالركبان حينا وتؤلف الجوار ويغشيها الأمان بابها (٢)

هذا وقد قرأ ابن مسعود قوله تعالى : " نظر المغشي عليه " (٣) ، " المغشى عليه " (٤) من أغشى بالهمز .

وقد يؤثر الهذليون أحيانا الهمز في " أبلغ " مكان التضعيف في " بلّغ " ومن أمثلة ذلك قول عمرو بن هميل :

ألا من مبلغ الكعبي عني رسولا أصلها عندي ثبيت (٥)

وقول أبي خراش " أبلغ عليا أطال الله ذلهم .... " (٦)

وقول أبي جندب " ألا أبلغا سعد بن ليث وجندبا " (٧) وقوله :

" فأبلغ معقلا عني رسولا ... " (٨) .

ومن المعلوم أنه لا دخل للوزن في إيثار " أبلغ " على بلّغ ، لأنه لا يتأثر الوزن - غالبا - بوضع أحد اللفظين موضع الآخر ، إذ هما من حيث الوزن سواء .

وكذلك ربما آثروا الهمز في " أنجى " على التضعيف في " نجّى " ومن ذلك قول أبي خراش :

ولا والله لا ينجيك درع مظاهرة ولا شيح وشيد (٩)

---

(١) المرجع السابق ٢/ ١٤٦ . (٢) تاج العروس (وصل ، ريب) . (٣) سورة محمد ٤٧ آية ٢٠ . (٤) مختصر شواذ القرآن ص ١٤٠ . (٥) اللسان (وان ، رسل) . (٦) ديوان الهذليين ٢/ ١٦٧ . المخصص ٦/ ١٨٧ . (٧) ديوان الهذليين ٣/ ٩١ . (٨) معجم البلدان ٢/ ٦٠ . (٩) تاج العروس (شيح) .

وبه قرأ حمزة والكسائي من الكوفيين " لمنجوهم "(١)، مقابلا للتضعيف في قوله تعالى " لمنجّوهم أجمعين "(٢)، كما قرأ " لننجينه " وانا منْجوك خلافا لباقي القراء السبعة (٣).

وقد يؤثرون كذلك الهمز في " أنبأ " على التضعيف في نبأ، ومن ذلك قول أبي ذويب :

لَأنبئْتُ أنّا نجتَدِي الفضْلَ إنّمَا   كِلْفَصُّ النفوسِ خيارُهَا (٤)

وقولــه : أدان وأُنبأه والأولون بأن المدان الملي الوفي (٥)

وفي اللغة الفصحى " بشّر يبشر " وعليها نزل قوله تعالى " إن الله يبشرك "(٦) ولكن ابن مسعود يقروها " يُبْشرك " في جميع القرآن من أبشر "(٧)، وكذلك " متّع، و " أمتع " وبالأولى نزل قوله تعالى " فأمتعه قليلا "(٨)، وقد قرأها يحيى بن وثاب فأمتعه(٩)، بالهمز دون التضعيف .

ومن هذا أيضا ما نراه في قوله تعالى " لنبوئنهم من الجنة غرفا "(١٠) من " بوأ " مضعفا، فقد قرأه ابن مسعود " لنُثْوينهم " من " أثواه " بالهمز بمعنى أنزله، والفعلان مترادفان أو متقاربان في معناهما .

وكذلك عندما قرأ جمهور القراء " تبوّئ " من قوله تعالى " وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين "(١١)، وقرأ عبد الله تبْوئ من أبوأ، عداه الجمهور بالتضعيف وعداه عبد الله بالهمزة (١٢).

وكذلك قول الله تعالى " وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه "(١٣)، قــرأه بعض القراء (كابن عباس) " ووصّى " ولكن ابن مسعود ـ حفاظا على مسلكــه

---

(١) البيضاوي ٣/ ٩ ٨ . (٢) سورة الحجر ١٥ آية ٥٩ . (٣) البحر المحيط ٧/ ١٥٠ إرشاد المريد ص ٢٥٣ . (٤) ديوان الهذليين ١/ ٢٧ . تاج العروس (جدى)
(٥) حاشية ١ ص ٢٥٣ من البحث . (٦) سورة آل عمران ٣ آية ٣٩ . (٧) البحر المحيط ٢/ ٤٤٥ . (٨) سورة البقرة ٢ آية ١٢٦ . (٩) البحر المحيط ١/ ٣٨٤ .
(١٠) سورة العنكبوت ٢٩ آية ٥٨ . (١١) سورة آل عمران ٣ آية ١٢١ .
(١٢) البحر المحيط ٣/ ٤٤ . (١٣) سورة الإسراء ١٧ آية ٢٣ .

ومسلك قومه فى إيثار الهمز على التضعيف أحيانا ـ قرأها "أوصى "(١) .

وكذلك " نزل " ، وأنزل " ، فقول الله سبحانه " وما نزّل من الحق "(٢) عندما قرأه بعض القراء " نزّل " بالتضعيف ، نجد فيه قراءة ابن مسعود " أُنزل " بالهمز (٣)، وكذلك الشأن فى قوله تعالى " ونزل الملائكة تنزيلا "(٤) ، إذ نجد قراءة ابن مسعود " وأنزل الملائكة تنزيلا "(٥) بالهمز دون التضعيف ويرى ابن خالويه هذا الامر غريبا ، ويعلله بالترادف بين الفعلين(٦) ، شأنه فى تعليله هذا شأن كثيرين من اللغويين والنحاة "(٧) ، ولا وجه لدهشة ابن خالويه ، ولا لهذا التعليل بالترادف ، فالترادف وحده لا يكفى فى الانتقال من لفظ إلى غيره دون حافز آخر ، لا سيما وأن هذا قرآن لا تجوز فيه القراءة بالمرادف إلا إذا كان مقصودا بها التفسير كما نرى عند ابن مسعود فى مواطن أخرى (٨) ، أما هنا فلا حاجة إلى التفسير فالفعلان متكافئان فى الوضوح والبيان ، فلم يبق إذن إلا القول بأن ابن مسعود يؤثر فيها الهمز كما يؤثره قومه أحيانا على التضعيف .

أفعال غير ثلاثية توحى صيغها بتعديتها ولكنها عند هذيل لازمة :

سبق أن مربنا بعض الأفعال التى رأيناها ـ ثلاثية كانت أو غير ثلاثية ـ لازمة فى الفصحى ولها نظائر متعدية عند الهذليين ، والآن نرى بعض أفعال تزيد على ثلاثة أحرف خماسية كانت أو سداسية ، أو رباعية (مضعفة أو مهموزة) ، وتوحى صيغها وأوزانها بتعديتها ، ولكنها فى الواقع عندهم لازمة ، وربما وجدنا شيئا منها فى اللغة المألوفة ، ولكنا نجد ما هو منها فى الشعر الهذلى جديرا بالنظر ، إذ نجد فيه كثيرا من الافعال التى توهم بادىء ذى بدء أنها متعدية ، ولكنها فى الواقع لازمة .

---

(١) مختصر شواذ القرآن ص ٧٢ . (٢) سورة الحديد ٥٧ آية ١٦ . (٣) مختصر شواذ القرآن ص ١٥٠ . (٤) سورة الفرقان ٢٥ آية ٢٥ . (٥) اللسان (نزل) . الكتاب ٢/ ٢٤٤ . شرح المفصل ١/ ١١١ . المخصص ١٤/ ١٨٦ . مختصر شواذ القرآن ص ١٠٤ . (٦) مختصر شواذ القرآن ص ١٠٤ . (٧) الكتاب ٢٤٤ . المخصص ١٤/ ١٨٦ . (٨) أنظر البحر المحيط ٥/ ٤٩٥ .

ومن ذلك الفعل " ألوى " في قول أمية بن أبي عائذ :

فَإنْ غَضَّ مِنْ غَرْبِهَا رَقْدَتْ وَسِيجًا وألوتْ بِجُلْسٍ طوالِ (١)

وقد فسر هذا اللفظ في شرح السكري بمعنى أشرفت بعنق طوال أي طويلة .

وكذلك الفعل " أشب " أي تراءى للناظر مغوا (٢)، ويسوق الزبيدي شاهدا له هو قول الهذلي " حتى أُشِب لها رام بمجدلة " (٣)، ولكنا نجد رواية البيت في الديوان خالية من هذا اللفظ إذ تستبدل به لفظ " أتيح " وربما أضعفت هذه الرواية الاستدلال بالبيت على ما نحن بصدده .

وكذلك " أنال " بمعنى " حلف " كقول غاسل بن غُزَيَّة الجربي :

وقدْ أنالَ أميرُ القومِ وسْطَهُمُ باللهِ يُعْطُونَ بهِ حَقًّا فيجتهدُ (٤)

و " أشاح " بمعنى " جد " كما في قوله " أرجح حتى تشيحوا أو يشاح بكم " (٥)

ومثله " ألاح " بمعنى " لمع وظهر " ، في قول أبي ذؤيب :

رأيت وأهلي بوادي الرجيع في أرض قيلة برقا مُليحا (٦)

ومن ذلك " أنشأت الناقة " إذا لقحت (٧)، وأنهج الطريق أي صار مسلوكا (٨)

" وأسعى " بدلا من " سعى " (٩)، " واستحار " بمعنى " امتلأ " (١٠)، واستوقد بمعنى " صار متوقدا " (١١)، أو صار حادا على سبيل المجاز (١٢)، و " فتر " بمعنى فتر (١٣)، " ومشى " بمعنى " مشى " (١٤)، " وعيث " بمعنى (عاث بيده كثيرا في الشيء) (١٥)، " واستدق " بمعنى دق (أي صار دقيقا) (١٦)، " وتعلق " بمعنى " علق " (١٧).

وهناك أفعال أخرى كثيرة من هذا النوع في تراث الهذليين .

---

(١) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ٢/ ٤٩٧ ، ديوان الهذليين ٢/ ١٧٦ ، تاج العروس (رقد) والرواية فيه " وشيجا " . (٢) تاج العروس (شب) .
(٣) المرجع السابق والمادة السابقة . (٤) شرح أشعار الهذليين (فراج) ٢/ ٨٠٦ ، صحيح الأخبار ٣/ ٨٥ . (٥) شرح أشعار الهذليين (فراج) ٢/ ٨٠٧ .
(٦) المرجع السابق ١/ ١٣٧ . (٧) الجيم ٣/ ٢٧٤ ، تاج العروس، اللسان ، العباب الزاخر (نشأ) . (٨) الأمالي ٢/ ٧٦ ، (٩) ديوان الهذليين ٢/ ١٦٧ .
(١٠) ديوان الهذليين ١/ ٧١ . الأساس (حير) . الخصائص ١٠/ ٤٦ .
(١١) اللسان (عجم) . (١٢) ديوان الهذليين ٣/ ٣٩ . (١٣) ديوان الهذليين ٢/ ٢٠٩ . اللسان (فتر) . (١٤) اللسان (قطط) . (١٥) ديوان الهذليين ١/ ٩، ١٤٣ . ٢/ ١٨٦ . اللسان (رجع) . الصحاح (عيث) .
(١٦) تاج العروس (دق) . (١٧) ديوان الهذليين ١/ ١٥٦ . اللسان (علق) .

الفصل الثانى

ظواهر الإعراب

الفصل الثاني

(ظواهر الإعراب)

لعل ظواهر الإعراب من أقل الظواهر وضوحا بالقياس إلى ما وقع من خلاف بين اللهجات العربية ، فلا نجد فيما ذكره النحاة واللغويون من ذلك إلا كلمات قليلة ، ومع قلتها نجد من المحدثين من ينكرها عليهم ، ويعدها بعيدة عن اللهجات العربية كل البعد ، وأنها من صناعة هؤلاء النحاة حين اشتد الجدل بينهم ، وحاول كل فريق منهم أن يأتي بجديد في قواعد الإعراب منسوبا إلى لهجة من اللهجات[1] . والحق أننا ، مهما قيل في شأن الإعراب ونسبته إلى اللغة الأدبية وحدها ، لا يمكن أن نسلم في سهولة بأن هذا الإعراب كان من الظواهر اللغوية التي عنى بها خاصة العرب وحدهم دون غيرهم ، وأنه كان مسألة مواضعة بين هؤلاء الخاصة من جهة ، ثم بين النحاة من جهة أخرى ، وذلك أن هذه اللغة الأدبية ليست إلا انعكاسا للهجات العربية المختلفة ، ونتيجة للانتقاء والاختيار من هذه اللهجات كلما سنحت الفرص الأدبية والتجارية والاجتماعية التي هيأها للقرشية مكانها المرموق في الجزيرة العربية ، فهل يمكن القول بأن ظاهرة الإعراب كانت الظاهرة التي انفردت بها الفصحى وحدها دون غيرها من اللهجات في الجزيرة العربية ؟ وما معنى المواضعة التي كانت بين خاصة العرب في هذا الشأن ؟ هل اجتمع هؤلاء الخاصة ، واصطلحوا فيما بينهم على حركات الإعراب وظواهره في ندوات ومجالس انتهوا فيها إلى ما انتهوا إليه ؟ أن هذا الرأي يرجع بنا قليلا أو كثيرا إلى القول بالوضع في اللغة ، ذلك القول الذي تبين خطؤه ، فاللغة في جميع مظاهرها - إعرابية وغير إعرابية - إنما هي ظاهرة اجتماعية لا شأن للمواضعة فيها . هذا والإعراب من المظاهر اللغوية التي لا تخلو منها اللغات السامية . فكيف ننكر وجوده إلا في اللغة الأدبية ؟

ثم إن إنكار نسبة هذا الخلاف القليل في الإعراب إلى اللهجات يدحضه وجود آثار له في قراءات القرآن الكريم ، تلك القراءات التي يعرف الخاصة والعامة أنها من آثار اختلاف اللهجات العربية، وإذا تطرق الشك إلى النحاة ، وما عساهم أن يصطنعوه تدعيما لرأي يرونه أو حجة يحتجون بها ، فإن القراء - لا شك - بعيدون عن هذا الميدان ، فقراءتهم حجة في هذا - وإلى جانبها الشعر العربي

---

(١) في اللهجات العربية ص ٧٤ .

الذي رواه الأدباء في كتب الأدب، وذلك بعد دراسته وتمحيصه حتى يمكن الاستدلال به بعد أناة وطول نظر . ولعلنا - فيما يختص ببعض هذه الظواهر عند هذيل - واجدون في قراءات الهذليين وتلاميذهم ، وفي الشعر العربي ، وفي مرويات اللغة ما نستعين به على الحديث في الموضوع .

ظاهرة الرفع

يذكر النحاة بشأن هذه الظاهرة بعض ألفاظ آثر بعض القبائل رفعها في الوقت الذي تحمل فيه عند غيرهم علامة أخرى من علامات الإعراب، أو علامة من تلك التي سماها النحاة بعد بعلامات البناء . ومن هذه الألفاظ " الذين " الاسم الموصول لجماعة المذكرين ، فقد ذكر أن بعض العرب ومنهم هذيل[١] يلزمونه الواو في حالة الرفع، والياء في حالتي النصب والجر ، أي يعربونه إعراب جمع المذكر السالم[٢]، بينما نجده فيما ألفنا ملازما للياء في حالات إعرابه الثلاث . وقد نسب بعضهم هذه الظاهرة إلى عقيل[٣] أو تأرجحوا فيه بين القبيلتين[٤] . ومع هذا فالقبيلتان متجاورتان ، وإذا صدق هذا على إحداهما ، فلا يبعد صدقه على الأخرى ، بل إن من النحاة ما يجعلها لغة لطيء وهذيل وعقيل[٥] ، ويؤيد النحاة وجود هذه الظاهرة بشاهد شعري ينسبونه لشاعر من بني عقيل (هو أبو حرب بن الأعلم)[٦]

نحن اللذون صبحوا الصباحا يوم النُّخَيل غارة ملحاحا[٧]

وإذا صح هذا كان دليلا صريحا على اختلاف علامات الإعراب في اللهجات العربية حتى في بعض الحالات التي يلازم فيها اللفظ حالة واحدة في اللغة الأدبية ، ولكن وجه الضعف فيه هو عدم سيرورته في المجال الأدبي ،والاقتصار عليه مجرد شاهد نحوي مع إغفال أغلب المراجع لقائله ، وإن كان هذا لا يحملنا على رفضه ضربة لازب ، فإن فكرة إعراب الموصول بهذه الصورة ليست قاصرة على هذا الاسم وحده ، بل إنهم يقولون إن بعض هذيل يقولون " اللاءون "

---

(١) الخضري على ابن عقيل ١/ ٧٢ . السجاعي ٥٣ . (٢) مميزات لغات العرب ص٢٨ . (٣) نوادر أبي زيد ص٨٩ . شرح شواهد ابن عقيل ص٢٠ ، ٢١ . (٤) التصريح على التوضيح ١/ ١٣٣ . مميزات لغات العرب ص٢٨ . (٥) الهمع ١/ ٨٣ . (٦) نوادر أبي زيد ص٤٧ .
(٧) الهمع ١/ ٨٣ . الخضري ١/ ٧٢ . المغني ٢/ ٥٧ . شرح شواهد ابن عقيل ص٢٠ . السجاعي ص ٥٣ .

لجماعة الذكور رفعا ، واللائين نصبا مستشهدين ببيت ينسبونه لشاعر هذلى هو قولــه :

هم اللاءون فكوا الغل عنى   بمر والسابحات وهم جناحى[1]

وإذا كان فى هذا شىء من الغرابة ، فإنه يرجع إلى استعمال " اللاء " أو " اللاءون " لجماعة الذكور ، مع أن المألوف فيه استعماله فى كثرة للمؤنث ولكن النحاة مع هذا ذكروا " اللاء " أيضا بمعنى الذى[2] ، ويذكر صاحب المفصل أن اللاء يجمع جمع سلامة فيقال اللاءون فى الرفع واللائين فى النصب والجر[3] ، وهذا ما قرره بعض النحاة الآخرين ونسبه لبعض هذيل كما سبقت الإشارة . وقد ذكر بعضهم أن " اللاء " بصورتها هذه ـ ودون جمعها جمع سلامة ـ بمعنى الذين[4] ، وعليها قراءة ابن مسعود فى قوله تعالى " للذين يؤلون من نسائهم "[5] ، " اللاء آلوا من نسائهم "[6] ، وهذا شاهد يستأنس به على وجود هذا الموصول مستعملا للمذكر فى اللهجة الهذلية ، وذلك يقرب فكرة قبول جمعه جمعا مذكرا عند بعض هذيل كما ذكر النحاة .

ومن مظاهر الخلاف بين الرفع وغيره فى بعض الألفاظ ما ذكروه من أن لهجة الحجازيين إعمال " ما " النافية عمل ليس نحو " ماهذا بشرا " ، " ما هن أمهاتهم " ، وأن لغة تميم إعمالها ، ورفع الخبر الذى ينصبه الحجازيون[7] وقد ذكروا بعد هذا أن ابن مسعود قرأ بلهجة التميميين " ماهذا بشر "[8] ، وأن عاصما نقل " ماهن أمهاتهم "[9] بالرفع أيضا ، وعلاقة عاصم بابن مسعود لا تنكر ، ولهذا كانت هذه قراءة ابن مسعود ، فما علاقته بالتميميين ؟ ولماذا يقرأ بلهجتهم ، وهو حجازى هذلى ؟ إنه ـ فى أغلب الظن لا يفعل هذا إلا لأن هذه لهجة قومه ، ولكن اللغويين ، وقد سيطرت عليهم دائما فكرة المقابلة

---

(١) التسهيل ص١٢ . المغنى ٢/ ٥٧ .
(٢) شرح المفصل ٣/ ١٤٢ . الهمع ١/ ٨٣ . (٣) شرح المفصل ٣/ ١٤٢ .
(٤) الهمع ١/ ٨٣ . (٥) سورة البقرة ٢ آية ٢٢٦ . (٦) الهمع ١/ ٨٣ .
(٧) الصبان على الأشمونى ١/ ١٧٨ . البحر المحيط ٥/ ٣٠٤ . شرح شواهد ابن عقيل ص٥٧ . (٨) الصبان ١/ ١٧٨ . القراءات واللهجات ص١٢٠ .
(٩) مختصر شواذ القرآن ص١١ . ( ) سورة البقرة ٢ آية ١٩٧ .

بين الحجازية والتميمية ، ألماهم تعميم الأحكام بهذه الصورة عن الدقة في تتبع لهجات القبائل حتى يخلصوا من هذا التعميم السائغ إلى حكم سليم دقيق . وكيف يذكرون أن هذه قراءة ابن مسعود ، ثم لا ينبههم هذا إلى احتمال أن هذه لهجة قومه ، ويكتفون بالقول بأن ابن مسعود قرأ بلغة تميم !

وإذا كان هذا هو شأن ابن مسعود في رفع الخبر بعد ما ، فإنه قد أثر عنه رفع الاسم بعد لا[1] في قوله تعالى " فلا رفثٌ ولا فسوق ولا جدال في الحج "[2] .

ومن مظاهر الرفع هذه ما قد نراه من إيثار الهذليين أحيانا للرفع في بعض ما يسميه النحاة فضلة " كالحال وغيره " إذ يرفعونه في بعض عباراتهم ، كما لو كان أصلا في الكلام فيأخذ وضعا في الجملة كالركن منها ومن أمثلة هذا في شعرهم قول أبي ذؤيب :

فلم يبق منها سوى هامدٍ وسفعُ الخدودِ معاً والنؤى[3]

فقد كان المنتظر أن يقول " وسفع الخدود معا والنؤى " بالجر فيهما باعتبارهما معطوفين على مجرور ، ولكنهما وجدتا بالرفع هكذا في النسختين الأوربية والمخطوطة، ومطبوع ديوان الهذليين[4] . ومن أمثلة ذلك قول المتنخل :

لا دَرَّ دَرِّيَ إنْ أطعمتُ نازلَهم قِرفَ الحَتِيِّ وعندي البُرُّ مكنوزُ[5]

فرفع لفظ " مكنوز " على إنه خبر مع أن نصبه على الحال أول ما يتجه إليه النظر[6] . وكذلك قول حذيفة بن أنس :

بنو الحرب أرضعنا بها مقبطوة فمن يُلق منا يُلق سيد مدرب[7]

---

(١) مختصر شواذ القرآن ص١١ . (٢) سورة البقرة ٢ آية ١٩٧ .
(٣) ديوان الهذليين ١/ ٦٦ . (٤) المرجع السابق ١/ ٦٦ .
(٥) المرجع السابق ٢/ ١٥ . اللسان (حتا) . الكتاب ١/ ١٦١ .
(٦) انظر شرح شواهد الكتاب (الكتاب ١/ ٢٦١) .
(٧) ديوان الهذليين ٣/ ٢٥ .

فقد كان من المألوف أن تكون عبارته " فمن يلق منا يلق سيدا مدربا " . وقد يتجه النظر للوهلة الأولى إلى أن القافية هي التي اضطرت هؤلاء الشعراء إلى سلوك هذا المسلك حتى لا يقعوا في "الإقواء" ولكنا نجد مثل هـذا الصنيع في الاختيار، في قراءة ابن مسعود ، فقول الله تعالى حكاية عـن امرأة إبراهيم " وهذا بعلى شيخا "[١] قرأه عبدالله " وهذا بعلى شيخ "[٢] بالرفع .

وقوله تعالى " فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها "[٣] قرأه ابن مسعود فيه : " أنهما في النار خالدان فيها "[٤] . هذا وقول الله تعالى " أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم "[٥] قـرأه ابن مسعود " عجب " بالرفع[٦] ، وقوله عز شأنه " يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات "[٧] قرأه ابن مسعود " أيام معدودات " بالرفع[٨] ، ويعلل أبوحيان ذلـك بأن الرفع خبر لمبتدأ محذوف أى المكتوب صومه أيام معدودات ، أى أنـه يعامل من حيث معناه ولفظه معاملة الركن في الجملة كما سبق أن أشرنا .

هذا ونجد الآية الكريمة " وأتموا الحج والعمرة لله "[٩] بنصب العمرة لأنها معطوف على المفعول ، ولكن ابن مسعود يقرؤها (فيمن قرأ) " والعمرة لله " بالرفع[١٠] على الاستئناف ، وبعض العلماء يوجه هـذه القراءة توجيها دينيا هو بيان وجوب الحج دون العمرة ، وهذا رأى لـه وجاهتـه .

وقول الله تعالى " إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيـا "[١١] ، قرأه ابن مسعود " مودة بينكم " برفع مودة ، وهذه قراءة الأعمش عن أبى بكر عن عاصم[١٢] ، وهذا الطريق هو طريـق

---

(١) سورة هود ١١ آية ٧٢ . (٢) البحر المحيط ٥/ ٢٤٤ . (٣) الكتاب ١/ ٢٥٨ . مختصر شواذ القرآن ص٦٠ . المغنى ٢/ ١٢٩ . (٣) سورة الحشر ٥٩ آية ١٧ . (٤) الكشاف ٣/ . (٥) سورة يونس ١٠ آية ٢ . (٦) البحر المحيط ٥/ ١٢١ . (٧) سورة البقرة ٢ آية ١٨٣ ، ١٨٤ . (٨) مختصر شواذ القرآن ص١١ . البحر المحيط ٢/ ١٦ . (٩) سورة ٢ آية ١٩٦ . (١٠) الكشاف ١/ ١٥ . مختصر شواذ القرآن ١١ . (١١) سورة العنكبوت ٢٩ آية ٢ . (١٢) مختصر شواذ القرآن ص١١٥ .

الرواية عن ابن مسعود .

وقد أدى هذا الاتجاه في جموحه إلى أننا حينما نجد أن اللغويين يذكرون أن أهل الحجاز يقولون في دعائهم " مبرورا مأجورا ، وتميم تقول " مبرور مأجور " تميل النفس إلى أن ما نسب إلى تميم من ذلك هو أيضا لهجة لهذيل .

وتصدق هذه الظاهرة أيضا على المستثنى بإلا في هذا النوع من الاستثناء الذي يسميه النحاة " الاستثناء المنقطع " ، والذي يكون فيه المستثنى من جنس غير جنس المستثنى منه ، مثل قوله تعالى " مالهم به من علم إلا اتباع الظن " (١) ، وقوله تعالى " وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى " (٢) ، فقد ذكر النحاة أن بني تميم يرفعونه ، والحجازيين ينصبونه " (٣) ، ونحن إذا ما رجعنا للشعر الهذلي ، وجدنا فيه رواية الرفع بارزة في هذا النوع من الاستثناء في قول أبي خراش :

أمسى سقام خلاء لا أنيس به ... إلا السباع ومر الريح بالغرف (٤)

برفع المستثنى " السباع " ويروى إلا " الثمام " بالرفع أيضا (٥) وكان يرفعه لغوي معروف وهذلي في الوقت نفسه هو أبو عمرو الهذلي ، فيما يرويه الجوهري نقلا عن أبي عبيدة . (٦)

هذا ، والاستثناء الذي يسميه النحاة بالناقص ، أي الذي يكون فيه المستثنى منه موجودا والكلام منفيا ، قد ذكروا فيه جواز النصب والرفع ، ونحن نجد الرفع في قوله تعالى " ما فعلوه إلا قليل منهم " (٧) وهذه القراءة يقرأ بها عبدالله بن مسعود وبعض تلاميذه كالأعمش (٨) . وأكثر من هذا أن الاستثناء التام الذي يجب فيه النصب عند النحاة وجوبا قاطعا ، مثل قوله تعالى " ثم توليتم إلا قليلا منكم " (٩) قد قرأه ابن مسعود ، " إلا قليل منكم " بالرفع " (١٠) ، ومثل قوله تعالى " فشربوا منه إلا قليلا منهم " (١١) ،

---

(١) سورة النساء ٤ / ١٥٧ . (٢) سورة الليل ٢٢ آية ٢٠ . (٣) شرح المفصل ٢ / ٧٩ . الخزانة ٤ / ٩٠ . (٤) ديوان الهذليين ٢ / ١٥٦ . الصحاح " سقم " . معجم ما استعجم (سقام) ٣ / ٧٤١ . (٥) ديوان الهذليين ٢ / ١٥٦ . الصحاح (سقم)
(٦) الصحاح (سقم) . (٧) سورة النساء ٤ آية ٦٦ . (٨) البحر المحيط ٢ / ٢٦٦ .
(٩) سورة البقرة ٢ آية ٨٣ . (١٠) مختصر شواذ القرآن ص٧ (١١) سورة البقرة ٢ آية ٢٤٩ .

نجد فيه قراءة الأعمش بالرفع " إلا قليل منهم "(١) ، وعليه قول أبي ذؤيب الهذلي :

على أطرقا باليات الخيام إلا الثمام وإلا العصي(٢)

فالاستثناء هنا تام متصل لأن المستثنى وهو " الثمام ثم العصي " جزء من المستثنى منه ، ومع ذلك جاء مرفوعا خلافا لما ذكر النحاة .

هذا ويقول بعض النحاة كالجرمي بأن لغة تميم تجعل ما هو فصل عند غيرهم مبتدأ ، ويرفعون ما بعده على الخبر(٣) ، ونجد بعض الكوفيين من تلاميذ ابن مسعود كالأعمش يلتزمون الرفع بعد هذا الضمير ، كما في قوله تعالى " إن كان هذا هو الحق من عندك(٤) إذ يقرؤه " هو الحق " بالرفع(٥) على أن " هو " مبتدأ غير فصل ، بدلا من النصب عند جمهور القراء .

ومن مظاهر الرفع الأخرى في قراءة ابن مسعود حين ينصب غيره من القراء ما نراه في قوله تعالى " وما يعلم تأويله إلا الله "(٦) ، فقد قرأها " إن تأويله إلا عند الله "(٧) ، وقوله سبحانه " وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم "(٨) قرأها " وإن كل "(٩) ، بالرفع بعد إن النافية أو المخففة .

ومن مظاهر الرفع في الفعل في قراءات ابن مسعود وتلاميذه مع ثبوت غير الرفع فيه عند غيرهم ما نجده في قوله تعالى " ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق "(١٠) . فالقراءة السائدة في " تكتموا " هي الجزم على أنه معطوف داخل تحت حكم النهي ، ولكن قراءة ابن مسعود " وتكتمون الحق "(١١)

---

(١) الكشاف ١/ ٢٨٩ . (٢) ديوان الهذليين ١/ ٦٥ . معجم البلدان (أطرقا) ١/ ٢٨٦ . (٣) البحر المحيط ٨/ ٢٧ . (٤) سورة الانفال ٨ آية ٣٢ .
(٥) البحر المحيط ١/ ٣٧٤ . (٦) سورة آل عمران ٣ آية ٧ . (٧) الكشاف ١/ ٣١١ . الإتقان ٢/ ٣ . (٨) سورة هود ١١ آية ١١١ . (٩) البحر المحيط ٥/ ٢٦٦ . مختصر شواذ القرآن ص ٦١ . الخزانة ٤/ ٩٧ - المحتسب ٣٨٤ .
(١٠) سورة البقرة ٢ آية ٤٢ . (١١) البحر المحيط ١/ ١٨٠ .

وهى هكذا فى مصحفه(١) ، وقد خرجها النحاة على أنها جملة فى موضع الحال(٢) هذا والقراءة المشهورة فى قوله تعالى " ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات "(٣) هى نصب الفعل " يتوب " معطوفا على سابقه ولكن الأعمش قرأها " يتوب " بالرفع لا بالنصب(٤) . وكذلك قوله تعالى " وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله "(٥) قراءة الجمهور فيه (ويكون) بالنصب على العطف ، وقراءة الأعمش " يكون " بالرفع فى مكان النصب(٦) .

ومن قبيل ذلك أيضا ما ذكره النحاة من رفع جواب الشرط بدلا من جزمه(٧) فقد ساقوا لذلك قول أبى ذؤيب :

فقلت تحمل فوق طوقك إنها مطبعة من يأتها لا يضيرها(٨)

وقد ذكر بعضهم كسيبويه أن هذا على نية التقديم فكأنه قال " لا يضيرها من يأتها "(٩) ، وقدر بعضهم (المبرد) أن هذا على إرادة الفاء ، لأن "يضير" إذا تقدمت على "من" ارتفعت به ، وبطل فيها الجزاء "(١٠) ، وهكذا أخذوا فى التقدير والتبرير لهذه الظاهرة على أساس أن " من " شرطية وقد جزمت فعل الشرط كما هو ظاهر أمامهم .

وأغلب الظن أن " من " هنا ليست إلا اسما موصولا ، فلا جزم فيها لأنها غير شرط ، فكأنه قال إذن " الذى يأتيها لا يضيرها " برفع الفعلين معا ، ولكن الفعل الأول ، وهو " المعتل " يجئ محذوف الياء دائما حتى حال رفعه ، كدأب الهذليين فيه وفى أمثاله من الأفعال المعتلة بالواو أو بالياء كما سبق أن أشرنا .

وبهذا نستطيع أن نوائم بين الظواهر المختلفة فى اللهجة الواحدة ،

---

(١) البيضاوى ١/ ١٤٩ . (٢) المرجع السابق ١/ ١٤٩ . البحر المحيط ١/ ١٨٠ .
(٣) سورة الأحزاب ٣٣ آية ٧٣ . (٤) البحر المحيط ٧/ ٢٥٤ . مختصر شواذ القرآن ص ١٢٠ . (٥) سورة الأنفال ٨ آية ٣٩ . (٦) البحر المحيط ٤/ ٤٩٥ .
(٧) الكتاب ١/ ٤٣٨ . شرح المفصل ٨/ ١٥٨ . شرح التصريح ٢/ ٢٥٠ .
(٨) المراجع السابقة فى مواضعها نفسها . ديوان الهذليين ١/ ١٥٤ . المحكم ١/ ٣٤٦ . شواهد الكتاب ص ٤٥ . (٩) الكتاب ١/ ٤٣٨ .
(١٠) المرجع السابق والصفحة السابقة .

ونفيد منها في أحكامنا ، لأن النظر الفردي في كل مسألة مستقلة عن سواها لا يعطينا الأحكام التي ننشد فيها الدقة الكاملة ٠

ظاهرة النصب

إذا كنا قد لاحظنا عند الهذليين ميلا إلى الرفع في حالات خاصة ، مخالفين بذلك ما ألف في اللغة عامة ، فإنا نلاحظ أيضا أن لهم شيئا من الاتجاه إلى النصب في حالات تلفت النظر أحيانا لمخالفتها هي الأخرى للسائد المعروف ٠

ومن ذلك ميلهم كثيرا إلى نصب الظروف بدلا من تسلط حرف الجر عليها حتى في الحالات التي ألف فيها وجود الجار مثل قول أبي ذؤيب :

ثم انتهى بصرى عنهم وقد بلغوا بطن المخيم فقالوا الجو أو راحوا(١)

فالمقصود قالوا في " الجو " وهو أرض اليمامة بالجزيرة العربية ٠

وكقول ساعدة بن جؤية :

لدن بهز الكف يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب(٢)

أي كما عسل الثعلب في الطريق ٠

وقد يحذفون الجار وينصبون ما بعده ، حتى في غير الظرف ، ومن ذلك قول صخر الغي " وما تغنى التميمات الحماما "(٣) أي " من الحمام " ٠

كما أنهم كثيرا ما ينزعون الخافض ، وينصبون ما بعده في حالات أخرى ، فهم حينما يريدون تشبيه شيء بشيء لا يستعملون الكاف الجارة أداة للتشبيه غالبا خصوصا إذا كان المشبه به مصدرا — وإنما يأتون بالمشبه به منصوبا ، ومن أمثلة هذا قول عبد مناف بن ربع الهذلي (أو المتنخل الهذلي كما في ديوان الهذليين) :

وللقسي أزاميل وغمغمة حس الجنوب تسوق الماء والبردا(٤)

فكأنه يريد أن يقول غمغمة كحس الجنوب فحذف الكاف ، أو تشبه حس الجنوب فحذف الفعل ٠

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ٤٦ ٠ اللسان (نهى ، خيم) ٠ تاج العروس (نهى) معجم البلدان (المخيم) ٧ / ٤١٢ ٠ معجم ما استعجم (رهاط) ٢ / ٦٧٨ ٠
(٢) الكتاب ١ / ١٦ ٠ (٣) ديوان الهذليين ٢ / ٦٢ ٠ شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص ٣٦ ٠ (٤) ديوان الهذليين ٢ / ٤١ ، اللسان (حسس) ٠

ومثل هذا تماما قول أبي كبير :

ولقد أجزت الخرقة يركد علجه فوق الإكام إدامة المسترعف (١)

بنصب " إدامة " .

وقوله " تعوى الذئاب من المجاعة حوله إهلال ركب اليامن المتطارف (٢)

بنصب " إهلال " .

وقوله ، ولذا رأميت به الفجاج رأيته ينضو مخارمها هوى الأجدل (٣)

بنصب " هوى " .

وقول أبي ذؤيب :

وبكر كلما مست أصاتت ترنم نغم ذى الشرع العتيق (٤)

بنصب لفظ " ترنم " .

وقول ساعدة بن جؤية :

واستبدروهم يكفئون عروجهم مور الجهام إذا زفته الأزيب (٥)

وأمثلة هذا كثيرة في شعرهم بصورة تبعده من مجال الضرورة الملجئة إلى مجال الطابع الذى يتسمون به .

ومما لوحظ في مجال الحذف والنصب في الشعر الهذلى كثرة المصدر محذوف الفعل ، كقول عبد مناف بن ربع الهذلى (أو المتنخل الهذلى كما في ديوان الهذليين) :

إذا تجاوب نوح قامتا معه ضربا أليما بسبت يلعج الجلدا (٦)

أو ما أضيف إليه هذا المصدر كقول مالك بن خالد الخناعى :

فيبعض الوعيد إنها قد تكشفت لأشياعها عن قرن ضرماء مذكر (٧)

وأمثلة هذا كثيرة عندهم (٨) .

---

(١) ديوان الهذليين ٢/ ١٠٦ (٢) المرجع السابق والصفحة .
(٣) ديوان الهذليين ٢/ ٩٤ . (٤) ديوان الهذليين ١/ ٩٠ .
(٥) ديوان الهذليين ٢/ ١٩٠ . (٦) ديوان الهذليين ٢/ ٣٦ . الصحاح (لعج ، جلد) . مقاييس اللغة (لعج) . تاج العروس (جلد) . الجمهرة (جعل) . سمط اللآلى ١/ ٢٢١ . الاقتضاب ص ٢٧٣ . المنصف ٢/ ٢٠١ . التبيان ١/ ٢٦٨ . (٧) ديوان الهذليين ٣/ ٧ . (٨) المرجع السابق ٣/ ٤٥ ، ٦٧ ...

ومن مظاهر النصب أو الفتح بعض ألفاظ تدور في الشعر الهذلي كقول ساعدة بن جؤية :

جمالكِ إنما يجديك عيش أميمُ وقد خلا عمري قليل (١)

وكقول أبي ذؤيب :

جمالكَ أيها القلبُ القريح ستلقى من تحب فتستريح (٢)

فلفظ " جمالك " هنا يمكن اعتباره مما نصب بعد الحذف (اسما كان أو مصدرا) أي الزم جمالك ، وقد يمكن اعتباره مما سماه النحاة بأسماء الأفعال ، فيكون اسم فعل بمعنى " تجمل " .

ومن حالات النصب الغريبة في هذا المجال ، إلى جانب ما سبق من الحالات السابقة قراءة ابن مسعود : " وحورا عينا " بالنصب (٣) بدلا من " وحورٌ عينٌ " بالرفع في قراءة جمهور القراء (٤) . ويعلل ذلك ابن جني بأنه نصبه على فعل مضمر أي يؤتون أو يزوجون (٥) . ومن ذلك أيضا قراءة ابن مسعود : " سلاما على نوح في العالمين " (٦) بينما هي " سلام " بالرفع في قراءة جمهور القراء (٧) .

وإذا كان الاسم المنصوب الذي تواضع النحاة على تسميته حالا ، يأتي حالا من معرفة في الأغلب الأعم ، ومن أمثلة ذلك قراءة ابن مسعود (٨) نفسه حين اتجه إلى النصب فيما رفع فيه جمهور القراء " وتركهم في ظلمات لا يبصرون صما بكما عميا " (٩) ، فإنا - مع هذا - نجد في قراءته ما يخالف هذا المشهور عند النحاة من مجيء صاحب الحال معرفة إذ نجد فيها بعض أسماء منصوبة تتجه معاني الآيات معها إلى أنها حال من نكرة ، ومن ذلك ما نراه في قوله تعالى " هذا ما لدى عتيد " (١٠) إذ يقرؤه ابن مسعود :

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ٢١١ (٢) ديوان الهذليين ١ / ٦٨ ، الجمهرة (حلم) . شرح أشعار الهذليين ١٢٤
(٣) المحتسب ٧٨٧ . (٤) سورة الواقعة ٥٦ آية ٢٢ . (٥) المحتسب ص ٧٨٧ .
(٦) البحر المحيط ٧ / ٣٦٥ . (٧) سورة الصافات ٣٧ آية ٧٩ .
(٨) البحر المحيط ١ / ٨٢ . (٩) سورة البقرة ٢ آية ١٧ ، ١٨ .
(١٠) سورة ق ٥٠ آية ٢٣ .

" هذا ما لدي عتيدا " بالنصب (١) ، وقوله سبحانه " ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم " (٢) قرأها ابن مسعود " رسول مصدقا لما معكم " (٣) ، وكذلك قوله عز من قائل " ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم " (٤) قرأها " مصدقا لما معهم " (٥) .

وإذا كانت الحال تأتي مشتقة عادة ، وتأتي قليلا جامدة ، فيؤولها النحاة بمشتق ، فإنا نجد عند الهذليين من هذه الحال الجامدة أمثلة كثيرة ، كما في حديث ابن مسعود : أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاه إلى فيّ " أي مشافها إياي ، ويقول ابن الأثير في هذا " هو نصب على الحال بتقدير المشتق " (٦) .

ويقول حذيفة بن أنس الهذلي :

نجا سالم والنفس منه بشدقه ولم ينج إلا جفنَ سيف ومئزرا (٧)

ويقول صاحب اللسان إنه " نصب جفن سيف على الاستثناء المنقطع ، كأنه قال نجا ولم ينج " (٨) . وهذا كلام يجافيه الصواب من حيث سياقه ومعناه وموافقته للمعنى المراد . ثم إنا قد رأينا هذا الاستثناء المنقطع مرفوعا عند الهذليين في أمثلة سبق أن عرضنا لها . هذا وينقل صاحب اللسان نفسه قول ابن سيده : " وعندي أنه أراد ولم ينج إلا بجفن سيف ثم حذف ، وأوصل " (٩) . وهذا كلام يساير ما ذكرناه من حذف الجار ونصب ما بعده ، ولكن الواقع أنه حال جامدة ، فكأنه يقول " نجا حال كونه لم ينج منه إلا رمق ، فلم يظهر من جسمه شيء غير سيفه ومئزره " . ولعل من هذا النوع من الحال قراءة ابن مسعود لقوله تعالى : " حتى تأتيهم البينة رسول من الله " (١٠) حيث قرأها " رسولا " بالنصب دون الرفع (١١) .

---

(١) مختصر شواذ القرآن ص١٤٤ . (٢) سورة آل عمران ٣ آية ٨١ .
(٣) البحر المحيط ٢ / ٥١٣ . (٤) سورة البقرة ٢ آية ٨٩ . (٥) مختصر شواذ القرآن ص٨ . (٦) النهاية ٣ / ٢١٩ . (٧) اللسان (جفن) . ديوان الهذليين ٣ / ٢٢ . (٨) اللسان (جفن) . (٩) المرجع السابق والمادة السابقة . (١٠) سورة البينة ٩٨ آية ١ . (١١) الكشاف ٣ / ٢٨٠ .

ومما يلفت النظر في مجال النصب وظواهره ، ما روى في كثير من كتب اللغة من نصب لفظ " ثبات " بالفتح بدلا من الكسر ، مع أنه من قبيل الجمع بالألف والتاء . وذلك في قول أبي ذؤيب :

فلما جلاها بالأيام تحيزت ثباتا عليها ذلها واكتئابها

فإذا كان قد جاء لفظ " ثبات " بالكسر في بعض المراجع [1] ، فإنه قد روى هكذا بالفتح في أغلب هذه المراجع [2] ، فإن صحت هذه الرواية كانت ظاهرة غريبة في نصب هذا الجمع بالألف والتاء أحيانا بالفتحة ، وهذا يخالف المألوف .

ولعل الفراء حينما نسب إليه أبو حيان ما قاله من أنه سمع عن العرب نصب هذا الجمع بالكسرة والفتحة ، قد اعتمد في قوله هذا على مثل ذلك البيت من الشعر الهذلي [3] .

ومما هو جدير بالذكر نصب الظرف " إذًا " ، فقد قال بعض اللغويين بنصبه حين يوجد هكذا بمفرده ، دون إضافة الحين اليه ، وذكروا أن نصبه هكذا لغة هذيل ، أما غيرهم فيقول " إذٍ " بالجر [4] ، ويسوقون لذلك شاهدا من شعر الهذليين ، هو قول أبي ذؤيب :

تواعدنا الربيق لننزلنه ولم تشعر إذا أني خليف [5] .

ومن ظواهر النصب التي تلفت النظر أيضا عند الهذليين ، أن النحاة قد ذكروا أن من حق المنصوب على المدح أن يكون معرفة ، ولكنه جاء نكرة في الشعر الهذلي ، ويتخذ أبو حيان منه شاهده في الرد عليهم ، وذلك هو قول الهذلي :

ويأوي إلى نسوة عطل وشعثا مراضيع مثل السعالي [6] .

ومن قبيل إيثار النصب في الفعل أحيانا ، نصبه " بإذن " الناصبة في بعض حالاتها التي لا تحصل فيها النصب عند جمهور النحاة ، ومثال ذلك قول الله سبحانه : فإذن لا يؤتون الناس نقيرا " [7] ، فإنها في حرف ابن مسعود " لا يؤتوا " على إعمال إذن [8] ، وقوله سبحانه : " وإذن لا يلبثون خلافك إلا قليلا " [9] نجدها كذلك في قراءة ابن مسعود " وإذن لا يلبثوا " [10]

---

(١) شرح المفصل ٥/ ٤ . ديوان الهذليين ١/ ٧٩ . والرواية فيه " اجتلاها " بدل " جلاها " . (٢) التصريح ١ / ٨٠ . البحر المحيط ٣ / ٢٩٠ . شرح المفصل (حاشية) ٥/ ٤ . الصحاح (أيم) . (٣) البحر المحيط ٣/ ٢٩٠ . (٤) شرح أشعار الهذليين (فراج) ١/ ١٨٤ . ديوان أبي ذؤيب (مخطوط تيمور) ص ١٦٨ - (مخطوط الشنقيطي) ورقة ١١٥ . (٥) اللسان (أذ ذ ، خلف) . ديوان الهذليين ١ / ٩٩ والرواية فيه " عكاظ " بدل " الربيق " ، " تعلم " بدل " تشعر " ديوان أبي ذؤيب (مخطوط الشنقيطي) ورقة ١١٥ (مخطوط تيمور) ص ١٦٨ . (٦) البحر المحيط ٢ / ٤٠٤ (٧) سورة النساء ٤ آية ٥٣ ، ٥٢ (٨) مختصر شواذ القرآن ص ٢٧ . البحر المحيط ٣ / ٢٧٣ شرح التصريح ٢ / ٢٣٥ . الكشاف ١ / ٤٠٢ . (٩) سورة الإسراء ١٧ آية ٧٦ . (١٠) مختصر شواذ القرآن ص ٢٧ . البحر المحيط ٦ / ٦٦ . شرح المفصل ٧ / ١٦ .

وهكذا هي في مصحفه محذوفة النون (١).

وربما كان أكثر بعدا عن المألوف ما قرئ بالنصب عند ابن مسعود في قوله تعالى : " وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله " (٢)، فإنه يقرؤها : " لا تعبدوا " (٣)، وقد استدل الكوفيون بهذا على جواز إعمال " أن " في الفعل وهي محذوفة، مع انه من الجائز أن تكون " لا " هنا ليست نافية، وأن تكون " لا " الناهية التي يجزم الفعل بعدها، فيكون الفعل هنا مجزوما لا منصوبا، وتكون العبارة تفسيرا للميثاق، أي أن هذا الميثاق الذي أخذه الله عليهم، إنما هو نهيهم عن عبادة غير الله، وعلى هذا يكون الكلام طبيعيا، ولا نصب ولا حذف، هذا وقد رويت قراءة عبد الله " ألا تعبدوا " (٤)، وعليها يكون النصب مألوفا لا شيء فيه.

ظاهرة الجر

اذا كنا قد لاحظنا بعض ملاحظات فيما يختص بالرفع والنصب، فإن هناك بعض ملاحظات أخرى فيما يختص بالجر، ولعل من أبرز هذه الملاحظات ما ذكره اللغويون والنحاة من أن " متى " تكون في معنى " من " في لغة هذيل، وأنهم يستعملونها في الجر مثلها سواء بسواء (٥)، ويسوقون الشاهد شاهدا من الشعر الهذلي هو قول أبي ذؤيب :

شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لجج خضر لهن نئيج (٦)

وقول ساعدة بن جؤية : " أخيل برقا متى حاب له زجل " (٧).

وإن كان الخلاف قد ثار حول معنى " متى " في قول ساعدة، فقال ابن سيده هي بمعنى " في "، وقال غيره هي بمعنى " وسط "، كما اختلف أيضا في بيت أبي ذؤيب، فقيل إنها فيه بمعنى " من "، وقيل بمعنى " وسط "، وقيل

---

(١) البحر المحيط ٦/ ٦٦ . (٢) سورة البقرة ٢ آية ٨٣ . (٣) ابن الانباري : الانصاف، المسألة ١٧ . (٤) الكشاف ١/ ٢٢٤ . (٥) اللسان والصحاح (متى) . تاج العروس (متى، وسط) . الهمع ٢/ ٣٤ . ديوان أبي ذؤيب (مخطوط تيمور) ص ١٢١، (مخطوط شنقيطي) ورقة ٨٥ . شرح التصريح ٢/ ٢ . الاقتضاب ص ٢٥٥ . (٦) ديوان الهذليين ١/ ٥٢ . سر صناعة الاعراب ١/ ١٥٢ . الخزانة ٣/ ١٩٣ . المخصص ١٥/ ١٢٣ . أدب الكاتب ص ٥١١ . شرح الكافية ٢/ ٨٢ . شرح التصريح ٢/ ٢ . الصحاح ومقاييس اللغة، اللسان (متى) . الاقتضاب ص ٢٤٧، ٢٥١ . (٧) المغني ٢/ ٢٠ .

بمعنى في (١) ، والحق أن هذا الخلاف أو الاضطراب ليس ناشئا عن تحقيق لهذا اللفظ ، ومعناه الحقيقي في بيئته الأصلية ، قدر ما هو ناشئ من الحدس والظن والنظر في معاني الشعر كل من الزاوية التي ينظر بها ، ومع هذا فإن أغلب المراجع متضافرة على أن متى بمعنى " من " في اللهجة الهذليه .

وإنه وإن كان قد روى بيت أبي ذؤيب في ديوانه :

تروت بماء البحر ثم تنصبت على حبشيات لهن نئيج .

فإنا مع ذلك نجد في الديوان نفسه رواية الأصمعي : متى لجج خضر لهن نئيج (٢) وأرتاح إلى رواية الأصمعي لأنه شافه الهذليين في باديتهم ، وكتب عنهم كثيرا من ألفاظهم وأشعارهم ، وقرأ شعرهم هذا على الشافعي الذي قضى هو الآخر في باديتهم باكورة شبابه . ثم إن وجود هذا اللفظ في الشعر الهذلي ليس مقصورا على رواية الأصمعي لهذا البيت ، وإنما قد احتوته أبيات أخرى من هذا الشعر ذكرنا بعضها ، ونضيف إليها ما روى من قول صخر الغي : " متى أقطارها علق نفيث " (٣). والقول باستعمال " متى " أداة للجر عند الهذليين ليس معناه أنها لا تأتى في اللهجة الهذلية في معانيها المعروفة في اللغة كالاستفهام وغيره ، بل إن هذا - لا شك - هو الأصل عندهم كما يبدو واضحا من استقراء شعرهم ، ولكن اللغويين فجأهم أن يجدوها في الشعر الهذلي مجرورا ما بعدها خلافا للمألوف عندهم ، ولهذا اختلفوا فيها هذا الاختلاف الذي رأيناه ، كما دفعهم هذا إلى اعتبار الجر بها شاذا في هذه اللهجة الهذلية .

ولعل استعمال " متى " أداة للجر عند الهذليين لم يكن إلا في أحوال معينة ، بل في أمثلة خاصة لا يتعداها . أما " من " فإنها مستعملة عندهم أداة للجر في أغلب الحالات ، وإن كنا نجد ابن مسعود يتنكبها

---

(١) المرجع السابق ، الصفحة نفسها ، ديوان أبي ذؤيب (مخطوط تيمور) ص ١٢١ . المخصص ١٤ / ٦٩ . الصاحبي (متى) . الخزانة ٣ / ١٩٣ . ديوان الهذليين ١ / ٥٢ . (٢) ديوان أبي ذؤيب (تيمور) ص ١٢١ . (٣) شرح التصريح ٢ / ٢ . تاج العروس (متى) . الخزانة (بولاق) ٣ / ١٩٣ . الاقتضاب ص ٤٤٧ .

أحيانا فى قراءته ، كما فى قوله تعالى : "حتى تنفقوا مما تحبون" (١) ، فقد قرأها " بعض ما تحبون " (٢) ، فهل يعتبر هذا صورة من صور تخلص الهذليين أحيانا من استعمال " من " أداة للجر فى بعض حالاتها ، أم أنها قراءة قصد ابن مسعود من ورائها مجرد التفسير بالمرادف ، دون أن يكون فى هذا أثر للهجة قومه من هذيل ؟

هذه أهم ظاهرة من ظواهر الجر عند الهذليين ، ولكن هناك بعض ملاحظات أخرى نلاحظها على قراءة ابن مسعود ، لعل بعضها مرده لهجة قومه ، وبعضها الآخر راجع إلى ظروف أخرى أحاطت بابن مسعود فى حياته الجديدة فى المجتمع الإسلامى .

ولعل من هذه الملاحظات ما نراه من إيثار ابن مسعود للجر بالحرف أحيانا حين يؤثر غيره الجر بالإضافة ، أو عدم الجر أصلا ، ومن ذلك قوله تعالى " لا يسأم الإنسان من دعاء الخير " (٣) ، فقد قرأه ابن مسعود : " من دعاء بالخير " (٤) ، وقوله تعالى " إن الحكم إلا لله يقص الحق " (٥) ، قرأه بعض القراء " يقضى الحق " ، ولكن قراءة ابن مسعود فيه ، وكذلك كثير من تلاميذه كابن وثاب وطلحة والأعمش " يقضى بالحق " (٦) ، وقوله سبحانه " فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى " (٧) ، يقرؤه ابن مسعود " وادخلى فى جنتى " (٨) ، والأمثلة على هذا كثيرة فى قراءته (٩) .

ومن ذلك ما نراه من تكرار لحرف الجر كثيرا قبل الأسماء المعطوفة على اسم مجرور سابق عليها ، وذلك مثل قوله تعالى " وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون ، واختلاف الليل والنهار " (١٠) فقد قرأها ابن مسعود " وفى اختلاف الليل والنهار " (١١) ، ومثل قوله تعالى " حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى " (١٢) إذ أن حرف ابن مسعود " حافظوا على الصلوات وعلى

سورة آل عمران ٣ آية ٩٢ ، (٢) الهمع ٢ /٣٤ ، الإتقان ١ /١٧٦ ، شرح التصريح ٢ /٨ ، الخضرى ١ /٢٢٩ ، (٣) سورة فصلت ٤١ آية ٤٩ ، (٤) الكشاف ٢ /٣٣٢ ، (٥) سورة الأنعام ٦ آية ٥٧ ، (٦) البحر المحيط ٤ /١٤٣ ، (٧) سورة الفجر ٨٩ آية ٣٠ .
(٨) مختصر شواذ القرآن ص ١٧٢ ، (٩) انظر الكشاف ١ /٣٨٥ ، مختصر شواذ القرآن ص ١٠٩
(١٠) سورة الجاثية ٤٥ آية ٤ ، ٥ ، (١١) الكشاف ٢ /٣٦٤ ، (١٢) سورة البقرة ٢ آية ٢٣٨ .

الصلاة الوسطى"[1] ، ولكن لعل الذى حدا بابن مسعود إلى هذا إنما هو التنبيه على أهمية الصلاة الوسطى بتكرار حرف الجر وتسلطه عليها ، وهذا ما يشير إليه ابوحيان حين يعتبر أن إعادة الجار مقصود بها التوكيد[2]، ثم إنا نرى فى قراءته عدم إعادة الجار فى العطف على الضمير المجرور فى قوله تعالى "واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام"[3] ، فقد قرأها "والارحام" بالجر دون إعادة الجار جماعة منهم عبدالله بن مسعود وحمزة والأعمش[4] ، وعلى هذا مذهب الكوفيين فى جواز العطف على الضمير المجرور دون إعادة الجار فى حال السعة والاختيار[5] . وقد سبق لنا القول بأن الكوفيين يتأثرون فى مذهبهم النحوى بقراءات ابن مسعود وتلاميذه . وهذا أثر واضح من هذه الآثار .

الصرف (أو التنوين)

لم نعثر فيما روى من لهجة هذيل ، ولا فيما طالعتنا به أشعارهم من ذلك على شىء ذى بال ، وإذا كنا قد عثرنا على أثارة منه مثل لفظ "عواقد" فى شعر أبى كبير الهذلى : "ممن حملن به وهن عواقد"[6] ، التى صرفها الشاعر ، وهى فى مألوف اللغة ممنوعة من هذا الصرف ، ونظرا لأنه ليست هنالك ضرورة شعرية تلجىء الشاعر هنا الى هذا التنوين ، فإن النحاة قد اتجهوا وجهة أخرى فى تعليل هذا ، هى أن الأصل فى الأسماء كلها الصرف ، وإنما يمنع بعضها من الصرف لأسباب عارضة تدخل على خلاف الأصل ، فأبو كبير صرف "عواقد" وهى لا تنصرف ، لانه ردها إلى الأصل[7] ، ولكن لماذا ردها إلى هذا الأصل ، ألأن هذا لهجة قومه مثلا ؟ لم يتعرض اللغويون والنحاة لهذا ، وهو ما كنا نود أن يعرضوا له .

---

(١) الكشاف ١/ ٢٨٥ . البحر المحيط ٢/ ٢٤٢ . (٢) البحرالمحيط ٢/ ٢٤٢ .
(٣) سورة النساء ٤ آية ١ . (٤) البيضاوى ٢/ ٦٤ . الرضى ، شرح الكافية ١/ ٣٢٠ . حاشية الكازرونى على البيضاوى ١/ ١٩٢ ، ٢٢٨ .
(٥) الكازرونى ١/ ١٩٢ ، ٣٢٠ . (٦) ديوان الهذليين ٢/ ٩٢ والرواية فيه "مما حملن" . الإنصاف ٢/ ٢٥٩ . (٧) الانصاف ٢/ ٢٥٩ .

ومثل ذلك " حوافر " فى قول ساعدة بن جؤية :

وحوافر تقع البراح كأنما ألف الزماع بها سلام صلب (١)

ومطاعيم فى قول ساعدة بن العجلان : ـ

مطاعيم إذا تحطت جمادى ومساحو المغايظ بالجنوب (٢)

هذا ونجد آثارا أخرى قليلة تخالف فيها قراءة ابن مسعود ، وبعض تلاميذه ما درج عليه القياس اللغوى ، فإن القياس عند اللغويين إجراء صرفها حتى فى حال كونها علما ، لأنها على ثلاثة أحرف أوسطها ساكن مثل هند وجمل ودعد ، ولكن قراءة ابن مسعود فيها " أهبطوا مصر " (٣) دون تنوين ، وهى قراءة طلحة والحسن والأعمش (٤) ، وكذلك هى فى مصحف عبد الله (٥) .

ولكن ذلك ـ فيما يبدو ـ ليس مقصورا على ابن مسعود وتلاميذه فإنه ثابت فى مصحف أبى بن كعب أيضا ، وفى بعض مصاحف عثمان (٦) .

وكذلك قوله تعالى " وثمود الذين جابوا الصخر بالواد " (٧) قرأه ابن وثاب بالتنوين ، وجمهور القراء يمنع الصرف (٨) .

وكذلك نجد ظاهرة الصرف بادية فى هذا اللفظ فى قوله تعالى " وعادا وثمودا " فقد قرأها " وعاد وثمود " بالخفض مع التنوين فيهما

وإذا كان هذا اللفظ " ثمود " فى قوله تعالى " وأما ثمود فهديناهم " (١٠) قد قرأه جمهور القراء بالرفع ممنوعا من الصرف ، فإن ابن وثاب والأعمش قد قرآه مصروفا " (١١) ، وهذه هى قراءتهما فى ثمود بالتنوين فى جميع القرآن (١٢) .

---

(١) ديوان الهذليين ١/١٨٦ . (٢) ديوان الهذليين ٣/١١١ . (٣) سورة البقرة ٢ آية ٦١ . (٤) البحر المحيط ١/٢٣٤ . (٥) الكشاف ١/٢١٨ ـ البحر المحيط ١/٢٣٤ . البيضاوى ١/١٥٧ . (٦) البحر المحيط ١/٢٣٤ . (٧) سورة الفجر ٨٩ آية ٩ . (٨) البحر المحيط ٨/٤٥٦ . (٩) سورة العنكبوت ٢٩ آية ٣٨ .
(١٠) البحر المحيط ٧/١٥٢ . (١١) سورة فصلت ٤١ آية ١٧ .
(١٢) مختصر شواذ القرآن ص ١٣٣ . البحر المحيط ٧/٤٦١ .

تلك إشارات عابرة أردت أن أثبتها في هذا الجانب الذى يتعلق بصرف بعض ألفاظ اللغة أو عدم صرفها ، ولا أبالغ فأعتمد عليها في نسبة شيء من ذلك إلى هذيل أو نفيه عنها . ولكنى أسجلها استكمالا للمنهج الذى رأيت فيه ألا أهمل هذا النوع من القراءات المتصلة بموضوعنا ، والتي ان لم تضع يدنا على شيء يقينى أو ظنى كما لمسنا كثيرا في غضون البحث ، فإنما تكون لدينا من القرائن ما قد يستأنس به ، أو يتخذ مادة علما تهدى الدارسين بعد سواء السبيل .

الفصل الثالث

التراكيب

الفصل الثالث

(التراكيب)

المقصود بهذا الاصطلاح بيان ما هنالك من ملاحظات جزئية نلمسها في تركيب بعض ألفاظ الجملة ، أو في تركيب الجملة برمتها بحيث يحدث ذلك في الأسلوب ظاهرة تلفت النظر وتستدعي الانتباه لما فيها من مخالفة لمألوف اللغة ، أو لما ارتضاه النحاة واللغويون من ألفاظها ومنهج التعبير فيها . ومن ذلك قول النحاة في لفظ " اللهم " من أنه نداء ، والميم فيه عوض من حرف النداء [1] ، فهما لا يجتمعان معاً في مألوف اللغة ، ولكنهما حين يجتمعان قليلا نجد ذلك في الشعر الهذلي في قول أبي خراش :

إني إذا ما حدث ألما   أقول يا اللهم يا اللهم [2]

وقد أنشد الكوفيون هذا الشاهد ، واعتدوا به شأنهم في الاعتداد بالشاهد الواحد ، وأخذ الفراء من الكوفيين في تبريره فذهب إلى أن أصله " يا الله أمنا بخير " [3] ، ولكنا نجد بعض النحاة يوهن منه ، فيجهل قائله ، ويعتبره من قبيل الضرورات [4] ، ويبدو أن الضرورة الشعرية يمكن القول بعدم وجودها في هذا المقام ، فقد كان الشاعر يستطيع أن يستعيض عن ذكر الياء بقطع الهمز ، وليس ذلك بعزيز عليه ، فهو الأمر المألوف عنده وعند سائر الشعراء وغيرهم ، فما كان له أن يعدل عنه إلى إثبات الياء ذلك الأمر المخالف للمألوف ، لو لم يكن ذلك من لهجته . هذا والبيت ليس مجهول القائل كما ذكروا ، وإن كان غير مألوف الاستعمال كما رأيت . ولعل من هذه الملاحظات الجزئية ما نراه أحيانا من استعمال : ما برح وما زال وما انفك مضارعها وماضيها مجرد من النفي السابق عليهما ، وقد عد اللغويون ذلك لغة لهذيل [5] ، وذلك مثل قول الشاعر القرمي :

---

(١) شرح المفصل ٢/ ١٦ . (٢) نوادر أبي زيد ص١٦٤ ، شرح شواهد ابن عقيل ص٢١٧ . (٣) شرح المفصل ٢/ ١٦ . (٤) شرح التصريح ٢/ ١٧٢ ، شرح المفصل ٢/ ١٦ . (٥) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١/ ٨٤٨ .

ثم إن ما ذكره النحاة من قلة تجرد جواب القسم من التأكيد نجد من هذا القليل أو النادر ذلك المثال الذى ساقوه من قول ابن مسعود " والله الذى لا إله إلا هو هذا مقام الذى أنزلت عليه سورة البقرة (١) .

هذه أهم الملاحظات الجزئية على بعض ألفاظ الجملة عند الهذليين وهناك ملاحظات أخرى قد تتناول هيكل الجملة كلها أو جلها ، ومن ذلك إدماج كثير من ألفاظ الجملة أحيانا فى لفظ واحد منحوت مثل " أجنى " بدل من أجل انى " ، ولعل هذا يحدث - كما سبقت الاشارة - أكثر ما يحدث فى البيئات البدوية كقول الشاعر الهذلى :

أجنى كلما ذكرت كليب أبيت كأننى أكوى بجمر (٢)

وقول امرأة عبد الله بن مسعود " أجنك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم " أى من أجل أنك (٣) .

ومن ذلك أيضا دخول عبارات جديدة فى الأسلوب " كالموت الجديد " التى كثيرا ما يستخدمها الهذليون فى أشعارهم بصورة واضحة ، وقد فسر ذلك صاحب اللسان وغيره بأنه ما لاعهد لك به ، ثم ذكروا أنها هذلية (٤) .
ومما جاء من ذلك فى شعر هذيل قول أبى ذؤيب :

فقلت لقلبى يا لك الخير إنما يدليك للموت الجديد حبابها (٥)

وكما نراهم يقولون " الموت الجديد " نلمح عندهم أيضا بعض ما يشابه ذلك " كالدهر الجديد " فى قول صخر الغى :

وقالت لن ترى أبدا تليدا بعينك آخر الدهر الجديد (٦)

ومن عباراتهم التى ينسبها اللغويون اليهم قولهم فى مقام المهانة والتحقير : " ان لم أفعل كذا فإنى فرخ " (٧) ، وسمع منهم من يقول لراعيتين : يافرختان يا مملوكتان (٨) . ومما يدور كثيرا فى أشعارهم

---

(١) المغنى ٢ / ١٣٧ . الصبان على الأشمونى ٤ / ١٧ . (٢) اللسان (جنن) .
(٣) المرجع السابق والمادة السابقة . (٤) تاج العروس ، اللسان (جد) .
(٥) شرح أشعار الهذليين (فراج) ١ / ٤٤ " ديوان الهذليين ١ / ٧٢ .
٦) ديوان الهذليين ٢ / ٦٧ . شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١ / ٢٩٣ .
٧) أساس البلاغة (فرخ) . (٨) المرجع السابق والمادة نفسها .

" استضل ضلاله " أى ضل ضلالا بعيدا [١] .

ومن هذه الملاحظات على التركيب فى الجملة تقديم اللقب على الاسم ، فقد ذكر النحاة أنه لا يجوز تقديم اللقب على الاسم ، وأن ذلك قليل [٢] وشاهدهم على وجوده فى قلته هو قول جنوب أخت عمرو ذى الكلب ترثيه :-

بأن ذا الكلب عمرا خيرهم حسبا ببطن شريان يعوى حوله الذيب [٣]

ويحتمل أن الحاجة إلى استقامة الوزن هى التى ألجأت الشاعرة إلى هذا ، ولكن النحويين يعترفون بالبيت شاهدا على ما ذكروا ، فيكن اعتباره دليلا على وجود هذه الظاهرة عند الهذليين أحيانا ، لأننا لم نعثر فى شعرهم على ما يناقضه أو يضعف الاحتجاج به .

وإذا كان المشهور فى اللغة هو عود الضمير على اسم ظاهر سابق عليه ، فإن هذا حمل علماء اللغة والبلاغة العربية على ألا يسيغوا الإضمار قبل الإظهار ، ولكنا نجد فى الشعر الهذلى مايخالف هذا الأسلوب كقول أبى جندب : (جزيتهم بما أخذوا تلادى بنى لحيان كيلا يحربونى) [٤] وكقول أبى جندب الهذلى نفسه :

ألا ليت شعرى هل يلومن قومه زهيرا على ما جر من كل جانب [٥]

وهذا البيت هو الشاهد الذى تواردت كتب اللغة على ذكره فى هذا المضمار . وإذا كان هذا البيت يعود فيه الضمير على متأخر لفظا ورتبة كما يقول اللغويون ، ويعتبرونه ضعف تأليف ، ولا يرضونه بحال . فإن من الشعر الهذلى مايعود فيه الضمير على متأخر فى اللفظ ، كقول أبى ذؤيب :-

رويت ولم يغرم نديمى وحاولت بنى عمها أسماء أن يفعلوا فعلى [٦]

وقد سوغ علماء اللغة عود الضمير فى مثل هذه الحال ، على أساس أن الضمير وإن كان عائدا على متأخره ، فإن هذا المتأخر من حقه أن يتقدم ، فكأنه

---

١) ديوان الهذليين ١٤١/١ شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١٤١/١ - الصحاح (ضلل) اللسان (نوف ، ضلل) معجم ما استعجم ١١٠١/٣ . (٢) شرح ابن عقيل على الألفيه (هامش الخضرى) ٦٣/١ . (٣) المرجع السابق والصفحة السابقة " شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص ٢٤١ . معجم ما استعجم ٧٣٨/٣ . شرح شواهد ابن عقيل ص ١٧ . السجاعى ص ٥٤ . (٤) ديوان الهذليين ٩٠/٣ . (٥) ديوان الهذليين ٨٧/٣ . شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ورقة ٨٤ ، (فراج) ٣٥٤/١ . خزانة الأدب (بولاق) ١٤١/١ (سلفية ٢٦٥/١) . (٦) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ٩٣/١ . ديوان الهذليين ٣٩/١ .

متقدم حكما ، وإن كان متأخرا فعلا ، والحق أن الأمر في كلتا الحالتين يكاد يكون واحدا إذ أن الضمير يعود فيهما على لفظ متأخر في واقع الأمر ، مع قطع النظر عما وراء ذلك من اعتبارات لا تغير من هذا الواقع في شيء .

وإذا كان المألوف لغة هو عدم إلحاق علامة التثنية والجمع بالفعل حين يتصدر الجملة ويكون فاعله مثنى أو جمعا ، فإنا — مع ذلك — نجد أن من العرب من يلحق علامة التثنية والجمع بالفعل ولو تقدم فاعله ، ويضرب النحاة واللغويون لذلك مثلا مشهورا هو قولهم " يتعاقبون فيكم ملائكة "(١) وقد جعل النحاة واللغويون هذا المثال المشهور الذي هو في الأصل حديث للرسول صلى الله عليه وسلم — عنوانا لهذه اللهجة(٢) ، ونسبوها إلى بعض القبائل البدوية كطيء أو أزد شنوءة أو بلحارث(٣) .

والواقع أن آثار الهذليين لا تخلو من هذه الظاهرة التي نجد تقاربا بينها وبين الظاهرة السابقة ، وهي عود الضمير على متأخر وإن كانت حالة خاصة من حالات هذا الضمير هي كونه مثنى أو مجموعا ، ونجد منه قراءة ابن مسعود وأصحابه في قوله تعالى " قد أفلح المؤمنون "(٤) ، فقد قرؤوها " قد أفلحوا المؤمنون " ، حتى انه لقد روي ان طلحة بن مصرف حينما اعترض عليه عيسى بن عمر بشأن قراءته هذه ، قائلا له أتلحن ؟ رد عليه في شيء من الثقة والاعتداد : نعم كما لحن أصحابي(٥) وهذا معناه ان المرجع في القراءة الى الرواية ، وان قراءته هذه قد رواها أصحابه ورأس أصحابه هؤلاء هو ابن مسعود .

ولا أدري لماذا يعترض النحاة على ذلك ويسمونه بالضعف مع وروده في الحديث كما رأينا ، ووجوده فوق هذا في القرآن الكريم في مثل قوله تعالى : " وأسروا النجوى الذين ظلموا "(٦) ، وقد حملهم هذا على تأويل ما ورد فيه ذلك من آيات حتى تتسق لهم قواعدهم التي حبسوا أنفسهم عليها .

---

(١) القاموس (باب الألف اللينة ٤/ ٤١٣ . (٢) المرجع السابق في الموضع نفسه . السجاعي ص٥٩ . (٣) القاموس (باب الألف اللينة) ٤/ ٤١٣ .
المغني ٢/ ٣٤ . (٤) سورة المؤمنون ٢٣ آية ١ . (٥) البحر المحيط ٦/ ٤٠٨ .
(٦) سورة الأنبياء ٢١ آية ٣ .

الباب الخامس

الدلالة

(الباب الخامس)

الدلالة

إن الاختلاف بين لهجات اللغة الواحدة يظهر أكثر ما يظهر - كما رأينا - في بعض المظاهر الصوتية ، وطريقة نطق الألفاظ فيما يختص بأصوات اللين حذفا وإثباتا وإبدالا ، واختلاسا وإشباعا ، وبالهمز تحقيقا وتسهيلا وحذفا ، وإبدالا أيضا ، وفيما يتصل بغير هذا من سائر الحروف ذكرا وحذفا وإبدلا وفكا وإدغاما ، إلى غير ذلك من ظواهر صوتية مختلفة . وذلك إلى جانب شيء من الخلاف في البنية والتصريف . أي أن هذا الخلاف - في أغلبه - راجع إلى النطق وصورة الأداء . أما الاختلاف في دلالة الألفاظ ، فإنه لا يضارع في ظهوره ووضوحه هذا الخلاف المشار إليه ، لأنه إذا كثر اختلاف الألفاظ في دلالتها في لهجة من اللهجات ، أو لغة من اللغات الخاصة ، كان معنى هذا بداية انفصال هذه اللهجة أو تلك اللغة عن أصلها ونظائرها من اللهجات واستقلالها شيئا فشيئا حتى تصير لغة قائمة بذاتها ، لا يربطها بهذا الأصل إلا ما يبقى عالقا بها ، أو راسبا فيها من خصائص مشتركة ، وسمات متشابهة ، كما نرى في مجموعة اللغات السامية التي انفصلت عن السامية الأم ، واستقلت كل منها بخصائص وسمات ، وإن كانت تشترك جميعها في ميزات مشتركة لا تطغى على الخصائص والسمات التي تتسم بها كل لغة من هذه اللغات .

ولهذا لا ينتظر أن نجد في لغة هذيل كثيرا من الألفاظ التي تختلف في دلالتها اختلافا كبيرا عن نظائرها من لغات العرب ولهجاتها .

ولكنا - مع هذا - واجدون في ثناياها ألفاظا من هذا النوع بعضها يختلف اختلافا حقيقيا في دلالته ، وبعضها أو كثير منها نسبه اليها اللغويون فيما نسبوا من لغات إلى القبائل العربية في غير ما تحفظ أو احتياط .

ومن هذه الألفاظ المنسوبة إلى هذيل ما كانت دلالته دلالة مادية ، ومنها ما كانت دلالته معنوية ، أي أن منها ما كان منصبا على مادة محسوسة ومنها ما عبر عن معنى من المعاني .

وقد أفردت لكل من هذين فصلا خاصا في هذا الباب الأخير من أبواب البحث .

الفصل الأول

الألفاظ ذات الدلالة المادية

الفصل الاول

الألفاظ ذات الدلالة المادية

هذه الألفاظ أقدم فى نشأتها من الألفاظ ذات الدلالة المعنوية ، وربما كانت أصلا تطورت عنه فى كثير من الأحيان هذه الدلالات الأخيرة ، كما سنرى فى غضون هذا الباب ، فالأولى أسبق من الثانية اتصالا بالبيئة وارتباطا بها منذ نشأتها .

وأظهر هذه الألفاظ وابرزها مايتصل بالبيئة الصحراوية التى عاشت فيها هذيل ، واصطبغت بها حياتها التى فيها كثير من مظاهر البداوة وقليل من مظاهر الحضارة التى لاتخلو منها حياة هذه القبيلة .

(١)

بعض ألفاظ تتصل بالبيئة الطبيعية وحياة البداوة التى يحيونها :

لعل أهم هذه الألفاظ ماكان أمس اتصالا بالبدوى فى حياته ، وفى خبائه الذى يؤويه ، كالطنب أو الحبل الذى يشد به خيمته ، والوتد الذى يشد إليه هذا الطنب ، ثم إنه يستطيع بهما أن يذهب فى بعض الهضاب مصعدا ، أو ينزلق عنها منحدرا ، ويروى اللغويون أن الهذليين يسمون هذا الطنب او الحبل " بالسّب " (١) ، ويتخذون شاهدهم على هذا قول ابى ذؤيب

" تدلى عليها بين سب وخيطة " (٢)

ويجمعون " السب " على " سبوب " أى " حبال " ، ومن ذلك قول ساعدة ابن جؤية :

" صب اللهيف لها السبوب بطغية " (٣)

ولعل إطلاق لفظ " السب " على الحبل يوائم ماسبق من أن البدو يميلون بطبعهم إلى الإدغام ، وأن هذيلا لها من ذلك نصيب ، فليس السّب فى حقيقته الا " السّبب " أى الحبل ، ولكنه أدغم فيه الحرفان المتماثلان على ما مر بنا فى الإدغام .

---

١)ـ الصحاح (سيب ، وكف) ، تاج العروس (سبب) ، مقاييس اللغة (خيط). إصلاح المنطق ص١٦ ، البلغة ص٤٤ ، المزهر ١/ ١٤٩ .

٢) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص ١٥ ، (تحقيق فراج) ١/ ٥٣ . شرح ديوان أبى ذؤيب (مخطوط تيمور) ص٢ ، الصغانى : العباب ص١٦٠ ، الصحاح (خيط ، وكف) ، اللسان وتاج العروس (وكف) ، الجمهره (خيط ، نبل ، بسس) ، القالى : الأمالى ٢/ ٢٥٨ ــ شرح الشافية ٢/ ٩٠ ، المزهر ١/ ١٤٩ .

٣) اللسان (نبا ، لطط) ، الصحاح (سبب) ، (لطط) ، تاج العروس (سبب) ، (لهف) ، الأمالى ٢/ ٢٥٨ .

وبينما نلمس هذا التقارب بين السب والسبب ، نجد أن بعض اللغويين ومنهم الأصمعي ، وابن سيده يذكرون أن الخيطة هي الوتد (١) ، وقد أورد الجوهري بيت أبي ذؤيب — الذي سبقت الإشارة إليه — مستشهدا به على تأكيد هذا المعنى (٢) ، ولكن ليس بين الخيطة والوتد رابطة يمكن في ضوئها تفسير اختيار هذيل لهذا اللفظ في دلالته تلك — إن صح عنها هذا الاختيار — وقد حمل هذا بعض اللغويين أنفسهم ، كأبي عمرو على تفسير الخيطة بالخيط ، أو الحبل الدقيق (٣) ، وعلى هذا الأساس كان تفسيره لهذا البيت (٤) ، ويروى ابن فارس هذين المعنيين جميعا (٥) .

وهذا يدلنا على أن اختلافهم في معنى الخيطة بين الوتد والخيط ، إنما هو خاضع لمدى فهمهم للشعر الهذلي ، واختلافهم في هذا الفهم ، وليس قائما في كل الأحوال — سواء فيما يختص بهذا اللفظ أو بغيره — على المشافهة والاتصال بهؤلاء الهذليين في باديتهم ، ولهذا رغم ما في تسمية الوتد بالخيطة من غرابة ، فإني أرجحها لأنها من قول الأصمعي الذي ثبت اتصاله بهذيل في باديتها ، فهو من أشد اللغويين اتصالا بشعرها ولغتها (٦) .

ومما يتصل بذلك لفظ " الشجوب " الذي ذكر اللغويون أنه أعمدة من عمد البيت في مثل قول الشاعر : " وهن معا قيام كالشجوب " (٧) .
وينسبون ذلك إلى أبي رعاس ، أو أسامة بن الحارث ، وكلاهما هذلي (٨) .

ويذكر اللغويون أيضا أن الهذليين يسمون الخلل يحدث في البيت " الخُلّاص " (٩) أما عن بعض ما يتطلبه البيت من أثاث ، فإن مما ذكره اللغويون في هذا الشأن ان " الزرابي " هي الطنافس في لغة هذيل (١٠) .

ومن مطالب حياتهم اليومية " النار " ، وينقل إلينا الزبيدي قول ابن عباد إن الهذليين يسمونها " الجَنْسة " بفتح فسكون (١١) . أما لفظ " إرة " فمعناه في الشعر الهذلي غالبا موقد النار ، وبه فسر قول جنوب ترثي أخاها عمرا :

شبت هذيل وهم بيننا إرة ... ما إن تبوخ ولا يرتد صاليها (١٢)

فقد استعارت هذا اللفظ للحرب ولكنه في حقيقة معناه " الموقد " ، وقد اختلف بعض اللغويين في مدلوله ، فجعلوه النار نفسها ، أو موضعها ، أو استعارها ، وهذا الخلاف منشؤه الاختلاف في فهم النص . أما دخان النار فكثيرا ما رأيناه بلفظ " الأيام " في الشعر الهذلي (١٣) .

---

(١) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١/ ٥٣ . شرح ديوان أبي ذؤيب (تيمور) ص ٥٢
٢ـ الصحاح (خيط) ٣ـ اللسان (خيط) ٤ـ الصحاح ، اللسان (خيط) ٥ـ مقاييس اللغه (خيط) . ٦ـ ديوان الهذليين ١/ ٧٩ ٧ـ مقاييس اللغه (شجب) . ٨ـ اللسان (شجب) ٩ـ تاج العروس (خلص) . ١٠ـ اللغات في القرآن ص ٥٤ ١١ـ المحيط . تاج العروس (جس) ١٢ـ ديوان الهذليين ٣/ ١٢٦ ١٣ـ مقاييس اللغه (أيم) اللسان (أوم) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص ١٥ . شرح المفصل ٥/ ٣ ، ٨ .

ومما يتصل بحياة البادية الماء والأحواض التي تردها الإبل والشاء ، وهم في هـذا يقولون " أفعم " الحوض أي ملأه ، " والمفعم " من الحياض المملوء (١) ، وهذا ما ينقله ابن سيده وغيره عن أبي عبيد اللغوي المعروف (٢) . وقد تدرجوا في ذلك فأطلقوا هـذا على غير الحوض والماء في مثل قول البويق الخناعي الهذلي :

وحى حلول الهم سامر | شهدت وشعبهم مفعم (٣)

فهو هنا لم يستعمل لفظ " مفعم " للحوض والماء ، بل قصد به الحي من أحياء القبيلة يكثر أهله كثرة بالغة ، فيبدو أن هذا المعنى صورة من صور التطور في الدلالات ، إذ هو معتمد على المعنى السابق ومأخوذ منه .

ومن ذلك ما روى من قولهم : كأس دهاق أي مملوءة وبه فسر قوله تعالى : "وكأسا دهاقا (٤) أي ملأى بلغة هذيل (٥) .

ومما نجده في شعرهم متصلا بحياتهم أيضا (الوَلِيَّة) وفسرها اللغويون "بالبرذعة" أو بما يكسى به ظهر الجمل ، والجمع " ولايا " . " والوليحة " وهي " الغرارة وجمعها " وليح " وذلك في قول أبي ذؤيب :

رأيت وأهلي بوادي الرجيع | في أرض " قيلة " برقا مليحا
يضيئ ربابا كدهم المخاض | جللن فوق الولايا الوليحا (٦)

وقد يطلقون على الغرارة لفظ " قمهدة " والجمع " قمائد " ولعله صفة لها حين تكون ممتلئة فتقعد بنفسها لامتلائها دون حاجة إلى ما يسندها ، ونجد هذا في قول أبي ذؤيب :

له من كسبهن معذلجات | قمائد قد ملئن من الوشيق (٧)

فهذه الغرائر معذلجات أي ممتلئات بالوشيق (أي اللحم المجفف) ويطلق هذا اللفظ الآن في لغتنا الحاضرة على إناء كبير من فخار يتخذه الريفيون في العجن . والصلة بين المعنيين ليست بعيدة .

ومن الألفاظ الأخرى التي من هذا القبيل قولهم " الشيزى " أي الجفنة (٨) "والملاح " بمعنى " المخلاة " (٩) ، والقُمْعُل بمعنى القدح الضخم (١٠) ، ويذكر ابن منظور هذا اللفظ " قمعل " ، مقلوبة " قُلْعُم " ، وينسبهما جميعا إلى هذيل (١١) ، وفي النفس من هذا شيء .

وكذلك يسمون الباب " بالواسط " - فيما يذكر اللغويون (١٢) - ، كما يقولون إن " الشيح " محركة " هي عندهم الباب العالي البناء (١٣) ، ويسوقون لذلك شاهدا من شعرهم . (١٤)

(١) تاج العروس ، اللسان (فعم) . (٢) المخصص ١٢/١٠ . (٣) ديوان الهذليين ٥٥/٣
(٤) سورة النبأ ٧٨ آية ٣٤ . (٥) اللغات في القرآن ص ٥٣ . (٦) ديوان الهذليين ١٣٠/١
(٧) المرجع السابق ٨٩/١ . (٨) الجمهرة " زشى " . (٩) اللسان " ملح " الفائق ٢٢/٣ . النهاية ٦/٤ . (١٠) تاج العروس (قمعل) . (١١) اللسان (قمعل) . (١٢) اللسان وتاج العروس (وسط) . (١٣) المرجعان السابقان (شيح) . (١٤) تاج العروس (شيح) .

ولكن رواية هذا اللفظ في الديوان " شبْح " بسكون الباء ، ثم بالحاء في موضع الجيم (١) ، ويفسر بالباب في عموم معناه ، دون تخصيص بباب معين ، فلعل هذين اللفظين " شبج " و " شبح " قد صحف أحدهما إلى الآخر ، ولم يقف الوزن الشعري دون هذا التصحيف لأنه يتسع للفظين جميعا ، أي حين يحل أحدهما مكان الآخر في هذا البيت ، وربما كان هذا التصحيف من اللغويين أنفسهم ، كما يحدث أحيانا في بعض الشواهد عندهم .

ومن الألفاظ التي ينسبونها اليهم " الدُّسُر " بمعنى المسامير ومفردها عندهم " داسير " (٢) ، والقطاع بمعنى الدراهم (٣) و " الوذيلة " في معنى " المرآة " وتنسب أحيانا إلى طيئ (٤) ، ولكن أبا عمرو الشيباني يروى عن بعض الهذليين نسبة ذلك إلى لغتهم (٥) ، ثم استفاض هذا من بعد في كتب اللغة ومعاجمها ونجده ماثلا فيما رووا من شعر هؤلاء الهذليين (٦) .

هذا وقد فسر بعضهم "الوذيلة " بأنها سبيكة الفضة (٧) ، ويبدو أن هذا الاختلاف مرده إلى اختلافهم في فهمهم للشعر الهذلي ، كما نرى في قول أبي كبير :

وبياض وجه لم تحل أسراره ... مثل الوذيلة أو كسيف الأنضر (٨)

فقد رأى بعضهم من سياق المعنى أن هذه الوذيلة " في بياضها ولألائها إنما هي المرآة ، وبعضهم رآها " سبيكة من فضة " على هدى الذهب أو الأنضر الذي ختم به البيت ، ومنهم من ذهب في ذلك شوطا بعيدا ، فلم يقتصر على هذا الخلاف في المدلول ، بل أضاف إلى الموضوع خلافا آخر في اللفظ نفسه ، فرواه في البيت " المذية " في موضع " الوذيلة " ، وإن كان قد ذهب في تفسيرها مذهب القائلين بأنها المرآة ، فجعلها المرآة المجلوة (٩) ، فالمسألة إذن مسألة اجتهاد محض .

---

(١) ديوان الهذليين ٢ / ١٦٢ . (٢) رسالة لغات القبائل ص ٢٢٤ . اللغات في القرآن ص ٤٧ . (٣) تاج العروس (قطع) . (٤) اللسان (وذل) . المخصص ٤ / ٥٩ . (٥) كتاب الجيم ١ / ٢٨١ . إصلاح المنطق ص ٣٨٥ . الصحاح ، اللسان تاج العروس (وذل ، نشف) . الزمخشري : الفائق ٢ / ٢٣٩ . ابن الأثير : النهاية ٤ / ٢٠٣ . (٦) ديوان الهذليين ٢ / ١٠٢ . اللسان (نضر) . (٧) الجمهرة (ذ ل و) . (٨) ديوان الهذليين ٢ / ١٠٢ . اللسان (نضع) . الجمهرة (ذ ل و) . والرواية فيها(كشنف بدل سيف) . النهاية ٤ / ٢٠٣ . (٩) اللسان (مذى) .

المهن والحرف :

ومن قبيل المهن أو الحرف الصغيرة أو مايقاربها ، والألفاظ التي تدور حولها مما يتصل بحياتهم من قريب أو من بعيد مما ينسبه اللغويون إليهم من قولهم : " جرن الحب جرنا " أي طحنه طحنا شديدا ، والحب المطحون نفسه " جرين " ومما ينقله اللغويون في هذا من شعر الهذليين هذا البيت الذي نسبوه لأحد شعرائهم :

ولسوطه زجل إذا آنستـه جرى الرحى بجرينها المطحون[1].

ومن هذا القبيل قولهم " شتن " الثوب أي نسجه والناسج " شاتن "[2] أما الثوب نفسه ، فقد يسمى عندهم أحيانا " بالدرض " وقد جاء هذا اللفظ في قول صخر الغي : أرقت له مثل لمع البشير يقلب بالكف فرضا خفيفا [3].

فإنه وإن كان اللغويون قد اختلفوا — كدأبهم — في معنى الفرضيين الترس والعود والقدح والخرقة ...[4]، فإن الأصمعي — مع هذا — فسره بالثوب مقررا أنه روى ذلك عن بعض أعراب هذيل [5]. وإذا كان هذا ماقيل في معنى الثوب في حالة الجدة فإن " الخشيف " عندهم هو الثوب الخلق[6] ، ويروي الزبيدي عن ابن عباد أن " الطليل " هو الخلق[7] ، ولكن يبدو أن في الكلام تحريفا أدى إلى الخطأ في فهم مدلول هذا اللفظ الذي يذكر ابن عباد أنه " الحلو " في كلام هذيل ، ويسوق المادة كلها في معنى الحسن والحلاوة والعذوبة والجمال[8] ، وهذا هو المدلول الصحيح لذلك اللفظ ، ومنه " الطلاوة " التي نعرفها في اللغة بمعنى الحسن والرواء.

ومما يرويه اللغويون من لغتهم " النصيف " وهو الخمار[9] .

ومما ورد من ألفاظ تنسب إليهم في شأن بعض هذه الحرف قولهم " القعقماني " هو القصاب في لغة هذيل[10] وقد جاء هذا اللفظ عند ابن فارس غير منسوب إلى قبيلة بعينها ، ولكنه ورد عنده بالغين دون المهين " فغفغاني " وفسره بالقصاب أو الراعي[11]، وأغلب الظن أن في اللفظ تحريفا وقع فيه ، ومن المراجع مايذكر لفظ " قمقمي " إلى جانب " قمقماني " ويطلقهما معا على القصاب عند هذيل[12] ، والحق أن لفظ " قمقمي " هو الذي ترتاح النفس إلى إطلاقه في هذا المعنى عند الهذليين ، فقد جاء وحده في شعرهم كما في قول صخر الغي :

---

(١) تاج العروس (جرن) ، (٢) اللسان (شتن) ، (٣) ديوان الهذليين ٢ / ٦٩ ، شرح اشعار الهذليين (مخطوط) ص٤٣ ، (تحقيق فراج) ١ / ٢٩٥ ، (٤) شرح اشعار الهذليين (مخطوط) ص٤٣ ، (تحقيق فراج) ١ / ٢٩٥ ، (٥) المرجع السابق (الصفحة نفسها) ، (٦) ديوان الهذليين ١ / ١٠٣ ، شرح ديوان ابي ذؤيب (مخطوط شنقيطي) ورقة ١١٧ ، (٧) تاج العروس (طلل) ، (٨) المحيط (طل) ، (٩) ديوان أبي ذؤيب (الشنقيطي) ٤٠ ، ديوان الهذليين ١ / ٣٠ ، (١٠) اللسان (قمقم) ، الجمهرة (عقعق) ، العين ص٣٢ فع ، (١١) مقاييس اللغة (فغ) ، (١٢) المحكم (قمع) ، تاج العروس (قمقم) .

فنادى أخاه ثم قام بشفــــــرة   إليه اجتزار الفمفمي المناهب (١)

ولا أدري كيف يذكر اللغويون هذا البيت مستدلين به على وجود " الفمفماني " بمعنى القصاب ، مع أنه لا وجود لهذا اللفظ فيه ومع هذا فقد فسر بعض اللغويين " الفمفمي " بالخفيف ، وبعضهم " بالراعي " (٢) ، وكل هذه المعاني مأخوذ من سياق البيت وملابساته ولكن اللغويين ضغطوا على معنى القصاب لظهوره ووضوحه في سياق البيت بالقياس إلى المعنيين الآخرين ، فقد رشح له بعض ألفاظ البيت كوجود الاختزال والشفرة فيه .

ومما يتصل بالقصاب تحديد الشفرة ، وقد ذكر اللغويون في هذا أن " الحمز " هو التحديد في لغة هذيل ، يقال ، حمز حديدته إذا حددها (٣) ، ومنه قول أبي خراش :

منيبا وقد أمسى تقدم وردها   أقيدر محموز القطاع نذيل (٤)

فالقطاع المحموزة هي النصال والسهام الصلبة المحددة (٥) .

وكذلك جاء في شعرهم " السكين الحاذق " أي القاطع الحاد ، وذلك في قول أبي ذؤيب :

يرى ناصحا فيها بدا وإذا خلا   فذلك سكين على الحلق حاذق (٦)

وروى أبو عمرو " حالق " أي يحلق كل شيء (٧) .

ومن الحرف التي تتصل ببيئتهم الرعي ، وقد سبق أن رأينا اختلافهم في اطلاق لفظ " الفمفمي " على القصاب أو الراعي . أما أدوات هذا الراعي ، فمن أهمها " الظبية " وهي خريطة يجعل فيها أداته (٨) ، ويصنف اللغويون شاهدهم على وجود هذا اللفظ في اللغة من الشعر الهذلي (٩) .

ولعل هذه الخريطة كانت تصنع - ولو في بادئ الأمر - من جلد الظبي ، فاكتسبت هذه التسمية .

ومن الحرف في هذه البيئة . التي يكثر فيها النحل البرى اشتيار العسل وجمعه ، ومشتار العسل يصطحب خريطة من أدم يشتار فيها ، يسميها الهذليون " الخافة " وفي ذلك يقول أبو ذؤيب :

" تأبط خافة فيها مساب (١٠)

---

(١) المرجع السابق والموضع نفسه . المحكم (فمع) والرواية فيها (إليه فعال الفمفمى) . ديوان الهذليين ٢ / ٥٥ . (٢) ديوان الهذليين ٢ / ٥٥ . تاج العروس (فمفـع) .
(٣) تاج العروس واللسان والتكملة (حمز) . (٤) ديوان الهذليين ٢ / ١٢٠ . (٥) المرجع السابق (الموضع نفسه) . تاج العروس (حمز) . (٦) ديوان الهذليين ١ / ١٥١ . شرح ديوان أبي ذؤيب (مخطوط الشنقيطي) ورقة ١٠٢ . تيمور ص ١٤٥ . (٧) المرجع السابق والصفحة نفسها .
(٨) الجمهرة (بظى) . (٩) المرجع السابق (المادة نفسها) .
(١٠) ديوان الهذليين ١ / ٨٧ . شرح ديوان أبي ذؤيب (مخطوط الشنقيطي) ورقة ١١٣ . (مخطوط تيمور) ص ١٦٥ . الصحاح (خوف) .

والساب هو السقاء ، وخصه السكري ، وبعض اللغويين الآخرين بأنه سقاء العسل (١) . أما سقاء الماء المسمى "بالراوية" فهو عند الهذليين "مزادة" ، والرجل المستقي لأصحابه "مستخلف" ، ونجد هذا وذاك في قول أبي كبير :

عجلت يداك لخيرهم بمرشة ... كالقط وسط مزادة المستخلف (٢)

مظاهر الطبيعة :

ولعل من ألصق الأشياء اتصالا بالبدو مظاهر الطبيعة المختلفة من بر وبحر ، وسهل وجبل وصخر ، وريح وسحاب ومطر . ومن ذلك قولهم للأرض المستوية "الحصيد" (٣) ، وللفناء أو الساحة "العيقة" (٤) وهذا اللفظ كثير الدوران في الشعر الهذلي ، ومنه قول المتنخل .

هل جاءك الليل كليل على ... أسماء من ذي صبر مخيل

أنشأ في العيقة يرمي له ... جوف رباب وره مثقل (٥)

وقول ساعدة بن جؤية :

ومشرب ثفر للرجال كأنهم ... بعيقاته هدءا سباع خواشف (٦)

وقول ساعدة نفسه :

ساد تجرم في البضيع ثمانيا ... يلوى بعيقات البحار ويجنب (٧)

أما البضيع فهو الجزيرة في البحر (٨) كما يروى اللغويون مستدلين بهذا البيت من قول ساعدة .

ومما يتصل بهذا ما يذكره اللغويون من أن قوله تعالى : " وترى الأرض هامدة (٩) معناه مغبرة بلغة هذيل (١٠) . وأن هذيلا تقول للارض الموافقة لكل من نزل بها "قناة" بالقاف ، ولكنهم يقولون هذا تعقيبا على بيت من شعر هذيل ، هو لقيس بن العيزارة يقول :

بما هي مقناة أنيق نباتها ... مرب فتهواها المخاض النوازع (١١)

١ـ القاموس ، تاج العروس (سأب) . ٢) ديوان الهذليين ٢/ ١٠٩ .
٣ـ رسالة لغات القبائل ص ٢١٠ . ٤) ديوان الهذليين ٢/ ٦ . اللسان (عيق) .
معجم البلدان ٦/ ٣٨١ ٥) ديوان الهذليين ٢/ ٦ . (٦) المرجع السابق ١/ ٢٢٤ .
٧) المرجع السابق ١/ ١٧٢ اللسان (جرم ، سدا ، عيق) . مقاييس اللغة ، تاج العروس (عيق) . ٨) تاج العروس (بضع) . ٩) سورة الحج ٢٢ آية ٥ .
١٠) اللغات في القرآن ص ٣٧ . رسالة لغات القبائل ص ٤٢ .
١١) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص ٢٩٤ ، (تحقيق فراج) ٢/ ٥٩٣ . ديوان الهذليين ٣/ ٧٩ . التمام صفحة ١٧ (والرواية فيهما " فترعاها " مكان "تهواها") . تاج العروس (قنى) ، اللسان (قنى) .

ومن الغريب أنهم قد اتفقوا جميعا على رواية هذا اللفظ في البيت بالقاف دون الفاء (مقناة) وهو من الشعر الهذلي باتفاقهم جميعا لغويين وأدباء ، وحتى السكري نفسه شارح أشعار الهذليين وراويها وجامعها نجد عنده هذه الرواية نفسها ، فكيف يجمعون بين ما رووا من شعر هذلي وما قرروا من حكم على لغة هذيل ؟ وهل معنى هذا أنهم أقروا رواية البيت الهذلي بما ألفوا وألف الناس من لغة عامة ، رغم أنها تخالف لغة هذيل ، ثم أبقوا على هذا الحكم تنبيها على هذه اللغة الهذلية الخاصة ؟ أم أنهم لم يوفقوا حين جاء حكمهم في واد وروايتهم للبيت في واد آخر ؟

ومن الألفاظ التي نسبها اللغويون إلى الهذليين إطلاقهم على النواحي لفظ " الأرجاء [١] وعلى الاقاليم " الأعراض " [٢] ونجد هذا اللفظ في قول البريق الخناعي : " لنا الغور والأعراض في كل صيفة " [٣] وفي هذا يقول السكري " الأعراض " في لغة هذيل الرساتيق " [٤] ولكن أبا ذؤيب نطقها " عِراض " في قوله :

أمنك برق أبيت الليل أرقبه كأنه في عراض الشام مصباح [٥]

ويعتبرها اللغويون جمعا للكثرة [٦] .

وإذا كان اللغويون قد اختلفوا في معنى " الملطاط " فذكروا من بين معانيه أنه " حرف من أعلى الجبل وجانبه [٧] ، وأنه " ساحل البحر " وحافة الوادي وشفيره [٨] ، فإنهم مع هذا يسوقونه في لفظ ابن مسعود بالمعنى الأخير في قوله :

" هذا الملطاط طريق بقية المؤمنين هربا من الدجال " ، ويذكرون أنه يعني بهذا شاطئ الفرات ، فلعل الملطاط هو عند هذيل بالمعنى الأخير ، أي الوادي أو جانب منه .

وهم ينقلون إلينا كذلك أن الهذليين يقولون " المنكل للصخر [٩] ، والتيهور لما بين أعلى الجبل وأسفله [١٠] (أي سفحه) ، وأن الحجر " الصلد " في لغتهم هو الحجر " الأجرد [١٤] أو النقي " [١٢] ، ثم انهم يسمون الطريق في وسط الصخور والجبال " سنيحة " وجمعها " سنائح " [١٣] ــ كما يذكر هؤلاء اللغويون في تفسيرهم للشعر الهذلي أن الطريق السهل بين جبلين أو الطريق وراء جبل أو خلف واد " خايف " [١٥] ، وكذلك يقولون " مخافة " في معنى الطريق ، فيقال : الزم المخافة الوسطى أي الطريق الأوسط [١٦] .

---

١) رسالة لغات القبائل ص٢٦٢ ، اللغات في القرآن ص٥٠ ، (٢) شرح أشعار الهذليين (فراج) ٢ / ٧٥٠ (٣) المرجع السابق (الصفحة السابقة) ، ديوان الهذليين ٣ / ٦٠ (٤) شرح أشعار الهذليين (فراج) ٢ / ٧٥٠ ، (٥) ديوان الهذليين ١ / ٧ ، شرح ديوان أبي ذؤيب (تيمور) ص١٥٥ (الشنقيطي) ورقة ١٠٨) (٦) اللسان (عرض) (٧) القاموس ، تاج العروس (لطط) .
٨) اللسان والقاموس وتاج العروس (لطط) ، (٩) التمام ص١٦٧ ، المخصص ١٠ / ٩١ " مقاييس اللغة واللسان " نكل " ، (١٠) المخصص ١٠ / ٧٥ " تاج العروس (تيهور) ، اللسان (تهر) .
(١١) اللغات في القرآن ص٢٢ ، (١٢) رسالة لغات القبائل ص٢٤٧ ، (١٣) اللسان (سنح)
١٤) ديوان أبي ذؤيب (الشنقيطي) ورقة ١١٦ ، تيمور ص١٧٠ ، (١٥) ديوان الهذليين ٢/٧٦ ، ١٠١ (١٦) الجمهرة (خلف) .

وقد يقال إن "المخلفة هي الأخرى طريق وراء جبل (١) ، ولكن الذى ورد فى شرح السكرى منسوبا إلى الأصمعى هو أن كل طريق مخلفة (٢) ، ويبدو أن هذا هو القول الصحيح . وما جاء فيه لفظ " خليف " من الشعر الهذلى قول صخر الغى : " تيممت أطرقة أو خليفا " (٣) .

وقول أبى ذؤيب : " وأسلة مدافعها خليف " (٤) .

وما ورد فيه ذكر " مخلفة " قول أبى ذؤيب أيضا :

تؤمل أن تلاقى أم وهب   بمخلفة إذا اجتمعت ثقيف (٥)

وليس هذا كل ما جاء عندهم ، أو روى عنهم من ألفاظ فى شأن المسالك والطرق على اختلافها ، فهم يصفون الطريق المذلل الواضح المسلوك بقولهم طريق " دُعبوب " ونجد ذلك فى قول أبى خراش " طريقها سرب بالناس دعبوب " (٦) .

ثم هم يذكرون أن هذيلا تطلق لفظ " الأُنبوب " على نوع خاص من الطرق داخل الجبال (٧) ، ونجد هذا اللفظ فى قول مالك بن خالد الخناعى :

فى رأس شاهقة أنبوبها خصر   دون السماء له فى الجو قرناس (٨)

وإذا كان هذا شأن " الأُنبوب " وتفسيرهم إياه ، فإنا نجدهم يفسرون القُرناس فى هذا البيت بأنه رأس الجبل (أى قمته) .

وما ذكر أن " الشِّيق " جزء من سفح الجبل شديد الانحدار ، صعب المرتقى وقد أُنشد الجوهرى فى هذا قول أبى ذؤيب (٩) :

تأبط خافة فيها مساب   فأضحى يقترى مسدًا بشيق

وكذلك نجده فى دواوين شعر هذيل (١٠) .

ولكنهم — مع هذا — يذكرون للفظ " الشيق " معانى كثيرة ، ومن معانيه عندهم : الشق الضيق فى الجبل أو فى رأسه ، أو الشق بين صخرين أو الجبل الطويل (١١) أو أعلى الجبل (١٢) . وبكل هذا فسر قول أبى ذؤيب السابق ذكره .

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ٩٨ . (٢) شرح اشعار الهذليين (مخطوط) . (٣) شرح اشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١ / ٣٠٠ . ديوان الهذليين ٢ / ٧٦ . اللسان ، تاج العروس (خلف) معجم ما استعجم (أطرقا) ١٦٧١ . (٤) شرح ديوان أبى ذؤيب (مخطوط شنقيطى) ورقة ١١٦ . (مخطوط تيمور) ص ١٧٠ . ديوان الهذليين ١ / ١٠١ . (٥) ديوان الهذليين ١ / ٩٨ . شرح ديوان أبى ذؤيب (شنقيطى) ورقة ١١٥ . (تيمور) ص ١٦٧ . الجمهرة (خ ف ل) (٦) ديوان الهذليين ٢ / ١٥٩ . تاج العروس (ادعب) . (٧) ديوان الهذليين ٣ / ٢ . تاج العروس (الأنبوب) . اللسان (نبب) . (٨) ديوان الهذليين ٣ / ٢ . (٩) الصحاح (خوف) . تاج العروس (الشيق) . (١٠) ديوان الهذليين ١ / ٨٧ . شرح ديوان أبى ذؤيب (مخطوط شنقيطى) ورقة ١١٣ (مخطوط تيمور) ص ١٦٥ . (١١) تاج العروس (الشيق) . (١٢) ديوان الهذليين ١ / ٨٨ .

وهذا يؤكد ما نبهنا إليه من أن المسألة كثيرا ماتكون مسألة اجتهاد قائم على الفهم — وفي تفاوت أو تقارب — للفظ الواحد في البيت الواحد من شعر هؤلاء الهذليين .

وإذا كان هذا هو شأنهم مع السهول والوديان ، والصخور والجبال وما يخترقها من مسالك وشعاب ، فماذا كان شأنهم مع النجوم والرياح وما يلابسها من سحب وأمطار ؟

يذكر اللغويون أن ماوصفت به النجوم والشهب في القرآن الكريم بلفظ " ثاقب " كما في قوله تعالى " النجم الثاقب " (١) " شهاب ثاقب " (٢) فهو بمعنى مضيء في لغة هذيل (٣) ، أو في لغة هذيل وكنانة (٤) كما يقولون : كوكب مخرد " أي منفرد في لغة هذيل " " ومنجزف " أي منقض . (٥)

ثم انهم يقولون للريح الباردة أو ريح الشمال " أم مرزم " ، وقد جاء هذا اللفظ عندهم في قول صخر الغي :

اذا هو أمسى بالحلاءة شاتيا   تقشر أعلى أنفه أم مرزم (٦)

فيذكر ياقوت في معجمه أن " أم مرزم " هي الريح الباردة بلغة هذيل ، ثم يذكر هذا البيت شعر صخر (٧) ، وإذا كانت " أم مرزم " هي عندهم ريح الشمال ، فإن " الأزيب " هي " الجنوب " (٨) ، ويقولون إنهم يسمونها النعامى (٩) أيضا ، وإلى جانب ماذكره اللغويون نجد هذا اللفظ في شعر ساعدة بن جؤية (١٠) وشعر أبي ذؤيب (١١) ويفسره شراح شعر هذيل هذا التفسير " ويقول اللغويون أيضا إن بعضهم يسميها " مسعا " وإنها عند بعض الحجازيين " يُسع " وعند غيرهم " نِسع " (١٢) . ومع هذا نجد لفظ " نسع " مستعملا في الشعر الهذلي ، في مثل قول المتنخل :

قد حال بين دريسيه مؤوبة   نسع لها بعضاه الارض تهزيز (١٣)

وقول قيس بن خويلد :

ويلمها لقحة إما تأوبهم   نسع شآمية فيها الأعاصير (١٤)

---

١) سورة الطارق ٨٦ آية ٣   ٢) سورة الصافات ٣٧ آية ١٠   ٣) اللغات في القرآن ص ٤٢ . الإتقان ١ / ١٣٤   ٤) رسالة لغات القبائل ٢ / ١٤٤ ، ٢٩٢٦ .   ٥) العباب الزاخر ورقة ١٤٦ .
٦) ديوان الهذليين ٢ / ٢٢٧ . مقاييس اللغة ١ / ٢٣ معجم ما استعجم (الحلاءة) والرواية فيه كأني أراه بالحلاءة) ٧) معجم البلدان (الحلاءة) ٣ / ٣١٠   ٨) تاج العروس (زيب) . اللسان (يسع) . المخصص ١٧ / ٩ .   ٩) اللسان (نسع) . (١٠) ديوان الهذليين ٢ / ٢٢٢ . اللسان (صبر)   ١١) شرح ديوان أبي ذؤيب (مخطوط الشنقيطي) ورقة ١٢٥ . (تيمور) ص ١٨٣ . " ديوان الهذليين ٢ / ١٣٢ . تاج العروس (عرف)   ١٢) الصحاح " مسع " " اللسان " يسع " تاج العروس (يسع ، نسع)   ١٣) ديوان الهذليين ٢ / ١٦ . المخصص ١٧ / ٣٠ . الصحاح (مسع) المحكم ١ / ٣٣١ . المنصف ٢ / ٦٠ . سمط اللآلي ٢ / ٧٣٤ .   ١٤) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ٢ / ٦٠٧ " تاج العروس واللسان (نسع) " سمط اللآلي ١ / ١٥٧ .

وهذا يدلنا على أن نسبة هذه الألفاظ فى دلالتها هذه إلى هذيل وغيرها تعوزها الدقة المطلوبة . ومن هذا القبيل من الخلاف أن لفظ " الأير " التى عبرت بها المعاجم بأنها " ريح الصبا " قد اختلف بعض اللغويين فى مدلولها ، فقال قوم " هى ريح حارة ذات أوار ، وقال آخرون هى الشمال الباردة بلغة هذيل [١] معتمدين فى ذلك على قول حذيفة بن أنس الهذلى . .

وإنا مساميح اذا هبت الصبا وإنا مراجيح إذا الأير هبت [٢]

وينبئنا اللغويون والرواة أن الهذليين يطلقون لفظ " الخلوج " يريدون به السحاب المتفرق ، كأنه قد خلج من معظم السحاب [٣] ، ويطلقون على نوع آخر من السحاب " صبير " ويقال إنه السحاب الأبيض، وجمعه " صبير " أو " صبر " .

ويجد اللغويون شاهدهم على هذا من شعر ساعدة بن جوية :

فارم بهم ليَّة والأخلافــا جون النعامى صُبُراً اخفافــا [٤]

أما المطر فنجدهم يقولون إنه " الرجع " عند هذيل [٥] ، ويشير ابن سيده ، إلى أنه يسمى عندهم " بالخرْج " مستشهدا بقول أبى ذويب :

وهى خرجةُ واستجيل الربا ب عنه وغرم ماء صريحــا [٦]

وكذلك يطلقون " القسْم " مقصودا به الغيث ، إذ يقولون فى استمطارهم " اللهم اجعلها عشية قسـم من عندك ، فقد خلوحت الأرض " [٧] ، فهم يريدون بالقسم الغيث ، ولكن تسمية الغيث هكذا بالقسم إنما هى ـ فيما أحسب ـ تسمية مجازية يجعلون فيها الغيث نصيبا ورزقا مقسوما ، لما بين اللفظين من رباط قوى ، ولعل هذا المجاز قد تحول عندهم بعد ذلك إلى حقيقة بمرور الوقت وكثرة الاستعمال .

---

(١) مقاييس اللغة (أير)١/ ١٦٣ . (٢) المرجع السابق (الصفحة نفسها)، شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص٢٢٣ . (٣) اللسان، تاج العروس (خلج)
(٤) اللسان (صبر) . ديوان الهذليين ٢/ ٢٢٢ . (٥) المخصص ٩/ ١٢٠ .
(٦) المرجع السابق والصفحة نفسها . (٧) تاج العروس، الأساس (قسم) .

الحيوان والوحش والطير وما يلحق بها من زواحف وحشرات :

ومن الظواهر الأخرى في بيئتهم ما يوجد فيها ، أو يحيط بها من حيوان ووحش وطير ، ولهم في بعض ذلك أسماء خاصة يطلقونها على مسميات تخالف في بعض الأحيان نظائرها عند بعض العرب الآخرين .

ومن ذلك ما يذكره ابن سيده وغيره من أن الأسد يسمى " السِّيد " في لغة هذيل[1] وما يقوله الجوهري والزبيدي وغيرهما من أنهم يسمونه " السِّرحان " في هذه اللغة أيضا (٢) . مع أن كلا من هذين اللفظين إنما يطلق على الذئب فيما ألفنا .

ولا أدري كيف يسمى الأسد " سيدا " وسرحانا " في الوقت نفسه عند قبيلة واحدة كهذيل ، وهل يؤدي اختلاف البطون الهذلية أحيانا إلى مثل هذا الخلاف ؟ أم أنه من المحتمل استعمال أحد هذين اللفظين في فترة سابقة ، ثم اندثاره ، وحلول الآخر محله في فترة لاحقة من فترات التطور ، والشعر الهذلي سجل اللفظين معا ؟ وربما كان محتملا وجودهما معا في فترة معينة ولكن أحدهما ناشئ في طريقه إلى الذيوع والآخر غارب في طريقه إلى التلاشي والأفول . ولكني أرجح أن مصدر هذه التسمية عند اللغويين في الحالين هو أن كلا من هذين اللفظين قد جاء في الشعر الهذلي في معرض الشجاعة والمواثبة ، كما في قول أبي المثلم يرثي صخر الغي :

هباط أودية حمال ألوية ... شهاد أُندية سرحان فتيان (٣)

وقول حذيفة بن أنس :

بنو الحرب أُرضعنا بها مقمطرة ... فمن يلق منا يلق سيد مدرب (٤)

فاستنتج اللغويون أن المقصود " بالسيد " في هذين البيتين وأمثالهما إنما هو الأسد لأنه المثل الأعلى في الشجاعة والجرأة النادرة ، ولكن ليس هذا دليلا قاطعا يعتمد عليه في إثبات ذلك لهذيل ، إذ أن هؤلاء اللغويين أنفسهم يفسرون " السيد " والسرحان " بالذئب حينما يقتضي المقام ذلك التفسير ، فالسرحان عندهم هو الذئب والسراح الذئاب في قول مالك بن الحارث :

ويوما نقتل الآثار شعفا ... فنتركهم تنوبهم السراح

وهكذا نجد تفسيره في دواوين شعر هذيل تعقيبا على هذا البيت (٥) . ولا يمكن فيما أحسب أن تكون السراح هنا هي الأسود ، لأن الأسود لا تأكل الجيف ، ولعلهم أدركوا هذا المعنى فاضطروا إلى أن يجعلوا السرحان ذئبا ، بينما جعلوه في موطن آخر أسدا كما رأينا .

(١) ديوان الهذليين ٣ / ٢٥ ، شرح أشعار الهذليين " مخطوط الشنقيطي) ص ١٧٣ ، تاج العروس (سود) ، المخصص ٨ / ٦١ ، (٢) الصحاح ، تاج العروس (سرح) ، الجمهرة (حرس) ، الأمالي ١ / ١٠٦ ديوان الهذليين ٢ / ١٤٠ ، شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص ٣٥ ، (٣) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص ٣٤ ، ديوان الهذليين ٢ / ٢٣٦ ، تاج العروس (سرح) ، حياة الحيوان ٢ / ٢٦ .

(٤) ديوان الهذليين ٣ / ٢٥ ، (٥) ديوان الهذليين ٣ / ٨١ ، شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص ٣ .

ومع ذلك فإن بعض اللغويين يلجأ إلى التعميم في إطلاق لفظ السرحان على الأسد ، إذ ينسب ذلك إلى الحجازيين ، ولا يخص به هذيلا أو غير هذيل من قبائلهم ، فيقول " ان أهل الحجاز يسمون الأسد سرحانا " ويستشهد لذلك ببيت من شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدي (١) وهذا يدل على أن في الأمر اضطرابا وتخليطا ، ومما يزيد الأمر اضطرابا أنهم إذا ما جعلوا ذلك لغة الحجاز ، لايلبثون أن يجعلوه لغة أهل نجد (٢) .

هذا ولفظ " السيد " هو الآخر نراهم أحيانا يفسرونه في الشعر الهذلي بمعنى الذئب ، وذلك في قول أبي ذؤيب :ـ



قد أبقى لكِ الأينُ من جسمه ... نواشرَ سِيدٍ ووجهًا صبيحًا (٣)

فالنواشر هي العصب في باطن الذراع ، وهم يرونها في الذئب أكثر امتدادا ووضوحا منها في الأسد ، لهذا فسروا السيد في هذا الموضع بالذئب (٤) ، ويقول السكري في ذلك " يريد أنه قوي اليد كيد الذئب ولم يقل الأسد لأن الذئب نواشره ممتدة وساعد الأسد كأنه كسر ثم جبر ، فليست نواشره ممتدة " (٥) .

هذا بينما نراهم في مواطن أخرى يفسرون السيد بالأسد لا بالذئب .
ولكننا إذا كنا قد استبعدنا تسمية الأسد " سرحانا " عند الهذليين فلا يبعد ـ مع هذا ـ أن يكونوا قد سموه أو سماه بعضهم " بالسيد " ولعل مما يقوي هذا الاحتمال قول أمية بن أبي عائذ :

تكتنفني السيدان سيد مواثب ... وسيد يوالي زأره بالتبلل (٦)

فالزأر أو الزئير حينما يراد به حقيقته ، فإنه ـ لاشك ـ يكون من خصائص الأسد .

وقول مالك بن خالد الخناعي :ـ

أتى مالك يمشي إليه كمنا مشى ... إلى خيسه سيد بخفان قاطب (٧)

فالسيد هنا الأسد ، وخيسه غابته أو أجمته .

---

١) الجمهرة (حرمر) . ٢) المرجع السابق (رصع) . ٣) ديوان أبي ذؤيب (مخطوط الشنقيطي) ورقة ١٢٧ . (مخطوط تيمور) ص ١٨٦ . ديوان الهذليين ١ / ١٣٥ مع
٤) المرجعان السابقان (الصفحات نفسها) ٥) ديوان أبي ذؤيب بنسختيه السابقتين (في الموضع نفسه) ٦) ديوان الهذليين ٢ / ١٩ ـ تاج العروس (بلل) . ٧) شرح أشعار الهذليين (مخطوط الشنقيطي) ص ١٧٣ .

ومن الطريف أنه بينما ينسب إلى الهذليين إطلاق بعض هذه الأسماء على الأسد وهى فى المألوف ليست له ، نجد – مع هذا – أن بعض أسماء الأسد المشهور إطلاقها عليه " كالليث " يطلقه الهذليون – فيما يروى – على الرجل اللسن الجدل[1] ، وإذا صح هذا عن هذيل ، فإن هناك صلة بين المدلول الأصلى للكلمة وهو " الأسد " ، وبين الفصيح اللسن ، فكلاهما يصول ويجول ، وإن كان لكل ميدانه واتجاهه .

ومما يروونه من أسماء الحيوان أيضا ، ما جاء من تسمية النمر " الشَّبَنْتَى "[2] ، والذئب " أُويسا " تصغير " أوس " ، وقد ورد ذلك مصغرا فى شعر الهذليين على لسان رجل من هذيل (هو أبو خراش فى رواية أبى عمرو ، وعمرو ذو الكلب فى رواية الأصمعى)[3]

يا ليت شعرى عنك والأمر عمم   هل جاء كعبا عنك من بين النسم

ما فعل اليوم أويس بالغنم   تاح لها فى الريح مِرْيَح أشم[4]

ومن عجيب الأمر أنه بينما نجد رواية الديوان هنا للفظ " مريح " فى الشطر الأخير بالحاء فى معنى " مرح " أو شديد المرح ، وينتهى الأمر عند هذا نجد – على عكس ذلك – بعض اللغويين يرويها بالخاء " مريخ " ، وينسب الأبيات – بعد تقديم وتأخير وخلاف كبير – لعمرو ذى الكلب الهذلى ، ثم يخرج من هذه الرواية بأن " المريخ " هو الذئب ، وتلك تسمية غريبة لعلها نتيجة التحريف فى رواية هذا اللفظ فى الشعر الهذلى[5]

ومن أسماء الحيوان التى نحن بصددها " الجحش " ، وأكثر ما يطلق هذا اللفظ فعلى ولد الأتان فيما ألفنا من اللغة ، ولكن من اللغويين من جعله ولد الظبية فى لغة هذيل[6] اعتمادا على قول أبى ذؤيب :

بأسفل ذات الدبر أفرد جحشها   فقد ولهت يومين فهى خلوج[7]

---

(١) شرح أشعار الهذليين (مخطوط الشنقيطى) ص ٧٤ . اللسان ، تاج العروس (ليث) . (٢) اللسان (زور) . (٣) تاج العروس (أوس) .
(٤) ديوان الهذليين ٣/٩٦ . التكملة ٢/١٦٧ (٥) تاج العروس (مرخ) ، (أوس) .
(٦) المخصص ٨/٢١ ، ٤٤ . التصحيف والتحريف ص ٥٨ ، ٩٦ . اللسان ، تاج العروس (جحش) . شرح ديوان أبى ذؤيب (مخطوط الشنقيطى) ورقة ٩١ ، (مخطوط تيمور) ص ١٢٨ .
(٧) ديوان الهذليين ١/٦٠ . المخصص ٨/٢١ . اللسان ، تاج العروس (جحش) .

ورواية البيت بهذا اللفظ هي رواية الأصمعي ، ورواية السكري " جحشنا "(١) وهي تتفق ومألوف اللغة ، غير أنا لا نستبعد رواية الأصمعي ، الذي أخذ نفسه بمشافهة الهذليين في باديتهم ، فلعله قد سمعها منهم في حديثهم أو تلقى رواية هذا البيت عنهم ، أو قرأه على الشافعي فيما قرأ عليه من شعر هذيل ، ويحتمل اجتماع هذه الامور كلها أو بعضها لديه ، وهي دافعة إلى حد كبير للاطمئنان إلى ما يقول . ونحن إذا ما وطنا أنفسنا على تقبل هذا اللفظ في دلالته تلك ، فإنا نجد ما هو أشد غرابة من ذلك ، إذ نرى من بعض اللغويين من يطلق لنفسه العنان ، فيجعل هذا اللفظ في معنى الصبي عند هذيل(٢) ، والحق أنه إذا كان هذا اللفظ قريب الاحتمال في مدلوله الأول وهو " الخشف " فإنه بعيد عن جادة الصواب بالقياس إلى مدلوله الثاني وهو " الصبي " ، ولعله قد التبس الأمر على هؤلاء اللغويين ، فخلط بعضهم بين " الجحفر " و " الجحوش " في معنى الصبي أو الغلام السمين أو الصبي قبل أن يشتد كما يفسرونه ، وذلك فيما نسبه بعض اللغويين الى المعترض الهذلي من قولـه :

قتلنا مخلدا وابني حراق وآخر جحوشا فوق الفطيم(٣)

ومع هذا فالبيت ليس لهذلي من شعراء هذيل حقيقة ، إذ لا نجد بين الهذليين الشعراء من يحمل هذا الاسم — فيما نعلم — بل هو للمعترض بن حبواء الظفري(٤) من بني ظفر جيران هذيل في مواطنهم ، وممن جاء ذكرهم في دواوين الشعر الهذلي ، وقد تساهل اللغويون ، فاصطلحوا على تسمية الشعراء الذين احتواهم ديوان شعر هذيل شعراء هذليين ، ومن ثم كانت نسبة المعترض إلى هذيل ، وهذا كله خلط تضيع الحقائق في متاهاته ومساربه .

× × ×

وإذا كنا نجد لفظ " البقر " في الشعر الهذلي ، فإنا — مع ذلك — نجد اللغويين يتوارد الكثيرون منهم على أن " الخزومة " هي البقرة عند هذيل(٥) ،

---

(١) شرح ديوان أبي ذؤيب (مخطوط شنقيطي) ورقة ٩٤ . (مخطوط تيمور) ص ١٢٨ .
(٢) اللسان (جحفر) . (٣) الصحاح (جحش) . (٤) البقية ص ٤ .
(٥) مقاييس اللغة ، تاج العروس ، اللسان ، الجمهرة (خزم) . المخصص ٨/ ٣٦ ، البحر المحيط ٥/ ٣٠٧ .

ومنهم من خص بهذا اللفظ البقرة المسنة القصيرة[١] ، وهم بهذا من لجأ منهم الى التعميم ومن آثر التخصيص فى مدلول هذا اللفظ ـ يسوقون لذلك شاهـــدا من الشعر الهذلى هو قول أبى ذرة :

إن ينتسب ينسب إلى عرق وربـ   أهل خزومات وشحاج صخب[٢]

وكذلك نجد هذا البيت فى دواوين شعر هذيل للشاعر المذكور[٣]، وإلى جانبه نجد اللفظ نفسه عند غيره من شعراء هذيل ، وقد فسره شراح شعرهم هـــذا التفســـير[٤].

وفى هذا المقام نعرض لما يسمون به الصغير من بقر الوحش ، إذ نرى اللغويين ينقلون إلينا أن الهذليين يسمونه "طَغْيَا" ، ويفسر هؤلاء اللغويون هذا اللفظ ذلك التفسير فى أُغلب ما ورد فيه من شعر هذلى[٥]، وإن كـــان قد روى عن أبى زيد انه جعل الطغية النبذة من الشئ ، وجمعها طغيـــا أى النبذ منه[٦] وعلى هذا الأساس نجد تفسير بعض شراح شعر هذيــل لهذا اللفظ فيما احتواه من شعر الهذليين[٧] .

وفى مجال الحمر الوحشية يروون أن " الجَدُّود " هى التى قل لبنهـــا وجمعها جدائد ونجد هذا فى الشعر الهذلى ، ومنه قول أُبى ذؤيب :

والدهر لا يبقى على حدثانه   جون السراة له جدائد أربع[٨]

وأهم الحيوانات الأليفة التى تشارك البدوى حياته ، وتخفف عنه مئونـــة العيش ، ومشقة الحياة إنما هو الجمل ، وقد أُحاط به عند الهذليين ألفـــاظ خاصة لها دلالات معينة ، سجلتها أشعارهم ، أو نسبها اللغويون إليهم ، ومـــن ذلك ما يذكره هؤلاء من أن "النواعج" والنُّعَّج " الابل السراع ، وهم حـــين يقولون هذا يتبعونه بقول مليح الهذلـــى :

---

(١) مقاييس اللغة ، تاج العروس، اللسان ، الجمهرة (خزم) . المخصص ٨/ ٣٦ . (٢) تاج العروس واللسان (خزم) .
(٣) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص ٤٢٣ . (٤) المرجع السابق ص ٢٠٥، ٢٧٣ .
(٥) الصحاح (حقف) . اللسان (طغى) . (٦) المرجع السابق (المادة نفسها) .
(٧) ديوان الهذليين ٢/ ١٦٦ . (٨) ديوان الهذليين ١/ ٤ . السجستانى : الاضداد ص ٩١ .

فلما رأيت القوم قد ألحقتهم ... بهن نواج فى الأزمّة نمج (١)

ومما يذكرون من ذلك أن "العواء" الناب من الإبل ، أو هى الناب الكبيرة التى لا سنام لها ، فى لغة هذيل (٢) ، وأن الإبل التى تأكل العضاه هى عند هذيل "ابل عواد" ، "والقوم معدون" ، وغيرهم يقول "ابل عَضِهة" والقوم معضهون" (٣)

ومما يروون من أن "الكشاف" فى لغة كنانة ، وهذيل ، وخزاعة هى الإبل التى لم تحمل عامين "أما تميم وقيس وأسد وربيعة فيقولون "الكشاف" التى اذا أنتجت ضربها الفحل بعد أيام فلقحت (٤) ، وهذا المعنى الأخير يوائم ماجاء من قول زهير فى وصف بشاعة الحرب :

"وتلقح كشافا ثم تنتج فتتئم" (٥)

ويروى الرواة أن الهذليين يقولون للناقة التى لقحت "أُنشأت" (٦) ، وكأنهم قد أطلقوا هذا اللفظ عليها إذ كونت جنينا وأنشأته ، فهناك علاقة بين هذا المعنى الخاص عندهم ، وبين المعنى العام للفظ الإنشاء فى اللغة ولعل هذا اللفظ قد استعمل فى هذا المعنى عند هذيل - أول ما استعمل - على سبيل المجاز ثم تطور بعد إلى حقيقة تتوسى معها هذا المجاز .

ومما نجده عندهم "البَوّ" ، وهو جلد يحشى للناقد ولدها : يذبح أو يموت فترأمه وتدر عليه (٧) ، وإذا كنا نجد فى المعاجم للفظ "حائل" معانى كثيرة تدور حول الإبل ولقاحها ، فإنهم يذكرون أيضا أنها الأنثى من أولاد الإبل (٨) ساعة تولد (٩) ، ويتخذون شاهدهم على هذا من شعر أبى ذؤيب (١٠) .

هذا شأنهم مع الحيوان ، أما مع الطير ، فمن ذلك مايذكره بعض اللغويين من أن "المَجِد" بمعنى الغربان لغة هذلية (١١) ، ويقول الصغانى بأن الأصمعى هو الذى جعل المجد بالتحريك الغربان وقد دعم ذلك بشاهد من شعر صخر الغى (١٢) .

وكذلك يذكرون أن الحِفّان" فراخ النعام ، الواحدة منها حفانه" ، وقد أنشد الأصمعى فى ذلك قول أسامة الهذلى :

وإلا النعام وحفانه ... وطغيا مع اللهق الناشط (١٣)

هذا أهم ماوصل إلى أيدينا مما ينقله الرواة منسوبا إلى هذيل عن الحيوان والوحش والطير ، أما صغار الحيوان ومايمكن أن يلحق بها ، أو يذكر معها من الحشرات سواء مارواه الرواة عنهم ، أو ماجاء من ذلك على لسان هذلى فيما وصلنا من تراث الهذليين شعره ونثره ، فإننا نجد من ذلك أن أبا ذؤيب قد استعمل

---

(١) الشيبانى : الجيم ص٢٧٤ ، (٢) اللسان (عوى) ، (٣) الجيم ص ١٦٨ ، (٤) شرح ديوان زهير ص٢٠ ، الخزانة ٣/ ١٠ ، (٥) شرح ديوان زهير ص١٩ ، النمسانى : نهاية الارب ص٨٥ (٦) الجيم ٣/ ٢٧٤ ، العباب الزاخر (نشأ) (٧) ديوان الهذليين ٢/ ٢٠١ (٨) الامالى ١/ ٢٣٠ ، (٩) القاموس (حول) ، (١٠) الأمالى ١/ ٢٣٠ ، ديوان الهذليين ١/ ١٤٥ ، (١١) المخصص ٨/ ١٥٢ ، (١٢) العباب الزاخر ورقة ٢٤٤ ، (١٣) الصحاح (حفف) اللسان (طغى) .

لفظ " الشَّيهم " في معنى القنفذ ، و" الصـــل" في معنى الحية ، وذلـك في غضون ما ذكره من أمر وفوده الى المدينة يوم وفاة النبى اذ يقول :

" ... فلما أصبحت طلبت شيئا أزجر به ، فعن لى " شيهم " ، وقد قبـــض على " صل " فهى تلتوى ، والشيهم يقضمها حتى أكلها ... "[1] ، ومنـــه ما يقولون من أن " أهل الحجاز يسمون الجان من الحيات " الأيْم " وبنو تمـــيم يقولون " الأيْن " ، وهذيل يقولون " الأيِّم " مشددا ، وهو أصله ، ولكن خففوه "[2]

ولا ندرى ماذا يعنى اللغويون بقولهم " خففوه " ؟ هل المقصود أن الهذليين قد تطور هذا اللفظ في لغتهم من التشديد إلى التخفيف ، أم المراد أن تخفيفه جاء في شعرهم من قبيل الضرورة الشعرية ؟

إننا إذا تتبعنا ذلك في الشعر الهذلي وجدنا هذا اللفظ مشددا في قول ابى كبير :

ولقد وردت الماء لم يشرب به بين الربيع إلى شهور الصيِّف

إلا عواسل كالمراط معيدة بالليل مورد أيِّم متغضـــف[3]

ثم وجدناه مخففا في قول أبى ذؤيـــب :

وقلت لعبد الله " أيْم " مسيب بنخلة يسقي صاديا ويعيج[4]

فمسألة التطور من التشديد إلى التخفيف فى هذا اللفظ بعيدة الاحتمال ، لأن الشاعرين متعاصرين ، فكلاهما من المخضرمين الذين عاصروا أخريات العصـــر الجاهلي ، وأدركوا صدر الإسلام ، وهذا يضع أيدينا على أن الاختلاف هنـــا (بين التشديد والتخفيف) مرده الى الضرورة الشعرية غالبا ، وليس ناشئا عن التطور من حال إلى حـال .

ومن المشتركات التي نجد لها تسمية خاصة عندهم " الخموش " ، وهـــذا اللفظ كثير الدوران فى اشعارهم[6] ، ويصرح اللغويون كثيرا بأنه لغة هذيـــل[7]

---

(١) شرح المفصل ٤/ ٦ . (٢) المخصص ٨/ ١٠٩ . (٣) ديوان الهذليين ٢/ ١٠٥ . اللسان (أيم ، عضف ، مرط) والرواية فيه (عواسل المراط) . مقاييس اللغة (أيم) . الجمهرة (أيـــم) ، والرواية فيها (عواسل كالمراط) . (٤) شرح ديوان أبى ذؤيب (مخطوط شنقيطى) ورقة ٩١ . (مخطوط تيمور) ص ١٢٩ . (٥) المخصص ٨/ ١٨٥ . الصحاح ، تاج العروس (خمش) . المزهر ٢/ ١٣٠ .

(٦) ديوان الهذليين ٢/ ٢٥ . المحكم (وعى) . الأساس (وعى ، عيط) . مقاييس اللغة ، الصحاح ، تاج العروس (خمش) . اللسان (زيط ، خمش) . مجالـــس ثعلب ١/ ١٢١ . المخصص ٨/ ١٨٥ . (٧) الصحاح ، تاج العروس (خمش) . المخصص ٨/ ١٨٥ .

ونجد الآن ما يقاربه لفظا ومعنى ، وهو " الهموش " في لهجتنا العربية الحديثة في مصر . والهاء والخاء من حروف الحلق ، التي يتقارب مخرجها جدا داخل مخرج عام واحد هو الحلق ، ولهذا يحل بعضها محل بعض في اللهجات من قديم وحديث .

ومن اللغويين من يجعل البعوض " الطيثار " ، وذلك تعقيبا على ابيات ينسبونها لشاعر هذلي يقولون انه (ابن وداعة الهذلي) ، ومن هذه الأبيات قوله :

فأصبحت النحل فيها اثنتين من يخشها يلق طيثارها

" فالطيثار هنا البعوض " وهذا قول ينسبه ابن سيده الى ابي علي الفارسي (١) واذا كان لا ينبغي لنا ان نرفض هذا القول ضربة لازب ، فإننا ـ مع ذلك ـ نستريب به ، ونشك فيه ، لأن الشاعر غريب في اسمه ونسبه ، ولم يسبق ان مر بنا في المراجع الاخرى من يحمل هذا الاسم من شعراء هذيل ، هذا إلى أن الشاهد تبدو عليه مسحة الشواهد اللغوية المصنوعة .

ويهبنا اللغويون أن " الجابي " هو الجراد ، ويعللون ذلك بأنه يجبي كل شيء ويأكله (٢) ، ويسوقون لذلك شاهدا من الشعر الهذلي ، هو قول عبد مناف ابن ربع :

صابوا بستة أبيات وأربعة حتى كأن عليهم جابيا لبدا (٣)

ومن العجيب أن بعض اللغويين ينقل إلينا هذا اللفظ بالدال لا بالباء (الجادي) ويعلل ذلك أيضا بأنه يجدي كل شيء ويأكله (٤) ، ثم يسوق البيت نفسه محرفا هذا التحريف شاهدا على ما يقول .

الشجر والنبات

أما فيما يختص ببعض مظاهر الخصب والنبات التي تتراءى في بعض جوانب بيئتهم ، فإن لديهم من الألفاظ المتصلة بها ما يخالف نظائرها من اللغات واللهجات ومن ذلك قولهم " أعتقت الأرض أي أخصبت " (٥) ، وقولهم " الأبّ " بمعنى الكلأ ، وقد جاء هذا اللفظ في القرآن الكريم ، في قوله تعالى : " وفاكهة وأبا " (٦) ، وفسره كثير من المفسرين واللغويين هذا التفسير ، وقد نسبه

(١) المخصص ٨/ ٦٠ . (٢) اللسان (جبى) (٣) ديوان الهذليين ٢/ ٤٠ .
(٤) اللسان " جدا " . (٥) الصحاح (عتق) . (٦) سورة عبس ٨٠ آية ٣٠ .

اللغويون إلى هذيل (١) :

وإذا " أغلولى " النبات أى (ارتفع ، وبلغ [illegible] واستوى تقول هذيـــل فيه " غطا " (٢) أى بلغ مبلغه من النمو .

[illegible] من جنبيه :

كذ وائب الحفأ الوطيب غطا به   غيل ومد بجانبيـــه الطحلب

وقد فسـر الاصمعى غطا به بمعنى ارتفع به (٣) .

ومن النبات ما ذكر اللغويون أنه يسمى عند غير الحجازيين " الجليل " ، وعنـد أهل الحجاز " الثمام " (٤) ، والهذليون — وهم حجازيون — شعرهم يتمثل فيه هـذا بوضوح ، كما فى قول أبى خراش :

أمسى سقام خلاء لا أنيس به   الا الثمام وعز الريح بالقرن (٥)

وقول أبى ذؤيب :

على أطرقا باليات الخيـام إلا الثمام وإلا العصـــــى (٦)

وقد جاء لفظ " الثمام " هذا فى قول لبيد بن ربيعة العامرى من معلقتـه :

عريت وكان بها الجميع فأبكروا   منها وغودر نؤيها وثمامها (٧)

ولبيد من بنى عامر بن صعصعة ، من بطون معاوية بن بكر ، وهو من قبائل هوازن ، أى احدى قبائل قيس (٨) ، وبعض هذه القبائل ، ولا سيما عامر بن صعصعة يجاورون الهذليين فى بعض مجالهم ومنازلهم ، فلعله قد علقها بعضهم من بعض ، أو لعـــل بنى عامر قد علقوها من هذيل ، وقد يقال بسبب هذا أن قول اللغويين من نسبـــة " الثمام " الى أهل الحجاز ، " والجليل " الى غيرهم — قول تعوزه الدقـــــة المطلوبة ، ولكنهم — فيما يبدو — قد قصدوا من وراء هذا الى التغليب كدأبهم فى ذلك ، والحق أن اللغات واللهجات لا يمكن أن يخضع لها دائما حد فاصل دقيق .

وإذا كان لبيد قد ذكر " الثمام " فى شعره ، فإننا نجد من ذكر " الجليـــل " فى معنى الثمام كالنابغة الذبيانى فى قوله من معلقته :

كأنى ورحلى وقد زال النهار بنا   بذى الجليل على مستأنس وحد (٩)

---

(١) تاج العروس (آ ب) ، العباب الزاخر (ورقة ٢٤٤) ، (٢) المخصص ١١ / ٢٣ ، (٣) الاصمعى النبات ورقة ١٦٢ ، (٤) المخصص ١١ / ١٤٢ ، (٥) الصحاح ([illegible] (الرواية فى ديوان الهذليين ٢ / ١٥٦ " الا السباع) ، (٦) ديوان الهذليـــين ١ / ٦٥ ، شرح ديوان أبى ذؤيب (مخطوط الشنقيطى) ورقة ٦٧ ، (تيمور) ص [illegible] تاج العروس ، الصحاح ، اللسان (طرق) المخصص ١٦ / ٣ ، شرح المفصل ١ / ٣١ ، معجم البلدان (أطرقا) ١ / ٢٨٦ ، (٧) التبريزى ، شرح القصائد العشر ص ١٣٠ ، نهاية الأرب ، شرح معلقات العريض ١٠٣ ، ديوان لبيد ج١ ورقة ٣٢ ، (٨) التبريزى ، شرح القصائد العشر ص ١٢٤ ، (٩) المرجع السابق ص ٢٦٣ .

والنابغة من شعراء غطفان إحدى القبائل القيسية أيضا ، ولكن فرصة اتصالها بهذيل أو اتصال هذيل بها فرصة ضعيفة ، فليس بينهما من الجوار مابين هذيل هذه وبين بني سعد بن بكر ومعاوية بن بكر بعامة ، وبني عامر وهط لبيد بخاصة . ولعل ذلك ما يزكي نسبة " الثمام " أصلا الى هذيل وبعض من جاورها من أخواتها الحجازيات ، ويؤكد هذا أيضا ما جاء في كتاب النبات للأصمعي من أن أهل نجد يسمون الثمام بالجليل (١) وفي اللسان من أن " ذا الجليل " واد لبني تميم ينبت الجليل وهو الثمام (٢) ، فيكون قول اللغويين في هذا قريبا من الصواب ، ولا يشوبه إلا ما يشوب أحكامهم غالبا من تعميم .

ومما يتصل بالنبات الشجر وقد جاء فيه لفظ " الغريف " بمعنى الشجر أو الأجمة في مثل قول أبي كبير :

يأوي الى عظم الغريف ونبله كسوام دبر الخشرم المتثور (٣)

وقوله " ان الغريف تجن ذات القيطر " (٤)

وبعض اللغويين يرده إلى لغة هذيل (٥) ، ولا معنى — في رأيي — لنسبته إلى اللهجة الهذلية إلا إذا كان يحمل هذا الاسم عند هذيل ، بينما يطلق عليه اسم آخر عند غيرهم من العرب ، وذلك ما لم ينص عليه اللغويون أنفسهم . وقد يركنون أحيانا إلى التحفظ والقصد ، فيقنعون بالقول بأن " الصوم شجر في هذيل " (٦) وبهذا يتجنبون الشطط ، ولعل السر في نسبة من نسبه إلى لغة هذيل وجود اللفظ في الشعر الهذلي (٧) . هذا إلى أن من اللغويين من تغريهم غرابة بعض الألفاظ بأن ينسبوها أحيانا — في غير تحفظ — إلى لهجة غير مألوفة من لهجات العرب .

ومن الشجر أيضا " النخل " ويذكر صاحب القاموس أنه يسمى " الجمامس " في لغة هذيل (٨) ، وينسب شارح القاموس ذلك القول الى ابن عباد ، ثم يستدرك على القاموس في الموضع نفسه بأن " الجمسوس " بالضم النخل في لغة هذيل ، والجمع " الجماميس " (٩) . وكلا اللفظين غريب في إطلاقه على النخل ، ولم

---

(١) النبات ورقة ١٦١ . (٢) اللسان (جلل) . (٣) ديوان الهذليين ١٠٣/٢ . (٤) المرجع السابق ١٠٤/٢ . شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١٠٨٤/٣ . الاشتقاق ص ١٠٤ . (٥) الصحاح (صوم) .
(٦) الصحاح ، اللسان (صوم) . (٧) ديوان الهذليين ١٩٤/١ . اللسان (صوم) . (٨) القاموس (الجمس) . (٩) تاج العروس (جمس) .

نألف استعماله فى الأدب العربى ، ولا فى الشعر الهذلى نفسه ، وإنما نجده قابعا فى بطون المعاجم اللغوية أو بعضها . وقد تعود اللغويون فى معالجة ألفاظ اللغة أن يسوقوا الشواهد الكثيرة من الشعر العربى ويؤكدون بها صحة ما يذهبون إليه ، ولكنهم هنا قد خالفوا مألوف عادتهم فلم يذكروا ـ فيما نعلم ـ مع كل من هذين اللفظين شاهدا يؤكده ويدعمه ، لا من الشعر العربى عامة ، ولا من شعر هذيل خاصة .

ومما يتصل " بالنخل " ما يذكرون من أن الهذليين يسمون الليف " الفليل " (١) " ولهذه التسمية صلة بما يذكره اللغويون من أن الفليل هو الشعر المجتمع (٢) أو ما يقارب ذلك من معان " ولهذا فسروا الفليل فى الشعر الهذلى أحيانا بالشعر المجتمع فى أعلى الرأس ، أى ما يشبه العرف (٣) كما ذكروا أن معاوية صعد المنبر يوما ، وفى يده " فليلة " (٤) ، فلعلهم يعنون بها مذبة من ليف "

فإذا صحت نسبة الفليل إلى هذيل ، كانت فى ضوء هذا بمعنى الليف أو الشعر مجتمعا بعضه إلى بعض .

الجماعات المختلفة من الناس :

أما ما يتصل بأناس من الحى ، والجماعات المختلفة من أبناء القبيلة ، فإنا نجد لفظ " أنس " الذى ألفيناه كثيرا الدوران فى الشعر الهذلى ، والذى نراه أحيانا فى معنى " إنسان " كما ورد فى قول ساعدة بن جؤية :

هو الطرف لم تحشش مطى بمثله ولا أنس مستوبد الدار خائف (٥) . وقد نراه فى معنى " الأناسى " عموما ، أو الحى من أحيائهم ، أو أهل المحل الواحد من محالهم (٦) وذلك فى قول أبى ذؤيب :

منايا يقرّبن الحتوف لأهلها جهارًا ويستمتعن بالأنس الجبْل (٧)

---

(١) اللسان ، تاج العروس (فلل) . (٢) اللسان (فلل) . (٣) السهيلى : الروض الأنف ٢ /١٧ (٤) اللسان (فلل) . (٥) ديوان الهذليين ١ /٢٢٣ .
(٦) اللسان (أنس ، جبل) . (٧) المرجع السابق (أنس ، جبل ، دفف) . الجمهرة (بجل) . ديوان الهذليين ١ /٣٨ .

وقول صخر الغي يخاطب شاعر هذيل الآخر (أبا المثلم) .

وخفض عليك القول واعلم بأنني ... من الأنس الطاحي الجميع العرمرم (١)

وقول أبي المثلم ردا على صخر الغي :

فان تنفني نحو الجلاءة تنفني ... إلى أنس طاحي الحلوم عرمرم (٢)

وقول ساعدة بن جؤية :

فالدهر لا يبقى على حدثانه ... أنس لفيف ذو طوائف حوشب (٣)

وقد نراه مجموعا عندهم على " آناس " في قول عمرو ذي الكلب الهذلي :

فأبرح غازيا أهدى رعيلا ... أؤم سواد طود ذي نجال

بفتيان عمارط من هذيل ... هم ينفون آناس الحلال (٤)

واستعمال لفظ " أنس " مثل هذا الاستعمال ليس مقصورا على شعراء هذيل وحدهم ، فانا نجده عند بعض الشعراء الآخرين من المجاورين لهم ، كأمية ابن أبي الصلت (الثقفي) في قوله يرثي حرب بن أمية :

فلو قتلوا بحرب ألف ألف ... من الجنان والأنس الكرام

رأيناهم له ذحلا وقلنا ... أرونا مثل حرب في الأنام (٥)

ومن البادين مثلهم (أي مثل هذيل) ممن يجاورونهم أيضا كقول شمر بن الحارث الضبي :

أتوا ناري فقلت منون أنتم ... فقالوا الجن قلت عموا ظلاما

فقلت الى الطعام فقال منهم ... زعيم نحسد الأنس الطعاما (٦)

فلعل هذا اللفظ في توالي الحركات فيه قد تأثر بالانسجام الذي سبق أن رأينا آثاره عند هذيل وغيرها من البدو في شبه الجزيرة .

واذا كان أصحاب المعاجم يذكرون أن " العُبْر " بالضم الكثير من كل شيء ، وقد غلب على الجماعة من الناس ، فانهم ينسبون ذلك أصلا الى هذيل ، فيقولون " العبر جماعة القوم هذلية " (٧) (ولعل الفرق بينها وبين " العدى " التي اطلقوها أيضا على " جماعة القوم بلغة هذيل (٨) .

---

(١) ديوان الهذليين ٢ / ٢٢٥ ، اللسان (طحا) والرواية فيه : " الطاحي عليك العرمرم " .

(٢) ديوان الهذليين ٢ / ٢٢٧ (٣) المرجع السابق ١ / ١٨٣ ، تاج العروس (حوشب ، نصف) (٤) ديوان الهذليين ٣ / ١١٤ ، ١١٥ ، تاج العروس (أنس) (٥) معجم ما استعجم ٣ / ١٠٧١ . (٦) العكبري : التبيان ٢ / ١٨٥ ، تاج العروس (أنس) .

(٧) اللسان ، تاج العروس (عبر) . (٨) المخصص ٣ / ١٢١ ، اللسان (عدا) ، معجم البلدان (العدوية) ٦ / ١٢٨ .

والتي كثيرا ما تضمنها الشعر الهذلي (١) ، هو أن المعنى الأخير يطلق على جماعة المقاتلين الذين يعدون على غيرهم ، أو أن العَدِي كما ذكر صاحب اللسان " جماعة القوم يعدون لقتال ونحوه " (٢) . فهذا هو المقصود بها إذن ، لا مطلق معنى الجماعة .

وقد كثرت عندهم نسبة الألفاظ المعبرة عن هذه الجماعات إلى هذيل كثرة ظاهرة ، فمن ذلك أيضا لفظ " المطي " الذي يفسرونه بالرجالة (٣) ، أو الرجال (٤) أو الرفاق في السفر (٥) ، وقد جاء هذا اللفظ في قول أبي ذؤيب :

لقد لاقَى المَطِيَّ بنجد عُفْرٍ ... حديثٌ إنْ عجِبْتَ له عجيبُ (٦)

وقول ساعدة بن العجلان :

ستنصرني أفناء عمرو وكاهل ... إذا ما غزا منهم مطي وعاوع (٧)

ويروى الزبيدي هذا اللفظ في شعر بعض البدو والآخرين كأبي زبيد الطائي (٨) ولكن الأزهري ينسب بيت هذا الطائي إلى أبي ذؤيب الهذلي (٩) .

وأغلب الظن أن استعمال المطي بهذا المعنى عند هذيل إنما هو تعبير مجازي مرده إلى هذه المطي أو المطايا التي يمتطيها هؤلاء المسافرون أو أولئك المقاتلون ، والأصل السائد في اللغة هو استعمال هذا اللفظ في حقيقته . وهكذا نراه عند الشعراء الآخرين كقول امرئ القيس :

" ويوم عقرت للعذارى مطيتي (١٠) ، وقوله :

وقوفا بها صحبي على مطيهم ... يقولون لا تهلك أسى وتحمل (١١)

---

١) ديوان الهذليين ٢ / ٢١٧ ، ٣ / ١٢ . ٢) اللسان (عدا الجمهرة (رع ى)
٣) تاج العروس (وعع) . ٤) شرح ديوان أبي ذؤيب (مخطوط تيمور) ص ٩٧ .
شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١ / ١٤٤ ٥) ديوان الهذليين ١ / ٩١ .
٦) شرح ديوان أبي ذؤيب (تيمور) ص ٩٧ (شرح اشعار الهذليين تحقيق فراج ١ / ١٠٤
٧) تاج العروس (وعع) . ٨) المرجع السابق (وعع) . ٩) التهذيب (وعع)
تاج العروس (وعع ١٠) التبريزي : شرح القصائد العشر ص ١٣ . نهاية الأرب من شرح معلقات العرب ص ٨٠ (١١) المرجعان السابقان كلاهما ص ٦ .

وقول طرفة بن العبد من معلقته أيضا :

وقوفا بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجلد (١)

بل انا لنجد ذلك في قول أبي ذؤيب الهذلي نفسه :

وكنت كرقراق السحاب اذا جرى لقوم وقد بات المطى بهم تخدى (٢)

ومن هذه الألفاظ التي تعبر عن الجماعة في صورة من صورها قولهم : الوضوع جماعة الناس " والجمع الوضائع ، واستدلالهم لذلك بما سبق من شعر أبي ذؤيب ، وساعدة بن العجلان (٣) ، وأبي كبير (٤) ، وكلاهما هذلي كما عرفنا .

ومن ذلك أيضا " الضِّبر " ويذكر اللغويون أنه الجماعة يغزون ، أو الجماعة يغزون على أرجلهم (٥) ، ومنه قول ساعدة بن جؤية :



بينا هُمُ يوماً كذلك راعَهُم ضَبرٌ لباسُهم القتير مُؤلَّبُ (٦)

وكذلك " الحضيرة " ، وقد فسرت بأنها الخمسة والأربعة (٧) ، أو بين الأربعة والعشرة (٨) يغزون ، وسيق لذلك قول الهذلي " أبي شهاب المازني " :

رجال حروب يسعرون وحلقة من الدار لا تأتي عليها الحضائر (٩)

ومن ذلك " شُرطة الحرب " ، وهي الكتيبة الأولى للجيش (١٠) ، وقد جاء هذا اللفظ في شعر أبي العيال الهذلي (١١) ، وفسروه بالشرط والعهد (١٢) ، وهذا هو التفسير القريب الذي يوحي به ظاهر اللفظ ، ولكن المعنى الأول أقرب إلى الجادة ، وهو الذي نجده في حديث ابن مسعود : " وتشرط شرطة للموت لا يرجعون الا غالبين " ، وقد فسر صاحب النهاية هذا اللفظ بقوله : " الشرطة أول طائفة من الجيش تشهد الوقعة (١٣) .

وبين الشرطة بهذا المعنى ، وبين معناها في عصرنا الحاضر علاقة قوية .

---

١) التبريزي : شرح القصائد العشر ص ٥٧ ، بلوغ الأرب من شرح معلقات العرب ص ٤٣ .
٢) ديوان الهذليين ١/١٥٦ . ٣) تاج العروس (وضع) . ٤) الجمهرة (وضع)
٥) اللسان (ضبر) . ٦) ديوان الهذليين ١/١٨٥ . والرواية فيه القتير المؤلب) .
الصحاح (ألب) . اللسان (ضبر ، ألب ، قتر) مقاييس اللغة (ضبر) . (٧) اصلاح المنطق ص ٣٩٢ . ٨) تاج العروس (حضر) ٩) المرجع السابق والصفحة السابقة
تاج العروس (حضر) . والرواية فيه (لا تمضي عليها الحضائر) . ١٠) الأساس (شرط) النهاية ٢/٢١٣ . ١١) ديوان الهذليين ٢/١٤٥ . ١٢) المرجع السابق والمادة السابقة . ١٣) النهاية ٢/٢١٣ . تاج العروس (شرط) .

وهذه الجماعات المحاربة اذا اجتمع منها جماعة للقتال قيل في اللغة المألوفة " تجمعوا " ولكنا نجد في الشعر الهذلي ـ في هذا المعنى ـ قنبوا ، وذلك في قول حذيفة بن أنس (١) ، (ونسبه صاحب الأساس خطأ لمساعدة بن جؤية) (٢) .

ألا هل لقيس والحوادث تعجب وأصحاب قيس يوم ساروا وقنبوا

أي تجمعوا وصاروا مقنبا (٣) ، والمقنب عندهم هو الجماعة من الثلاثين إلى الأربعين (٤) .

هذه هي الجماعات التي تجتمع للغارة والغزو ، أما اذا انفرد فرد بالسطو والسرقة ، ولم يندمج في جماعة محاربة ، فانه في لغة هذيل " سنمار " أي لص وإطلاق لفظ " السنمار " في هذا المعنى عند هذيل هو ـ فيما يبدو ـ تعبير مجازي ، إذ " السنمار " في الاصل هو الرجل الذي لا ينام بالليل ، فسمي اللص بهذا الاسم لقلة نومه " (٥) .

ويتصل بذكر هذه الجماعات المحاربة بعض ألفاظ الحرب أو الغزو ، إذ يقول اللغويون إن لفظ " انفروا " ـ الذي ورد كثيرا في القرآن الكريم ـ معناه " اغزوا " بلغة هذيل (٦) ، والمماصعة : المماشقة بالسيف ، ونجدها كثيرا في الشعر الهذلي (٧) ، ويتصل بذلك أيضا ماكانوا يستخدمونه من آلات هذه الحرب وأدواتها ، ومن ألفاظهم في ذلك استعمال " البز " بمعنى السلاح يلبسه المحارب وهذه اللفظة كثيرة الدوران في الشعر الهذلي (٨) بصورة تلفت النظر ، وتسترعي الانتباه ، ولعل لها صلة بلفظ (البزة) في معنى الهيئة واللباس بوجه عام .

ومن ذلك مايقال أيضا من أن الحزب " هو السلاح ، وقد نسبه الصغاني إلى هذيل وقال سموه تشبيها وسعة (٩) ، أي أن تسميته تلك انما هي تسمية مجازية مردها الى ما في الحزب والسلاح جميعا من معنى الاجتماع ، فالسلاح هنا طائفة مجتمعة ما بين سيف وقوس وسهم ورمح .

---

١) ديوان الهذليين ٢٣/٢ ، (٢) الأساس (قنب) ، (٣) ديوان الهذليين ٢٣/٣

(٤) تاج العروس (قنب) ، (٥) تاج العروس (سنمار) ، اللسان (سنمر) .

٦) رسالة لغات القبائل ص ١٧٨ ، (٧) ديوان الهذليين ١ / ٩٣ ، ٣٦ / ١٦

٨) المرجع السابق ١ / ٢٦ ، ٣ / ٧٧ ، ٧٨ ، معجم البلدان (حليت) ٣ / ٣٢٩ ، تاج العروس ، اللسان (فرط) ، المخصص ١٧ / ٢٢ ، شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١ / ٢٥٩ ، ٢٧٢ ، (٩) الصغاني ، تاج العروس (حزب) .

ومن هذا أيضا مايقال من أن هذيلا تسمي السيف " باللُّج " [١] ، وإذا صحت نسبة هذا إلى هذيل ، فهذه التسمية إنما هي في الغالب تسمية مجازية وقد أشار إلى ذلك بعض اللغويين ممن تعرضوا للحقيقة والمجاز في ألفاظ اللغة من أصحاب المعاجم [٢] .

وقولهم أن " النَّجيف " هو السهم العريض النصل ، وجمعه " نُجُف " ونجد هذا اللفظ في شعر أبي كبير [٣] .

وقولهم أيضا أن " الحليف " بمعنى النصل أو السهم الحاد مستدلين لذلك بشعر ساعدة بن العجلان الهذلي [٤] (وقد نسبه صاحبا اللسان والقاموس خطأ لساعدة بن جؤية [٥]) .

ويبدو أن هذا انما هو صفة للسهم لا اسم له ، إذ اللغويون كثيرا مايطلقون لفظ الحليف على الحاد سهما كان أو غيره [٦] .

ومن هذا القبيل من الألفاظ ما نراه من صنيع اللغويين إزاء قوله تعالى : " فاليوم ننجيك ببدنك " إذ يقولون إن البدن هنا هو الدرع بلغة هذيل [٧] وقد لا ترتاح النفس إلى هذا التكلف في التأويل ، ولكن إذا صحت نسبة هذا إلى هذيل كان إطلاق لفظ " البدن " على الدرع عندهم من قبيل المجاز .

ومن ذلك أيضا مايقال من أن " القِتْر " في لغتهم سهم صغير [٨] ، والجمع أُقتار ، أو هو جمع ، ومفرده " قترة " [٩] ، ومما جاء فيه هذا اللفظ من شعر هذيل قول أبي ذؤيب يصف النحل :ـ

إذا نهضت فيه تصعد نفرها   كقتر الغلاء مستدرا صيابها [١٠]

وكذلك يسمون " زَنمتي " السهم (يعنا حرفاه) فُوقتين [١١] .

ويقول اللغويون إن " رُبَد السيف " ـ وهي لمع مخالفة لسائر لونه تميل إلى السواد ـ هذلية [١٢] " ويقابلها الفرند " عند غيرهم . وقد جاءت هذه اللفظة في مثل قول صخر الغي :

وصارم أخلصت خشيبته   أبيض مهوفي متنه ربد [١٣]

والقتير " مسامير الدروع " أو هي الدروع نفسها عندهم على سبيل المجاز ، ونجد ذلك في شعر ساعدة بن جؤية [١٤] .

---

١) في اللهجات العربية ص ١٤٥ ، (٢) الزمخشري : الأساس (لجج) ، (٣) ديوان الهذليين ٩٩/٢ ، الصحاح (نجف) (٤) ديوان الهذليين ١٠٦/٣ ، تاج العروس (حلف) ، ٥) اللسان ، القاموس (حلف) ، (٦) الاساس ، القاموس (حلف) ، (٧) رسالة لغات القبائل ص ١٩٩ ، (٨) ديوان الهذليين ٧٦/١ ـ تاج العروس واللسان (قتر) ، (٩) ديوان الهذليين ٧٦/١ ، (١٠) ديوان الهذليين ٧٦/١ ـ تاج العروس (قتر) (١١) اللسان (فوق) ، ١٢) مقاييس اللغة (ربد) ، (١٣) المرجع السابق (الموضع نفسه) ، اللسان (مهاربد) ، ديوان الهذليين ٦٠/٢ ، شرح أشعار الهذليين (مخطوط الشنقيطي) ص ٥٠ ، (١٤) ديوان الهذليين ١٨٥/١ ، تاج العروس (قتر) ، وانظر ص ٣١٢ من هذا البحث .

تلك هي الجماعات المختلفة داخل القبيلة بعامة ، والجماعات المحاربة منها بخاصة ، وما يتصل بها من ألفاظ الحرب وأدواتها مما نسب لهذيل في هذا الشأن .

بعض الألفاظ التي تعبر عن روابط الأخوة ، وأواصر القربى

من هذه الألفاظ ما يقال — في محيط الصداقة والأخوة — من أن هذيلا تقول "وليجة الرجل" تعني بذلك حاشيته وبطانته[١] ، وما ينسب إليهم في محيط الأسرة من قولهم "حال الرجل" يقصدون "امرأته" ، وينسب الزبيدي رواية ذلك إلى ابن الأعرابي[٢] ، ويذكر الجمحي — وهو أحد رواة الشعر الهذلي — أنه سمعها كذلك من أعراب هذيل[٣] ، ونجد هذا اللفظ في الشعر الهذلي في مثل قول الأعلم :

إذا لذكرت حالك غير عصر ... وأفسد صنعها فيك الوجيف

ويفسرها السكري هذا التفسير ، ثم يصرح بأن هذيلا تسمي المرأة "الحال"[٤] .
ولكنا نجد لفظ "زوجة" عند الهذليين في شكوى رجل من هذيل إلى عمر أمير المؤمنين :

لَزَوْجَةُ سُوءٍ قَشَاشَرُهَا ... عَلَيَّ جِمَارًا فَهِيَ تَضْرِبُ[٥]

فإذا صحت قصة عمرو الهذلي كان معنى ذلك تطور هذا اللفظ عندهم أو تسربه إلى لغتهم من بعض قبائل وسط الجزيرة العربية التي كانت — فيما يقول اللغويون — تنطق هذا اللفظ هكذا "زوجة" بتاء التأنيث ، خلافا للنطق الشائع عند الحجازيين من حذفها[٦] .

ومن هذه الألفاظ ما يذكره بعض اللغويين من أن "الوزر" هو ولد الولد (أي الحفيد) بلغة هذيل[٧] ، وينسبون رواية ذلك أصلا إلى ابن عباس[٨] .

والواقع أنهم ينسبون إلى ابن عباس كثيرا من هذه الألفاظ التي لا ندري وجه الحق فيها ، وفي نسبتها إليه ، فهم إذا كانوا قد رووا عنه أن "الوزر" عند

---

(١) رسالة لغات القبائل ص١٧٦ . (٢) تاج العروس (حول) .
(٣) شرح أشعار الهذليين (مخطوط الشنقيطي) ص٦٩ . (٤) المرجع السابق ص٦٨ .
(٥) المرجع السابق (تحقيق فراج) ٢/ ٨٤٣ . (٦) المصباح (زوج) .
(٧) الاتقان ١/ ١٣٤ . رسالة لغات القبائل ٢/ ٢٧٥ . (٨) الإتقان ١/ ١٣٤ .

هذيل هو الحفيد ، فانهم ـ مع هذا ـ يروون أن رجلا من هذيل جاء ، فقال له ابن عباس " ما فعل فلان " ؟ فقال الهذلي " مات وترك كذا وكذا من الولد ، وثلاثة من الوراء ، يريد ولد الولد " (١).

فها قد رأينا عم يروون للحفيد اسمين مختلفين عند الهذليين، ناسبين رواية ذلك إلى ابن عباس نسبة ضمنية أحيانا ، صريحة أحيانا أخرى . ونجد كثيرا من امثال هذه الألفاظ تنسب روايتها إلى هذا العالم الثقة ، وأغلب الظن أنهم صنعوا هذا الصنيع لكي يوثقوا ما رووا من ألفاظ كثيرة نسبوها إلى اللهجات العربية المختلفة . هذا ، ومن المحتمل ان لفظ " الوراء " هنا صفة للأحفاد لأنهم يأتون وراء الأبناء أي بعدهم .

بعض أوصاف الإنسان :

من هذه الالفاظ ما يرويه بعض اللغويين من أن الهذليين يطلقون على الرجل الطويل : " السَّنَدَى " (٢) ، وبعضهم يحكيه : " السُّرُنْدَى " (٣) ولعله تحريف وقع في هذا اللفظ . وقيل إن الهذليين يطلقون لفظ " السندى " على الجرى " (٤).

وإذا كان هؤلاء اللغويون يذكرون ان " السندَى " ، السبنتى " في اللغة هو النمر (٥) ، ويفسرونه هذا التفسير في الشعر الهذلي (٦) ، استطعنا أن نرجح أن معناه عند هذيل هو المعنى الثاني ، وأن نلمح أن إطلاق لفظ " السندى " عندهم على الرجل الجرىء ربما كان ـ على الأقل في أول الأمر ـ من قبيل المجاز لما بين المدلولين من تشابه . ولو صح أن معنى هذا اللفظ عندهم هو الطويل كما يقول بذلك بعض اللغويين ، فلعل هذا الطول محمود يصحبه شيء من القوة والهيبة فيتصل معناه بمعنى الجرأة السابق ذكره ، خلافا لما نسب إلى الهذليين من ألفاظ أخرى في هذا المعنى ـ أي معنى الطول ـ أو ما يقاربه من معان كقولهم " هِجَفّ "

---

(١) ابن الأنباري : الأضداد ص٥٦ . (٢) اللسان (سند) . تاج العروس ، العباب الزاخر (سبد) . المخصص ١٦ / ٨ . (٣) تاج العروس (سندر) ، المخصص ١٦ / ٨ . (٤) اللسان (سند) . تاج العروس (سبد) .
(٥) الصحاح (سبت) . العباب الزاخر (سبد) . (٦) ديوان الهذليين ٢ / ٧٤ .

للرجل الطويل الضخم ، وذلك فى مقام الذم والاستهجان ، كما فى قول عمرو الهذلى :

فلا تتمنى وتمن جلفا   جراعمة هجفا كالجبال[1]

ومن ألوان الوصف بالطول أيضا قولهم "رجل مشبوح الذراعين" أى ذراعاه طويلة ممتدة ، "وخلجم" أى رجل طويل ، والجمع "خلاجيم" ، ونجد ذلك فى قول أبى ذويب :

" وذلك مشبوح الذراعين خلجم "[2]

وقوله :

إذا ما الخلاجيم العلاجيم نكلوا   وطال عليهم جميها وسمارها[3]

ولكنا نلمس هنا ما سبق أن أشرنا إليه من أن اللغويين يعملون أفكارهم فى الشعر فيخرجون منه بألفاظ تختلف دلالتها عندهم باختلاف فهمهم وادراكهم ، حسبما يحيط بها من ملابسات ، ويكتنفها من ظلال ، فمنهم من يقول بأن "الخلجم" : الطويل[4] ، ومنهم من يقول بأنه : الطويل المنجذب الخلق ، أو الجسيم العظيم[5] ، أو بأنه الرجل الجليد ، وكذلك "الخلاجيم" بأنها الشجعان ، "والعلاجيم" الطوال[6] ، وهذا كله من قبيل الاستنتاج كما ذكرنا .

ومن الأوصاف التى يصفون بها الرجل أحيانا أنهم يقولون للمتزين المعجب بالزينة واللباس "قينة"[7] ، وإطلاق هذا اللفظ على من هذه حاله لعله فى الأصل من قبيل المجاز تشبيها له بالجارية فى دلها وزينتها .

ويقولون : فلان يمشى الزاهرية أى يمشى متبخترا ، فالزاهرية : التبختر كما يفسرها صاحب اللسان متخذا شاهده على ذلك من شعر صخر الغى :

يفوح المسك منه حين يغدو   ويمشى الزاهرية غير حال[8]

ويروى اللغويون أن هذيلا تقول "الفَنَج" بالتحريك وتعنى به "الشيخ"[9] ولكنهم – أعنى اللغويين – جعلوا هذا اللفظ بالغين مرة[10]

---

(١) اللسان (هجف) . (٢) ديوان الهذليين ١/ ٣٠ . مقاييس اللغة (شبح) .
(٣) ديوان الهذليين ١/ ٣٢ . شرح أشعار الهذليين (مخطوط الشنقيطى) ص٧ . شرح ديوان أبى ذويب (الشنقيطى) ورقة ٦ . (٤) ديوان الهذليين ١/ ٣٠ .
(٥) القاموس (الخلجم) . (٦) شرح ديوان أبى ذويب (مخطوط شنقيطى) ورق ٦ .
(٧) كتاب العين ، اللسان (قين) . المخصص ٣/ ١٤٢ . (٨) اللسان (زهر) .
(٩) الصحاح (فنج) . (١٠) القاموس ، تاج العروس (فنج) ، اللسان (عنج) .

وبالعين مرة أُخرى(١) ، واختلفوا في مدلوله فجعلوه : "الشيخ" تارة (٢) ، "والرجل" تارة اخرى(٣) ، بل استبدلوا أحيانا لفظ "الشيخ" بلفظ "الغنج أو العنج" ، فقالوا بأن "الشنج" هو الشيخ في لغة هذيل(٤).

ولعل هذا الخلاف مرجعه إلى ما ذكرنا من اختلاف في فهم النصوص أحيانا ، والى التصحيف أو التحريف في بعض الألفاظ أحيانا أخرى .

وإذا كان اللغويون يقولون بأن "الثلب" من ذكور الإبل : الذى هرم وتكسرت أنيابه ، فإنهم يقولون بأن معنى هذا اللفظ هو "الشيخ" في لغة هذيل ، وإذا صح هذا الوصف كان من قبيل المجاز(٥) لوجود نوع من المشابهة بين المدلولين .

واذا كانوا يقولون بأن "التابّ" في اللغة "الكبير من الرجال ، والأنثى "تابّة" ، فانهم يقولون بأن "التابّ" هو الضعيف عند هذيل ، ولهذا المعنى صلة بالمعنى الاول ، فليس بالغريب في استعماله رغم ما يذكره اللغويون من أن هذه لغة هذلية نادرة(٦).

والمفهوم أن المقصود بالضعف هنا ـ على ما نرجح ـ هو الضعف الجسمي والصحي . أما الضعف النفسي والخلقي ، فنجد منه في الشعر الهذلي لفظ "السُّخَّل" في قول أبي كبير :

فلقد جمعت من الصحاب سرية   خُدبا لدات غير وَخْش سُخَّل(٧)

"فالوخش" : النذل من كل شيء ، "والسخل" الضعاف كما فسره السكري(٨) أو الضعفاء الأرذال كما يقول صاحب اللسان (٩).

وكذلك "اليَنْخاب" ، وهو ـ كما يقول اللغويون ـ الضعيف الذى لاخير فيه ، وجمعه "مناخيب" ، وهكذا نجده في بيت أبي خراش :

بعثته في سواد الليل يرقبنى   إذا آثر النوم والدفء المناخيب(١٠)

---

(١) القاموس واللسان (تشج) .(٢) القاموس، وتاج العروس، واللسان (شنج ، عنج ، غنج) . (٣) اللسان (غنج) . تاج العروس(شنج ، عنج) .
(٤) اللسان (شنج) . الجمهرة (ج ٥ن) .(٥) اللسان ، تاج العروس(ثلب).
(٦) تاج العروس(تبب) . (٧) شرح اشعار الهذليين(تحقيق فراج)٢/ ١٠٧١ . اللسان (سخل). (٨) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ٢/ ١٠٧١ .
(٩) اللسان (سخل) . (١٠) تاج العروس(نخب) .

ومنه يتضح أن الضعف هنا ـ كما أشرنا ـ ضعف نفسي أو خلقي أو هما معا ، فهو إلى الجبن والميل إلى الدعة ، وإيثار السلامة أقرب .

وقد روى اللغويون هذا اللفظ هكذا بالخاء ، ولكنهم يقولون بأنه لغة في الجيم ، وهذا معناه أنهم يعترفون فيه بلغة أخرى هي " المنجاب " والجمع " المناجيب " وبهذا جاءت رواية البيت في بعض كتب الأدب[١] ، ولكن الرواية في أصل ديوان الهذليين بالخاء ، وهي التي تركن النفس إليها ، ولولا اعتراف الكثيرين منهم بالرواية الأخرى لقلنا إنها تصحيف ، ومع هذا فيحتمل أن تكون تصحيفا اكتسب شهرة واستفاضة في كتب اللغة والادب فتناقلوه بعضهم من بعض ، ومع هذا ، لو صح ، فهو من الأضداد التي لا تخلو منها اللغة فأصل المناجيب لغة من النجابة ، وهنا معناه على عكس ذلك .

تلك أهم الألفاظ التي تتصل بما يتصف به الإنسان من أوصاف دائمة ، أو تتغير تغيرا بطيئا بتغير المراحل الطويلة في حياته . أما ما يعتريه من أوصاف عارضة كالأدواء والأمراض ، والجوع والشبع وما إليهما ، فمن ذلك لفظ " المستأخِذ " وهو الذي يجد الوجع في عظامه كلها كما يقول الشيباني[٢] ، أو المطاطئ الرأس من وجع أو غيره[٣] أو الذي به أُخُذ من الرمد كما هو في بعض المعاجم[٤] .

وشاهد اللغويين على هذا هو قول أبي ذؤيب :

يرمي الغيوب بعينيه ومطرفه ... مغض كما كسف المستأخِذ الرمد[٥]

ومن هذه الاوصاف " المستجال " ، وهو الذي أصابه فزع[٦] ، أو هو " المستخَف " كما فسره السكري في شرح أشعار الهذليين[٧] .

ومنها " المعصوب " بمعنى " الجائع[٨] ، أو الشديد الجوع[٩] ، والتعصيب هو التجويع عند بعض اللغويين تعقيبا على بيت ابي جندب :

لقد عصبت أهل العرج منهم ... بأهل صوائق إذ عصبوني[١٠]

---

(١) ديوان الهذليين (دار الكتب) ١/ ١٦ . رسالة الغفران ص١١٩ .
(٢) الجيم : المجلد الأول ورقة ٨ . (٣) تاج العروس، اللسان (أخذ) .
(٤) المرجعان السابقان (الموضع نفسه) . (٥) اللسان (أخذ ، كسف) . تاج العروس (أخذ ، غيب) . (٦) ديوان الهذليين ٢/ ١٧٩ . (٧) شرح أشعار الهذليين (مخطوط الشنقيطي) ص١٨٧ . (٨) الصحاح ، تاج العروس، الجمهرة (عصب) .
(٩) تاج العروس (عصب) . (١٠) معجم ما استعجم (صوائق) ٣/ ٨٤٥ .

وإن كان بعض اللغويين يعدل به عن هذا التفسير (١) ، والحق معه إذ أن معنى البيت بعيدا عن ذلك .

ولعل إطلاق لفظ " المعصوب " على الجائع هكذا عند هذيل قد اكتسب هذه الدلالة أول الأمر عن طريق المجاز ، إذ الجائع جوعا مفرطا يعصب بطنه ويشد وسطه من شدة الجوع ، فبين المعنيين إذن رابطة قوية .

أما الجوع نفسه فهو " الجوس " عندهم (٢) ، وقد روى فيه بعض أصحاب المعاجم لفظ " الجود " بالدال أيضا ، وقد استشهد له بقول أبي خراش في رثاء بعض قومه :

تكاد يداه تسلمان إزاره ... من الجود لما استقبلته الشمائل (٣)

وواضح من سياق البيت أن " الجود " هنا هو الكرم ، ولا معنى لتفسيره بالجوع في البيت أصلا ، وقد أدرك ابن دريد ما في هذا الكلام من تهافت فعبر عنه بلفظ الزعم الذي يشير إلى تضعيفه حين يقول " وزعموا أن الجود : الجوع وهذا لا أعرفه ... وهذا كلام مرغوب عنه " (٤) .

وإذا كانوا قد نسبوا " الجوس " بمعنى الجوع إلى هذيل ، فإنهم قد نسبوا إليها " المسغبة " بمعنى المجاعة أيضا (٥) ، والعَيْلة بمعنى الفاقة (٦) كذلك .

أما أسماء الأدواء ، فمنها " المهكّع " بمعنى السعال في لغة هذيل (٧) .

ولعله دخل ميدان الدلالة عند هذيل من باب المجاز ، لأن السعال يصحبه غالبا نوع من الإطراق ، فله صلة بالمعنى العام " للمهكع " في اللغة ، وهو الإطراق في حزن أو غضب (٨) .

ومن هذا القبيل ما يرويه بعض اللغويين من أن لفظ " السوء " معناه " الجنون " عند هذيل ، فبعض الآيات التي جاء فيها هذا اللفظ في القرآن ، كقوله تعالى : " وما مسنى السوء " (٩) ، " إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء " (١٠) ، يفسرونها بهذا التفسير ناسبين ذلك إلى هذيل (١١)

---

(١) ديوان الهذليين ٣ / ٩٠ ؛ (٢) تاج العروس ، القاموس (جوس) . (٣) تاج العروس (جيد) . (٤) الجمهرة (ج و د) . (٥) رسالة لغات القبائل ٢ / ٢٩٦ . اللغات في القرآن ص ٥٤ . الاتقان ١ / ١٣٤ ، (٦) الاتقان ١ / ١٣٤ . رسالة لغات القبائل ١ / ١٧٧ . اللغات في القرآن ص ٢٩ . (٧) الجمهرة (ع ك ه) . تاج العروس (فكع) . (٨) الجمهرة (ع ك ه) . تاج العروس (نكع) . (٩) سورة الأعراف ٧ آية ١٨٨ . (١٠) سورة هود ١١ آية ٥٤ . (١١) اللغات في القرآن ص ٢٨ . رسالة لغات القبائل ص ١٦٣ . الاتقان ١ / ١٣٤ .

وإذا صح هذا عن هذيل ، كان خروجا بها اللفظ من معنى عام إلى معنى خاص أي من قبيل تضييق المعنى ، وهو أحد مظاهر التغير في الدلالات ، كما أدركه المحدثون من علماء اللغة [١] .

وأما أسماء أجزاء الجسم وأوصافه ، فقد ذكروا منها عند هذيل " الكهرهساء " وهي نقرة القفا ، ويقال إنها الوجه والرأس بأسره [٢] ويشيرا بن دريد إلى أن هذا من قول الاصمعي ، ولكنه ــ أي ابن دريد ــ لم يسمعه في الشعر الهذلي ، والواقع أن هذا اللفظ لا يوجد حقا فيما بين أيدينا من شعر الهذليين ، فلعل الأصمعي سمعه من هذيل في البادية فرواه عنهم .

ومما نسب إليهم من ذلك لفظ " العِضْرِط " وهو ما تسميه المعاجم اللغوية " العِجان " فيروى ابن عباد أنه لغة هذيل [٣] ، ويشير صاحب الصحاح إلى رواية هذا عن أبي عبيد [٤] .

ولعل من ذلك أيضا " المُذَمَّر " بمعنى " القفا " وقد جاء في حديث ابن مسعود " .. فوضعت رجلي على مذمره " يعني أبا جهل [٥] .

ومما نسب إليهم كذلك قولهم : " شمركَتْن " أي شمط ، وذلك إذا طال اغفال الجُمّة من الشعر بالتعهد [٦] .

بعض أصوات الإنسان وغيره :

من الألفاظ التي نجدها في ذلك لفظ " الحس " " بمعنى الصوت " الذي استعمله الهذليون كثيرا في شعرهم ، وقد جاء ذكر هذا اللفظ في المعاجم بمعنى الحركة ، وبمعنى الصوت الخفي [٧] أو لمطلق معنى الصوت [٨] ولكنهم ربطوا أحيانا بينه وبين الحركة المحسوسة ، فجعلوه صوتا للشيء في حركته فحسب [٩] ولعلهم قد قالوا ذلك بإيحاء من النصوص الشعرية التي استقوا منها هذا المعنى والتي اتخذوا منها شواهدهم على وجود هذا اللفظ ، وهي في أغلب أمرها من الشعر الهذلي ، كقول أبي ذؤيب :

فشربن ثم سمعن حسا دونه ... شرف الحجاب وريب قرع يقرع [١٠]

---

(١) د . مراد كامل : دلالة الألفاظ العربية ص ٢٥ . (٢) المخصص ١٦ / ٤١ . الجمهرة (ركه) . اللسان (كره) . (٣) المحيط (عضرط) . تاج العروس (عضرط) . (٤) الصحاح (عجن) . (٥) الفائق ١ / ٤٣٩ . الجمهرة (ذ ر م) . (٦) المحيط تكل ورقة ٩٨ . (٧) القاموس (الحس) . الصحاح (حسس) . (٨) القاموس (الحس) . ديوان الهذليين ٢ / ٤١ .
(٩) تاج العروس (حس ، ثم) . اللسان (حسس) . (١٠) ديوان الهذليين ١ / ٧ . المفضليات ص ٧٦٥ . تاج العروس (ثم) .

أى أن هذه الحمر بعد أن شربت سمعت " حس " الصائد ، أى صوت حركتـــــه .

وقول عبد مناف بن ربع الهذلى :

ولقسى أزاميل وغمغمة   حس الجنوب تسوق الماء والبردا (١)

فالحس هنا صوت حركة الريح فى مسارها وهبوبها .

ومهما يكن من أمر تقييد مدلول هذا اللفظ أو إطلاقه ، فإن الشعر الذى استقــوا منه شواهدهم بشأنه هو - فى أغلبه إن لم يكن كله - من الشعر الهذلى . ولهــذا لا ندرى إلى أى حد كان هذا اللفظ مستعملا فى بعض اللهجات العربية الأخــرى لأن اللغويين لم يضيفوه إلى من عساهم أن يكونوا قد نطقوا به من بين العرب ، ولـم يستخدموا من الشواهد الأخرى - غير الشعر الهذلى - ما يلقى الضوء على ذلـــك . ولكن انتشار هذا اللفظ فى لهجتنا العربية الحديثة - فى كافة أنحاء الإقليم المصــرى تقريبًا - يشير إلى أنه كان شائعا ، أو موجودا فى أكثر من قبيلة من القبائل العربية الـتى نزلت مصر إبان الفتح الإسلامى أو بعده ، غير أنه إذا صح ما قاله اللغويون من تقييـد دلالته بالأصوات المنبعثة عن الحركات فحسب ، فإننا نكون قد توسعنا فى معناه الآن فاستعملناه لمطلق معنى الصـــوت .

وإذا كان الهذليون فى شعرهم قد استخدموا لفظ " الحس " فى معنى " الصوت " على تقييده أو إطلاقه ، فانهم قد استخدموا للصوت لفظ " خشف " ولكنه ، فيما جـــاء فيه من شعرهم ، مقصور على صوت الريح حين تحتك بيابس الشجر ، كما فى قول أبى كبـير عن السهام :

فإذا تسل تخلخلت أرياشهـــا   خشف الجنوب بيابس من إسحـــل (٢)

فهو أقرب إلى الحفيف (حفيف الريح والشجر) ، فدلالته هذا اللفظ - على ذلك - أخص من دلالة اللفظ السابق .

ومن الألفاظ التى تدل على الأصوات لفظ " النَّبْج " ، ويقول فيه بعض اللغويين " إنه ضجة الحى " (٣) ، وبعضهم يستوحى هذا اللفظ القريب من " النباح " فيقول إنــــه " ضجة الحى وأصوات كلابهم " (٤) ، وهذان المدلولان هما - فى الحق - شئ واحـــد وقد استشهد اللغويون على اللفظ فى مدلوله هذا بشعر أبى ذؤيب (٥) .

---

(١) ديوان الهذليين ٢ / ٤١ ، تاج العروس (حس) ، اللسان (حسس) .

(٢) ديوان الهذليين ٢ / ٩٩ ، الجمهرة (خ ش ف) والرواية فيها (تخشخشت أرياشها) .

(٣) تاج العروس (نبج) . (٤) الصحاح (نبج) ، تاج العروس (نبج ، نجج) .

(٥) المرجعان السابقان (المواضع نفسها) ، ديوان الهذليين ١ / ٧٠ ، المحكم ٣ ورقة ٥٧ .

ومما جاء في شعرهم كثيرا لفظ " الوغى " ، وقد فسره اللغويون بمعنى الجلبة والأصوات ، ومنه قيل للحرب " وغى "[1] ، وقد عد صاحب الأساس " وغى الحرب " الأصل في هذا اللفظ[2] ، ولكن اللغويين – وقد اتخذوا شاهدهم من الشعر الهذلي – اختلفوا في رواية هذا اللفظ بين " وغى " بالغين[3] ، و " وعى " بالعين[4] ، " ولغا " باللام[5] ، وقد نجد هذه الروايات جميعها في المرجع الواحد من مراجع اللغة[6] ، ولا يعقل أن تجتمع هذه الروايات المختلفة – إذا صحت كلها – في بيت واحد لشاعر واحد من قبيلة واحدة إلا إذا كانت صدى للهجات العربية المختلفة التي يتأثر بها الرواة أحيانا ، ولعل أقدمها لفظ " لغا " باللام ، ذلك اللفظ الذي يحتمل أن يكون أصلا قديما للفظ " لغة " إذ اللغة أصوات ، ولعله أيضا أصل لكلمة " لغو " أو " لغا " بمعنى الكلام الساقط الذي لا يعتد به[7] ، أما " وغى " بالواو والغين فلعله أحدثها جميعا إذ هو اللفظ الذي كتب له السيرورة والبقاء إلى يومنا هذا ، يستعمله الناطقون باللغة من أدباء وغيرهم في معنى الحرب – كما أشرنا – لما فيه من جلبة المحاربين وأصوات ما لديهم من آلات القتال .

ومن الألفاظ الدالة على الصوت ، والتي صرح اللغويون بأنها من لغة هذيل لفظ " الطغْى " بسكون الغين[8] ، وقد روى في القاموس خطأ بفتحها[9] ، ولعل هذا اللفظ كان مستعملا عندهم للصوت الشديد الذي يطغى على غيره كما يدل عليه أصل هذه المادة من مجاوزة للحد وطغيان .

ويما كان مثل " الطغى " في شدته وطغيانه لفظ " النَّهِيت " غير أن الأخير صوت مخيف يثير الرعب كالزئير[10] ، ويبدو أن اللغويين قد استقوا دلالة هذا اللفظ غالبا من الشعر الهذلي في مناسبة أثارت الفزع في نفس شاعر هذلي انخلع قلبه من هول ما لقيه من المسلمين يوم الفتح[11] .

ومما يدخل في باب الاصوات قولهم : كلام " نسيف " أي خفى ، ناسبين ذلك للغة الهذلية ، محتجين بشعر أبي ذؤيب[12] .

---

(١) الصحاح ، المصباح "(وغى)" . (٢) الأساس (وغى) (٣) الصحاح (خمش) ، اللسان (زيط ، وغى) . (٤) المحكم ، اللسان (وعى) . (٥) اللسان ، تاج العروس (لغط)
(٦) اللسان (لغط) ، (وعى ، وغى) . (٧) القاموس (اللغة) . (٨) تاج العروس (طغى) . (٩) القاموس (طغى) . (١٠) القاموس ، تاج العروس (نهت) ، الروض الأنف ٢ / ٢٧٢ (١١) انظر سيرة بن هشام (هامش الروض الأنف) ٢/ ٢٧٢ ، الجمهرة (نته) .
(١٢) اللسان (نسف) ، ديوان الهذليين ١ / ١٠٢ .

ومن المعروف أن " الضُّباح " في اللغة هو صوت الثعلب غالبا ولكنا نجده أحيانا صوتا للذئب في شيء من الشعر الهذلي كقول مليح :

وقد صرع القوم الكرى بعدما مضى هزيع وسرحان المفازة يضبح (١)

الكثرة والقلة والزيادة والنقص : ـ

من ذلك قول اللغويين إن " التكريم " التكثير في لغة هذيل ، وشاهد ذلك ما ساقوه من قول الهذلي :

" وكرم ماء صريحا " (٢) ، ومن اللغويين من يقول " كرم السحاب تكريما جاد بمطره " (٣) ، فيشير إلى التكثير الذي ذكره غيره ، ولكن لا بلفظه بل بمعناه

ومن الألفاظ الدالة على الكثرة عندهم لفظ " أَمِر " بمعنى كثر ، وحديث ابن مسعود صريح في أن هذه كانت لغتهم في الجاهلية " كنا نقول في الجاهلية قد أمر بنو فلان أي كثروا " (٤) ومن ذلك قولهم " مال جِبْل ، حي جِبْل " أي كثير (٥) . ويسعفهم في الاستدلال لهذا قول أبي ذؤيب : ـ

منايا يقربن الحتوف لأهلها جهارا ويستمتعن بالأنس الجبل (٦)

ومما اعتبروه في معنى الكثرة لفظ "طاح " ، إذ قالوا " الطاحي الكثير " ، وأعقبوا ذلك بقول أبي ذؤيب :

" له عسكر طاحي الضفاف عرمرم " (٧) " ومثله قول صخر الغي :

وخفض عليك القول واعلم بأنني من الأنس الطاحي عليك العرمرم (٨)

ولكن تفسير هذا اللفظ " بالكثير " لا يعني أن كلا من اللفظين مقابل للآخر تمام المقابلة من وجهة النظر اللغوية الخالصة ، بل هو تفسير اجتهادي أملاه السياق ، ولهذا نجد لفظ " الطاحي " في المعاجم اللغوية ذا معان كثيرة تدور في معظمها حول معنى السعة والانبساط (٩) ، والانتشار (١٠) ، ولكنها جميعها تفيد معنى الكثرة في كل حال ، وأغلب شواهد اللغويين بشأنها هي ـ كما نرى ـ من الشعر الهذلي .

ومن هذه الالفاظ : " الكَوْثر " الذي رووا أنه الكثير من كل شيء على التعميم ، ثم خصصوه عند هذيل بالكثير الملتف من الغبار إذا سطع وكثر ، وساقوا على ذلك شاهدا من شعر هذيل (١١) .

---

(١) الجمهرة (ضبح) . (٢) اللسان (كرم) . (٣) الأساس (كرم) (٤) النهاية ١/٥٤ . اللسان (أمر) . (٥) الصحاح (جبل) . (٦) المرجع السابق والمادة المطابقة . ديوان الهذليين ١/٣٨ . (٧) كتاب الجيم ص ١٥٥ . (٨) اللسان (طحا) . ديوان الهذليين ٢/٢٢٥ (والرواية فيه الطاحي الجميع العرمرم) . (٩) ديوان الهذليين ٢/٢٢٥ . الأساس (طحو) . اللسان (طحا) . (١٠) شرح أشعار الهذليين (الشنقيطي) ص ٩١ . (١١) اللسان (كثر) . ديوان الهذليين ٢/٨١ .

ومن الألفاظ الدالة على الكثرة " ضَحضاح " أى كثير ، وهذا اللفظ ـ فى أصل معناه ـ هو الماء الرقيق [١] أو القليل [٢] ، ولكن أغلب اللغويين رووا أنه الكثير فى لغة هذيل ، ومنهم من اكتفى بنسبة هذا إليهم [٣] ، ومنهم من قصره عليهم دون غيرهم من العرب [٤] ، وكلام اللغويين فى مجموعه يدور حول بيت أبى ذؤيب :

يجش رعدا كهدر الفحل يتبعه   أدم تعطف حول الفحل ضحضاح [٥]

وكلام اللغويين فى هذا مرده إلى ما يروونه عن خالد بن كلثوم ـ أحد القدامى من علماء اللغة ورواة الشعر الهذلى ـ من أن " الضحضاح " فى لغة هذيل الكثير [٦] ، ولكن الأصمعى ـ وهو الآخر من كبار اللغويين ورواة الشعر الهذلى واللغة الهذلية ـ يرد معنى " ضحضاح " فى البيت إلى المعنى العام فى اللغة وهو القلة ، فيقول بأن معناه ها هنا " جماعة إبل قليلة " [٧] ، وإذا كان الأصمعى قد ذهب فى هذا إلى ما فهمه من سياق البيت ، فالحق أن معناه ربما كان إلى الكثرة أقرب ، فالشاعر يتحدث فى القصيدة عن البرق الذى بات يرقبه فى أعراض الشام ونواحيه ، وهو يستثير رعدا يهدر كالفحل تتبعه الإبل فهو قد شبه هذا البرق ، وذلك الرعد ، وقطع السحاب المتكاثف من حوله بالفحل الرغى تجتمع حوله الإبل ، هذا وقد روى عن الأصمعى ـ مع ذلك ـ " غنم ضحضاح " وإبل ضحضاح كثيرة " [٨] ، وذلك يؤكد القول بأن الضحضاح عند هذيل الكثير ، وهذا المعنى مضاد عندهم لما تعارف عليهم غيرهم أى أن العلاقة هنا بين دلالة هذا اللفظ عند هذيل ، ودلالته عند غيرها قائمة على التضاد .

ومن التعابير التى تدل على الكثرة قولهم " تمر مُجَنَّب ، " وطعام مُجَنَّب " أى كثير [٩] وقولهم : أتانى حساب من الناس أى جماعة كثيرة [١٠] .

ومن الألفاظ التى تقارب معنى الكثرة عندهم " لفظ مدرار " أى متتابع إذ يقول بعضهم فى تفسير هذا اللفظ فى قوله تعالى " وأرسلنا السماء عليهم مدرارا " [١١] ، ويرسل السماء عليكم مدرارا " [١٢] يعنى " متتابعا " بلغة هذيل [١٣] .

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ٤٨ ، الجمهرة (غ ن ى) ، (٢) المخصص ٩ / ١٣١ ، شرح ديوان أبى ذؤيب (الشنقيطى) ورقة ١٠٩ ، (تيمور) ص ١٥٦ ، (٣) الجمهرة (غ ل ى) ، المحكم (ضحح) ، القاموس (ضحضح) ، المخصص ٩ / ١٣١ ، شرح ديوان أبى ذؤيب (الشنقيطى) ورقة ١٠٩ (تيمور) ص ٥٦ ، (٤) تاج العروس اللسان (ضحضح) ، (٥) ديوان الهذليين ١ / ٤٨ ، شرح ديوان أبى ذؤيب (الشنقيطى) ١٠٩ (تيمور) ص ٥٥ ، (٦) تاج العروس ، اللسان (ضحضح) (٧) ديوان الهذليين ١ / ٤٨ ، المحكم (ضحح) ، (٨) تاج العروس (ضحضح) ، (٩) كتاب الجيم ص ٣٠ (١٠) اللسان ، تاج العروس (حسب) (١١) سورة الأنعام ٦ آية ٦ ، (١٢) سورة هود ١١ آية ٥٢ ، سورة نوح ٧١ آية ١١ ، (١٣) رسالة لغات القبائل ص ١٢٦ ، اللغات فى القرآن ص ٢٦ ،

ومن الألفاظ المعبرة عن القلة قولهم ("الثَّميلة" للماء القليل كالذي يبقى في وسط الغدير [١] .

أما الألفاظ الدالة على النقص ، فلعل منها قولهم "هضمه حقه" أي نقصه ذلك الحق ، فإن من اللغويين من يقول في الآية الكريمة "فلا يخاف ظلما ولا هضما" [٢] يعني نقصا بلغة هذيل [٣] .

ولعل من ذلك أيضا لفظ "الوكس" بمعنى البخس في الثمن أوما يشبهه ذلك اللفظ الذي لا يزال معروفا في لغتنا الجديدة في هذا المعنى ، وهو عرفي فصيح ذكرته المعاجم غير منسوب لقائليه ، ولكنا نجده في قول ابن مسعود : "لها مهر مثلها لاوكس ولا شطط" أي لا نقصان ولا زيادة [٤] .

التضـــاد

هناك من التغيير في معاني الكلمات ما لا يقوم على تضييق المعنى أو توسيعه ، أو مجرد انتقال المعنى انتقالا ما ، بل يحدث أحيانا أن يكون هذا الانتقال قائما على التضاد بين المعنيين ، ذلك التضاد الذي كان عاملا من عوامل وجود ما يسمونه "المشترك اللفظي" في اللغة ، وهذا التضاد الذي هو لون هام من ألوان العلاقة بين المعاني ، نجد منه عند الهذليين ما سبقت الإشارة إليه في الكثرة والقلة من أن لفظ "ضحضاح" عند هذيل في معنى "كثير" عكس ما هو معروف في مألوف اللغة .

ومن ذلك أيضا "القَنوة" ، وهي في اللغة في معنى القهر والغلبة ، ولكنها قد تكون في معنى الطاعة في لغة هذيل [٥] أو في لغة خزاعة وهذيل [٦] ، وقد استشهد اللغويون لصحة هذا بقول أبي صخر :

فما أسلموها قنوة عن مودة ولكن بحد المشرفي استقالها [٧]

وإنا كنا قد ألفنا في اللغة قولهم "لا يألو فلان جهدا .." أي لا يقصر فإنا نفهم أن الاجتهاد أو عدم التقصير يتطلب شيئا من القدرة على تنفيذ الشيء وتحقيقه ، ولكنا نجد ما يشبه أن يكون عكسا لهذا عند هذيل إذ نجد من اللغويين من يفسرون هذا اللفظ بعدم القدرة والاستطاعة في لغتها [٨] ، ويضربون لذلك مثلا هو قول بدر بن عمار الهذلي :

جَهراءُ لا تألو إذا هي أظهرت بَصَراً ولا هي من عيلةٍ تغنيني [٩]

---

(١) كتاب الجيم ص ٢٢ (٢) سورة طه ٢٠ آية ١١٢ . (٣) رسالة لغات القبائل ص ٣٠ . اللغات في القرآن ص ٣٧ . (٤) اللسان (شطط، وكس) . (٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٦ . (٦) سمط اللآلي ١/ ٦٢ . معجم البلدان (مشرف) ٨/ ٦٢ . (٧) السمط ١/ ٦٢ . (٨) كتاب الجيم ٣/ ٢٥٨ . الجمهرة (ألو ١/ ١٨٨) . (٩) اللسان (جهر) . مقاييس اللغة (ألوى) . وانظر ديوان الهذليين ٢/ ٢٦٣ .

ومن هذه الألفاظ ما ذكروا من أن لفظ "اشترى" في قوله تعالى "بئسما اشتروا به أنفسهم"(١) معناه باعوا بلغة هذيل(٢)، وقد وقع هذا اللفظ في بعض المراجع "شروا" بهذا المعنى نفسه(٣)، وقولهم "واقصد في مشيك"(٤) أي أسرع بهذه اللغة أيضا(٥). هكذا يقول أبو عبيد، ولا أدري لماذا اتجه إلى هذا التأويل ونسبه إلى هذيل، مع أن "القصد" بمعنى الاعتدال هو الذي يوائم المعنى، وما تضمنه من حكمة لقمان وعظته. وعهدنا باللغويين أنهم لا يلجئون في كثير من الأمر إلى لغات العرب ولهجاتها إلا إذا أعوزهم تفسير لفظ غريب عليهم أو توجيه معنى لا يستقيم لهم في مألوف اللغة. ولكن لعل هذا اللفظ الذي روي عن هذيل معناه عندهم "أقصد" إلى غايتك سريعا، وليس معناه اقتصد في الأمر، وتوسط فيه، وعلى هذا تكون الدلالة هنا غير قائمة على التضاد أو ما يقاربه، بل على انتقال باللفظ - فيما أحسب - من معنى إلى معنى آخر، وقد تكون بينهما صلة أخرى، لكنها غير هذه الصلة.

وإذا كان الرجاء في اللغة فيه أمل واطمئنان، فإنه عند هذيل على عكس ذلك، إذ هو عندهم في معنى الخوف والخشية والمبالاة، وعلى هذا ذكروا أن قول الله تعالى "قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله"(٦) معناه لا يخافون بلغة هذيل(٧)، وقوله سبحانه "فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا"(٨) أي يخاف بهذه اللغة أيضا(٩)، وقوله تعالى "لا يرجون نشورا"(١٠) لا يخافون(١١)، وقوله عز شأنه "ما لكم لا ترجون لله وقارا"(١٢) أي لا تخافون لله عظمة(١٣).

ويسوق أبو حيان أن أبا عبيدة والفراء وغيرهما يقولون بذلك(١٤). ونحن نجد مصداق هذا في الشعر الهذلي في قول أبي ذؤيب:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها … وخالفها في بيت نوب عوامل(١٥)

---

(١) سورة البقرة آية ٩٠ .(٢) رسالة لغات القبائل ص ١٥ .(٣) الإتقان ١/ ١٣٤ .
(٤) سورة لقمان ٣١ آية ١٩ .(٥) رسالة لغات القبائل ص١١٤ .(٦) سورة الجاثية ٤٥ آية ١٤ . (٧) اللغات في القرآن ص ٤٤ . رسالة لغات القبائل ص٢/ ١٩٢
(٨) سورة الكهف ١٨ آية ١١٠ . (٩) رسالة لغات القبائل (هامش الجلالين)٢/ ١٥ . اللغات في القرآن ص١١٠ . (١٠) سورة الفرقان ٢٥ آية ٤٠ . (١١) البحر المحيط ٦/ ٤٩١ . البيضاوي ٣/ ٢٤٨ . (١٢) سورة نوح ٧١ آية ١٣ .
(١٣) ابن السكيت : الأضداد ص١٧٩ - البحر المحيط ٨/ ٣٤١ .
(١٤) البحر المحيط ٦/ ٤٩١ . (١٥) ديوان الهذليين ١/ ١٤٣ .(والرواية فيه الدبر بدل النحل، عواسل بدل عوامل) . شرح ديوان أبي ذؤيب (الشنقيطي) ورقة ٩٥ ، الأساس(ن و ب) . المفضليات ص٢٦٧ (والرواية فيها ثوب وعواسل). ابن السكيت : الأضداد ص١٧٩ . الأصمعي : الأضداد والرواية فيه

أي لم يخف ولم يبال .

وبعض اللغويين جعل هذا لغة لهذيل وحدها (١) ، وبعضهم جعله لغة تهامية ، ومنهم من يضيف إلى هذا أنها لغة هذيل أيضا (٢) ، أي أنه قد يعمم بعض التعميم فيجعلها لقبائل تهامة ، ثم يخص من بينها هذيلا ، وإن كان ظاهر عبارته يوحي بأن هذيلا شيء آخر غير قبائل تهامة ، وفي هذا ما فيه من خطأ . وقد يقال بأنها لغة هذيل وخزاعة ومضر ، وينقل أبو حيان قول قطرب بأن هذه لغة الحجاز ، وأن هذيلا وخزاعة ومضر يقولون لم أرج ولم أبال (٣) ، وقد يكون معقولا أن تكون هذه لغة هذيل وخزاعة ، فهما قبيلتان بدويتان حجازيتان . أما ذكر " مضر " جميعها ففيه تساهل لا يخفى ، إذ أن هذا التعميم يدخل تحته جميع القبائل الحجازية ، ومن بينها قريش والقبائل القيسية والتميمية ، وغيرها من عرب الشمال جميعا إلا " ربيعة " وحدها وفي هذا خطأ واضح ويؤكد ذلك أن من المراجع ما يذكر أنها لغة لكنانة وخزاعة ونصر (٤) ، ونصر هذه قبيلة صغيرة من القبائل القيسية المجاورة لهذيل ولها معها صلة في الحرب والسلم ، فمن المعقول أن تشارك هذيلا في هذه اللغة ، أما غير المعقول فهو أن يعم ذلك مضر كلها ، وقاتل الله التحريف فانه يقلب المعاني ويغير حقائق الاشياء ، وهناك تصحيف جعل "نصرا" هذه نضرا في مرجع آخر (٥) ولكنه سهل يسير يمكن تداركه من قريب .

هذا ويذكر بعض اللغويين أن الرجاء يكون عند هذيل هو الخوف في حال النفي فحسب (٦) ، ولعل الذي حدا بهم إلى ذلك أن معظم ما جاء فيه هذا من أساليب قرآنية أو شعرية إنما هي أساليب منفية ، ولكن قد مر بنا بعض الاساليب الموجبة أساليب غير منفية ، ومع هذا أولها اللغويون هذا التأويل ، أي جعلوا الرجاء فيها بمعنى الخوف ونسبوا ذلك أيضا إلى هذيل .

ومن هذا القبيل من الألفاظ ما روى من أن " السانح " للتيمن ، "والبارح" للتشاؤم عند كثير من العرب ، وأن منهم من يعكس هذا ، فالبارح عندهم لليمن والسانح للشؤم خلاف ما هو معروف ، وهذه الظاهرة الأخيرة ينسبونها لهذيل ، فهي تجعل (البارح) لليمن ، (والسانح أو السنيح) للشؤم خلافا لما هو مألوف عند غيرهم من العرب كما أشرنا . (٧)

ويقول بعض اللغويين إن هذه الظاهرة مذهب أهل الحجاز ، وأهل نجد على خلاف ذلك ، فهو ينسبها للحجازيين عموما مستدلا لذلك بما قال أبو ذؤيب في التشاؤم بالسانح وهو حجازي

زجرت لها طيرَ الشمال فإن تكن ... هواك الذي تهوى يصبك اجتنابها (٨)

(١) الاغاني ٩/ ١٣٤ (٢) تفسير جزء تبارك ص٩٥ (٣) البحر المحيط ٨/ ٣٤١
(٤) السجستاني الأضداد (٥) ابن الأنباري الأضداد ص١٥ (٦) البحر المحيط ٦/ ٤٩١
(٧) شرح ديوان أبي ذؤيب " تيمور ص١٨٧ . (٨) ديوان الهذليين ١/ ٧٥ والرواية فيه السنيح بدل الشمال .

ومع هذا فالبيت غير واضح الدلالة في هذا الشأن ، وربما كانت روايته في ديوان الهذليين بلفظ " السنيح " بدل " الشمال " أوضح في الاستدلال .

ونحن لانستبعد أن تكون هذه الظاهرة عند غير هذيل من الحجازيين (أو من سواهم) ، ولكن الشواهد التي ساقوها لذلك هي نصوص هذلية كما سبق من قول ابن ذؤيب ، وكما نرى من قوله أيضا :

أربت لإربته فانطلقت أُزجي لحب اللقاء السنيحا [1]

ورغم أن كثيرا من اللغويين من شراح الشعر الهذلي أو غيرهم يوجهون هذه الشواهد توجيها يؤكد ماذهبوا إليه ، فإنها مع هذا ـ ليست دليلا قاطعا على ذلك ، فلعلهم قد علموا من طريق الرواية والمشافهة أن هذه لغة هذلية فحملهم هذا على تخريج الأبيات تخريجا يتفق وما عرفوه من لغة هذيل . أما إذا كان اعتمادهم على هذه الشواهد وحدها في نسبة هذا إلى هذيل فإن الاستدلال بها غير قاطع في الموضوع .

ومن ذلك أيضا "القَنوع" أي الهبوط عند هذيل ، بينما هو عند غيرها الصعود[2]

ومن الألفاظ الأُخرى التي يمكن أن تكون من هذا القبيل النمل " مَثَل " فإنا نجده في اللغة بمعنى القائم الماثل [3] ، كما في قولهم " مَثَل بين يديه " أى أن معناه وجود الشخص ماثلا في مكان معين ، ولكنا نجده في الشعر الهذلي بمعنى " ذهب " ، والمثول "الذهاب" كما في قول أبي خراش :

يقربه النهض النجيح لما يرى ومنه بدو مرة ومثول [4]

أى يبدو مرة فيتبين ، ويمثل أحيانا فيغيب ، فالبدو هو الظهور والمثول: الذهاب والاختفاء .

بعض الألفاظ التي تعبر عن معنى الظرفية :

يذكر النحاة واللغويون منها لفظ " متى" وقد ذكرنا أنهم اختلفوا في معناها ، فمنهم من جعلها حرف جر ، ومنهم من قال بأنها بمعنى " وسط الشئ " ، وقد ضرب أولئك وهؤلاء لذلك بعض أمثلة يبدو فيها التكلف ، ونسبوها إلى هذيل ، مثل قولهم : " أخرجته متى كمي " واختلفوا في تفسيرها ، كاختلافهم في

(١) شرح ديوان أبي ذؤيب (الشنقيطي) ورقة ١٢٨ ، (تيمور) صفحة ١٨٧ . ديوان الهذليين ١ / ١٣٦ والرواية فيه (أزجي لحب الإياب السنيحا) .

(٢) تاج العروس (قنع) .

(٣) القاموس ، الأساس (مثل) .

(٤) ديوان الهذليين ٢ / ١٢٣ . ابن السكيت : الأضداد ص ١٨٦ .

تفسير بعض الابيات الهذلية التي تحمل هذا اللفظ اختلافا أدى إلى الاضطراب الذي أوقعهم فيه اختلافهم في فهم النص كما سبق أن أشرنا[١].

ومن هذه الألفاظ كلمة "خلاف"، ونجدها غالبا في معنى "غير"، فنحن نقول "خلاف هذا" أي "غير هذا"، ولكن الهذليين قد استعملوها في أغلب الأحيان بمعنى "بعد"، ومن أمثلة هذا في شعرهم قول البريق الهذلي :

وما كنت أخشى أن أعيش خلافهم   بستة أبيات كما نبت العتر[٢]

فقوله "خلافهم" في البيت معناه "بعدهم"، وهكذا نجد معناه في كتب الأدب واللغة[٣]، ومثله قول أبي صخر :

باتا معا وتركت في مثواهما   أبكي خلافهما بكاء الثاكل[٤]

أي أبكي بعدهما.

وقول أبي ذويب :

فأصبحت أمشي في ديار كأنما   خلاف ديار الكاهلية عور[٥]

ويفسر السكري لفظ "خلاف" هنا أيضا بمعنى "بعد"[٦]، ولهذا اللفظ في دلالته هذه أمثلة أخرى في الشعر الهذلي[٧]. فليس غريبا أن نجد هذا اللفظ في قوله تعالى "وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا"[٨]، وقوله سبحانه "فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله"[٩] يفسره المفسرون غالبا بمعنى "بعد"، وهذا صنيع بعض اللغويين مستدلا على ذلك بشواهد من الشعر أغلبها ما سبق أن مر بنا من شعر هذلي، ومنها ماهو لبعض جيرانهم من شعراء عقيل[١٠].

---

(١) انظر ص ٢٧٦، ٢٧٧ من هذا البحث. (٢) ديوان الهذليين ٣/ ٥٩. اللسان، تاج العروس (خلف). (٣) المراجع السابقة (المواضع نفسها).
(٤) البحتري : ديوان الحماسة ص ٣٠٦. (٥) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١/ ٦٧. ديوان الهذليين ١/ ١٣٨. الصحاح (عور)، اللسان، وتاج العروس (خلف). (٦) شرح أشعار الهذليين (فراج) ١/ ٦٧.
(٧) ديوان الهذليين ١/ ٧٠. اللسان (خلف). (٨) سورة الاسراء ١٧ آية ٧٦. (٩) سورة التوبة ٩ آية ٨١. (١٠) تاج العروس، اللسان (خلف).

ومن ذلك لفظ " إنى " وجمعه آناء ، وهى الأوقات أو الساعات (١) ،
وقد جاء هذا اللفظ فى قول المتنخل :

حلو ومر كعطف القدح مرته بكل إنى حذاه الليل ينتعل (٢)

وإذا كان استعمال هذا اللفظ مفردا غير مشهور ، فإن استعماله جمعا سائغ مألوف ، ومنه فى القرآن الكريم " من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل " (٣) ، " ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار " (٤) ، " أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما " (٥) ، وقد فسروا هذا اللفظ فيها جميعا بمعنى الساعات ناسبين ذلك إلى لغة هذيل (٦) .

بعض الألفاظ المختلفة فى حياتهم اليومية :

من هذه الألفاظ طلا يطلو " أى " عدا يعدو " وينقل الزبيدى وابن منظور حكاية بعض الهذليين : فرأيت الذى ذما يطلو " أى الذى نجا بذمائه يعدو (٧) وقول مليح الهذلى :

فألقوا عليهن السياط فشمرت سعالى عليها الميس تطلو وتقذف (٨)

ومنها " جاس خلال الديار " أى تخلل الأزقة والدروب ، وبهذا فسروا قوله تعالى : " فجاسوا خلال الديار " (٩) ، ثم نسبوا هذا إلى هذيل (١٠) .

ومن ذلك " افرنقع " أى تفرق أو انكشف (١١) ، وبها قرأ ابن مسعود " حتى إذا فزع عن قلوبهم " (١٢) إذ نجدها فى قراءته " افرنقع عن قلوبهم " (١٣) فيبدو أنها من لغتهم إذ ليس هناك ما يدفع ابن مسعود إلى أن يتنكب القراءة المشهورة " فزع " الى هذا اللفظ إلا أن يكون فى الغالب لغة قومه .

ومن ألفاظهم " ندَر " الرجل أى مات (١٤) ، " والأجداث " : القبور (١٥) .

ومن ألفاظهم أيضا " حَكَل بالعصا حكْلا " أى ضرب ، وهذا الفعل من الألفاظ التى ينسبونها صراحة إلى هذيل ، وينقل الزبيدى فى ذلك قول بعض هذيل : لئن أظفرنى الله بك لأحكلنك بالعصا حكلا " أى لأضربنك بها (١٦) . وعلى ذكر الضرب والعصا نجد فى الشعر الهذلى لفظا آخر

---

(١) المصباح (أنى) . ديوان الهذليين ٢ /٣٥ . (٢) المرجع السابق (الصفحة نفسها) . تاج العروس (نعل) والرواية فيه (فى كل إنى قضاه الليل) . (٣) سورة آل عمران ٣ آية ١١٣ . (٤) سورة طه ٢٠ آية ١٣٠ . (٥) سورة الزمر ٣٩ آية ٩ .
(٦) رسالة لغات القبائل ص ٦٦ . الإتقان ١٣٤/١ . (٧) اللسان ، تاج العروس (طلا)
(٨) المرجعان السابقان . والرواية فى اللسان (سعالى) . (٩) سورة الإسراء ١٧ آية ٥ . (١٠) اللغات فى القرآن ص ٣٤ . (١١) البحر المحيط ٢٧٨/٧ . (١٢) سورة سبأ ٣٤ آية ٢٣ . (١٣) شواذ ابن خالوية ص ١٢٢ . البحر المحيط ٢٧٨/٧ . (١٤) تاج العروس ، واللسان (ندر) . (١٥) رسالة لغات القبائل ٢ /١٤١ ، الإتقان ١ / ١٣٤ . (١٦) تاج العروس (حكل) .

يفسره اللغويون بلفظ " العصا " أيضا غير أنهم يفسرونه بالعصا الغليظة الشديدة تعقيبا على ما جاء فيه هذا اللفظ من شعر أبي خراش[(١)] .

ومن كلماتهم في الفكاهة والضحك التَّشْمعة ، وقد جاء هذا اللفظ غير مرة في الشعر الهذلي ، ومن ذلك قول المتنخل :

سأبدؤهم بمشمعة وأثني   بجهدي من طعام أو بساط[(٢)]

وقول أبي ذؤيب :

فلبثن حينا يعتلجن بروضة   فيجد حينا في العلاج ويشمع[(٣)]

ومن القاظهم أيضا ما يرويه اللغويون من أن الفِلاط هو " الفجأة " ولقيته فلاطا[(٤)] ، واضرب فلاطا[(٥)] أي فجأة لغة هذلية ، ومنه قول المتنخل :

أحمِي المُضافَ اذا دعاني   ونفسي ساعةَ الفزَعِ الفِلاطِ[(٦)]

ومنه أفلطه أمر أي فاجأه[(٧)] ، ونجد هذا أيضا في شعر المتنخل[(٨)]

ومن لغتهم " أسبع " فلان عبده أي أعمله فهو مسبع[(٩)] أي اشتدت ضراوته كأنه سبع في الإيذاء ، بينما نجد لفظ " مسبع " في لغة غيرهم بمعنى "دعيّ"[(١٠)]

ومن لغتهم أيضا لفظ " أثال " الذي نجده في الشعر الهذلي في معنى حلف ، كقول ساعدة ابن جؤية :

يئيلان بالله المجيد لقد ثوى   لدى حيث لاقى زينها ونصيرها[(١١)]

ويقرن اللغويون في معاجمهم هذا اللفظ بهذا المعنى مستدلين على ذلك بالبيت السابق من شعر ساعدة[(١٢)] .

وعند هذيل وثقيف لفظ " تزاملوا " بمعنى تراجزوا ، ويسمون الرجز " الزمل "[(١٣)] . أما لفظة " الكتابة " ومشتقاتها ، فللهذليين لغتهم فيها فهم يقولون — فيما يرويه اللغويون — للكتاب المكتوب " المنمَّل "[(١٤)] ، و " المنمل " المتقارب الخط ، ثم يسوقون في ذلك قول أبي العيال الهذلي :

والمرء عمرا فأته بنصيحة   مني يلوح بها كتاب مُنْمَل[(١٥)]

وهذا البيت يرويه ديوان الهذليين مع خلاف طفيف في حشوه[(١٦)] .

---

(١) ديوان الهذليين ٢/ ١١٨ . (٢) ديوان الهذليين ٢/ ٢٢ . الفائق ١/ ٦٧٥ .
(٣) ديوان الهذليين ١/ ٥٠ . اللسان (شمع) والرواية فيه (فيجد حينا في المراح) .
(٤) اللسان (فلط) . (٥) النهاية ٣/ ٢١٤ . (٦) ديوان الهذليين ٢/ ٢٦ الصحاح (سرط ، وفلط) ، اللسان (فلط) . (٧) المرجع السابق (فلط) .
(٨) ديوان الهذليين ٢/ ١٢ . اللسان (فلط) . (٩) ديوان الهذليين ١/ ٦ .
(١٠) المرجع السابق والصفحة السابقة . (١١) ديوان الهذليين ٢/ ٢١٧ . تاج العروس(قول) ، اللسان (نيل) . (١٢) المرجعان السابقان (كل في مادته).
(١٣) الأساس(زمل) . (١٤) اللسان ، تاج العروس(نمل) . (١٥) المرجعان السابقان(المادة نفسها) . (١٦) ديوان الهذليين ٢/ ٢٥٣ .

ويقول ابن سيده إن ابن دريد يروى بشأن القراءة والكتابة أن هذيلا تجعل "الذبر" للكتابة ، "والزبر" للقراءة[1] ، ولكنا نجد ابن دريد نفسه يذكر "الزبر" فى معنى الكتابة بالزاى لا بالذال فى روايته البيت أبى ذؤيب ،

عرفت الديار كرقم الدوا ة يزبرها الكاتب الحميرى[2]

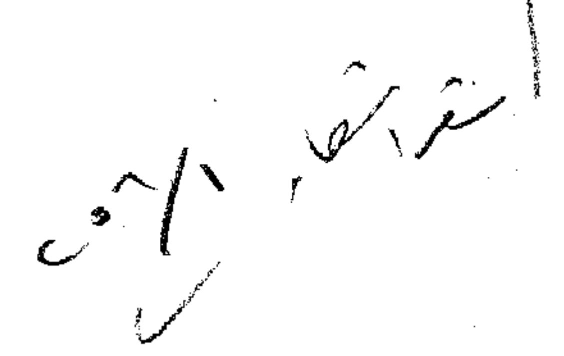
فالزبر هنا معناه الكتابة ، وإن كان يحتمل أن يكون معناه القراءة ولكن سياق البيت لا يرشح له كما يرشح للمعنى الأول ، ومع هذا فإن ابن دريد ، ومن صنع صنيعه قد عدلوا باللفظ عن روايته الصحيحة التى استند إليها اللغويون ومنهم ابن دريد نفسه فى أن الكتابة عند هذيل هى "الذبر" بالذال لا بالزاى وهكذا نجدها فى اللسان حين يسوق بيت صخر الغى :

فيها كتاب "ذبرٌ" لمقترىءٍ يعرفه ألبُهُم ومن حشدوا[3]

وإن كان هناك بعض الأقوال الضعيفة يذكرها صاحب اللسان بصيغة التضعيف تجعل "الذبر" كل قراءة خفية . وكل هذا ناشىء عن التحريف ، ثم عن اختلافهم فى فهم ما أمامهم من النصوص ، فوجود لفظ "مقترىء" الذى يشير إلى معنى القراءة إلى جوار لفظ "ذبر" جعلهم يقولون ما قالوا ، ولكن البيت صريح فى الرد على ما ذهبوا اليه ، اذ أن قول الشاعر "فيها كتاب ذبر" إنما هو فى معنى "كتاب مكتوب" ويؤيد هذا ما ذكره صاحب اللسان نفسه من رواية الأصمعى لبيت أبى ذؤيب بلفظ "يذبرها" بالذال ، وللأصمعى تقديره ، ولكلامه وزنه فى هذا المجال . وإذا كان مطبوع ديوان الهذليين قد آثر روايه "الزاى" فى البيت ، فإنه ـ مع هذا ـ أشار إلى رواية هذا اللفظ بالذال[4] وقد كان ينبغى له متابعة الأصل الذى عنه أخذ ، فرواية السكرى فى شرح ديوان أبى ذؤيب ، وهو من أهم الاصول المخطوطة "يذبرها" بالذال[5] ، وهذه هى الرواية الصحيحة التى تتفق وما أنشده الأصمعى ، وإليهما يمكن أن يستند قول اللغويين فى الموضوع .

---

(١) المخصص ٤/١٣ . (٢) الاشتقاق ص٤٨ . (٣) اللسان (ذبر) .
(٤) ديوان الهذليين ٦٤/١ (٥) شرح ديوان أبى ذؤيب (مخطوط الشنقيطى) ورقة ٦٥ .



الفصل الثاني

الألفاظ ذات الدلالة المعنوية

((الفصل الثاني))

ـ: الدلالة المعنويـــــــة للألفاظ :ـ

أشرنا الى أن المقصود بهذا النوع من الدلالة ما كانت الألفاظ فيه لا تعبر عن شئ مادي ، بل تشير إلى شئ معنوي كالنواحي الخلقية ـ والاجتماعية في حياة الناس " ومن هذه المعاني ما يتعلق بالجانب الحربي الذي كان له وضعه الخاص في حياة القبائل العربية ، ومنها ما يتصل بحياة القبيلة ، وحياة أفرادها في غير أوقات الحرب والقتال • وسنعرض ما وصلت إليه أيدينا من خلاف في بعض الالفاظ المعبرة عن هذه الجوانب من حياتهم •

التعبير

بعض ألفاظ تدور حول الحرب والقتال :

ينقل إلينا علماء اللغة القدامى من هذه الألفاظ لفظ " الكَيْس " الذي هو في اللغة ضد الحمق ، ويستعمله الهذليون في معنى " البأس "(١) والشدة في الحرب • ولعلهم قد فعلوا ذلك لأنهم اعتبروا الجبن والنكوص عن القتـال نوعا من الحمق فكأن " البأس " عندهم " كيسا " على سبيل المجاز ، ثم صار بمرور الوقت حقيقة نسي أصلها ، وبقيت ماثلة في لغتهم • ومع هذا فإنا نجد لفظ " البأس " في الشعر الهذلي (٢) ، فإن صح ما سبق من قول اللغويين بأن الكيس معناه البأس عند هذيل ، كان وجود هذين اللفظين مما مرجحـا لسبق أحدهما ~~بين اللفظين~~ للآخر نتيجة التطور اللغوي ، ولعل لفظ "الكيس" هو الذي كان شائعا عندهم في البادية وقتما بدأ نشاط الرواة في جمع نصوص اللغة ومروياتها في القرن الثاني للهجرة • ومع ذلك فلفظـة " الكيـس" إحدى روايتين روى بهما بعض هذا الشعر الهذلي (٣) ، فلعل الرواية الأخرى ـ وهو البأس ـ انعكاس للفصحى ، كما يحدث أحيانا من تأثر الرواة بذلك ، أو من تأثر الشعراء أنفسهم خضوعا للتطور اللغوي في البيئة التي تتغير بتغير الزمان والمكان •

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ٢٤٠ • (٢) المرجع السابق ١ / ١١٠ ، ٢٤٠ •
(٣) المرجع السابق ١ / ٢٤٠ •

ومن ألفاظهم الاخرى " رجل " عُوَق " أى جبان ، وهذا ما ينقله ابن سيده وابن منظور والزبيدى ، وغيرهم من اللغويين فى كتبهم ومعاجمهم[1]، ولكنا نجد هذا اللفظ بالواو المشددة فى قول مالك بن خالد الخناعى :

فدى لبنى لحيان أمى فانهم أطاعوا رئيسا منهم غير عوّق[2]

وفى اللسان وشرح القاموس ان لفظ " عوق " بالتشديد معناه الرجل الذى تعوقه الأمور من حاجته[3]، وله بهذا المعنى صلة بالجبن غير أنه أعم منه وأشمل ، ولكنا رأينا اللغويين غالبا يروونه ــ دون تشديد ــ فى معنى الجبن عند هذيل ، ولا ندرى هل روى الرواة ذلك مشافهة من هذيل فى باديتها ، أم أنه من إيحاء الشعر الهذلى الذى جاء فيه هذا اللفظ مختلفا فى ضبطه بعض الاختلاف من روايتهم لهذا اللفظ فى مؤلفاتهم ، ومع هذا فقد رواه ابن دريد بالتشديد (عوّق) مطابقا لما جاء فى الشعر الهذلى ، ونسبه هو الآخر طبعا إلى هذيل[4]، ولعل رواية ابن دريد هى الرواية الصحيحة وفى غيرها تحريف .

ومن الالفاظ الدالة على التهيب " الكهكاهة " ، وهذا اللفظ قد روى به قول أبى العيال الهذلى :

ولا بكهامة برم إذا ما اشتدت الحقب[5]

فنجد الرواية فيه " ولا كهكاهة برم "[6]، وقد فسره الأزهرى[7] (ونقل عنه الزبيدى تفسيره)[8] لفظ " الكهكاهة " بالمتهيب ، وذلك أيضا صنيع الجوهرى فى الصحاح[9] . وفسره الكرى بالمتهيب الذى يهاب كل شىء يكهكه إذا رأى الحرب ، يقول : كهكه . وإذا صح هذا كان ذلك اللفظ فى الاصل حكاية للصوت الذى يصدر من ذلك المتهيب سترا لموقفه . ويبدو أن التهيب الذى يدل عليه هذا اللفظ تهيب عام فى الحرب وفى غير الحرب ، وقد فسر هذا اللفظ ايضا " بالشيخ " وله صلة بالمعنى السابق ، ففى الشيوخ تهيب وحذر يخالفان ــ فى العادة ــ إقدام الشباب .

---

(١) المخصص ٣/ ٦٤ . المحكم ، واللسان (عوق) . (٢) ديوان الهذليين ٣/ ٨ . تاج العروس (عوق) . (٣) المرجع السابق (المادة السابقة) .
(٤) الجمهرة (عوق) . (٥) ديوان الهذليين ٢/ ٢٤٢ . (٦) المرجع السابق والصفحة السابقة . الصحاح (كهه) . (٧) التهذيب (كمكه) .
(٨) تاج العروس(الكمكم) . (٩) الصحاح (كهه) .

وقد ذكر صاحب القاموس وشارحه هذا اللفظ بإبدال هائه الأخيرة ميما ، أى " كهكامة " (١) بمعنى المتهيب أيضا ، وأغلب الظن أن هذا تحريف وتلفيق نشأ عن المزج بين اللفظين " كهكاعة ، كهامة " اللذين روى بهما هذا البيت من شعر هذيل .

ومن هذه الألفاظ " التسميح " وهو الهرب والفرار ، ويسجل الشعر الهذلى هذا اللفظ فى قول أبى ذؤيب يرثى حبيبا الهذلى جد عبد الله بن مسعود:

ألفيته لا يفل القرن شوكته ... ولا يخالطه فى البأس تسميح (٢)

ويعد بعض اللغويين من هذه الألفاظ " حرض " بمعنى " حض " وبه فسر قوله تعالى " يأيها النبى حرض المؤمنين على القتال (٣) " منسوبا هذا المعنى إلى هذيل (٤) . وكذلك " انفروا " بمعنى " اغزوا " وبه فسر قوله تعالى " إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما " (٥) ، والآيات الأخرى التى جاء فيها هذا اللفظ ، منسوبا ذلك المعنى أيضا إلى هذيل (٦) .

بعض الألفاظ ذات الدلالة الخلقية والشعورية والفكرية :

من ألفاظهم هذه ما يروون من قولهم : " برهم " الرجل أدام الفكر (٧) ، وقولهم للرجل انك " لَثُكْلِيّ " اذا لم يكن لعقل (٨) .

ومن ألفاظهم فى هذا الشأن ما يرويه اللغويون من أن " الطِّرف " فى لغة هذيل هو الكريم (٩) ، ونجد هذا فى قول ساعدة بن جؤية :

" هو الطرف لم تحشش مطى بمثله " (١٠)

وقول أبى ذؤيب :

إذا نزلت سراة بنى عدى ... فسلهم كيف ما صحبهم حبيب
يقولوا قد وجدنا غير طرف ... بزقية لا يهد ولا يخيب (١١)

ويقول السكرى فى ذلك : هذيل تسمى الكريم من الفتيان طرفا ، وأصله من الفرس الكريم (١٢) .

(الخضرم " : " الرغيب الخلق " فى شعر أبى ذؤيب أيضا (١٣) .

---

(١) القاموس ، تاج العروس (كهم) . ديوان الهذليين ٢ / ٢٤٢ . (٢) ديوان الهذليين ١ / ١١٠ . الاقتضاب ص ٤٠١ . (٣) سورة الأنفال ٨ آية ٦٥ . (٤) رسالة لغات القبائل ص ١٧٢ . الإتقان ٢ / ١٣٤ . (٥) سورة التوبة ٩ آية ٣٩ . (٦) الإتقان ١ / ١٣٤ . رسالة لغات القبائل ١ / ١٧٨ . (٧) كتاب الجيم ص ١ ١٧ (٨) المرجع السابق ص ٢٢ . (٩) ديوان الهذليين ١ / ٢٢٣ . (١٠) المرجع السابق (والصفحة السابقة) . (١١) المرجع السابق ١ / ٩٣ . ديوان أبى ذؤيب (مخطوط تيمور) ص ٩٦ . (١٢) المرجع السابق (الصفحة نفسها) . (١٣) ديوان الهذليين ١ / ١٥٣ .

ويقول بعض أصحاب المعاجم " السيد الجحجاح " المسارع إلى المكارم ، ويروون فى ذلك قول بعض هذيل " غلا من بشعب كذا يخبط ويجحجح " أى يسرع فيه(١) .

ومن هذه الألفاظ " الأواب " بمعنى المطيع ، ويفسرونه هكذا فى قوله تعالى " والطير محشورة كل له أواب "(٢) ناسبين هذا المعنى إلى كنانة وهذيل وقيس عيلان(٣) . ونحن لا نستبعد نسبته إلى كنانة وهذيل ، فهما متجاورتان ويحتمل أنه من لغتهما معا ، أو تأثرت فيه إحداهما بالأخرى . أما قيس عيلان التى تكاد تكون شعبا كبيرا يضم قبائل كثيرة فى وسط الجزيرة ، فإن صحت نسبته إليها ، فلا يعقل ان تكون ـ فى سعتها تلك ـ قد تأثرت فيه بهذيل بل لعلها هى الأصل الذى أخذ منه الهذليون هذا اللفظ فى جوارهم لبعض القبائل القيسية ، ثم تأثر به الكنانيون الحجازيون من جيران هذيل .

ويذكر ابن منظور أن من لغة هذيل " العزم " بمعنى الصبر . يقولون مالى منك عزم ولا صبر(٤) ، ولكن أبا عبيد يفسر قوله تعالى " فإن عزموا الطلاق "(٥) بمعنى حققوا ، ناسبا ذلك المعنى أيضا الى هذيل(٦) .

ومن الأوصاف المذمومة قولهم " رجل متغطرس " أى بخيل(٧) ، " وظنين " أى متهم ، وبهذا فسر قوله تعالى " وما هو على الغيب بظنين "(٨) منسوبا هذا المعنى إلى هذيل(٩) .

ومن ذلك " المبذر " بمعنى المسرف ، وبه فسر أيضا قوله تعالى " ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين "(١٠) منسوبا ذلك هو الاخر الى اللغة الهذلية(١١) .

---

(١) الأساس (جحجح) . (٢) سورة ص ٣٨ آية ١٩ . (٣) رسالة لغات القبائل ٢/ ١٥٣ . اللغات فى القرآن ص ٤٢ . (٤) اللسان (عزم) . (٥) سورة البقرة ٢ آية ٢٢٧ . (٦) رسالة لغات القبائل ١/ ٣٩ . (٧) اللسان ، تاج العروس (غطرس) . (٨) سورة التكوير ٨١ آية ٢٤ . (٩) رسالة لغات القبائل ٢/ ٢٨٦ . اللغات فى القرآن ص ٥٣ . (١٠) سورة الإسراء ١٧ آية ٢٧ . (١١) اللغات فى القرآن ص ٣٤ . رسالة لغات القبائل ١/ ٢٥٦ .

ومن هذه الالفاظ " الإمعة " ، وقد كان معناه عندهم فى الجاهلية " الطفيلى " الذى يتبع الناس الى الولائم دون أن يدعى اليها ، ثم تطور هذا اللفظ بعد هذا وتطورت دلالته ، فانتقل من ملابسته للطعام الى الجانب الخلقى ، فقد روى عن عبد الله بن مسعود " كنا فى الجاهلية نعد الإمعة الذى يتبع الناس الى الطعام من غير أن يدعى ، وإن الإمعة فيكم اليوم المحقب الناس دينه "(١) .

ونحن نرى أنه قد تطور مدلول هذا اللفظ تحت تأثير البيئة الجديدة والدين الجديد . وهذا التطور الذى نعرض له فى ثنايا البحث ـ هو أمر طبيعى أحسه بعض الهذليين حينما سئل عن بعض الألفاظ عندهم ، فقال " هذا كلام عقمى "(٢) يعنى أنه كلام غريب من كلام الجاهلية لم يعد مفهوما .

ومن ألفاظهم " الخَرْص " بمعنى الكذب (لا بمعنى الحدس والظن)(٣) وهكذا فسر هذا اللفظ فى الآية الكريمة " مالهم به من علم ان هم الا يخرصون " وقد نسب هذا المعنى إلى هذيل(٤) ، وإن كان قد نسب فى موطن آخر الى كنانة وقيس عيلان(٥) ، وقد يمكن الجمع بين هاتين الروايتين دون تضارب أو اضطراب اذ أن هذيلا تجاور بعض القبائل القيسية ـ كما سبق أن ذكرنا ـ فلعلها علقت هذا اللفظ منها ، ثم إن كنانة تجاور هذيلا فى موطنها الحجازى فليس هناك ما يمنع من أن تشركها فى هذا اللفظ ، أو تتأثر بها فيه ، وهذيل ـ كما قلنا ـ حلقة وسطى بين القبائل الحجازية ، وقبائل وسط الجزيرة العربية .

ومن ذلك أيضا " العنت " بمعنى الإثم ، وبذلك فسر هذا اللفظ(٦) فى الآيات الكريمة " ولو شاء الله لأعنتكم "(٧) ، " ودوا ماعنتم "(٨) ، " لمن خشى العنت منكم "(٩) ، " عزيز عليه ماعنتم "(١٠) .

ومما يتصل بالعواطف والشعور " الهَكْر " وهو التعجّب كما يقول ابن دريد(١١) أو هو أشد العجب كما يقول الأصمعى (١٢) ، وربما كان قول الأصمعى أصح ، فضلا عن أن الأصمعى من أهم رواة شعر الهذليين ولغتهم . لأن اللفظين " العجب والهكر " موجودان جنبا الى جنب فى قول أبى كبير فاعجب لذلك فعل دهر واهكر "(١٣) .

---

(١) المحكم (الإمع) . اللسان (أمع) . (٢) الأساس (عقم) ، (٣) سورة الزخرف ٤٣ آية ٢٠ ، (٤) رسالة لغات القبائل ٢ /١٣٣ . (٥) المرجع السابق ٢ /٢١٤ (٦) رسالة لغات القبائل ١ /٣٨ ، (٧) سورة البقرة ٢ آية ٢٢٠ . (٨) سورة آل عمران ٣ آية ١١٨ ، (٩) سورة النساء ٤ آية ٢٥ . (١٠) سورة التوبة ٩ آية ١٢٨ . (١١) الجمهرة (٤ /٤٨١) . (١٢) ديوان الهذليين ١ /١٠١ . (١٣) المرجع السابق والصفحة السابقة الجمهرة (٤ / ٤٨١) .

ومن النادر إلا في حالات معينة ــ وجود الترادف الكامل عند القبيلة الواحدة ، ومن باب أولى عند الشاعر الواحد من أبنائها .

وإذا كان " الثواب " في اللغة بمعنى الجزاء [١] ، فإن الهذليين ــ فيما يروى ــ يجعلونه بمعنى الشكر في لغتهم [٢] ، وبه فسر السكري قول أبي جندب :

ألا أبلغا سعد بن ليث وجندبا وكلبا أثيبوا المن غير المكدر [٣]

ومن ألفاظهم " الزَّحنة " في معنى الغيظ والحقد ، يقول صخر الغي :

فلا تقعدن على زحنة وتضمر في القلب وجدا وخيفا [٤]

ولكن هذا اللفظ يبدو أنه لم يكن شائعا حتى بين الهذليين أنفسهم [٥] .

ومن هذه الالفاظ " التَّعَشُّم " بمعنى الطمع ، ويستشهد أصحاب المعاجم على وجود هذا اللفظ بشعر ساعدة بن جؤية [٦] ، ومع وجود هذا اللفظ بين تراثنا اللغوي ، فإن الشعراء والكتاب وغيرهم من المثقفين لا يكادون يستعملونه في أسلوبهم وكتاباتهم مع أنه ليس مجرد لفظ قابع في المعاجم اللغوية ، منعزل عن الحياة ، بل هو شائع جدا في لغتنا العربية الحديثة في معنى لا يختلف كثيرا عن معناه في اللغة أو في الشعر الهذلي .

ومن ذلك أيضا لفظ " واجبة " أي خائفة ، فقد عدها صاحب الإتقان من لغة هذيل [٧] . أما لفظ " التخوف " الذي قد يوحي ظاهره بالخوف كما هو معروف في اللغة ، فإنا نجد من اللغويين من يجعلونه في معنى " التنقص " وقد فسروه هكذا في قوله تعالى " أو يأخذهم على تخوف " [٨] أي تنقص [٩] شيئا فشيئا حتى يهلك الجميع ، ويذكر أبو حيان قول الهيثم بن عدي : " هو التنقص بلغة أزد شنوءة " ، وحديث عمر انه سأل عن التخوف ، فأجابه شيخ بأنه التنقص في لغة هذيل ، وأنشد شعرا في ذلك لأبي كبير الهذلي [١٠] ، ويصرح الزمخشري والبيضاوي بأن الشيخ الذي أجاب عمر شيخ من هذيل ، قال هذه لغتنا : التخوف التنقص ، وذكر شاهدا من شعر أبي كبير [١١] .

---

(١) الأساس ، المصباح (ثوب) . (٢) شرح اشعار الهذليين (مخطوط الشنقيطي) ص٨٩ ، (تحقيق فراج) ٣/ ٣٥٧ . ديوان الهذليين ٢/ ٩١ (حاشية ٤) .
(٣) شرح اشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١/ ٣٥٧ ، (مخطوط الشنقيطي) ص٨٩ .
(٤) ديوان الهذليين ٢/ ٧٤ . الصحاح (زحن) . الأمالي ١/ ٢١٠ .
(٥) ديوان الهذليين ٢/ ٧٤ . (٦) تاج العروس واللسان (عشم) . (٧) الإتقان ١/ ١٣٤ . (٨) سورة النحل ١٦ آية ٤٧ . (٩) البحر المحيط ٥/ ٤٩٥ ــ الجلالين ١/ ٢٤٤ . (١٠) البحر المحيط ٥/ ٤٩٥ . (١١) البيضاوي ٣/ ٩٩ . الكشاف ١/ ٥٣٧ . محب الدين : شرح شواهد الكشاف ص١٤٧ .

بعض ألفاظ أخـــري

هنالك ألفاظ أخرى ـ غير ما ذكرنا ـ أشار الرواة إلى أن الهذليين يختلفون فيها ، من حيث معناها ودلالتها ، من غيرهم مـن العرب . وأغلب هذه الألفاظ جاءنا في مجال التفسير لبعض آيـــات القرآن الكريم ، وتأويل ما يتطلب من ألفاظه تأويلا خاصا في ضوء لغـات العرب ، وعلى هدى أشعارهم ، فالقرآن وإن كان قد نزل بلغة قريـش ، فإن فيه ألفاظا أخرى مما نطقت به العرب من غير قريش كهذيل وتميـــــم وأسد ، وغيرها من القبائل العربية الأخرى ، ولهذا كانوا يعتدون بالتراث العربي في العصر الجاهلي ، حتى إنهم ليروون في ذلك قول عمـــر : "عليكم بديوانكم لا تضلوا . قالوا ، وما ديواننا ، قال شعر الجاهليـــة ، فإن فيه تفسير كتابكم ، ومعاني كلامكم" (١) .

فليس عجيبا إذن أن نجدهم يهتمون بإرجاع بعض هـــذه الألفاظ ومعانيها إلى من رأوا ـ صوابا أو خطأ ـ أنها له من بين العرب ومن هذه الكلمات ما مر في ثنايا البحث، ونسوق الآن ما بقى بين أيدينـا من كلمات أخـــرى .

كثير من هذه الألفاظ جاء في معرض الدين والجزاء ، كقولهم "السائحون": الصائمون ، والسائحات": الصائمات بلغة هذيل(٢)، وقـــد قالوا ذلك تأويلا لهذا اللفظ في قوله تعالى "التائبون العابدون الحامدون السائحون" (٣) وقوله سبحانه "مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابـــدات سائحات" (٤).

وقولهم أيضا "الفرقان" عند هذيل هو "المخرج" (٥). وذلك في قوله تعالى "يأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا" (٦).

---

(١) البيضاوي ٣/ ٩٩ . الكشاف ١/ ٥٢٧ . شرح شواهد الكشاف ١/ ١٤٧ .
(٢) رسالة لغات القبائل ١/ ١٨٧ . اللغات في القرآن ص٣٠ . الإتقان ١/ ١٣٤ .
(٣) سورة التوبة ٩ آية ١١٢ . (٤) سورة التحريم ٦٦ آية ٥ . (٥) اللغـــات في القرآن ص٢٨ . رسالة لغات القبائل ١/ ١٦٨ . (٦) سورة الأنفـــال ٨ آية ٢٩ .

وكذلك " يهجعون " أى ينامون(١) تفسيرا لما وُصف به المتقون فى قوله تعالى " كانوا قليلا من الليل ما يهجعون "(٢).

ومن هذا ما قيل فى قوله تعالى " بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم "(٣)، فقد روى بعض اللغويين أن معنى " فورهم " وجههم بلغة هذيل(٤)، أو وجوههم بلغة هذيل وقيس عيلان وكنانة(٥)، وقد وقع فى بعض المراجع " هذيل وقيس وغيلان وكنانة "(٦)، وهذا تحريف لا يلتفت إليه إذ المقصود " هذيل وقيس عيلان وكنانة ".

ولكن التعبير عن فورهم بلفظ وجههم أو وجوههم يجعل المعنى غير واضح وضوحا كافيا، فما المقصود من " يأتوكم من وجههم أو وجوههم "؟ هل هو كناية عن السرعة التى يؤديها مفهوم هذا النص؟ أم المقصود معنى آخر يمكن تخريجه فى ضوء ما للفظ " الوجه " من معان فى اللغة؟ فقد يراد بالوجه " الجهة " فيكون المعنى " يأتوكم من جهتهم " وقد يكون غير ذلك.

ومن هذه الألفاظ ما ذكروا من أن لفظ " الملوك " معناه الأحرار(٧) فى قوله تعالى " وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا "(٨)، ولعل الذى حدا بهم إلى تلمس معنى آخر لهذا اللفظ فى الاية الكريمة هو أنه لا يمكن أن يكون هؤلاء كلهم ملوكا ولهذا فإن من اللغويين والمفسرين من فهم " جعلكم ملوكا " على معنى " جعل منكم ملوكا ". هذا ويحتمل أن التعبير بلفظ الملوك هنا تعبير مجازى مقصود به ما كانوا فيه من رفاهة فى العيش ونعمة، ولكن من هؤلاء اللغويين من أبى إلا أن يأخذ اللفظ على ظاهره دون تأويل، ويرده إلى قبيلة عربية من القبائل التى نزل القرآن بلغاتها، فكانت هذه القبيلة هى هذيل.

وذكروا من هذه الألفاظ " بالهم " فى معنى " حالهم "(٩) فى قول الله سبحانه فى شأن المؤمنين " كفر عنهم سيآتهم وأصلح بالهم "(١٠)

---

(١) الإتقان ١/ ١٣٤ . اللغات فى القرآن ص٤٦ . (٢) سورة الذاريات ٥١ آية ١٧ . (٣) سورة آل عمران ٣ آية ١٢٥ . (٤) الإتقان ١/ ١٣٤ .
(٥) اللغات فى القرآن ص٢٣ . رسالة لغات القبائل ١/ ٦٨ . (٦) البحرالمحيط ٣/ ٤٧٠ .
(٧) اللغات فى القرآن ص٢٥ . رسالة لغات القبائل ١/ ١١٠ . (٨) سورة المائدة ٥ آية ٢٠ . (٩) رسالة لغات القبائل ٢/ ١٩٩ . الإتقان ١/ ١٣٤ . اللغات فى القرآن ص٤٥ . (١٠) سورة محمد ٤٧ آية ٢ .

ومن ذلك قول بعضهم أن "الأطوار" عند الهذليين بمعنى الألوان(١)، كما في قوله عز شأنه "ما لكم لا ترجون لله وقارا ، وقد خلقكم أطوارا"(٢) أى ألوانا • وهذا مخالف للمألوف في معنى الأطوار هنا ، أى مراحل الخلق التى يمر بها الإنسان ، وعدم الإلف هو السر فى غرابته ، رغم أن أساسه موجود فى اللغة ، إذ يقال "الناس أطوار" أى أخياف(٣) (مختلفون) •

ومن هذه الألفاظ "تفاوت" بمعنى عيب(٤) فى الآية الكريمة "ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت"(٥).

ومن ذلك أيضا "شاكلته" أى ناحيته(٦) • هكذا قيل فى شأن هذا اللفظ فى الاية الكريمة "قل كل يعمل على شاكلته"(٧)، وإذا صح هذا ، فلعل المقصود "بناحيته" هنا طريقته ، ووجهة نظره •

ومما نسبوه إلى هذيل أيضا "مراغما" أى "منفسحا"(٨)، وقد فسر اللفظ هذا التفسير فى قوله تعالى "ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة •"(٩)، "وملتحدا" أى ملجأ(١٠) فى قول الله سبحانه "ولن تجد من دونه ملتحدا •"(١١)، "والأمد" أى الأجل عندهم(١٢) وذلك فى قوله سبحانه "فطال عليهم الامد فقست قلوبهم"(١٣).

وكذلك "الغمة" عندهم "الشبهة"(١٤)، فى قوله تعالى "ثم لا يكن أمركم عليكم غمة •"(١٥)• كما قالوا إن "الرجم بالغيب" فى لغتهم هو الظن(١٦)، وذلك فى الاية الكريمة "ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب •"(١٧).

---

(١) اللغات فى القرآن ص٥١ • رسالة لغات القبائل ٢/ ٢٦٦ ؛ الإتقان ١/ ١٣٤ •
(٢) سورة نوح ٧١ آية ١٤ • (٣) الأساس (طور) • (٤) الإتقان ١/ ١٣٤ • رسالة لغات القبائل ٢/ ٢٥٦ • (٥) سورة الملك ٦٧ آية ٣ • (٦) رسالة لغات القبائل ١/ ٢٦١ • الإتقان ١/ ١٣٤ • (٧) سورة الإسراء ١٧ آية ٨٤ •
(٨) الإتقان ١/ ١٣٢ ، ١٣٤ • رسالة لغات القبائل ص٢٩٦ • (٩) سورة النساء ٤ آية ١٠٠ • (١٠) رسالة لغات القبائل ٢/ ٦ • اللغات فى القرآن ص٣٥ • الإتقان ١/ ١٣٤ • (١١) سورة الكهف ١٨ آية ٢٧ • (١٢) اللغات فى القرآن ص٤٨ • رسالة لغات القبائل ٢/ ٢٣٥ • (١٣) سورة الحديد ٥٧ آية ١٦ •
(١٤) الاتقان ١/ ١٣٤ • اللغات فى القرآن ص٣٠ • رسالة لغات القبائل ١/ ١٩٧ •
(١٥) سورة يونس ١٠ آية ٧١ • (١٦) رسالة لغات القبائل ٢/ ٥ • الإتقان ١/ ١٣٤ •
(١٧) سورة الكهف ١٨ آية ٢٢ •

" ومفرّطون " أى " متروكون "[١] في قوله تعالى " لاجرم أن لهم النار وأنهم مفرطون "[٢]. "وظل" بمعنى صار[٣] فى قوله تعالى " وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم "[٤].

هذا ، وقد فسروا " البرد " بالنوم منسوبا إلى هذيل[٥] فى قوله تعالى " لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا "[٦].

" والرجز " بالعذاب[٧] فى قوله سبحانه " فانزلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يفسقون "[٨].

" والذّنوب " بالعذاب ، أو بالنصيب من العذاب[٩] فى قوله عز شأنه " فإن للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم "[١٠]. ولكن الذنوب فى اللغة هو " الدلو "[١١] ، وإذا كانت المعاجم تذكره فى معنى الحظ والنصيب أيضا ، فإن ذلك على سبيل المجاز ، وان لم ينصوا عليه ، وقد نبهوا الى ذلك فعلا بعض من عنوا منهم بهذا النوع من الدلالة المجازية فى معاجمهم[١٢]. فهل نسبة " الذنوب " الى هذيل فى معنى " النصيب من العذاب تمحل من اللغويين لا داعى له ؟ أم أن هذيلا صار عندها هذا المجاز حقيقة لغوية فنسبت اليها ؟

الذى نستطيع أن نقوله فى هذا المجال هو أن اللغويين ـ على ما تركوا من ألفاظ اللغة غير منسوب لقائليه من القبائل العربية ـ كانوا حراصا على أن ينسبوا الى القبائل العربية ما ندّ فهمه منهم من غريب القرآن ـ إذا صحت نسبة هذا إليهم ـ أو ما رأوا أن ظاهر اللفظ فيه قد يتطلب التأويل ، ولكنهم كانوا يفعلون ذلك فيما يبدو ـ دون تحفظ كثير ، فكانوا فى بعض الأحيان يخطئهم التوفيق .

× × × ×

---

(١) اللغات فى القرآن ص٣٣ - (٢) سورة النحل ١٦ آية ٦٢ . (٣) اللغات فى القرآن ص٣٣ . رسالة لغات القبائل ١/ ٢٤٥ . (٤) سورة النحل ١٦ آية ٥٨ . (٥) اللغات فى القرآن ص٥٢ . رسالة لغات القبائل ١/٢ ٢٨ . الاتقان ١/ ١٣٤ . (٦) سورة النبأ ٧٨ آية ٢٤ . (٧) الاتقان ١/ ١٣٤ .
(٨) سورة البقرة ٢ آية ٥٩ . (٩) الإتقان ١/ ١٣٥ . (١٠) سورة الذاريات ٥١ آية ٥٩ . (١١) القاموس، الأساس ، المصباح (ذنب) .
(١٢) الأساس (ذنب) .

وبعد، فينبغي لنا أن نضع الآن ملحقا موجزا لأشهر الألفاظ عند الهذليين في ختام هذا البحث حتى تتحقق الفائدة المرجوة منه لأصحاب النظرة العجلى، فلا يكون ذلك مقصورا على غيرهم من أصحاب القراءة المتمهلة المستأنية .

. . . .

ألفاظ هذلية ونظائرها في اللغة

اللفظ	نظيره أو معناه	اللفظ	نظيره أو معناه
الآناء	الأوقات والساعات (المفرد إنى)	الإشاح	الوشاح
الأب	الكلأ والمرعى	الاطوار	الألوان والأشكال (خلقكم أطوارا) أي ألوانا مختلفين
الإباءة	أن يرد يده إلى سيفه فيستله	أعشق	أعشقت الأرض أخصبت
اجتال	اختار	الأمراض	الأقاليم والرساتيق
أجييت القدر	غلفتها	أفرم	أفرم الحوض ملأه ، والمفرم المملوء
الأذين	الأذن	افرنقع	تفرق وانكشف
الإرة	موقد النار	أفلطه	فاجأه ، والفلاط المفاجأة .
الأرجاء	النواحي	ألوت	قدرت واستطعت ، لا آلو جهدا ، لا أقدر ، خلافا للمشهور في اللغة : لا آلو جهدا أي لا أقصر .
الأزيب	الجنوب (ريح)		
الإسادة	الوسادة		
استحار	امتلأ (مجاز)	أم مرزم	الريح الباردة
استراب به	رأى منه ما يريبه	الأمد	الأجل
أسبع	أسبع عبده أهمله (تركه دون تأديب حتى استشرى فهو مسبع والمسبع عند غيرهم " الدعي")	أمر	أمر بنو فلان أي كثروا
		الإمعة	الطفيلي (وهذا هو المدلول المادي الذي كان عليه في الجاهلية ، ثم تطور بعد إلى المدلول الخلقي)

اللفظ	نظيره أو معناه
أنال	حلف
الأنبوب	نوع من الطرق داخل الجبال
انتعص	لم يطلب ثأره
انجرد	انجرد النجم انقض
٣٠ انحرد	انحرد النجم انفرد عن الكواكب والنجوم
الأَنس	الأناسي (أو الحي من أحيائهم)
انشأت الناقة	لقحت
أنطاه	أعطاه
الأواب	المطيع
٣٥ أُويس	الذئب
الأيام	الدخان
الأَير	الشمال الباردة (ريح)
الأَيم	الثعبان
البارح	طائر اليمن (على عكس غيرهم)
٤٠ بالهم	حالهم (وأصلح بالهم) أى حالهم
البَدن	الدرع (فاليوم ننجيك ببدنك أى بدرعك ٠
البُرد	النوم (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا) أى نوما
بَرهَم	أدام الفكر
البز	السلاح يلبسه المحارب
٤٥ البضيع	الجزيرة فى البحر
البَوّ	جلد يحشى للناقة ولدها فترأمه وتدر عليه ٠
البَوع	الباع
التابّ	الضعيف
التبذير	الإسراف
٥٠ التخوف	التنقص (أو يأخذهم على تخوف) أى تنقص
التسييح	الفرار والهرب
تغطرس	بخل ، والمتغطرس البخيل
التفاوت فى الشىء	العيب فيه
التكريم	التكثير (وأغلب ما يستعمل فى المطر والسحاب)
٥٥ التَّيهور	ما بين أعلى الجبل وأسفله (سفحه)
ثاقب	شهاب ثاقب (مضىء) ٠
الثّلب	الشيخ
الثّمام	نبت يسميه غير الحجازيين (الجليل)
الثميلة	الماء القليل يبقى فى وسط الغدير
٦٠ الثواب	الشكر
الجابى	الجراد (وبعضهم يرويه الجادى أيضا ، وهو تحريف)
جاس	جاس خلال الديار ٠ تخلل الأزقة ٠
جِبْل	مال جِبْل ، وحى جِبْل ، أى كثير ٠
جحجح	أسرع
٦٥ الجحش	الخشف (ولد الظبية)
الجدث	القبر ، والأجداث القبور
الجَدُود	الأتان التى قل لبنها
جرن	جرن الحب طحنه

اللفظ	نظيره أو معناه
الجماميس	النخل
٧٠ الجليت	الذى اصابه الجليد والصقيع
الجَمْسة	النار
الجميل	الإهالة (الشحم)
الجُوس	الجوع (وقيل الجود عندهم هو الجوع ولكنه تحريف)
الحائل	الأنثى من أولاد الإبل ساعة ولادتها .
٧٥ الحال	حال الرجل ، امرأته
الحِتْر	العطية اليسيرة
حرض	حث
الحزب	السلاح
الحس	الصوت
٨٠ الحساب من الناس والأشياء	الكثير والوفير (أتانى حساب من الناس أى جماعة كثيرة)
الحَشِيف	الثوب الخلَق
الحصيد	ما سوى من الأرض
الحضيرة	بضعة نفر يخرجون للغزو
الحِقّان	فراخ النعام
٨٥ الحَكْل	الضرب
الحليف	النصل أو السهم الحليف : الحاد
الحَمْز	تحديد الشفرة وشحذها
الحنيذ	ما يشوى بالحجارة
الخافة	خريطة من أدم يشتار فيها العسل
٩٠ الخَرْج	المطر

اللفظ	نظيره أو معناه
الخَرْص	الكذب ، والخراصون الكذابون
الخَزومة	البقرة
الخَشْف	صوت احتكاك الريح بيابس الشجر
الخلاجيم	الطوال أو العظام الأجسام (وقيل الشجعان)
٩٥ الخُلَّاص	الخلل فى البيت
خلاف	بعد
الخَلُوج	السحاب المتفرق كأنه خلج من باقى السحاب
الخَليف	الطريق وراء جبل أو خلف واد
الخموش	البعوض
١٠٠ الخِيس	غابة الأسد أو أجمته
الخَيْطة	الوتد
الدُّعبوب	الطريق المذلل الواضح المسلوك
الدغاول	الغوائل
الدُّسُر	المسامير
١٠٥ دهاق	كأس دهاق : ملأى
الدَّبْر	الكتابة
الذَّنوب	العذاب (أو النصيب من العذاب) .
رَبْد السيف	فرنده
الرجاء	الخوف والمبالاة ، رجا يرجو : خاف يخاف ، لم يرج : لم يبال .
١١٠ الرجز	العذاب

اللفظ	نظيره أو معناه
الرَّجْع	المطــر
الرجم بالغيب	الظن
الرسيف	مشى المقيد
الزاجر	الوازع
١١٥ الزاهرية	مشية المتبختر
الزَّبْر	القراءة
الزَّخَّة	الغيظ
الزرابى	الطنافس
الزَّمَل	الرجز ، ترامَلوا أى تراجزوا مع غيرهم
١٢٠ السائحات	الصائمات
السائحون	الصائمون
السانح	طير الشوم (على عكــس غيرهــم) •
الشَّب	الحبل
السِّبت	النعل من جلد مدبوغ
١٢٥ السَّبَنْدى	الجرئ (وبعضهم يحكيه السَّرَنْدَى ولعله تحريف)
السجير	الصديق ، ساجر ، صادق
السُّحَل	الثياب البيض
سَخَل	سخلت الرجل عبته وضعفتــه
السُّخَّل	الضعاف (أو الضعفاء الأرذال) •
١٣٠ السَّرْحَان	الأســد
السميج	الســمج
السميح	الســمح

اللفظ	نظيره أو معناه
السنمار	اللص
السنيعة	الطريق فى وسط الصخور والجبــال
١٣٥ السـوء	الجنون (إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بســوء) • أى جنــون •
السِّـيد	الأســد
شاكلته	ناحيتــه
الشَّبَح	الباب العالى البناء (فــى رواية الديوان الشَّبْح ، ويفسر بالباب فى عمومــــه دون تخصيص) •
اشــترى	باع
١٤٠ الشُّجوب	أعمدة من عمد البيت
شُرطة الحرب	الكتيبة الأُولى تتقدم الجيش كالفدائيين الآن •
الشَّـنَج	الجمل
الشِّيح	الجلد الماضى ، والمشيح والمشايح الجاد الحامل ، وعند غيرهم " المحاذر "
الشِّيزَى	الجفنة
١٤٥ الشَّيْهَم	القنفذ
الصَّبِير	السحاب الأُبيض
الصِّـل	الحيـة
الصلد	وصف للحجر (الأجرد أو النقــى) •
صلوتــه	أصبت صلاه (ظهره) أو ضربته عليــه •
١٥٠ صــوغ	أُخوه صوغه (بالصاد) • أى مثــله

اللفظ	نظيره أو معناه
الضُّبَاح	استعمله الهذليون أحيانا لصوت الذئب، وهو في الأصل للثعلب.
الضُّبْر	الجماعة يغزون
الضَّحْضَاح	الكثير
الضَّمْد	أن تتخذ المرأة خليلين
١٥٥ الطاحي	الأنس الطاحي المنبسط الكثير العدد.
الطِّرْف	الفتى الكريم
الطَّغْي	الصوت
الطَّغْيا	الصغير من بقر الوحش
الطليل	الحلو الجميل من كل شيء
١٦٠ الظبية	خريطة يضع فيها الرامي أداته (ولعلها من جلد الظبي)؟
ظل	صار
ظنين	متهم
العَبْر	الجماعة من الناس
العَجَد	الغربان
١٦٥ العَدِيّ	جماعة المحاربين
العزم	الصبر على الشيء
العَشَم	الطمع
العِضْرِط	العجان
العنت	الإثم
١٧٠ العنوة	الطاعة
العَوَّاء	الناب من الإبل (أو هي الناب الكبيرة التي لا سنام لها)
العوادي	إبل عواد: تأكل العضاه، والقوم معدون، وغير الهذليين يقول "عضهة" والقوم "معضهون"
الفُوَق	الجبان
عَيَّث	طلب شيئا باليد من غير أن يبصره كمن كان أعمى أو يبحث في الظلام، أو دون أن ينظر وهو في معنى اللفظ المشهور الآن "دعبس، يدعبس"
١٧٥ العَيْقة	الساحة
العَيْلة	الفاقة
غار	غاره يغيره أفاده
غطا	غطا النبات ارتفع وبلغ أشده، وغيرهم يقول "اغلولى"
الغُمّة	الشبهة
١٨٠ الغَنَع	الشيخ
القَرْض	الثوب
الفرقان	المخرج (ويجعل لكم فرقانا) - مخرجا.
القُوقَتان	حرفان للسهم، يسميهما غيرهم "الزنمتان".
القليل	الليف، والشعر المجتمع كالعرف.
١٨٥ القِتْر	سهم صغير، والجمع أقتار ويقال هو جمع، والمفرد قِترة).
القَسْم	الغيث (مجاز)، والأصل فيه الحظ والرزق.
قصد	اقصد في مشيك "أسرع".

اللفظ	نظيره أو معناه
القعيدة	الغرارة المملوءة ، والجمع قعائد .
القمعل	القدح الضخم (ومقلوبه قلعم وينسب أيضا إلى هذيل) .
١٩٠ تنبّوا	تجمعوا للقتال ، والقنب الجماعة من الثلاثين إلى الأربعين .
القنطر	الداهية
قوض	هذا بذا قوضا بقوض أى بدلا ببدل .
القينة	الرجل المتزين المعجب بالزينة واللباس تشبيها له بالقينة .
القطاع	الدراهم
١٩٥ القنوع	الهبوط (وعند غيرهم الصعود)
الكرهاء	نقرة فى القفا (أو هى الوجه والرأس بأسره) .
الكشاف	الإبل التى لم تحمل عامين (خلافا لما عند بعض القبائل من أنها التى إذا أنتجت ضربها الفحل بعد أيام فلقحت) .
الكهكاهة	المتهيب
الكوثر	الكثير الملتف من الغبار
٢٠٠ الكيس	البأس والشدة فى الحرب
اللجّ	السيف
لدّ	لده عن الامر حبسه
الليث	اللسن الجدل البليغ
المبذرون	المسرفون
٢٠٥ مَثَل	ذهب
مجنب	تمر مجنب ، وطعام مجنب أى كثير .
محفض	أرض محفض أى يابسة (فيها صلابة) .
المخلقة	الطريق
المدرار	المتتابع (يرسل السماء عليكم مدرارا) متتابعا .
٢١٠ المذمّر	القفا
المزادة	سقاء الماء المسمى بالراوية
المساب	السقاء أو الزق (ويروى المساد وهو لحن) .
المستأخذ	المطاطىء الرأس من وجع أو غيره أو الذى به أخذ من الرمد .
المستجال	الذى أصابه فزع (المستخف)
٢١٥ المستخلف	الذى يستقى لأصحابه
المشع	الجنوب (ريح)
المسغبة	المجاعة
المشمعة	الفكاهة والمزاح
المطىّ	الرجال أو الرفاق فى السفر (مجاز) والأصل فيه المطى بمعنى المطايا .
٢٢٠ المعصوب	الجائع (الشديد الجوع) .
مفرطون	متروكون (لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون) أى متروكون .
مفناة	أرض مفناة ، موافقة لنازليها
ملا	ملا يملو : عدا يعدو (أى جرى يجرى) .
الملاح	المخلاة

اللفظ	نظيره أو معناه
الملتحد	الملجأ ولن تجد من دونه ملتحدا أى ملجأ •
الملطاط	الوادى أو جانب منه
ملوك	أحرار(وجعلكم ملوكا) أى أحرارا
الماصعة	الماشة بالسيف
المَنا	المنايا
المَنكل	الصخر
المُنَمَّل	المتقارب الخط
المُنَمَّل	المكتوب
المِنخاب	الضعيف النفس(وقد رواه بعضهم منجاب ، وربما كان تصحيفا ، وإن كانوا عدوه من الأضداد)•
نَدَر	ندر الرجل مات
النُّبُوح	ضجة الحى وأصوات كلابهم
النَّجِيف	السهم العريض النصل
النذيل	النذل
نِزَيَبه	نُرَيِّبه
النَّسِيف	الكلام الخفى
النَّصِيف	الخمار
النُّعامَى	الجنوب (ريح)
النَّهِيت	الصوت يثير الرعب كالزئير
نفر	خرج للغزو ، انفروا اغزوا
النواجع	النواجع والنُّجع الإبل السراع •
هامدة	أرض هامدة مغبرة
الهِجَفّ	الطويل الضخم(وصف للاستهجان)

اللفظ	نظيره أو معناه
الهجوع	النوم
الهضم	النقص(لا يخاف ظلما ولا هضما) نقصا •
الهَكْر	العجَب (أو أشد العجب)
الهَكْع	السعال
الواسِط	الباب
الوبيل	العصا الغليظة
وجف	خاف (قلوب يومئذ واجفة) خائفة •
الوَخْش	النذل من كل شىء
الوذيلة	المرآة (أو السطح اللامع العاكس للضوء) •
الوراء	صفة للأحفاد لأنهم يأتون بعد الأبناء أو وراءهم •
الوَزَر	ولد الولد (الحفيد)•
الوشيق	اللحم المجفف
الوَعواع	القوم إذا حملوا وضجوا والجمع وعاوع •
الوَغَى	الجلبة والصوت الشديد
الوقيعة	المطرقة وهى الميقعة عند غيرهم •
الوَكْس	البخس فى الثمن أو مايشبهه
الوليجة	البطانة
الوَليحة	الغرارة وجمعها (وليح)•
الوَليَّة	البرذعة ، والجمع ولايا
اليازِع	الوازِع

مجموع الألفاظ بلغة هذيل هو ٥٦٦ كلمة

خَاتِمَةٌ

خاتمـــة

في هذا البحث الذي ربما يعد أول بحث متخصص في لغة من لغات العرب ولهجاتها ، أو على الأقل من أوائل الأبحاث المتخصصة في تلك اللغات واللهجات العربية القديمة كتبت مقدمة موجزة أو مدخلا قصيرا أوضحت فيه أن هذه اللغات واللهجات لم يسبق لها أن تحظى باهتمام كبير من القدامى والمحدثين على السواء إلا بعد أن لمسنا هذا الاتجاه واضحا عند علماء الغرب من المستشرقين الذين لهم — في الحق — فضل السبق ، وفضل المثابرة والجد في كثير من الدراسات العربية . وذكرت كثيرا من الكلمات المشتركة بين العربية والعامية ، أو بين الفصحى وبين اللهجات العربية الحديثة في الوطن العربي ، واتخذت هذا دليلا على أنه يمكن الوصل بين الفصحى وبين اللهجات الحديثة ، وتقريب شقة الخلاف بينهما حتى لا تنعزل هذه الفصحى من الحياة ، وحتى تساير ركب التقدم الذي يسير قدما مع الأيام .

وفي دراستي لهذه القبيلة ، ونشأتها ، وبطونها المختلفة صححت بعض الآراء التي عرض لها القدامى ، والمحدثون أحيانا ، والتي تدور حول اتصال اللحيانيين القدامى بالهذليين ، واندماجهم فيهم ، وصنيع هؤلاء القدامى بشأن البطون الهذلية نفسها ، وتناولهم إياها بالتصحيف والتحريف حتى نتج من ذلك عدد كبير من القبائل أو البطون المتشابهة في أسمائها ولكنها في الحقيقة لا وجود لها بين القبائل الهذلية .

وإنني وإن كنت قد توخيت ألا أبعد كثيرا في دراستي لهذيل وبطونها عما هو لازم في مجال الدراسة اللغوية ، فإني — مع هذا — ربطت بين هذه البطون ، وما يتصل بها من أماكن وشخصيات جاهلية أو إسلامية ، كان لها في التاريخ دور مشهور ، ولم يكن ذلك إمعانا مني في الدراسة التاريخية بالقدر الذي يزيد عن حاجة اللغوي ، وإنما دفعني إلى ذلك أن هذه البطون والأفخاذ غريبة علينا ، نذكرها مجردة من المناسبات والملابسات التي تجليها ، وتربطها بأذواقنا وأفهامنا ومشاعرنا يجعلها بادية كهيكل من عظام لا يكسوه اللحم والدم ، أو كشجرة في فصل الخريف خالية من البهجة والرواء . فلم يكن هذا غاية في ذاته بل مجرد وسيلة تربط بيننا وبين هذه البطون الهذلية ، وتخرج بها من هذه العزلة ، وتلك الغرابة ، وتقتحم

بها مجال الإلف والمعرفة منا ، فستطيع أن نستغل ذلك في الجانب اللغوي الذي نرتجيه . وهذا نفسه هو ما اتبعته فيما يتصل بالأماكن الهذلية . وإذا كنت قد أفدت من بعض هذه الأماكن والمواطن في موضوع البحث، ولم أفد منها جميعها ، فإنه قد يفيد غيري مما لم أفد أنا منه ، فالأبحاث ليست لكاتبيها وحدهم ، بل هي خطوة يتلوها خطوات أخرى من الدارسين والباحثين ، وهي في الواقع أساس مهما يكن متواضعا ، فإنه يسهم في بناء متكامل يتضافر الباحثون على بنائه وتشييده .

وفيما يختص بأدب الهذليين ، فإني وجدت أنه لم يتعرض أحد من الباحثين إلا للشعر الهذلي الذي لفت الأنظار إليه لفتا قويا ، أما النثر فلم يقل أحد بأن للهذليين نثرا مهما تكن صورة هذا النثر ، ولهذا كنت أول من تحدث عن هذا النثر الهذلي الذي إن يكن قليلا بالقياس إلى إنتاجهم في الشعر ، فإنه مع هذا ليس بالقلة التي يسوغ معها أن يهمله الأدباء واللغويون إهمالا ، وقد أشرت إلى خطب ابن مسعود وأحاديثه الموقوفة عليه أو التي رواها بلفظه ، إلى جانب الآثار النثرية الأخرى لأبي ذؤيب وأبي صخر وغيرهم من الهذليين ، وقد أفدت من هذا النثر في الموضوع ، كما أفدت من الشعر فائدة كبيرة ، ولكنني سكت عن الكلام في الجانب الفني في أدب الهذليين لبعده عن الموضوع .

أما الموضوع اللغوي نفسه فقد توفرت على جمع مادته المبعثرة المشتتة، وبذلت في سبيل ذلك جهدا مضنيا . ولم أكتف ــ طبعا ــ بجمع ما جمعت وتنسيقه والتأليف بينه داخل الإطار العام الذي ينتظم هذا البحث بل بذلت فيه ما ينبغي للدارس أن يبذله من بحث وتحقيق يتناول به جوانب الموضوع وينفذ منه إلى دقائقه ، فلم أسلم بما قاله اللغويون تسليما دون تمحيص، ولم أقتصر أيضا على ذلك الذي قالوه ، وإنما أضفت إليه ما أضفت مما هداني إليه الفكر ، وما أفدته من تطبيق ما أمكن تطبيقه من وسائل البحث الحديث، فكثير من الكلمات أو الاتجاهات اللغوية التي عدها علماء النحو واللغة حجازية هي في الأصل راجعة إلى هذيل ، وجدها اللغويون عندهم فاعتبروها لغة الحجاز أو لغة الغور أو تهامة أحيانا ، ولغة السراة أحيانا أخرى .

ثم وصلت إلى أن الهذليين في موقعهم المتوسط بين إخوانهم من الحجازيين ، وبين القبائل القيسية والتميمية وغيرها في وسط الجزيرة العربية هم حلقة وسطى في سلسلة التأثير والتأثر بين أولئك وهؤلاء ، وعلى أساس هذا استقام لي البحث في كثير من جوانبه لأن هذه الحقيقة التي انتهيت إليها كان فيها تفسير كثير من الظواهر اللغوية التي ينسبها اللغويون أحيانا إلى بعض هذه القبائل ثم نجدها عند هذيل إلى جوار ما نجده فيها من الظواهر اللغوية التي تتسم بها أخواتها من القبائل الحجازية الأخرى . وفي غضون هذا صححت ما أخطأ فيه بعض الباحثين من أن هذيلا غير حجازية ، وانما تجاور الحجازيين ، ومنازلها تقع بعد الطائف نحو الجنوب .

وإني إن كنت قد سرت في منهج بحثي في رحاب من الاتجاه العام للدراسات اللغوية والنحوية ، فما فعلت ذلك إلا لأن مادة البحث في ذاتها لا يمكن فصلها فصلا تاما من هذا الاتجاه لأن اللغويين انفسهم حينما عرضوا لهذا الطابع اللغوي الهذليين - أو لغيرهم - فعلوا ذلك في ثنايا حديثهم في أبواب النحو ، ومواد اللغة ، فجمع الالف إلى إلفه والنظير إلى نظيره يفرض على الدارس هذا المنحى ، ثم دفعني إلى ذلك أيضا ما يقتضيني إياه واجب المقارنة بين الطابع الهذلي والاتجاه العام للغة من أن يكون ذلك في حدود هذا المنهج الذي انتهجته . وحسبي مع هذا أنني ناقشت كل ما رأيت أنه يتطلب المناقشة من آراء القدامى والمحدثين وانتهيت إلى ترجيح ما رأيت ترجيحه ، وأدليت برأيي في الموضوع في تحفظ واحتياط ، ولم تدفعني الرغبة في التجديد إلى شيء من الجموح أو المبالغة في الأحكام ، فكان ذلك مظهرا للتوسط الذي اخذت به نفسي بين الجديد الذي يهدول لا يلوى على شيء ، والقديم الذي يظل قابعا في مكانه لا يريم .

وإنه وإن كان كثير من ألفاظ اللغة وصلنا من طريق الرواية ومشافهة الأعراب في بواديهم ، فإنه قد انتهى بي البحث إلى أن عددا كبيرا من الالفاظ التي ضمنها اللغويون معاجمهم ليس قائما على المشافهة اللفظية قدر ما هو قائم على استنتاجها من النصوص ، ذلك الاستنتاج القائم على اختلاف الفهم والذوق إلى حد كبير .

وإذا كانت هذه النصوص مصدرا خصبا من مصادر اللغة الهذلية فإنى قد استطعت أن اجمل من قراءة ابن مسعود وتلاميذه مفتاحا هاما من مفاتيح هذه اللهجة خصوصا فى الجانب الصوتى ، وإذا كان هذا لم يظهر واضحا فى مصاحفنا ، فليس ذلك راجعا إلى استبعاد القراءات التى خالفت رسم المصاحف العثمانية فحسب ، بل يعود أيضا إلى أن القراءة السائدة عندنا والتى كتبت بها مصاحفنا فى مصر هى قراءة حفص ، التى تنتهى إلى على بن أبى طالب لا إلى ابن مسعود .

وقد استطعت أن أظهر من خلال البحث قيمة التراث الهذلى ومشاركته فى تكوين البناء اللغوى والأدبى للغتنا ، وكيف أن الأدباء واللغويين كانوا كثيرا ما يجدون فيه مادتهم التى يعتمدون عليها . ولم يكن هذا وقفا على اللغويين والرواة الذين اشتهروا بتخصصهم فى اللغة كالأصمعى وأبى زيد وأضرابهما ، بل هناك بعض شخصيات أخرى ما كان يظن أن بينهما وبين الشعر الهذلى واللغة الهذلية هذه الصلة كالشافعى الذى أثبت البحث أنه كان أستاذا كبيرا فى هذا الموضوع . وقد استطعت فى ضوء هذا تفسير هذه الظاهرة الملموسة من وجود كثير من الألفاظ اللغوية فى كتابته مخالفة لما ألفه الناس فى الفصحى ، وهذا ما لم يستطع أحد من القدامى والمحدثين تعليله أو إرجاعه إلى أساس علمى سليم .

كما أثبت بالأمثلة صلة المذهب الكوفى بلغة هذيل عن طريق الشعر الهذلى أحيانا وعن طريق القراءات أحيانا أخرى ، فالكوفيون يحلون هذه القراءات ـ كما تبين لنا ـ محلها من التقدير ، وهى عندهم مصدر من مصادر النحو الكوفى خلافا للبصريين ، فليس الفرق بين أولئك وهؤلاء مقصورا على ما لمسه القدامى من خلاف بين المدرستين ، بل يضاف إلى ذلك هذا الفرق الذى أشرنا إليه من اعتداد الكوفيين بالقراءات ولا سيما قراءة ابن مسعود وتلاميذه ، تلك القراءة التى هى همزة الوصل ـ فيما نظن ـ بين مذهب الكوفيين واللغة الهذلية .

ثم لفت النظر إلى بعض ما لم يصادف اللغويين التوفيق بما رأوه من أحكام لغوية وأطلقوها نتيجة التحريف أو الخطأ في بعض ألفاظ اللغة والخطأ الملاحق عن السابق دون تنبيه إليه حتى يكتسب مظهر الصواب ، ويحجب الحقيقة وراءه لا يلتفت إليها أحد .

هذا ، وقد ربطت في كثير من الأحيان بين اللهجات القديمة والحديثة لما لهذا الربط من أهمية في موضوعها ، وقد ختمت البحث بملحق أثبت فيه أشهر ما وصلت إليه من ألفاظ اللغة الهذلية إلى جانب ما مر من هذا في خلال الموضوع ، وقد ظهر من هذا العرض السريع أو مما مر في قضايا البحث أن بعض هذه الألفاظ لا تزال حية بمعانيها أو بما يقارب معانيها في لهجتنا الحديثة ، كما ظهر مثل ذلك في الجانب الصوتي كتخفيف الهمزة أحيانا ، والتخلص من أصوات اللين الداربة وغير ذلك من الظواهر التي لمسناها .

وأنا لا أعني بهذا أن النتائج التي يصل إليها دارس أو باحث بالغة ما بلغت أهميتها تعد شيئا هاما فيما تبتغيه من وراء دراسة لهجات العرب ولغاتهم بل أنها مجهود لبنة تنتظم دورها إلى جانب اللبنات الأخرى التي على أساسها يتم تشييد هذا البناء ، ولهذا أعتقد أنه لابد من تضافر الجهود الجماعية لكي يبلغ هذا النوع من الدراسات اللغوية ما يرتجيه ويحقق الثمرة المرجوة منه إن شاء الله .

فهـــرس موضوعـــى

مدخـــــل

ثبت المراجـــع

أولا ـ المراجع العربية

١) الآمــدى المؤتلف والمختلــف (تحقيق عبد الســتار فراج) .

٢) دكتور إبراهيم أنيس الأصوات اللغوية الطبعة الثالثة ١٩٦١ م .

٣) دكتور إبراهيم أنيس دلالة الألفاظ الطبعة الأولى ١٩٥٨ م .

٤) دكتور إبراهيم أنيس فى اللهجات العربية الطبعة الثانية ١٩٥٢ م .

٥) إبراهيم رفعت مرآة الحرمين الطبعة الأولى دار الكتب ١٣٤٤ هـ / ١٩٢٥ م .

٦) الأبشيهى المستطرف مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٩٦٠ م .

٧) ابن الأثير أسد الغابة فى معرفة الصحابة طبع ١٢٨٦ هـ

٨) ابن الأثير تاريخ الكامل الطبعة الأولى ١٣٠١ هـ

٩) ابن الأثير المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر طبع ١٢٨٦ هـ

١٠) ابن الأثير النهاية فى غريب الحديث والأثر طبع سنة ١٣١١ هـ .

١١) ابن الأنبارى (محمد بن القاسم) الأضداد فى اللغة طبع (المطبعة الحسينية بمصر)

١٢) ابن الأنبارى (عبد الرحمن بن محمد) الإنصاف فى مسائل الخلاف (تحقيق محمـــد محيى الدين عبد الحميد) .

١٣) ابن البتانى الجزائرى محادثة أهل الأدب بأخبار وأنساب جاهلية العرب طبع القاهرة ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م

١٤) ابن بليهد النجدى صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من الآثار (محمد محيى الدين عبد الحميد) طبع ١٣٧٠ هـ / ١٩٥٠ م

١٥) ابن الجزرى منجد المقرئين ومرشد الطالبين (مخطوط) مكتبة الأزهر ١٥٥٠

١٦) ابن الجزرى النشر فى القراءات العشر طبع مصر (مطبعة مصطفى محمد)

١٧) ابن جنى التمام فى تفسير أشعار هذيل طبع بغداد

١٨) " " الخصائص طبع دار الكتب

١٩) " " سر صناعة الإعراب حـ ١ طبع مصطفى الحلبى

٢٠) " " الكتاب المحتسب فى شواذ القراءات (مخطوط) دار الكتب ٢٥٢ قراءات

٢١) " " المنصف (شرح كتاب التصريف لأبى عثمان المازنى) طبع مصطفى الحلبى

٢٢) ابن حجر الإصـــابة فى تمييز الصحابة . طبع مصر سنة ١٣٢٧ هـ .

٢٣) " " تعجيل المنفعة طبع حيدر آبـــاد ١٣٢٤ هـ

٢٤) ابن حزم جمهرة أنساب العرب (نشر وتحقيق ليفي بروفنسال).
٢٥) ابن خالويه مختصر شواذ القرآن (نشر برجشتراسر) طبع مصر ١٩٣٤ م
كتاب ليس مطبعة السعادة بمصر
٢٦) ابن خلدون المقدمة المطبعة الاميرية ١٣٢٠ هـ
٢٧) ابن خلدون تاريخه (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر...) طبع بولاق سنة ١٢٨٤ هـ
٢٨) ابن خلكان وفيات الأعيان طبع سنة ١٩٤٨ م
٢٩) ابن دريد الاشتقاق (تحقيق عبد السلام هارون) طبع ١٣٧٨ هـ، ١٩٥٨ م
٣٠) ابن دريد جمهرة اللغة طبع سنة ١٣٤٤ ـ ١٩٢٥ م
٣١) " الملاحن المطبعة السلفية ١٣٤٧هـ
٣٢) ابن رشيق العمدة فى صناعة الشعر ونقده (تصحيح بدر الدين النعساني الحلبي)
الطبعة الاولى ١٣٢٥ هـ، ١٩٠٧ م.
٣٣) ابن سعد الطبقات الكبير (طبع ليدن) ١٣٢١ هـ
٣٤) ابن السكيت إصلاح المنطق (تحقيق احمد شاكر ـ عبد السلام هارون) طبع دار المعارف
٣٥) " " الأضداد ضمن مجموعة من ثلاثة كتب في الأضداد
المطبعة اليسوعية الكاثوليكية ببيروت ١٩١٢م
٣٦) ابن السيد البطليوسي الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب (طبع بيروت) ١٩٠١
٣٧) ابن سيده المحكم والمحيط الأعظم فى اللغة (تحقيق عبد الستار أحمد فراج)
(مخطوط) دار الكتب ٤٩ لغة الطبعة الأولى ١٣٧٧ هـ، ١٩٥٨ م.
٣٨) " المخصص (الطبعة الأولى) بولاق
٣٩) ابن عبد الحكم فتوح مصر طبع ليدن ١٣٢٠ هـ
٤٠) ابن عبد ربه العقد الفريد طبع ١٢٩٣ هـ
٤١) ابن عقيل شرح ألفية ابن مالك (هامش حاشية الخضرى) طبع ١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠ م
٤٢) ابن العماد الحنبلي شذرات الذهب طبع ١٣٥٠ هـ
٤٣) ابن فارس الصاحبي فى فقه اللغة القاهرة ١٣٢٨ هـ ـ ١٩١٠ م.
٤٤) " معجم مقاييس اللغة (تحقيق عبد السلام هارون) الطبعة الأولى ١٣٦٦هـ
٤٥) ابن فضل الله العمري مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار طبع دار الكتب
٤٦) ابن قتيبة أدب الكاتب المطبعة الشرفية بمصر ١٣٢٨ هـ
٤٧) " الشعر والشعراء الطبعة الأولى ١٣٢٢ هـ
٤٨) " عيون الأخبار دار الكتب ١٣٤٣ هـ ـ ١٩٢٥ م
٤٩) " المعارف طبع سنة ١٣٠٠ هـ

٥٠) ابن القوطية　الأفعال　(الطبعة الأولى مصر) ١٩٥٢م .

٥١) ابن الكلبي　الأصنام　(طبع دار الكتب)

٥٢) ابن مالك　تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد　طبع مكة ١٣١٩ هـ

" "　مثلث في اللغة　مخطوط بدار الكتب رقم ١٩ لغة ش .

٥٣) ابن المجاور　صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر
طبع ليدن ١٩٥١ م

٥٤) ابن منظور　لسان العرب (طبع بولاق) ١٣٠٠ هـ

٥٥) ابن النديم　الفهرست (مطبعة الاستقامة بالقاهرة)

٥٦) ابن هشام (الأنصاري) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب الطبعة الأولى ١٣٢٨

٥٧) ابن هشام (المعافري) السيرة النبوية (طبع ١٢٩٥ هـ)

٥٨) ابن يعيش　شرح المفصل (المطبعة المنيرية بالقاهرة)

٥٩) أبو أحمد العسكري　التصحيف والتحريف مطبعة القاهرة ١٣٢٦هـ ـ ١٩٠٨ م

٦٠) أبو بكر الباقلاني　إعجاز القرآن (هامش الإتقان) الطبعة الثانية
المطبعة الأزهرية بمصر ١٣٤٣ هـ ـ ١٩٢٥ م

٦١) أبو تمام　الحماسة　الطبعة الثالثة ١٣٤٦ هـ ـ ١٩٢٧ م

٦٢) أبو حنيفة الدينوري　الأخبار الطوال الطبعة الأولى (مطبعة السعادة) ١٣٣٠هـ

٦٣) أبو حيان　ارتشاف الضرب من لسان العرب (مخطوط) دار الكتب
رقم ٨٢٨ نحو

٦٤) أبو حيان　البحر المحيط (مطبعة السعادة سنة ١٣٢٩ هـ) .

٦٥) أبو زيد القرشي　جمهرة أشعار العرب الطبعة الأولى ١٣٣٠ هـ

٦٦) "　"　النوادر في اللغة (طبع بيروت) سنة ١٨٩٤ م .

٦٦) أبو سعيد السكري　شرح أشعار الهذليين مخطوط ٦ أدب ش

٦٧) أبو سعيد السكري　شرح أشعار الهذليين (تحقيق عبد الستار أحمد فراج)

٦٨　"　"　شرح بقية أشعار الهذليين (طبع برلين) .

٦٩)　"　"　شرح ديوان أبي ذؤيب (مخطوط) ٦٩ أدب ش

٧٠)　"　"　شرح ديوان أبي ذؤيب (مخطوط) ٢٦٤ أدب تيمور .

٧١) أبو شامة　إبراز المعاني من حرز الأماني (شرح الشاطبية)
طبع مصطفى الحلبي ١٣٤٩ هـ .

٧٢) أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب شرح ديوان زهير طبع دار الكتب ١٣٦٣ هـ ـ ١٩٤٤م

٧٣)　"　"　"　مجالس ثعلب (شرح وتحقيق عبد السلام هارون) دار المعارف بمصر

٧٤) أبو عبيد البكري　التنبيه على أوهام القالي في أماليه (الطبعة الثالثة)

٧٥)　"　"　سمط اللآلي في شرح أمالي القالي (تصحيح عبد العزيز الميمني)
لجنة التأليف والترجمة والنشر

٧٦) أبوعبيد البكرى معجم ما استعجم (تحقيق مصطفى السقا) لجنة التأليف والترجمة والنشر

٧٧) أبو العلاء المعرى رسالة الغفران طبع مصر ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م

أبو على الفارسى الإيضاح (مخطوط) دار الكتب رقم ١١٢٠ نحو

أبو على الفارسى المسائل الحلبية (مخطوط) دار الكتب رقم ٥ نحو ش.

٧٨) أبو على القالى الأمالى (الطبعة الثالثة)

٨٠) " " ذيل الأمالى والنوادر (الطبعة الثالثة)

٨١) أبوعمرو الشيبانى كتاب الجيم (مصور) ٣ مجلدات بالمجمع اللغوى رقم ٧٢٥ لغة

٨٢) أبوالفدا المختصر فى أخبار البشر (المطبعة الحسينية بمصر).

٨٣) أبوالفرج الأصفهانى الأغانى (ساسى)

٨٤) أبوالقاسم بن سلام رسالة ما ورد فى القرآن من لغات القبائل (هامش الجلالين) الطبعة الثالثة ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٤ م

٨٥) أبوالقاسم على بن حمزة البصرى التنبيهات على أغاليط الرواة (مخطوط) دار الكتب ٢٢ لغة ش.

٨٦) أبو منصور الثعالبى فقه اللغة وسر العربية مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٧٨ هـ ١٩٥٩ م

٨٧) أبو هلال العسكرى كتاب الصناعتين (الطبعة الاولى)

٨٨) " " الفروق اللغوية طبع ١٣٥٣ هـ.

٨٩) " " المعجم فى بقية الاشياء طبع دار الكتب ١٣٥٣هـ ـ ١٩٣٤ م

٩٠) د. أحمد أمين فجر الإسلام (الطبعة السابعة) لجنة التأليف والترجمة والنشر.

٩١) أحمد بن المنير الإسكندرى الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال (هامش الكشاف) ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨ م

٩٢) الإدفوى الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد (مطبعة الجمالية بالقاهرة) ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م

٩٣) الأزرقى أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار (طبع مكة)

٩٤) الأزهرى التهذيب (مخطوط) دار الكتب رقم ٩ لغة

٩٥) الأزهرى الزاهر فى غرائب ألفاظ الإمام الشافعى (مخطوط) دار الكتب ٣٥٦ لغة.

٩٦) إسرائيل ولفنسون تاريخ اللغات السامية لجنة التأليف والترجمة والنشر.

٩٧) إسماعيل بن عمرو المقرى لغات القرآن (تحقيق ونشر صلاح الدين المنجد) مطبعة الرسالة

٩٨) الإصطخرى مسالك الممالك (طبع ليدن) سنة ١٩٢٧.

٩٩) الأصمعى الأضداد ضمن مجموعة لغوية من ثلاثة كتب نشرها (د. اوغست هفنر) طبع بيروت ١٩١٢.

١٠٠) " ديوان الهذليين (روايته) طبع دار الكتب

١٠١) الأصمعى كتاب أسماء الوحوش وصفاتها (طبع فينا) سنة ١٨٨٨ م .

~~(....) الأصمعى ما تفرد به بعض أئمة اللغة~~

١٠٢) " النبات (مخطوط) دار الكتب ٦ مجاميع ش .

١٠٣) الألوسى بلوغ الأرب فى أحوال العرب طبع بغداد

١٠٤) د . أنيس فريحة اللهجات العربية وأسلوب دراستها (محاضرات معهد الدراسات العربية ١٩٥٥) . قسم الدراسات الأدبية واللغوية

١٠٥) الأمير حاشيته على مغنى اللبيب لابن هشام (الطبعة الأولى) ١٣٢٨ هـ

١٠٦) البتنونى الرحلة الحجازية الطبعة الثانية ١٣٢٩ هـ

١٠٧) البحترى ديوان الحماسة (المطبعة الرحمانية . مصر) ١٩٢٩ م

١٠٨) برجشستراسر التطور النحوى للغة العربية سلسلة محاضرات ألقاها فى الجامعة (مطبعة السماح بالقاهرة) .

١٠٩) البغدادى خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (طبع بولاق) .

١١٠) " " " " " ٤ أجزاء (طبع السلفية) .

١١١) البلاذرى فتوح البلدان (الطبعة الأولى) مصر ١٣١٩ هـ - ١٩٠١ م

١١٢) البيضاوى أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوى) مطبعة مصطفى محمد

١١٣) التبريزى شرح القصائد العشر المطبعة السلفية

١١٤) الجاحظ البيان والتبيين الطبعة الرابعة (مطبعة الاستقامة) . ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م

١١٥) " الحيوان (تحقيق وشرح عبد السلام هارون) طبع مصطفى الحلبى .

١١٦) الجرجاوى شرح شواهد ابن عقيل على ألفية ابن مالك (طبع مصطفى الحلبى)

١١٧) جرجى زيدان العرب قبل الإسلام (دار الهلال)

١١٨) جلال الدين السيوطى الإتقان فى علوم القرآن الطبعة الثانية ١٣٤٣ هـ . ١٩٢٥ م

١١٩) " " الاقتراح الطبعة الثانية ١٣٥٩ هـ حيدر آباد الدكن .

١٢٠) " " بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة الطبعة الأولى ١٣٢٦ هـ

١٢١) " " البهجة المرضية طبع القاهرة ١٣٦٦ هـ

١٢٢) " وجلال الدين المحلى تفسير الجلالين الطبعة الثالثة ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ م

١٢٣) " " تنوير الحوالك (شرح موطأ مالك) دار إحياء الكتب العربية

١٢٤) " " جمع الجوامع مطبعة السعادة بمصر - ١٣٢٧ هـ .

١٢٥) " " حسن المحاضرة طبع ١٣٢٧ هـ

١٢٦) " " المزهر فى علوم اللغة (مطبعة محمد على صبيح) .

١٢٧) جلال الدين السيوطى لب اللباب فى تحرير الأنساب (مخطوط) دار الكتب ٨٠٥ تاريخ حليم
١٢٨) " " همع الهوامع - مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٧ هـ .
١٢٩) جمال الدين بن ظهيرة القرشى الجامع اللطيف فى فضل مكة وبناء البيت الشريف (طبع عيسى الحلبى) ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م .
١٣٠) دكتور جواد على تاريخ العرب قبل الإسلام طبع بغداد ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م
١٣١) الجواليقى المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم (تحقيق أحمد شاكر) طبع دار الكتب .
١٣٢) الجوهرى تاج اللغة وصحاح العربية . المطبعة الأميرية ١٢٩٢هـ ،
١٣٣) ~~الحيونى~~ ~~أنساب قبائل العرب~~
١٣٤) الحصرى زهر الآداب الطبعة الثالثة (مطبعة السعادة بمصر) ١٣٧٢ هـ ، ١٩٥٣م
١٣٥) حفنى ناصف مميزات لغات العرب الطبعة الثانية (مطبعة السعادة) ١٣٣٠هـ .
١٣٦) خالد الأزهرى شرح التصريح على التوضيح لألفية ابن مالك فى النحو طبعة ١٣١٢هـ .
١٣٧) الخضرى حاشيته على شرح ابن عقيل للألفية ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠ م
١٣٨) الخليل كتاب العين . قطعة منه بدار الكتب . طبع بغداد .
١٣٩) الدانى الموضح لمذاهب القراءات واختلافهم فى الفتح والإمالة (مخطوط) ٧٦٦١ مكتبة الازهر
١٤٠) الدميرى حياة الحيوان (طبع محمد على صبيح) ١٣٧٤ هـ
١٤١) الذهبى تجريد أسماء الصحابة طبع ١٣١٥ هـ
١٤٢) الذهبى تذكرة الحفاظ (طبع الهند) .
١٤٣) رضى الدين الاستراباذى شرح شافية ابن الحاجب (تحقيق محمد نور الحسن ، محمد الزفزاف ، محمد محيى الدين عبد الحميد) مطبعة حجازى بالقاهرة
١٤٤) الزبيدى شرح الكافية طبع الشركة الثقافية العثمانية ١٣١٠ هـ
مختصر كتاب العين مصور بالفوتستات . بدار الكتب رقم ٦٢٤٥ هـ .
١٤٥) الزبيدى تاج العروس . المطبعة الوهبية بالقاهرة ١٢٨٦ هـ .
١٤٦) الزبيدى طبقات النحويين واللغويين (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) . الطبعة الأولى ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م .
١٤٧) الزركلى الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين فى الجاهلية والإسلام) طبع ١٣٤٥هـ - ١٩٠٣ م
١٤٨) الزمخشرى أساس البلاغة (تحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود) الطبعة الاولى الجديدة ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م .

١٤٩) الزمخشرى — الجبال والأمكنة والمياه . طبع ليدن ١٨٥٥ م .

١٥٠) " — الفائق (الطبعة الأولى) القاهرة ١٣٢٤ هـ ـ ١٩٢٥ م

١٥١) " — الكشاف من حقائق التأويل وغوامض التنزيل (الطبعة الاولى)

١٥٢) السجاعى — حاشيته على شرح القطر لابن هشام طبع سنة ١٣٢٢ هـ

١٥٣) السجستانى — الأضداد . ضمن مجموعة لغوية طبع بيروت ١٩١٢ م .

١٥٤) السجستانى — المصاحف (الطبعة الأولى) مطبعة الرحمانية ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م

١٥٤) سعيد الأفغانى — أسواق العرب فى الجاهلية والإسلام (دار الفكر بدمشق) ١٩٣٧ م

١٥٥) السمنودى — شرح الدرة فى القراءات العشر مطبعة محمد على صبيح .

١٥٦) السهيلى — الروض الأنف (شرح سيرة ابن هشام) مطبعة الجمالية بمصر ١٣٣٣ هـ ـ ١٩١٤ م

١٥٧) السويدى — سبائك الذهب طبع النجف ١٣٥٤ هـ

١٥٨) سيبويه — الكتاب (الطبعة الأولى . بولاق) سنة ١٣٩٧ هـ .

١٥٩) الصاحب بن عباد — المحيط مخطوط (دار الكتب) ٤٢ لغة

١٦٠) الصاغانى — العباب الزاخر (مخطوط) دار الكتب ١٤١ لغة

١٦١) " — ما تفرد به بعض أئمة اللغة (مخطوط) دار الكتب ٤١٨ لغة

١٦١) التكملة (مخطوط) دار الكتب ٣٧ لغة

١٦٢) الصبان — حاشيته على شرح الاشمونى على الفية ابن مالك (المطبعة الميمنية) ١٣١٤ هـ

١٦٣) الدكتور الصياد — المملكة العربية السعودية مذكرات معهد الدراسات العربية العليا سنة ١٩٥٨

١٦٤) الضبى — المفضليات مطبعة بيروت ١٩٢٠ م

١٦٥) الطبرى — تاريخ الأمم والملوك الطبعة الاولى

١٦٦) عبد الرحيم بن على العباسى — معاهد التنصيص . طبع بولاق ١٢٧٤ هـ .

١٦٧) عبد الفتاح القاضى — القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب طبع عيسى الحلبى

١٦٨) عبد القادر المغربى — تفسير جزء تبارك (مطابع الشعب) .

١٦٩) عبد الوهاب حمودة — القراءات واللهجات (مطبعة السعادة) ١٣٦٨ هـ

١٧٠) عريب بن سعد القرطبى — صلة تاريخ الطبرى طبع ليدن ١٨٩٧ م

١٧١) العكبرى — إعراب القرآن (إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات فى جميع القرآن) طبع مصر ١٣٠٦ هـ .

١٧٢) " — التبيان فى شرح الديوان (طبع مصطفى الحلبى) ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م

١٧٣) دكتور على عبد الواحد — فقه اللغة الطبعة الخامسة ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦٢ (لجنة البيان العربى) .

١٧٤) د • علي عبد الواحد — علم اللغة (الطبعة الرابعة) ١٣٧٧ ـ ١٩٥٧

١٧٥) علي مبارك — الخطط التوفيقية مطبعة بولاق ١٢٧٠ هـ •

١٧٦) علي محمد الضباع — شرح الشاطبية المسمى إرشاد المريد (مطبعة محمد علي صبيح)

١٧٧) عمر رضا كحالة — معجم قبائل العرب القديمة والحديثة طبع دمشق ١٣٦٨ هـ
١٩٤٩ م

١٧٨) العيني — كتاب المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشهور بشرح الشواهد الكبرى (هامش خزانة الادب) الطبعة الأولى ببولاق •

١٧٩) فؤاد حمزة — قلب الجزيرة العربية (المطبعة السلفية) ١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٣ م

١٨٠) فرد ينان توتل — المنجد (طبع بيروت)

١٨١) الفيروزبادى — القاموس المحيط (مطبعة السعادة بمصر) •

١٨٢) — ابتهاج النفوس بذكر ما فات القاموس (مخطوط) دار الكتب ٣٥٢ تيمور (مؤلفه غير معلوم) •

١٨٣) الفيومي — المصباح المنير في غريب الشرح الكبير •
(الطبعة الثالثة) المطبعة الاميرية سنة ١٩١٢ م

١٨٤) القاضي عياض — مشارق الأنوار (طبع فاس) ١٣٢٨ هـ ، ١٣٢٩ هـ

١٨٥) القرطبي — الجامع لأحكام القرآن طبع دار الكتب ١٣٦٠ هـ ـ ١٩٤١ م

١٨٦) القفطي — إنباه الرواة على أنباه النحاة (طبع دار الكتب) ١٣٦٩ هـ
١٩٥٠ م

١٨٧) القلقشندى — نهاية الأرب في أنساب العرب (تحقيق ابراهيم الابيارى) الطبعة الأولى • القاهرة

١٨٨) الكازروني — حاشيته على تفسير البيضاوى (مطبعة مصطفى محمد)
لبيد — ديوانه (مخطوط) ٥٧٧ لغة دار الكتب •

١٨٩) المبرد — الكامل المطبعة الأزهرية

١٩٠) " — المقتضب في النحو (مصور) دار الكتب ١٥٢٥ نحو

١٩١) " — نسب عدنان وقحطان (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٥٤
١٩٣٦

١٩٢) محب الدين — تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات (شرح شواهد الكشاف) تذييل الكشاف (الطبعة الأولى) •

١٩٣) محمد بن إدريس الشافعي الرسالة (تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر) الطبعة الأولى ١٣٥٨
١٩٤٠

١٩٤) د • محمد حسين هيكل في منزل الوحي الطبعة الثانية ١٩٥٢ م

١٩٥) محمد كرد علي — "عجائب اللهجات" مقال بمجلة مجمع اللغة العربية الجزء السابع ص ١٢٨ .

١٩٦) محمد لبيب البتنوني — الرحلة الحجازية (الطبعة الثانية) ١٣٢٩ هـ

١٩٧) مسلم — صحيح مسلم (مطبعة محمد علي صبيح)

١٩٨) محمد صديق خان — البلغة في أصول اللغة طبع القسطنطينية ١٢٩٦ هـ

١٩٩) محمد عبد العظيم الزرقاني — مناهل العرفان في علوم القرآن (الطبعة الثانية) عيسى الحلبي ١٣٦١ ، ١٣٦٢ هـ

٢٠٠) د . مراد كامل — دلالة الألفاظ العربية وتطورها (محاضرات ألقاها على طلبة معهد الدراسات العربية العالية . قسم الدراسات الأدبية واللغوية ١٩٦٢ ، ١٩٦٣ .

٢٠١) المرزباني — الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء (جمعية نشر الكتب العربية بالقاهرة) المطبعة السلفية

٢٠٢) المسعودي — مروج الذهب (طبع أوروبا) مكتبة جامعة القاهرة ٢٢١ تاريخ

٢٠٣) مصطفى صادق الرافعي — تاريخ آداب العرب (ضبط وتحقيق محمد سعيد العريان) (مطبعة الاستقامة بالقاهرة)

٢٠٤) المقريزي — البيان والإعراب عمن حل بأرض مصر من الأعراب . تحقيق (د . عبد المجيد عابدين) الطبعة الأولى ١٩٦١ م.

٢٠٥) المقريزي — المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (المطبعة الأميرية ببولاق) ١٢٧٠ هـ .

٢٠٦) النعساني الحلبي — نهاية الأرب من شرح معلقات العرب (الطبعة الأولى ١٣٢٤ هـ ١٩٠٦ م

٢٠٧) الهمداني (الحسن بن أحمد بن يعقوب) — صفة جزيرة العرب (نشر محمد بن بليهد النجدي) ١٩٥٣ .

٢٠٨) الهمداني (عبد الرحمن بن عيسى) — الألفاظ الكتابية المطبعة الكاثوليكية (بيروت ١٨٨٥ هـ

٢٠٩) الواسطي — الإرشاد وشرحه . مخطوط (٢٠٧٨٧ ب) دار الكتب .

٢١٠) ياقوت — معجم الأدباء (نشر مرجليوث) طبع سنة ١٩٢٢ م .

٢١١) ياقوت — معجم البلدان (الطبعة الأولى) مطبعة السعادة بمصر

٢١٢) " — المقتضب من جمهرة أنساب العرب (مخطوط) رقم ١٠٥ م تاريخ

٢١٣) اليعقوبي — تاريخه (طبع أوروبا) مكتبة جامعة القاهرة ١٣٢ تاريخ

٤٧١

ثانيـــا ــ المراجـع المترجمة والأفرنجيـــــــة

بروكلمــــــــان : تاريخ الأدب العربى ترجمة الدكتور عبد الحليم النجــار (دار المعارف)

جولد تســـــيهر : المذاهب الإســلامية فى تفسـير القرآن (ترجمة الدكتور على حسن عبد القادر) الطبعة الأولـى ١٣٦٣ هـ • / ١٩٤٤ م

غوستان لوبــون : حضارة العرب ترجمة عادل زعيتر الطبعة الثالثة (عيسى الحلبى) •

فندريــــس : اللغة ترجمة الدكتور القصـــاص

يوهان فك : العربية ترجمة الدكتور عبد الحليم النجـــار مطبعــة دار الكتاب العـــربــى •

Godfrey Kosegarten: Hudsailian Poems, preface.

Rabin: Ancient west Arabia.

The Encyclopaedia of Islam.